

جامعة اليرموك
كلية الشريعة
قسم الدراسات الإسلامية

خصائص الإنسان في عمارة الكون وأبعادها في التربية الإسلامية

The Characteristic of Humankind in the Construction of the Universe and its Implications in Islamic Education

إعداد
حسين علي عبيد عون
الرقم الجامعي 2008280017

إشراف
الدكتور عدنان مصطفى خطاطبة

حقل التخصص : التربية الإسلامية

الفصل الدراسي الثاني
1435هـ - 2014 م

بسم الله الرحمن الرحيم

وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ

غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا

إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ

(هود: 61)

خصائص الإنسان في عمارة الكون وأبعادها في التربية الإسلامية

إعداد

حسين علي عبيد عون

ماجستير الدراسات الإسلامية، جامعة المرقب ،2006

بكالوريوس، الدعوة وأصول الدين، الجامعة الأسمرية، 2000/99

إشراف

الدكتور عدنان مصطفى خطاطبة

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في تخصص التربية الإسلامية ، جامعة اليرموك، الأردن.

وافق عليها

د. عدنان مصطفى إبراهيم خطاطبه.................................... **مشرفا ورئيسا**

أستاذ مشارك في التربية الإسلامية – جامعة اليرموك

أ.د.أمين موسى أبو لاوي ....**عضوا**

أستاذ التربية الإسلامية – جامعة عمان العربية

د.أحلام محمود علي مطالقه ....**عضوا**

أستاذ مشارك في التربية الإسلامية – جامعة اليرموك

د.احمد ضياء الدين الحسين ....**عضوا**

أستاذ مشارك في أصول التربية– جامعة اليرموك

د.عايش علي محمد لبابنه ....**عضوا**

أستاذ مشارك في التفسير – جامعة اليرموك

تاريخ مناقشة الرسالة

2014 /4/30

الإهداء

إلى أمي الحبيبة أطال الله في عمرها وأمدّها بوافر الصحة والعافية.

إلى روح والدي العزيز رحمه الله تعالى أهدي أجر هذه الدراسة .

إلى زوجتي الغالية جزاها الله عني كل خير على ما تحملت معي من مشاق وصعاب.

إلى أولادي وفلذة كبدي : محمد، وعلي، ورزان، وزيد ، وميّارة .

إلى كل إخوتي وأخواتي .

إلى كل الأقارب والأصدقاء والأحباب .

أهدي ثمرة هذا الجهد .

شكر وتقدير

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾

(الأحقاف: 15)

الشكر لله أولا وآخر، فله الحمد على فضله وإحسانه، وله الشكر على توفيقه وامتنانه، لك الحمد يا ربنا حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت، ولك الحمد بعد الرضا، وإتماما لشكره على ما أنعم، وانطلاقا من قوله صلى الله عليه وسلم (من لم يشكر الناس لم يشكر الله)[1] .

أتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذي الفاضل الدكتور عدنان خطاطبة، الذي تفضل بقبول الإشراف على هذه الدراسة، فكان لي نعم المشرف الذي لم يبخل عليّ بوقته وجهده، والذي لطالما يرفع همتي، ويشجعني على الإنجاز والمثابرة .

والشكر موصول أيضا إلى أعضاء لجنة المناقشة الذين تفضلوا بقبول مناقشة هذه الدراسة، وإبداء ملاحظاتهم عليها.

كما أتقدم بالشكر إلى كل من تولى رئاسة قسم التربية الإسلامية ممن عاصرتهم طوال فترة الدراسة، الدكتور أحمد ضياء الدين، والدكتورة أحلام مطالقة، والدكتور عماد الشريفين.

والشكر موصول إلى عمادة كلية الشريعة وأعضاء هيئة التدريس فيها وإلى كل موظفيها.

كل الشكر والتقدير لكل هؤلاء، ولكل من مدّ لي يد العون دون تخصيص، ولا أملك إلا أم أدعو للجميع بدعوة في ظهر الغيب، جزاكم الله عني كل خير، وجعل ما قدمتموه في ميزان حسناتكم.

---

1 – الترمذي، سنن الترمذي، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، (4/ 339) ،رقم 1955 ، قال عنه حسن صحيح،و صححه الألباني لغيره .

فهرس الموضوعات

عون، حسين علي عبيد، خصائص الإنسان في عمارة الكون وأبعادها في التربية الإسلامية، أطروحة دكتوراه، جامعة اليرموك، 1435 هـ، 2014 م ، (المشرف د. عدنان مصطفى خطاطبة)

الملخص

تناولت هذه الدراسة ما اختص الله سبحانه وتعالى به الإنسان من قدرات وإمكانيات جعلت منه أهلا لتحمل رسالة عمارة الكون، وهدفت إلى بيانها وبيان ما تضمنته من أبعاد وتطبيقات في التربية الإسلامية، حتى يتسنى وضع أسس لبناء نظام تربوي تعليمي يمكن من تحقيق الرسالة الحضارية للإسلام، ويرتقي بالإنسان والكون في الجانبين المعنوي والمادي معا.

وقد توصلت هذه الدراسة إلى عدد من النتائج، منها .

أولا: خصائص الإنسان في عمارة الكون هي قوى فطرية متعددة ومتنوعة، مدركة وفاعلة، مستجيبة للإثارة، قابلة للترقي، ذات بعدين حسي ومعنوي، نتجت عن تمازج وتكامل ما للجسد وما للروح من صفات، ركبت في الإنسان، فجعلت منه ذا معنى خاص هو طبيعته التعميرية، التي تميز بها عن بقية المخلوقات.

ثانيا: لخصائص الإنسان في عمارة الكون صبغة وصفة تربوية، تتمثل في العلاقة الوطيدة والوثيقة التي جمعت بين الخصائص والتربية في إطار عمارة الإنسان للكون، فكلاهما أساسا من أسس قيام العمارة.

ثالثا: تتضمن كل خاصية من خصائص الإنسان في عمارة الكون مجموعة من المبادئ والضوابط التربوية لها تطبيقاتها في مجالات الحياة المتعددة، كما يمكن اعتبارها أصولا تربوية لها.

رابعا: لخصائص الإنسان في عمارة الكون أبعاد في النفس الإنسانية، فبها يمكن معرفة حقيقة الكيان الإنساني، وبها أصبح الإنسان أهلا لعمارة الكون.

خامسا: تعتبر خصائص الإنسان في عمارة الكون أسسا تربوية تتحدد بها أهداف التربية الإسلامية، وتبنى عليها نظرية المعرفة، كما أن لها تطبيقات تربوية للتصدي للعديد من التحديات التربوية المعاصرة.

الكلمات المفتاحية: خصائص، الإنسان، عمارة، الكون، الأبعاد التربوية، التربية الإسلامية.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد .

خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان ليكون خليفة في الأرض، وخلق فيه مجموعة من الخصائص التي تميز بها عن غيره من المخلوقات جعلت منه أهلا ليقوم بتعميرها.

وهذه الخصائص كما أنها مؤهلات لمسئولية التعمير هي أيضا دوافع لها، لذلك أولتها الشريعة الإسلامية كبير العناية للمحافظة عليها من جهة، وللرقي بها من جهة أخرى حتى تستقيم حياة الإنسان على هذه البسيطة وتتم عملية التعمير على أكمل وجه، وتتم عملية بناء الحضارة وفق المنهج الرباني القويم الذي يحقق سعادة الدارين.

والمتدبر في فكرنا التربوي يجد أن هذا البعد الحضاري لرسالة الإسلام يكاد يكون غائبا فيه غير واضح المعالم،مما أدى إلى غيابه في مؤسساتنا التربوية التي يعول عليها كثيرا في النهوض بهذه الأمة، وتحقيق مشروعها الحضاري، لتكون كما قال الله تعالى فيها: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾(آل عمران:110)، وهذا ما يدعو إلى إبراز دور التربية الإسلامية في تحقيق هذه الرسالة السامية وإنزالها منزلة عظيمة في قائمة أهدافها، كما يدعو إلى دراسة الخصائص التي اختص الله بها الإنسان، ومعرفة أبعادها التربوية؛ لأن النهوض الحضاري للأمة لن يتم إلا بنهوض أفرادها، كما أن العمارة لن تقوم إلا بتفعيل هذه الخصائص.

إن من الممكن استنباط كل ما يتعلق بالخصائص وأبعادها التربوية مما جاء به ديننا الإسلامي من آيات قرآنية وأحاديث نبوية، تتكلم في مجملها عن الإنسان، وعن طبيعة تكوينه،

وعن رسالته في الحياة، بأساليب متعددة من الممكن أن يستنبط منها فكرا تربويا إسلاميا يسهم في بيان كيفية تنمية هذه المؤهلات، والرقي بها، والمحافظة عليها من الخروج عن المنهج الذي حدد مسارها لتتم عملية التعمير دونما أية مغالطات .

لهذه الأسباب تم اختيار موضوع هذه الدراسة ليكون عنوانها: **خصائص الإنسان في عمارة الكون وأبعادها في التربية الإسلامية.**

مشكلة البحث وأسئلته:-

مشكلة الدراسة: تقوم مشكلة الدراسة على أن هناك بعدا حضاريا يكاد يكون غائبا في فكرنا التربوي، وأما ما حضر منه فهو بحاجة إلى بلورة نظرية وتطبيقية، مع أن هذا البعد يعتبر غاية من غايات خلق الإنسان، ألا وهو عمارة الكون الذي استخلفه الله فيه، يقول تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ (هود: 61).

إن السبب في غياب هذا البعد -حسب رأي الباحث- هو أن الكثير يحصر الصلاح الذي جعله الله سببا في وراثة الأرض، في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾(الأنبياء: 105)، والذي هو هدف التربية الإسلامية إلى تحقيقه في تربيتها للإنسان، يحصره في معنى ضيق يتمثل في إعداد الإنسان العابد، دون إعطاء العبادة معناها الواسع، الذي من صوره عمارة الكون بالخير والصلاح، مما أدى إلى إهمال هذه الغاية، وعدم العناية بالوسائل التي تحققها، ومنها ما للتربية الإسلامية من دور في إعداد الإنسان الصالح لأداء هذه الرسالة، من خلال تنمية القدرات والإمكانات التي أمده الله سبحانه وتعالى بها، والتي تعتبر خصائص له تمكنه من أداء رسالة العمارة، فعولوا على هذا التفسير الضيق للصلاح لتحقيق وراثة الأرض، ولم يهتموا بتنمية هذه الخصائص، مما أدى إلى تأخر الأمة عن ركب الأمم، وتصدر غيرها للريادة.

ولحل هذه المشكلة نحتاج إلى دراسة تلك الخصائص ومعرفة أبعادها التربوية، وتوظيف كل ذلك في المؤسسات التربوية، انطلاقا من أن تغيير ما بنا من أحوال، لن يتم إلا إذا غيرنا ما بنا خصال، وفق القاعدة العامة للتغيير التي بيّنها قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾(الرعد :11).

أسئلة البحث :-

السؤال الرئيس لهذه الدراسة هو: ما الخصائص التي اختص الله بها الإنسان ليكون أهلا لعمارة الكون؟ وما أبعادها في التربية الإسلامية ؟

وتندرج تحته الأسئلة الآتية :

أ- ما هي خصائص الإنسان في عمارة الكون ؟

ب- ما الصبغة التربوية لخصائص الإنسان في عمارة الكون؟

جـ- ما المبادئ والضوابط التربوية المتضمنة في خصائص الإنسان في عمارة الكون؟

د- ما الأبعاد التربوية لخصائص الإنسان في عمارة الكون على مستوى الذات الإنسانية ؟

هـ-ما الأبعاد والتطبيقات التربوية لخصائص الإنسان في عمارة الكون على مستوى الأهداف، والمعرفة، والتحديات المعاصرة ؟

أهداف البحث :-

الهدف الرئيس لهذه الدراسة هو: بيان الخصائص التي اختص الله بها الإنسان ليكون أهلا لعمارة الكون، وبيان أبعادها في التربية الإسلامية.

وتندرج تحته الأهداف الآتية :

أ- التعريف بخصائص الإنسان في عمارة الكون .

ب- بيان الصبغة التربوية لخصائص الإنسان في عمارة الكون.

جـ- بيان المبادئ والضوابط التربوية المتضمنة في خصائص الإنسان في عمارة الكون.

د- بيان الأبعاد التربوية لخصائص الإنسان في عمارة الكون على مستوى الذات الإنسانية.

هـ- بيان الأبعاد والتطبيقات التربوية لخصائص الإنسان في عمارة الكون على مستوى الأهداف، والمعرفة، والتحديات المعاصرة.

أهمية البحث:-

تكمن أهمية هذه الدراسة فيما يأتي .

- التنظير لفكر تربوي إسلامي يسهم في تطور نظرية التربية الإسلامية، والتأصيل والتقعيد للعديد من القواعد التربوية المهمة، التي تندرج تحتها العديد من التطبيقات التربوية في مؤسسات التربية المختلفة، وذلك من خلال ما تضمنته هذه الخصائص من أبعاد ودلالات تربوية، واستنباط القواعد والكليات التربوية، وما يندرج تحتها من تطبيقات.

- هذه الدراسة تبين لنا بعدا يكاد يكون غائبا في مؤسساتنا التربوية المختلفة، كما يكاد التأصيل له يكون غائبا في فكرنا التربوي، مع أنه حكمة من حكم خلق الإنسان، وهدف من أهداف التربية الإسلامية، ألا وهو إعداد الإنسان الصالح لعمارة الكون بالخير والصلاح، المتعبد لله بذلك، الخليفة السيد في الكون، وبالتالي إعداد الأمة المسلمة صاحبة المشروع الحضاري الإنساني، أمة الخلافة المستحقة لوراثة الأرض، الأمة التي تعمر الكون بالخير والصلاح، وتقيم العدل والحق، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾(الأنبياء:105).

- تبين كيف أن الإسلام وضع أسسا للحضارة والرقي، انطلق فيها من نظرته إلى الإنسان باعتباره صانع الحضارة والمسئول على عمارة الكون، وكيف أن الأمة الإسلامية إذا أرادت أن ترتقي وتسبق غيرها من الأمم وتحقق السيادة في الأرض، عليها أن ترجع إلى دينها، وأن

تغير ما بنفسها من تخلف إلى رقي، وذلك لا يكون إلا إذا أحاطت علما بما يتمتع به الإنسان من خصائص تمكنه من عمارة الكون، وبما لها من أبعاد تربوية، وبهذا تسير الأمة على المنهج القويم، وفي ذلك رد على كل من يتهم الإسلام بالجمود وأنه غير صالح لإدارة شئون الحياة المختلفة وأنه دين تخلف، من دعاة العلمانية وغيرهم ممن تأثر بالحضارة الغربية، وذلك من خلال بيان كيف أن عمارة الكون رسالة إنسانية، دعا إليها الإسلام، وأحاطها بالعناية وجعلها من حِكَم الوجود الإنساني، وصورة من صور العبادة، ومهمة من مهام الاستخلاف.

- تعمل على تغيير تلك النظرة القاصرة حصرت غاية وجود الإنسان في العبادة بمفهومها الضيق، دون الالتفات إلى الاستخلاف ورسالة العمارة، مما أدى إلى ظهور مبدأ الرهبانية في بعض اتجاهات الفكر الإسلامي، وأدى أيضا إلى عدم النهوض بالأمة والرقي بها، لتكون الأمة الرائدة، المستخلفة، الممكنة في الأرض، التي تنشر العدل والسلام بين الناس.
- تستفيد من هذه الدراسة الكثير من المؤسسات التربوية، في وضع نظام تربوي تعليمي إسلامي قائم الربط بين الحكمة من خلق الإنسان، وما لهذا الإنسان من خصائص تمكنه من القيام بأداء هذه الرسالة، كما يستفاد منها في تحديد محتوى المناهج الدراسية التي من شأنها أن تحقق هذه الغاية، كما يستفاد منها في بيان معالم النظرية التربوية.
- يستفيد من هذه الدراسة الكثير من المؤسسات الحكومية، من حيث إنها تبين الأسس التي تقوم عليها العمارة، وكيفية تفعيل هذه الأسس، وبيان بعض البرامج لتفعيل ما للإنسان من خصائص وإمكانات.

حدود البحث :-

مجال الدراسة هو القرآن الكريم، حيث سيستنبط الباحث هذه الخصائص من الآيات القرآنية التي تحدثت عن الإنسان بصفة عامة، والآيات التي تتكلم عن الاستخلاف والعمارة، والآيات

التي تتكلم عما يتميز به من خصائص تمكنه من أداء العمارة، وقد اعتمد في ذلك على الآيات الواردة في سورة الروم من الآية 20 إلى الآية 24، حيث سيدرسها موضوعيا بربطها بالآيات ذات الصلة الموضوعية، ليبرز البعد التربوي فيها، من خلال ما أولته الشريعة الإسلامية من عناية بهذه الخصائص وتوجيه كل ذلك توجيها مقاصديا تربويا لبيان الأبعاد والتطبيقات التربوية.

مصطلحات البحث:-

أ - **عمارة الكون : هي من الأمور** التي لا تتحقق الخلافة الكاملة بدونها وتعني العمل الدؤوب بجد وإخلاص ودقة من أجل تعمير الأرض والاستمرار في إصلاحها والانتفاع بخيراتها وبكل ما أودعه الله فيها من ثروات وطاقات من أجل خدمة الإنسان وتحسين مستوى حياته وتحقيق سعادته[1]، وهي مأخوذة من قوله تعالى ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ (هود : الآية 61)

ب - خصائص الإنسان في عمارة الكون : هي ما زود الله به الإنسان من استعدادات وإمكانات وقدرات تمكنه إن استطاع الاستفادة منها من تحقيق رسالته في عمارة الأرض وفق منهج إلهي قويم ولقد سماها الباحث خصائص لأنه يرى أن الإنسان أختص بها دون غيره من المخلوقات ليكون أهلا لأداء هذه الرسالة .

جـ - الأبعاد التربوية: هي الدلالات والمضامين والتطبيقات التربوية .

الدراسات السابقة ذات الصلة:-

لم يعثر الباحث فيما بحث عن دراسات سابقة على قدر وسعه إلا على دراسة واحدة تكلمت عن موضوع خصائص الإنسان في عمارة الكون وهي :

---

[1] - الشيباني : خصائص الإنسان ورسالته في تعمير الكون في الفكر الإسلامي ، ص 156 .

دراسة عمر التومي الشيباني: خصائص الإنسان ورسالته في تعمير الكون في الفكر الإسلامي*

وهي دراسة قسمها الباحث إلى قسمين ، الأول : خصائص الإنسان في الفكر الإسلامي وفيه ذكر الباحث مجموعة من الخصائص تناولها بشكل مجمل، ولم يوجهها فيما يخدم موضوع التعمير، إلا ما يتعلق بإشارات بسيطة فكان أشبه ما يكون بدراسة في الطبيعة الإنسانية.

أما القسم الثاني فهو : رسالة الإنسان في تعمير الكون ودور التربية في إعداده لتحمل أعباء هذه الرسالة، وفيه ذكر الباحث وصفا لهذه الرسالة، ودور التربية، وكان وصفا عاما يحتاج فيه إلى التأصيل ، مجملا يحتاج إلى التفصيل .

وقد تميزت هذه الدراسة عن دراسة الشيباني بما يأتي :

- هذه الدراسة مجالها القرآن الكريم ودراسة الشيباني مجالها الفكر الإسلامي .
- هذه الدراسة تتناولت خصائص الإنسان المتعلقة بعمارة الكون، أما دراسة الشيباني فتناولت كل الخصائص، فكانت أشبه ما يكون بدراسة في الطبيعة الإنسانية .
- هذه الدراسة تعتمد على بيان الأبعاد والتطبيقات بالتأصيل والتوجيه التربوي للكثير مما جاء به الإسلام من أصول تربوية متعلقة بهذه الخصائص، أما دراسة الشيباني فكانت دراسة تربوية عامة، ولم تهتم بما يتعلق بهذه الخصائص من أحكام، وتوجيهها تربويا .

منهجية البحث:-

تعتمد الدراسة على المنهج الاستقرائي الاستنباطي، وذلك من خلال استقراء آيات القرآن الكريم واستنباط هذه الخصائص منها، وتوجيه كل ما يتعلق بها من تعاليم جاء بها الشرع توجيها تربويا، من خلال تأصيلها ثم بلورتها إلى أفكار تربوية، والعمل على صياغتها في قواعد لها تطبيقات تربوية تخدم رسالة العمارة والمؤسسات التربوية.

الخاتمة: وفيها أهم ما توصلت إليه الدراسة من نتائج وتوصيات.

---

* -وهي بحث منشور في مجلة كلية الدعوة الإسلامية ، العدد الخامس 1988.

وفي ختام هذه المقدمة لا يسعني إلا أن أسأل الله أن يجعل هذا البحث خالصا لوجهه الكريم ، دعوة إلى أحكام دينه السمحة، عملا بقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (فصلت:33)، ونحمده سبحانه على هذا فما كان فيه من صواب فمن توفيقه، وما كان من خطأ فمن نفسي، أسأله أن يعلمني ما جهلت، ويذكرني ما نُسيت، إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير .

الفصل الأول: التعريف بخصائص الإنسان في عمارة الكون

المبحث الأول: التعريف بالعمارة وبمضامينها التربوية .

المبحث الثاني: التعريف بالخصائص والتأصيل لها .

المبحث الثالث: تصنيف خصائص الإنسان في عمارة الكون وبيانها .

الفصل الأول: التعريف بخصائص الإنسان في عمارة الكون

تمهيد:-

يعتبر "الإنسان أحدث المخلوقات وجودا وأعظمها قوة وفاعلية في عمارة الكون وازدهاره المستديم؛ لأن خواص الإنسان الكامنة في طبيعة خلقه تنطوي على حقيقة الكون بأسره، فتكوينه مركب من جميع عناصر الكون وهو بذلك عالم بذاته، وعلى هذا الأساس أعطي الإنسان مرتبة خاصة هي أنه (خليفة) (إني جاعل في الأرض خليفة)"[1]، كما أنه الموجود الوحيد الذي استطاع بما أودع الله في خلقته أن يتصرف في مخلوقات الأرض بوجوه عظيمة لا تنتهي خلاف غيره من الحيوان[2]، لذلك كان لزاما بيان ما اختص به الإنسان من خصائص انفرد بها عن غيره من المخلوقات ليقوم بواجب العمارة، ومعرفتها حتى يتسنى تحقيق الحكمة التي خلق من أجلها .

وفي هذا الفصل سيتم التعريف بخصائص الإنسان في عمارة الكون والتأصيل لها، وذلك وفق المباحث الآتية:

المبحث الأول: التعريف بالعمارة وبمضامينها التربوية .

المبحث الثاني: التعريف بخصائص الإنسان في عمارة الكون والتأصيل لها .

المبحث الثالث: تصنيف خصائص الإنسان في عمارة الكون وبيانها .

---

1 – الشيباني، فلسفة التربية الإسلامية، ص 40، نقلا عن آزاد سبحاني، تعاليم الإسلام في ضوء الفلسفة الربانية ص52، .

2 – ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير (1 / 399).

المبحث الأول: التعريف بالعمارة وبمضامينها التربوية:-

تمهيد:-

العمارة إرادة إلهية اهتمت بها الشرائع والأديان السماوية، وهي سنة الأنبياء وفريضة ألقاها علينا الإسلام بنصوصه الصريحة[1]، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾(هود:61)، وهي رسالة ذات مكانة رفيعة في الإسلام، وهذا ملاحظ في تأكيد القرآن على العمل والجهد البشري لإعمار العالم، حيث "وردت لفظة العمل بتصريفاتها المختلفة فيما يزيد على الثلاثمائة والخمسين موضعا وهي كلها تشير سلبا وإيجابا إلى أن المحور الأساسي لوجود الإنسان فردا وجماعة على الأرض هو العمل الذي يتخذ مقياسا عادلا لتحديد المصير في الدنيا والآخرة وهو موقف ينسجم تماما مع فكرتي الاستخلاف والاستعمار في الأرض"[2]، كما يعتبر الإسلام العمل أساس كل شيء فهو أساس التقرب إلى الله ولذلك قرنه القرآن دائما بالإيمان[3]،و"مع تأكيد القرآن على العمل و الإعمار والبناء تنديد في المقابل بكل ما من شأنه أن يؤول إلى الفساد في الأرض، وإلى هدم وتدمير المكتسبات التي يصنعها العمل الصالح بالصبر والدأب والمثابرة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (الأعراف: 56)، وقوله تعالى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تُفْسِدُوا

[1] - ينظر الخولي، الثروة في ظل الإسلام، ص 62 .
[2] - خليل، حول إعادة تشكيل العقل المسلم، ص 114 .
[3] - ينظر عبد السميع المصري، مقومات الاقتصاد الإسلامي، ص 22 .

﴿فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾(الأعراف: 85)، وهو من موقفه هذا يسعى إلى حماية منجزات الإنسان العمرانية ووقف ما من شأنه أن يعوق مسيرتها ونموها، وملاحقة أية محاولة لإنزال الدمار بها تحت أي شعار كانت، وهذه الحماية العمرانية لا تنصب على الجوانب المادية من الإنجاز البشري فقط، بل تتجه إلى ما هو أكثر أهمية، وما يعد أساسا للإنجاز المادي نفسه، تلك هي المعطيات الفكرية والأخلاقية والروحية والثقافية بمفهومها الشامل من أجل الصمود في المواقع التي بلغها الإنسان وهو يواصل طريقه لإعمار العالم عبر سلسلة طويلة من كفاح مبعوثي الله سبحانه إلى بني آدم "[1].

المطلب الأول: تعريف العمارة:

1- لغة:-

العين والميم والراء أصلان صحيحان، أحدهما يدل على بقاء وامتداد الزمان، وهو العمر بمعنى الحياة، يقال:عَمِرَ الناس أي طالت أعمارهم وعمَّرهم الله جل ثناؤه تعميرا، ومن هذا الباب عمارة الأرض، يقال: عَمَر الناس الأرض عمارة وهم يعمرونها وهي عامرة معمورة،وقولهم عامرة محمول على عَمَرت الأرضُ، والمعمورة من عُمِرت، والاسم والمصدر العُمران، واستعمر الله الناس في الأرض ليعمروها والباب كله يؤول إلى هذا[2]، وأما الآخر فهو ما يدل على "شيء يعلو من صوت أو غيره ومنه العومرة بمعنى الصياح والجلبة"[3]، ومنه العمارة " أصغر من القبيلة وقيل: هي الحي العظيم الذي يقوم بنفسه ينفرد بظعنها وإقامتها

---

[1] - خليل، مفهوم الإعمار وعلاقته بالنهضة في ضوء القرآن الكريم، ص 15، 16 .

[2] - ينظر ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (4 / 140)

[3] - ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (4 / 140- 141)

ونجعتها "[1]، "فممكن أن يكون الحي العظيم يسمى عمارة لما يكون ذلك من جلبة وصياح "[2]،وهي دليل الحياة، وعلى كل تكون "العمارة نقيض الخراب"[3].

من جميع هذه المعاني اللغوية للفظ (عمر) نجد أنه يدل على الحياة والإحياء والاجتماع المنتظم وكذلك الإصلاح .

2: تعريفها اصطلاحا:-

من الممكن تعريف العمارة بعدة تعريفات منها:

1- حركة إنسانية إيجابية فاعلة دائبة مستمرة ومتناغمة مع سنن الأنفس والآفاق، يسعى الإنسان من خلالها إلى ترقية حياته الروحية والمادية، وتسخير كل مظاهر الكون الفسيح والانتفاع بها وتوجيهها لخدمته وخدمة بني جنسه في سبيل إقامة حضارة إنسانية في ظل منهج العبودية لله الذي تنتفي معه كل مظاهر الخلل والفوضى والاضطراب [4] .

2- هي كل الجهود والنشاطات العقلية والمعنوية والمادية التي يبدلها الإنسان في تفاعله مع مظاهر الكون المختلفة في محاولة دائبة لتسخيرها والانتفاع بها، ويدخل فيها كل الإنجازات المادية من زراعة وصناعة وتجارة وعمارة، والقوانين الاجتماعية والتنظيمات الإدارية والمعاملات الاقتصادية والعلاقات السياسية وكل ما يتعلق بحياة الإنسان المادية والمعنوية [5].

3- هي من الأمور التي لا تتحقق الخلافة الكاملة بدونها وتعني العمل الدءوب بجد وإخلاص ودقة من أجل تعمير الأرض والاستمرار في إصلاحها والانتفاع بخيراتها وبكل ما

---

[1] – ابن منظور، لسان العرب (9 / 394)

[2] – ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (4 / 142)

[3] – الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص 441 .

[4]– زرمان، الفعل الحضاري، ص 16 .

[5] – زرمان، الفعل الحضاري في القرآن الكريم، ص 14 .

أودعه الله فيها من ثروات وطاقات من أجل خدمة الإنسان وتحسين مستوى حياته وتحقيق سعادته [1].

4- هي أن يقتبس الإنسان روح الأعمال من عالمها المعنوي ويبدع صورة ظاهرة لها[2]،وبهذا فهي غاية عليا وقيم فاضلة في الضمير تفرض على الإنسان أن يحققها في ظاهر الحياة حصونا ومؤسسات وأوضاعا كريمة فتكون تلك الأوضاع هي التعبير عما في الضمير وصورة تقتضي غاية الإنسان وقيمه[3].

5- هي إقامة مجتمع إنساني سليم وإشادة حضارة إنسانية شاملة، ليكون الإنسان بذلك مظهرا لعدالة الله تعالى وحكمه في الأرض، ولكن لا بالقسر والإجبار، بل بالتعليم والاختيار[4].

6- رسالة قدسية منهاجها تزكية النفس وإبداع الخير ورعاية المثل العليا، وإقامة سلطان الحق والعدل في الأرض[5]، وإدارة ما يحتاج إلى الإدارة والرعاية والتدبير في بناء الحياة على الأرض على أساس النظام الذي جعله الله واختاره[6].

7- والعمارة كما يرى الباحث هي أن يظهر الإنسان آثار صفات الله سبحانه وتعالى في كونه، ويحافظ على انتظامه، ويُسيِّر أموره وأمور عناصره وفقه ما أراده الله سبحانه، ليقوم بذلك الحق والعدل في الكون.

المعنى العام للعمارة:-

العمارة في عمومها تعني نقيض الخراب[7]، الذي يعني بمفهوم القرآن الفساد، وهو يعني "خروج الشيء عن الاعتدال، قليلا كان الخروج عنه أو كثيرا، ويضاده الصلاح، ويستعمل ذلك

1 - الشيباني، خصائص الإنسان ورسالته في تعمير الكون في الفكر الإسلامي، ص 156 .
2 - الخولي، آدم عليه السلام، ص 155 .
3 - الخولي، آدم عليه السلام، ص 33
4 - البوطي، منهج الحضارة الإنسانية في القرآن، ص 27 .
5 - الخولي، الثروة في ظل الإسلام، ص 41 .
6 - محمد حسين فضل الله، تفسير من وحي القرآن (1/ 229)
7 - ينظر الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص 441، وينظر لألوسي، روح المعاني (8 / 288).

في النفس، والبدن، والأشياء الخارجة عن الاستقامة"[1]، أي أن العمارة هي الإصلاح، وهذا يقتضي إبقاء الصالح صالحا مع الرقي به، وإصلاح ما فسد [2]، وهذا المعنى دل عليه عموما فهم الملائكة، الذي تضمنه ذلك الاستفهام التعجبي ﴿قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾(البقرة: 30)، بعد أن أخبرهم سبحانه عن وظيفة هذا المخلوق الجديد، فقال: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾(البقرة: 30)، فدل على أن الإفساد مناقض عقلا لمسألة الاستخلاف[3]، وأن المراد من خلق الأرض هو صلاحها وانتظام أمرها، " كأنهم قالوا: إن استخلفت في الأرض خليفة كان منه الفساد وسفك الدماء، وحكمتك تقتضي أن لا تفعل ذلك وإن جعلت فيها فتجعل فيها من يسبح بحمدك، ويقدس لك، ونحن نفعل ذلك فأجابهم تعالى عن السؤال بأن له من الحكمة في جعل هذا الخليفة في الأرض ما لا تعلمه الملائكة وإن وراء ما زعمتم من الفساد مصالح وحكما لا تعلمونها أنتم"[4]، وهم قد علموا ذلك من تلقيهم عنه سبحانه وتعالى أو من مقتضى حقيقة الخليفة أو من قرائن أحوال الاعتناء بخلق الأرض وما عليها من نظم تقتضي إرادة بقائها إلى أمد، هذا وقد دلت آيات كثيرة على أن إصلاح العالم مقصد للشارع [5] منها قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ﴾(البقرة: 205)، أي "لا يرضى به"[6]، وقوله تعالى: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾(محمد: 22، 23)، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾(الأعراف: 85).

1 – الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص 482.
2 – ينظر الشعراوي، تفسير الشعراوي، ص 373 .
3 – ينظر صبري محمد خليل، الأبعاد المعرفية لمفهوم الاستخلاف، تعقيب جمال الدين عبد العزيز، ص 50
4 – ابن القيم، بدائع التفسير (3 / 303)
5 – ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير (1 / 403)
6 – الألوسي، روح المعاني (2/ 181) .

مضامين تربوية في مفهوم العمارة:-

هناك مجموعة من المضامين التربوية التي يمكن أن نستخلصها مما سبق ومنها ما يأتي:

1- أن مفهوم العمارة مفهوم شامل يعني في عمومه صلاح حال الدنيا، وهذا لا يتم إلا بأمرين أولهما ما ينتظم به أمور جملتها، والثاني ما يصلح به حال كل واحد من أهلها، وهما أمران مترابطان ارتباطا وثيقا، إذ "لا صلاح لأحدهما إلا بصلاح الآخر، كما أن فساد أحدهما يتعدى إلى الآخر، فمن صلحت حاله مع فساد الدنيا واختلال أمورها تعدى إليه فسادها لما فيها من قوام لحياته، ومن فسدت حاله مع صلاح الدنيا وانتظام أمورها لم يجد لصلاحها لذة ولا لاستقامتها أثرا، فصلاح الدنيا مصلح لسائر أهلها لوفور أماناتهم وظهور دياناتهم، وفسادها مفسد لسائر أهلها لقلة أماناتهم وضعف دياناتهم، فلا شيء أنفع من صلاحها ولا شيء أضر من فسادها لأن ما تقوى به ديانات الناس وتتوفر أماناتهم فلا شيء أحق به نفعا، كما أن ما به تضعف ديانات الناس وتذهب أماناتهم فلا شيء أجدر به ضررا"[1].

2- إن العمارة في المفهوم الإسلامي هي إصلاح وليست إفسادا، وهي تقوم على إعمار النفس والجسم، وهو "إعمار يعتمد على الطيبات في كل شيء، شريطة أن تكون حلالا ومن مصدر حلال أيضا، وأن لا تكون في استعمال هذه الطيبات إسراف أو تبذير أو وضع لها في غير محلها، بمعنى أن يستفاد منها فيما ينفع استهلاكا أو توزيعا، ويكون مفهوم المخالفة لهذا التحديد هو رفض الخبائث وترك المحرمات مهما كانت عوائدها، فينقطع دابر الفساد والإفساد، ويطمئن الجميع إلى سلامة التعامل والنتائج"[2]، يقول تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِي لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ

[1] - الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص 109، 110 .

[2] - بابللي، إعمار الأرض، ص 58، 59 .

سُلْطَاناً وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف: 32، 33)، والفواحش في اللغة ما فحش وشنع، وأصله من القبح في النظر، وهي هنا إنما هي إشارة إلى ما نص الشرع على تحريمه، فكل ما حرمه الشرع، فهو فاحش، والإثم لفظ عام في جميع الأفعال والأقوال التي يتعلق بمرتكبها إثم، هذا قول الجمهور[1].

3- إن المعيار الحقيقي للعمارة هو ما تحققه من صلاح يحقق سعادة حقيقية للإنسان، وهذا يقتضي أن نعيد النظر في المعايير التي يقاس بها التحضر الذي هو الطور المتقدم لحصيلة عمل الإنسان في العمارة، وعلى ذلك فإن "التقدم المادي لا يصلح أن يكون مقياسا قيميا للتحضر، وأن المقياس الحقيقي في ذلك إنما هو ما يتحقق للناس من الأمن والاطمئنان والتآخي والتعاون، فأيما تحضر تحققت فيه تلك المعاني فهو تحضر حقيقي و أيما تحضر جلب معه الخوف والعداوة فهو ليس بتحضر على الحقيقة، فالتحضر وصف موضوعي وليس قيميا والقيمية فيه إنما تستمد من تحقيقه للأمن والخير والتعاون لا من مجرد ترقي منجزاته المادية"[2]، وهذا يعني أن معيار التقدم الرقي يتمثل في تحقيقه لهدفين، أولهما إيجاد توازن بين الجوانب المادية والجوانب غير المادية للحضارة، وثانيهما تحقيق التوازن بين الهدف الفردي للإنسان والهدف الاجتماعي للجماعة في إطار مصلحة البشرية جمعاء [3]،لتكون النتيجة هي السعادة الحقيقية، يقول تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾(النحل:الآية112) .

---

[1] – ينظر الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن (2/ 15) .
[2] – النجار، فقه التحضر الإسلامي، ص24، 25 .
[3] – ينظر مسارع الراوي، قضايا تربوية عربية في رؤى إسلامية، ص 212 .

4- إن مهمة الإنسان في عمارته للكون هي إقامة سلطان الحق والمحافظة على الحق الذي قامت عليه السماوات والأرض [1]، فالله سبحانه وتعالى قد خلق السماوات والأرض وما بينهما من المعاني التي بهما كمال منافعهما، على نظام محكم وقانون متقن[2] "لإقامة الحق"[3]، يقول تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (الروم: 8- 10)، إن المحافظة على هذا الانتظام لا تكون إلا باتباع الشرع والتزام الحق، يقول تعالى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾(الإسراء:الآية105)، وبهذا تكون العمارة "رسالة قدسية منهاجها تزكية النفس وإبداع الخير، ورعاية المثل العليا، وإقامة سلطان الحق والعدل في الأرض"[4].

المطلب الثاني: حكمها:-

إن حكم القيام بالعمارة هو الوجوب دليله قوله تعالى: (واستعمركم فيها)، أي "أمركم بعمارتها" [5]، بناءً على معنى الطلب الذي أفاده وجود السين والتاء في (استعمركم)[6]، وقد حملوا هذا الطلب على الوجوب باعتباره طلبا مطلقا، وهذا ما بينه الكيا حيث قال: "يدل على

[1] - ينظر الخولي، الثروة في ظل الإسلام، ص 65 .
[2] - ينظر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (5 / 968) .
[3] - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (14 / 11) .
[4] - الخولي، الثروة في ظل الإسلام، ص 41 .
[5] - النيسابوري، تفسير النيسابوري (4 / 313)
[6] - ينظر الألوسي، روح المعاني (8 / 288)

وجوب عمارة الأرض، فإن الاستعمار طلب العمارة، والطلب المطلق من الله تعالى للوجوب"[1]، وهو ما نقله ابن العربي عن بعض علماء الشافعية حيث قال: "قال بعض علماء الشافعية: الاستعمار طلب العمارة؛ والطلب المطلق من الله تعالى على الوجوب "[2]، وهو وجوب على المجموع كون الواجب الكفائي أدعى للامتثال، فقد "جعل صاحب الشرع الوجوب في فروض الكفايات متعلقا بالكل ابتداء على سبيل الجمع، فإذا فعل البعض سقط عن الكل، وسبب تعلقه بالكل ابتداء لئلا يتعلق الخطاب بغير معين مجهول، فيؤدي ذلك إلى تعذر الامتثال فإذا وجب على الكل ابتداء انبعثت داعية كل واحد للفعل ليخلص عن العقاب"[3]، إلا أن هذا الواجب الكفائي قد يتعين في بعض الحالات، وهذا ما بينه ابن تيمية في معرض حديثه عن بعض الأعمال التي تقوم عليها العمارة حيث قال: "إن هذه الأعمال التي هي فرض على الكفاية متى لم يقم بها غير الإنسان صارت فرض عين عليه، لاسيما إن كان غيره عاجزا عنه، فإذا كان الناس محتاجين إلى فلاحة قوم أو إلى نساجتهم أو بنائهم، صار العمل واجبا يجبرهم ولي الأمر عليه– إذا امتنعوا عنه– بعوض المثل ولا يمكنهم من مطالبة الناس بزيادة عن عوض المثل، ولا يمكن الناس من ظلمهم بأن يعطوهم دون حقهم"[4].

هذا وقد ناقش بعض العلماء بعض المسائل الجزئية التي تفيد الوجوب العيني للعمارة، ومن ذلك مناقشتهم حكم التكسب الذي يعد في حقيقته عملا تقوم عليه العمارة، فقد نقل الشيباني الإجماع على وجوبه عندما قال: "ثم المذهب عند جمهور الفقهاء رحمهم الله من أهل السنة

---

[1] – الكيا الهراسي، أحكام القرآن (3 / 86) .
[2] – ابن العربي، أحكام القرآن (4/ 495)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (9 / 55)
[3] – القرافي، الفروق، (2 / 31)
[4] – ابن تيمية، الحسبة، ص 47 ، 48 .

والجماعة أن الكسب بقدر ما لابد منه فريضة "[1]، والاكتساب المطلوب هو "قدر الكفاية للقادر عليه" [2]، ومن الأدلة على ذلك ما يأتي:

1- قوله ﷺ : (طلب الحلال واجب على كل مسلم) [3]، يقول المناوي في شرحه لهذا الحديث: "يحتمل أن المراد طلب معرفة الحلال من الحرام والتمييز بينهما في الأحكام وهو علم الفقه،ويحتمل أن المراد طلب الكسب الحلال للقيام بمؤونة من تلزمه مؤونته والاجتهاد في المباعدة عن الحرام والقنع بالحلال"[4]

2- ومما يدل على وجوب التكسب القاعدة الفقهية التي تقول (ما لا يتم الواجب به فهو واجب) [5] فقد استدل كل من الشيباني و الماوردي بهذه القاعدة على وجوب التكسب بوجوه متعددة،يقول الشيباني: "ولأنه لا يتوصل إلى إقامة الفرض إلا به فيكون فرضا بمنزلة الطهارة للصلاة، وبيانه من وجوه أحدها: أن يمكنه من أداء الفرائض بقوة بدنه، وإنما يحصل له ذلك بالقوت عادة، ولتحصيل القوت طرق، الاكتساب أو التغالب أو الانتهاب، و بالانتهاب يستوجب العقاب، وفي التغالب فساد والله لا يحب الفساد، فتعين جهة الاكتساب لتحصيل القوت؛ ولأنه لا يتوصل إلى أداء الصلاة إلا بالطهارة، ولابد لك من كوز تستقي به الماء، أو دلو ورشاء ينزح به الماء من البئر، وكذلك لا يتوصل إلى أداء الصلاة إلا بستر العورة،وإنما يكون ذلك بثوب، ولا يحصل له إلا بالاكتساب عادة، وما لا يتأتى الفرض إلا به يكون فرضا

---

1 – الشيباني، كتاب الكسب، ص44 .

2– القرضاوي، مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام، ص 90 .

3 – الطبراني، المعجم الأوسط، حديث من اسمه مسعود، (272/8)، رقم 8610. و السيوطي، الجامع الصغير، باب حرف الضاد، فصل في المحلى بأل من حرف الضاد، (81/2)، رقم 5272 . ورمز له بالحُسْن، والهيثمي، مجمع الزوائد (520/10)، رقم 18099 وقال: إسناده حسن، وقال الألباني ، منكر ، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (289/8)، رقم 3826 حيث فصّل القول في هذا الحديث، والله أعلم .

4 – المناوي، فيض القدير (4 / 356)

5 – الشيباني، كتاب الكسب، ص 32 .

في نفسه "[1]، ويقول الماوردي: "التكسب في الدنيا وإن كان معدودا من المباحات، لكنه واجب من وجه، وذلك إذا لم يمكن الإنسان الاستقلال بالعبادة إلا بإزالة ضروريات حياته فإزالتها واجبة، لأن كل ما لا يتم الواجب به فواجب كوجوبه، وإذا لم يكن إلى إزالة ضرورياته سبيل إلا بأخذ تعب من الناس، فلابد إذاً أن يعوضهم مقابله، وإلا كان ظالما فمن توسع في تناول عمل غيره في مأكله وملبسه ومسكنه وغير ذلك فلابد أن يعمل عملا بقدر ما يتناوله منهم وإلا كان ظالما، قصدوا إفادته أو لم يقصدوها"[2].

إن البعد التعميري للتكسب يظهر لنا فيما نقله الشيباني من دليل عقلي يفيد وجوب التكسب،وفيه نلاحظ أنه يناقش هذه المسألة في إطارها التعميري العام الذي يفيد وجوب القيام بالعمارة، فيقول: " والمعقول يشهد له فإن في الكسب نظام العالم، والله تعالى حكم ببقاء العالم إلى حين فنائه وجعل سبب البقاء والنظام كسب العباد، وفي تركه تخريب نظامه وذلك ممنوع منه، فإن قيل: فبقاء هذا النظام يتعلق بالتسافد بين الحيوانات، وأحد لا يقول بفرضية ذلك، قلنا: نعم إن الله تعالى علق البقاء بتسافد الحيوانات وركب الشهوة في طباعهم، فتلك الشهوة تحملهم على مباشرة ذلك الفعل، فلا تقع الحاجة إلى أن يجعل ذلك فرضا عليهم لكيلا يمتنعون عن ذلك، فإن الطبع أدعى إلى إفضاء الشهوات، فأما الاكتساب في الابتداء كد وتعب، وقد تعلق به بقاء العالم، فلو لم يجعل أصله فرضا لاجتمع الناس عن آخرهم على تركه، لأنه ليس في طبعهم ما يدعو إليه الكد والتعب فجعل الشرع أصله فرضا لكيلا يجتمعوا على تركه فيحصل ما هو المقصود"[3].

إن هذا الحكم القائل بوجوب العمارة هو حكم يتعلق بعموم العمارة المحققة لمقصد انتظام العالم وصلاحه، أما ما يتعلق بصور هذه العمارة فتعتريه أحكام متعددة، "فمنها الواجب كعمارة القناطر اللازمة والمسجد الجامع، ومنها المندوب كعمارة المساجد، ومنها المباح كعمارة

---

[1] – الشيباني، كتاب الكسب، ص 34 .
[2] – الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص 266، 267 .
[3] – الشيباني، كتاب الكسب، ص 47 .

المنازل، ومنها الحرام كعمارة الحانات، وما يبنى للمباهاة أو من مال حرام كأبنية كثير من الظلمة" [1].

المضمون التربوي لحكم العمارة:-

1- إن السعي في الكون لاستثماره والابتغاء من فضل الله فيه ليس أمرا نافلة، إن شاء الإنسان أتاه وإن شاء تركه، بل هو واجب ديني يندرج ضمن المهمة التي من أجلها خلق الإنسان وهي الخلافة في الأرض، فهذه الخلافة لا تتحقق إلا بالتعمير المادي، والتعمير المادي لا يكون إلا بالاستثمار لمرافق الكون، وذلك ما يتبين في مثل قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ (الملك: 15)، "فهذه الأوامر الإلهية بالسعي في الأرض، والأكل من رزق الله، والانتفاع بثماره وغيرها مما هو في حكمها بالنسبة لمرافق كونية أخرى، مما ورد في القرآن الكريم بصورة متكررة مقترنة في الغالب بما يعرض من مظاهر النعم الكونية على اختلافها، إن هذه الأوامر حملها المفسرون على الإباحة والترخيص في الانتفاع، وهو محمل ناشئ في الغالب من النظر الجزئي لموطن الأمر باعتباره أمرا بالأكل أو الانتفاع بمرفق معين في سياق محدد، ولو نظر إلى تلك الأوامر نظرة كلية عامة على اعتبار أنها أوامر للانتفاع بمرافق الكون لإقامة التعمير في الأرض، وتنمية حياة الإنسان المادية عليها، لو نظر إليها كذلك لعلم أنها مفيدة للوجوب وليست لمجرد الترخيص والإباحة"[2].

2- إن القول بأن الوجوب على المجموع يعني أن " الشهود الحضاري تكليف عام للأمة الإسلامية مبني على معنى الاختيار الحر شأن سائر التكاليف، ومحكوم بقوانين وسنن في تحقيقه، فإن اجتمع فيه الاختيار واتباع القوانين والسنن تحقق في الواقع، وإن تخلف أحدهما

---

[1] - الألوسي، روح المعاني (8 / 288)، النيسابوري،(4 /313)، الزمخشري، الكشاف (3 / 101)

[2] - النجار، فقه التحضر الإسلامي، ص 150، 151 .

تخلف وقوعه، فهو إذاً مندرج ضمن القدر الجماعي للمسلمين في الجهاد بمظهريه جهاد النفوس وجهاد التعمير في الأرض وعلى قدر إخلاص الجهاد يكون تحقق الشهود الحضاري "[1]، الذي دل عليه قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً ﴾(البقرة: 143)، وعليه فإن التقصير في تنفيذ هذا الحكم معصية جماعية تجني الأمة ثمرتها فقرا ومرضا ومذلة وهوانا وتخلفا وتبعية لأمم الأرض[2]، والله سبحانه وتعالى قد أمرها بالإعداد والأخذ بأسباب العزة والتمكين فقال تعالى :﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ﴾ (الأنفال: 60).

3- على الأمة أن تدرك أنها مخاطبة بهذا الأمر وأن تسعى إلى تنفيذه وتقع مسئولية كبيرة على ولاة الأمر في تنفيذ هذا الأمر وتوجيه الأمة إليه، وهو ما يفهم من كلام الماوردي فقد عدّ العمارة من الواجبات المنوطة بالسلطان عندما قال: "والذي يلزم سلطان الأمة من أمورها سبعة أشياء: أحدها: حفظ الدين من تبديل فيه، والحث على العمل به من غير إهمال له، والثاني: حراسة البيضة والذب عن الأمة من عدو في الدين أو باغي نفس أو مال، والثالث: عمارة البلدان باعتماد مصالحها، وتهذيب سبلها ومسالكها، والرابع: تقدير ما يتولاه من الأموال بسنن الدين من غير تحريف في أخذها وإعطائها، والخامس: معاناة المظالم والأحكام بالتسوية بين أهلها واعتماد النصفة في فصلها، والسادس: إقامة الحدود على مستحقها من غير تجاوز فيها، ولا تقصير عنها، والسابع: اختيار خلفائه في الأمور أن يكونوا من أهل الكفاية

---

1 - النجار، فقه التحضر الإسلامي، ص 12 .
2 - ينظر الجليند، خلل في مسيرة الأمة، ص 102 .

فيها، والأمانة عليها، فإذا فعل من أفضى إليه سلطان الأمة ما ذكرنا من هذه الأشياء السبعة كان مؤديا لحق الله تعالى فيهم، مستوجبا لطاعتهم ومناصحتهم، مستحقا لصدق ميلهم ومحبتهم، وإن قصر عنها، ولم يقم بحقها وواجبها، كان بها مؤاخذا ثم هو من الرعية على استبطان معصية ومقت يتربصون الفرص لإظهارهما ويتوقعون الدوائر لإعلانهما"(1).

4- إن حساب الناس على التفريط في هذا الواجب يختلف من عصر إلى عصر باختلاف ما توفر لهم من إمكانات، بخلاف محاسبتهم على إقامة العبادات فإنه لا يختلف، وذلك لأن " لكل عصر درجة مقدرة من العلم التكنولوجيا وبالتالي من السيادة في الأرض، ويحاسب على تحقيق هذا القدر المتاح له في عصره من السيادة، ومن ثم يحاسب على العمل لتحقيق السيادة أكثر من حسابه على العلم و التقدم العلمي في عصره، أما بالنسبة لتحقيق العبودية فالناس يحاسبون عليها كاملة لأن منهج الله فيها كامل وهو ميسور وفي طاقة الفرد والجماعة "(2).

تطبيق تربوي: البعد التعميري لعلم الفقه:-

إن ما سبق ذكره مما يتعلق بحكم القيام بالعمارة هو أصل تربوي يقوم عليه فقه العمران (التحضر)، وعليه فإن مما يدخل في علم فقه العمران كل الجزئيات والمسائل الفقهية التي نظمت الحركة العمرانية مما يتعلق بفقه البيوع والتكسب وإحياء الأرض الموات، والإجارة والكراء،وشق الطرق وأحكام الفضاء، وما يتعلق بأحكام فتح الرواشن والمشربات، وغيرها من المسائل التي ينبغي للتربية أن تعيد تنظيمها في مناهج تعليمية مستقلة تحت مسمى فقه العمران .

المطلب الثالث: البعد التعبدي للعمارة :-

العمارة عبادة تميز بها الإنسان عن غيره، وذلك لأن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان لحكمة سامية وهي العبادة، وهي "عبادة تختلف عن عبادة غيره من المخلوقات إذ لا تعني التسبيح

1 – الماوردي، أدب الدنيا و الدين، ص 114 .

2 – الدسوقي، مفاهيم قرآنية، ص 46 .

والتقديس فقط كعبادة بقية المخلوقات"[1]، يقول تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً ﴾(الإسراء:44)، ويقول تعالى: ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلاَئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾(الرعد: 13)، وإنما هي ذات معنى شامل لكل ما يحبه الله ويرضاه من والأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة[2]، وهي كلمة تتضمن معنيين امتزج أحدهما بالآخر فصارا شيئا واحدا وهما غاية الحب مع غاية الخضوع فالخضوع الكامل الممتزج بالحب الكامل هو معنى العبادة [3]، وهي عبادة ليس سبيلها في هذه الحياة التبتل والامتناع عن الدنيا، إنما سبيلها تحقيق إرادة الله في كونه عن طريق العمل في عمارة هذا الكون، وإظهار أسرار الله الدالة على عظمته ووحدانيته واستحقاقه وحده للعبادة والتقديس[4]، كما أنها عبادة طوعية لله بالتزام هديه وشرائعه، ينشأ عنها ضبط سلوك الإنسان في علاقته بالكون والمخلوقات، بحيث تسير الحياة الإنسانية ضمن إطار الصلاح [5]، وعلى هذا فالعمارة كالخلافة "رسالة قدسية،منهاجها تزكية النفس، وإبداع الخير، ورعاية المثل العليا، وإقامة سلطان الحق والعدل في الأرض"[6]، و"إدارة ما يحتاج إلى الإدارة والرعاية والتدبير في بناء الحياة على الأرض على أساس النظام الذي جعله الله واختاره"[7].

---

1 – ابن عاشور، التحرير والتنوير (1/ 404)

2 – ينظر ابن تيمية، العبودية،ص 4.

3 – ينظر الحكمي، معارج القبول (2 / 437)، وينظر القرضاوي، حقيقة التوحيد، ص 24.

4 – ينظر شلتوت، من توجيهات الإسلام، ص 106 .

5 – ينظر أحمد فرحات، الخلافة في الأرض، ص 21 .

6 – الخولي، الثروة في ظل الإسلام، ص 41 .

7 – محمد حسين فضل الله، تفسير من وحي القرآن (1/ 229)

وهي عبادة مستمرة ما استمرت حياة الإنسان جاء في الحديث عنه ﷺ: (إن قامت الساعة،وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع ألا يقوم حتى يغرسها فليغرسها) [1]، ففي الحديث "مبالغة في الحث على غرس الأشجار وحفر الأنهار لتبقى هذه الدار عامرة إلى آخر أمدها المحدود المعدود المعلوم عند خالقها فكما غرس لك غيرك فانتفعت به فاغرس لمن يجئ بعدك لينتفع وإن لم يبق من الدنيا إلا صبابة وذلك بهذا القصد لا ينافي الزهد والتقلل من الدنيا"[2] وفي هذا تكريم لذات العمل ولو لم يكن وراءه نفع وانتفاع[3]، فهو ﷺ لم يأمر بالصلاة والسجود وترك الدنيا بل أمر بهذا لأنه من أعظم العبادات الذي يدوم عطاؤها إلى ما دام أثرها يقول ﷺ: (إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له) [4]، "قال العلماء: معنى الحديث أن عمل الميت ينقطع بموته، وينقطع تجدد الجواب له،إلا في هذه الأشياء الثلاثة، لكونه كان سببها، فإن الولد من كسبه، وكذلك العلم الذي خلفه من تعليم أو تصنيف، وكذلك الصدقة الجارية، وهي الوقف"[5].

مضامين تربوية لبعد العمارة التعبدي:-

1- إن العبودية الكاملة لله في هذا الكون تتحقق بقيام العمارة الكاملة وذلك عندما يباشر الإنسان مهمة الإعمار المادي والمعنوي وفق إرادة الله تعالى[6]، فيتحقق للإنسان أكبر قدر من

---

[1] – أحمد، المسند، مسند أنس بن مالك ﷺ (296/20)، رقم 12981. وقال شعيب الأرنؤوط ، إسناده صحيح على شرط مسلم، والبخاري في الأدب المفرد، كتاب البنيان، باب اصطناع المال، (1/ 168)، رقم 479. وصححه الألباني في الحاشية.

[2] – المناوي، فيض القدير (3/ 40) .

[3] – القرضاوي، الإيمان والحياة، ص 304 .

4 – مسلم، صحيح مسلم، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، (1255/3)، رقم 1631.

[5] – النووي، شرح النووي على مسلم (11 / 85).

[6] – ينظر زرمان، الفعل الحضاري في القرآن الكريم، ص 15 .

الاستفادة من مواردها لينهض بالقيام بعبادة الله ومعرفته على أحسن وجه [1]، وعلى هذا فكل ما يؤدي إلى عمارة الكون والارتقاء به هو أمر عبادي، كما أن الله سبحانه وتعالى يربط العبادة الاصطلاحية في الفقه بحركة الحياة كلها[2]، وهذا يقتضي ولوج الحياة بكل فعالية مع الالتزام بما شرعه الله، ليتحقق معنى للابتلاء،الذي قرنه الله بخلق السماوات والأرض فقال تعالى:﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾(هود:7) ، وقرنه بخلق ما على الأرض من منافع فقال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ (الكهف:7) ، وقرنه بخلق الموت والحياة فقال تعالى: ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ (الملك: 2) ، وقرنه بخلق الإنسان على هذا التكوين فقال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً﴾ (الإنسان: 2).

2- إن العبادة المحضة بمفهومها الضيق ليست وسيلة صحيحة لعمارة الأرض وامتلاكها كما أن الكفر ليس مانعا[3]، وعلى هذا ينبغي أن ندرك شمولية مفهوم الصلاح المفضي إلى وراثة الأرض، في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾(الأنبياء: 105)، "فالعباد الصالحون هم المؤمنون العاملون، فحيثما اجتمع إيمان القلب ونشاط العمل في أمة فهي الوارثة للأرض في أية فترة من فترات التاريخ، ولكن حين يفترق هذان العنصران فالميزان يتأرجح، وقد تقع الغلبة للآخذين بالوسائل المادية حين يهمل الأخذ بها من يتظاهرون بالإيمان، وحين تفرغ قلوب المؤمنين من الإيمان الصحيح الدافع إلى العمل الصالح، وإلى

[1] – ينظر شلتوت، من توجيهات الإسلام، ص 144، دنيا، الإسلام والتنمية، ص 48 .

[2] – ينظر الشعراوي، تفسير الشعراوي 668 .

[3] – ينظر المطرودي،الإنسان وجوده وخلافته في الأرض، ص419.

عمارة الأرض، والقيام بتكاليف الخلافة التي وكلها الله إلى هذا الإنسان وما على أصحاب الإيمان إلا أن يحققوا مدلول إيمانهم، وهو العمل الصالح، والنهوض بتبعات الخلافة ليتحقق وعد الله، وهي سنة إلهية جعلها الله في هذا الكون"[1]، وعلى التربية أن تسعى في تحقيقها لهذا الهدف السامي الذي تسعى إليه الأمة أن تعد الإنسان الصالح الذي سيقوم بإصلاح الكون والمحافظة عليه وهذا يقتضي الاهتمام بالجانبين المادي والمعنوي على حد سواء .

3- إن هذا المضمون التعبدي للعمارة لا يتحقق إلا إذا كان مقصودا لذاته، "فعبادة الله وحده بالمفهوم الديني الشامل هي الهدف الذي يتوجب على الإنسان فردا وجماعة أن يصعد إليه أوجه نشاطاته الحضارية كافة"[2]، لذلك فإن الإسلام يشترط في جميع فعاليات الإنسان الذاتية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية لتكون عبادة، أن تكون مبنية على أساس قاعدة الإيمان،موافقا لما جاء به الشرع، وهو بذلك لم يدع مجالا في حياة الإنسان إلا نفذ إليه في توجيهاته وإرشاداته [3] وهذا لا يتحقق إلا باستحضار نية التقرب إلى الله سبحانه وتعالى في ما يقوم به الإنسان من عمارة .

الجهاد التعميري:-

إن السعي في الأرض لعمارتها عبادة تسمى في عرف الإسلام ابتغاء من فضل الله، وهو نوع من أنواع الجهاد في سبيله، "شريطة أن يكون هذا السعي على الوجه الذي يجب وكما يجب"[4]،وهو جهاد قدم الله سبحانه وتعالى ذكره على النوع الآخر في كتابه فقال تعالى: ﴿وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾(المزمل: من الآية20)، ففي الآية

---

1 - سيد قطب، في ظلال القرآن (5 / 175) .

2 - خليل، حول تشكيل العقل المسلم 126، حول إعادة تشكيل العقل المسلم، ص 105 .

3 - ينظر المطرودي، الإنسان وجوده وخلافته في الأرض، ص 418، قطب، الإنسان بين المادية والإسلام، ص 119 .

4 - الأصفهاني، الذريعة في مكارم الشريعة، ص 35 .

دليل أن الكسب الحلال بمنزلة الجهاد لأنه جمعه مع الجهاد في سبيل الله[1]، كما أنه "بمنزلة الجهاد في حصول الثواب عليه؛ لأنه جاهد نفسه في تحري الحلال مع عزته، وترك الحرام مع كثرته، ومكابدة دقيق النظر في التخلي عن الشبهات والكف عن كثير من المباح بالورع خوفا من الجناح وهو الجهاد الأكبر"[2]، وقد أدرك سيدنا عمر رضي الله عنه هذا المعنى الجهادي للتعمير وأهميته، فيقول: " ما جاءني أجلي في مكان ما عدا الجهاد في سبيل الله أحب إلى من أن يأتيني وأنا بين شعبتي رحلي، أطلب من فضل الله وتلا (وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله)"[3]، بل ذكر الشيباني أن عمر رضي الله عنه كان يقدم درجة الكسب على درجة الجهاد، فيقول: (لأن أموت بين شعبتي رحلي أضرب في الأرض أبتغي من فضل الله أحب إلي من أن أقتل مجاهدا في سبيل الله)[4]، إنه "جهاد النفس وردعها عن الانجراف في مهاوي الشهوات الجامحة، وهذا لا يكون إلا بجعل الفضائل التي أتى بها الإسلام مقاييس ومعايير للحكم على التصرفات والأعمال، وهنا يأتي دور القوة الكامنة في الإنسان لمجاهدة النفس من خلال النفس اللوامة والتي يطلق عليها في لغة العصر"الضمير" هذا الضمير الذي تتجسد فيه طاعة الله ولزوم أوامره وكثرة مخافته، والتي من خلالها يعرف الإنسان ربه وبالتالي يعرف نفسه، هذا الضمير بيقظته يتحكم في الدوافع الفطرية، فيتعالى بها بضبط الشهوات وتهذيب الرغبات،ويتسامى بالميول فيوجهها للعمل الصالح والخير العام النافع اجتماعيا، هذا الضمير الذي يوفق بين متطلبات الجانب المادي للشخصية والجانب الروحي والمعنوي بين الحياة الدنيا والآخرة "[5].

---

[1] – ينظر السمرقندي، بحر العلوم، (3 / 490).

[2] – المناوي، فيض القدير (4 / 357).

[3] –البيهقي /شعب الإيمان، (2 / 93)

[4] – الشيباني، كتاب الكسب، ص 35 .

[5] – الراوي، قضايا تربوية عربية في رؤى إسلامية، ص251

هذا وقد دأبت التوجيهات النبوية التربوية على تأكيد هذا المعنى ليتأصل في نفوس المؤمنين،مما يدفع بهم إلى حوض غمار الكون بالتعمير، ومن ذلك ما ورد في بيان أهميته ومكانته في أن الرسول ﷺ قال لأصحابه عند عودتهم من إحدى الغزوات: (قدمتم خير مقدم، قدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، مجاهدة العبد هواه)[1]، أي جهاد التعمير والبناء وإشادة صرح الحضارة الإسلامية والترقي على مستوى الفرد والجماعة والدولة، وهو جهاد لا يتأتى إلا إذا تفاعل الإنسان بخصائصه مع عناصر الكون استثمار وتنمية وتعميرا، ومن التوجيهات أيضا ما جاء في تصحيح الفهم القاصر لمفهوم الجهاد وبيان مفهومه الشامل لكل مظاهر السعي التعميري، وذلك عندما مر عليه ﷺ رجل فرأى أصحاب رسول الله ﷺ من جلده ونشاطه فقالوا يا رسول الله: لو كان هذا في سبيل الله فقال رسول الله ﷺ: (إن كان خرج يسعى على ولده صغارا فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله، وإن كان يسعى على نفسه يعفها فهو في سبيل الله، وإن كان خرج رياء ومفاخرة فهو في سبيل الشيطان) [2]، ومن ذلك قوله ﷺ مخاطبا أصحابه مبينا لهم المفهوم الشامل للجهاد: (ليس الجهاد أن يضرب الرجل بسيفه في سبيل الله تعالى، إنما الجهاد من عال والديه وعال ولده، فهو في جهاد، ومن عال نفسه فكفها عن الناس فهو في جهاد) [3].

1- الخطيب، تاريخ بغداد، ذكر الأسماء المفردة، (523/13)، رقم 7345. وذكره الغزالي في إحياء علوم الدين، بيان خاصية قلب الإنسان، (7/3)، وقال: في إسناده ضعف، وذكره ابن رجب الحنبلي في جامع العلوم والحكم (196/1) وقال: يروى مرفوعا بإسناد ضعيف.

2 - الطبراني، المعجم الكبير، حديث كعب بن عجرة الأنصاري ﷺ، (129/19)، رقم 282، والأوسط (56/7)، رقم 6835، والصغير (148/2)، رقم 940. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (596/4)، رقم 7709 وقال: رواه الطبراني في الثلاثة،ورجال الكبير رجال الصحيح.

3- أبو نعيم الأصبهاني ، حلية الأولياء، (300/6)، وابن عساكر ، تاريخ دمشق، (172/21)، والديلمي ، مسند الفردوس، (402/3)، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (453/4)، رقم 1989.

المبحث الثاني: التعريف بخصائص الإنسان في عمارة الكون والتأصيل التربوي لها

المطلب الأول: التعريف بخصائص الإنسان في عمارة الكون :-

الخصائص بصفة عامة هي الصفات التي يتميز بها الشيء عن غيره، وهي السمات التي يعرف بها ويقوم كيانه عليها وتحدد معالمه ويستقل بها ذاتا وعرضا، هذه الصفات والسمات تنبع من الأسس والأصول وتمتد إلى الفروع وتترك بصماتها وآثارها في كل جانب [1]، وفي هذا المطلب سيقوم الباحث بتعريف الخصائص لغة واصطلاحا

1- **لغة:** الخاء والصاد أصل مطرد منقاس، وهو يدل على الفُرْجة و الثُلمة، ومن الباب خصصت فلانا بشيء خصوصية بفتح الخاء، لأنه إذا أفرد واحدا فقد أوقع فرجه بينه وبين غيره [2]، وخصه بالشيء يخصه خصا وخصوصا وخصوصية بفتح الخاء وضمها والفتح أفصح وخِصِّيصى وخصخصة، وأختصه أفرده به دون غيره، ويقال: اختص فلان بالأمر وتخصص له إذا انفرد [3].

ومن هنا يتبين أن لفظ الخصائص يدل على ما يتميز به الشيء عن غيره، مما يجعله صاحب خصوصية، يترتب عنها تفرده ببعض المهام الموافقة لهذه المميزات .

2 - **اصطلاحا .**

لم يجد الباحث فيما بحث أي تعريف اصطلاحي لخصائص الإنسان في عمارة الكون،لذلك فإن الباحث يعرفها بعدة تعريفات، وهي تعريفات قائمة على ما تتصف به الخصائص من صفات، ومن هذه التعريفات التي استنبطها الباحث ما يأتي:

- خصائص الإنسان في عمارة الكون هي قوى فطرية متعددة ومتنوعة، مدركة وفاعلة، مستجيبة للإثارة، قابلة للترقي، ذات بعدين حسي ومعنوي، نتجت عن تمازج وتكامل ما

---

1 - ينظر الزحيلي، موسوعة قضايا إسلامية معاصرة (6 / 421)

2 - ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (2 / 152 - 153) بتصرف

3 - ابن منظور، لسان العرب، (7 / 27)، بتصرف

للجسد وما للروح من صفات، ركبت في الإنسان،فجعلت منه ذا معنى خاص هو طبيعته التعميرية، التي تميز بها عن بقية المخلوقات .

- هي هيئة في نفس الإنسان معدة ومهيأة للتعامل مع عناصر الكون وفق قاعدة نص عليها القرآن وهي قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾(طه: 50)

- هي ما اختص الله به الإنسان دون غيره من الكائنات، من مزايا وقدرات ومواهب وإمكانات تدفعه إلى عمارة الكون واستثمار ما سخره الله له فيه .

- هي صفات إنسانية ذات طبيعة عمرانية، قابلة للاستجابة لما يقابلها من عناصر مسخرة في الكون، ومتفاعلة معها وفق منهج معين، لينتج عن هذا التفاعل عمارة للكون، وحقيقة هذا التفاعل هو أنه عبادة، لكونه أمر إلهي وتكليف للإنسان بمباشرة الاستخلاف .

- هي ما ميز الله ﷻ به الإنسان من مزايا جعلت منه أهلا ليقوم برسالة العمارة ومناطا للتكليف بها .

- هي المقومات التي تنتج القدرة و الفعالية العمرانية للإنسان لتجعل منه علة فاعلة في الكون الذي له قابليه لهذا الفعل .

المطلب الثاني: التأصيل التربوي لخصائص الإنسان في عمارة الكون ولبعدها التعميري:-

إن هناك العديد من الأدلة على وجود الخصائص وكون أنها وجدت ليؤدي الإنسان واجب العمارة، مع أنه من الممكن القول بأن العلم بوجودها من قبيل العلم الضروري الذي لا يحتاج منا إلى أدنى تأمل لكونها متأصلة الوجود في أنفسنا ونشعر بوجودها، فمعرفتنا بها معرفة فطرية وجدانية، لذلك اعتمدها القرآن دليلا فطريا على إثبات وحدانية الله وعدم الشك فيه ووجوب عبادته.

إن هذه الأدلة تعد أصولا تربوية يمكن اعتمادها في إثبات أن للخصائص أبعادا تربوية لها أهميتها في المجالين التنظيري والتطبيقي، ومن هذه الأدلة ما يأتي:

أولا: تعلق الإرادة الإلهية بوجود الخصائص:-

يمكن وصف وجود خصائص الإنسان في عمارة الكون بالمنظور العقدي على حسب ما جاءت به النصوص الشرعية بأنه إرادة إلهية أو أمر إلهي، هذه الإرادة اجتمع فيها الوصفان الكوني والتشريعي، فهي من متعلقات الإرادة الكونية من ناحية الإيجاد، والإرادة الشرعية من ناحية تعلق التكليف بالعمارة بوجودها، وذلك على ما يأتي:

1- وجود الخصائص إرادة كونية: الإرادة الكونية "متعلقة بالخلق والإيجاد، وأمر الله المتوجه إلى سائر المخلوقات بما يريد خلقه وإيجاده، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (يس: 82)، وهي نافذة لا يتخلف عنها المراد، قال تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾(البروج:16)،وهذه الإرادة متعلقة بحكمة الله الكونية، أي أنه يخلق ويوجد، ويصرف خلقه كما تقتضيه حكمته من تهيئة الكون بما يصلحه والأرض للعيش عليها، وما يحقق حصول الابتلاء والامتحان للعباد، وغير ذلك من الحِكَم التي يُعلم بعضها ويقصر العقل عن معرفة الكثير منها"[1]، فالله ﷻ خلق هذا الكون وسخره للإنسان واستخلفه فيه ليعمره، وهذه الإرادة الكونية لوجود الخصائص دلت عليها العديد من الأدلة طابقت أو تضمنت أو استلزمت وجود هذه الخصائص ومنها:-

أ- قوله تعالى: ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴾ (هود: 61) فمن المعاني التي فُسِّر بها اللفظ (استعمركم) "خلقكم لعمارتها"[2]، و"جعلكم عمارها" [3]، و"اتخذكم عمارا"[4]، و"ألهمكم

---

1 - الجربوع، الأمثال القرآنية القياسية (2/ 236)

2 - ابن العربي، أحكام القرآن (4 / 495) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (9 / 55)

3 - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (9 / 55)، أبو حيان، البحر المحيط (5 / 239) النيسابوري، (4 / 313) ابن عاشور التحرير والتنوير (12 / 108)،

4 - ابن عطية، المحرر الوجيز (3 / 438)

عمارتها من الحرث والغرس وحفر الأنهار وغيرها"[1]،و "أقدركم علـى عمارتهـا وأعـدكم لاستثمار ما فيها، وهيأكم للاستفادة بما عليها وفيها وحولها من منافع وخيـرات"[2]، "ولـذلك أودع الله تعالى الإنسان خصائصه، ومنحه التسخير للكون لاسـتثمارها فـي عمـارة الأرض تكريما له، وعونا له للقيام بمسئولية العبادة لله تعالى وحده التي خلق من أجلها "[3]، كل هـذه المعاني تدل على أن وجود هذه الخصائص أمر مراد منه ﷻ ليقوم الإنسان بعمارة الكون، مع ما يقابل هذه الخصائص من تسخير الله الكون للإنسان وتذليله له وفق سنن وقوانين ونواميس أرادها عن حكمة منه، جاءت موافقة لهذه الخصائص مطابقة لها .

ب- قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: 30)، فالحق سبحانه وتعالى هو الذي استخلف الإنسان في الكون، والاستخلاف شرحه الحق في قوله تعـالى: (وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا)[4]، وهذا المعنى في الربط بين الاستخلاف والاستعمار بينه عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في تفسيره لقوله: "وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا " قَالَ: "استخلفكم فيها" [5]، فالاسـتخلاف علـى هـذا "مركـز شرعي جوهره تفويض وتكليف، تفويض للإنسـان بخلافتـه علـى الأرض، وتكليـف لـه باستعمارها (هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها)، فهو إذاً نيابة تطلق يد الإنسـان فـي الوجود تنعما واستهلاكا لكفاية ذاته وإحرازا لوجوده، وتلزمه بإدارة الموارد وعمـارة الأرض على نحو ما يقرره المنهج الإلهي (المذهب الاقتصادي في الإسلام) الـذي يحـدد علاقـة الإنسان بالثروة، وعلاقة الإنسان بالإنسان من خلالها في إطار العلاقة الاستخلافية المقدسـة:

---

1 - أبو حيان، البحر المحيط (5 / 239)،
2 - زرمان،الفعل الحضاري في القرآن، ص 20 .
3 - عمر الأشقر، العقيدة في الله، ص 87، المطرودي، الإنسان وجوده، ص 371 .
4 - الشعراوي، تفسير الشعراوي 373 .
5- ابن أبي حاتم، تفسير ابن أبي حاتم (8 / 203)، السيوطي، الدر المنثور (4 / 445).

علاقة الإنسان برب الوجود تبارك وتعالى"[1]، فمعنى كون الإنسان خليفة هو أنه مستخلف في إصلاح الأرض وتعميرها بالخيرات المادية والمعنوية وبالهدى والنور[2]، ومن المعاني التي يتضمنها مفهوم الاستخلاف هو مسئولية المستخلف عما استخلف عليه، فالإنسان جعله الله سبحانه وتعالى خليفة في الأرض سيدا في هذا العالم ليحافظ على انتظام أمره وجعل انتظام هذا العالم مناط بسعي الإنسان فيه بالكسب الذي جعله الله في جبلته، وهذا مما يدل على وجود الخصائص، "فالله ﷻ إذ أراد للإنسان أن يكون خليفته في هذه الأرض فإنه قد بـرأه وقـدره على وفق ما تؤدي به الخلافة أفضل أداء"[3].

2- العمارة إرادة شرعية:- الإرادة الشرعية "هي إرادة اللّه المتعلقة بالشرع والتكليف، وأمـره المتوجه إلى المكلفين بما يحب أن يفعلوه وما يرضاه لهم من الشرائع والعبادات والأخلاق،كما في قوله تعالى: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ﴾(يوسف: 40)، وهي إرادة متعلقة بالحكمـة الشرعية أي أنه يشرع لعباده ما تقتضيه حكمة التكليف من حصول المصالح لهـم كمـا فـي المعاملات والأخلاق، ودفع المفاسد كما في الحدود، وحصـول محبوبـات للّـه كمـا فـي العبادات"[4]، عليه من الممكن أن نصف عمارة الكون بأنها إرادة شرعية أو أمر شرعي،وذلك لأن هذا الأمر من المعاني التي اقتضاها اللفظ (استعمركم) أي "أمركم بعمارتها"[5]،وهذا مـا ذهب إليه زيد بن أسلم حيث قال:" أمـركم بعمـارة مـا تحتـاجون إليـه فيهـا مـن بنـاء مساكن،وغرس أشجار"[6] بناءً علـى معنـى الطلـب الـذي أفـاده وجـود السـين والتـاء في(استعمركم)[7]، وقد حملوا هذا الطلب على الوجوب باعتباره طلبا مطلقا، وهذا ما بينه الكيا حيث قال: "يدل على وجوب عمارة الأرض، فإن الاستعمار طلب العمارة، والطلب المطلـق

---

1 – السبهاني، الاستخلاف والتركيب الاجتماعي في الإسلام، ص 52 ..

2 – ينظر عبد الستار نوير، رسالة الإنسان في الحياة، ص 8 .

3 – الخولي، آدم عليه السلام، ص 46 .

4 – الجربوع، الأمثال القرآنية القياسية (2 / 237) .

5 – النيسابوري، (4 / 313)

6 – القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (9 / 55)، الألوسي، روح المعاني (8 / 288) .

7 – الألوسي، روح المعاني (8 / 288)

من الله تعالى للوجوب"[1]، وهو ما نقله ابن العربي عن بعض علماء الشافعية حيث قال: "قال بعض علماء الشافعية: الاستعمار طلب العمارة ؛ والطلب المطلق من الله تعالى على الوجوب"[2] إلا أنه هناك من اعترض على هذا الفهم لما تضمنه الفعل استعمر من طلب،ووجهه على أنه ليس طلبا على الحقيقة، ولكن نزل جعلهم محتاجين لذلك و إقدارهم عليه وإلهامهم كيف يعمرون منزلة الطلب [3]، وعلى هذا الفهم يكون الأمر بالعمارة أمرا كونيا لا شرعيا لتعلقه بالخلق والإيجاد، وهذا ما يفهم من كلام ابن العربي بعد مناقشته لما يحمله اللفظ (استفعل) من معان، فقال: "(استعمركم فيها) خلقكم لعمارتها، لا على معنى استجدته واستسهلته، أي أصبته جيدا وسهلا، وهذا يستحيل في الخالق، فيرجع إلى أنه خلق،لأنه الفائدة، وقد يعبر عن الشيء بفائدته مجازا ؛ ولا يصح أن يقال: إنه طلب من الله تعالى لعمارتها، فإن هذا اللفظ لا يجوز في حقه "[4]، إلا أن له توجيها آخر يحمل في مضمونه أدبا مع الله تعالى، ويوافق قواعد اللغة، ويفيد الإرادة الشرعية للعمارة، وهو ما يفهم من قوله: " أما أنه يصح أن يقال: أنه استدعى عمارتها فإنه جاء بلفظ استفعل، وهو استدعاء الفعل بالقول ممن هو دونه إذا كان أمرا، وطلب للفعل إذا كان من الأدنى إلى الأعلى رغبة"[5]، وعلى كل فالخلاف بين هذا التوجيه وبين التوجيه الذي يفيد معنى الطلب خلاف في اللفظ لا في المعنى فكلاهما يفيد الأمر الشرعي بالعمارة.

إن التكليف بالعمارة يستلزم أن يكون للإنسان خصائص هي مناط هذا التكليف[6]، كما "أن مجرد حمل المواهب إنما هو تكليف من الله للإنسان أن يؤدي دورها في مجالها"[7]، وهذان أمران يتعلقان بما يقتضيه العدل الإلهي والحكمة الإلهية، فمن باب عدله ﷻ أنه لا يكلف عباده

---

1 – الكيا الهراسي، أحكام القرآن (3 / 86) .

2 – ابن العربي، أحكام القرآن (4/ 495)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (9 / 55)

3 – يراجع الألوسي، روح المعاني (8 / 288) .

4 – ابن العربي، أحكام القرآن (4/ 495)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (9 / 55)

5 – ابن العربي، أحكام القرآن (4 / 495)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (9 / 55)

6 – ينظر النجار، فقه التحضر الإسلامي، ص 37 .

7 – الخولي، الثروة في ظل الإسلام، ص 68 .

بما لا يطيقون، ومن باب الحكمة أن يكون لوجود الخصائص معنى لأنها لم تخلق عبثا التكليف بالعمارة، فالإنسان "لديه من المواهب والقدرات التي يقابلها تسخير في الكون للقيام بمهمته كاملة، ليكون مستثمرا لها أقصى ما يمكن أن تكون عليه عملية الاستثمار لعمارة الأرض"[1].

ثانيا: الحكمة الإلهية تقتضي وجود الخصائص:-

إن وجود هذه الخصائص أمر اقتضته الحكمة الإلهية، فمن باب الحكمة أنه ﷻ ما كان ليحمل رسالته لمن ليس أهلا لها فما كان ليحمل الإنسان رسالة العمارة وهو خلي من أية خصائص تؤهله له، وذلك وفق قاعدة قررها تعالى في قوله: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾(الأنعام :124)،كما أنه ما كان ليخلق هذا الإنسان على هذا القدر من المكانة والخصائص إلا ليقوم بأداء هذه الرسالة، ومن الأدلة على هذه الحكمة ما يأتي:-

1- إن الله ﷻ ما أوجد شيئا إلا لحكمة قد يعلمها البعض وقد لا يعلمها، والله ﷻ قد أوجد الخصائص لتؤدي مهامها في الحياة، وهي أن يتأهل الإنسان لواجب العمارة، وهذا كله يندرج تحت قاعدة عامة وهي قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾(طه:50)،"فالخلق هو إعطاء الوجود العيني للأشياء أما الهداية فهي إعطاء الوجود الذهني والعلمي فهذا خلقه وهذا هداه، وكلها هداية عامة وإعطاء تام، فكل ما خلقه الله جعل هدايته ذاتية فيه وليست خارجة عنه"[2]، قال الحسن وقتادة: " أعطى كل شيء صلاحه، وهَداه لما يصلحه"[3]، فهذه إرادة كونية مفادها أن الله قد أعطى كل واحد من المخلوقات هيئته وصورته وخصائصه التي تطابق المصلحة المنوطة به، ثم وجهه إلى ما يصدر عنه وما ينبغي له طبعا واختيارا ويسره

---

[1] – المطرودي، الإنسان وجوده ولافته، ص 374 .

[2] – الجليند، خلل في مسيرة الأمة، ص 197 .

[3] – الشوكاني، فتح القدير، (3 / 368)

لما خلق له، بخلق الميول والإلهامات ونصب الدلائل وإنزال الآيات[1]، ومما يدل على ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾(الأعلى:2، 3)، أي "خلق الإنسان وهيأه للتكليف"[2]، فالله ﷻ قد قدر وجود هذه الخصائص وهداها إلى ما خلقت له وجعلها من المؤهلات لتحمل أمانة العمارة، وهذا مما يفهم من كلام الشاطبي في تأصيله للمقاصد المكملة للمقاصد الأصلية، حين قال: " وأما المقاصد التابعة فهي التي روعي فيها حظ المكلف فمن جهتها يحصل له مقتضى ما جبل عليه من نيل الشهوات والاستمتاع بالمباحات وسد الخلات وذلك أن حكمة الحكيم الخبير حكمت أن قيام الدين والدنيا إنما يصلح ويستمر بدواع من قبل الإنسان تحمله على اكتساب ما يحتاج إليه هو وغيره"[3].

2- إن الله ﷻ ما خلق الإنسان على هذا القدر العظيم، وركب فيه ما ركب من قوى متعددة وأقدره على العمل وهداه إليه، وأمره به ليكون هذا الإنسان مؤهلا لأداء رسالة عظيمة خلق من أجلها تتناسب مع بديع خلق الله فيه وعظم قدرته، ألا وهي عبادته بعمارة أرضه والعمل في إصلاحها ونشر الخير فيها، وهذا كل من مقتضيات الحكمة الإلهية فليس المراد من هذه الخصائص اللهو أو اللعب أو الطغيان أو مجرد التمتع [4]، فهي أمور قد ورد ذمها كتعبير عن خروج هذه الخصائص عن مقصدها ومنافاتها للحكمة الإلهية من خلق الإنسان يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ (محمد: 13)، أي "يتمتعون بمتاع الدنيا وينتفعون به كأنهم أنعام ليس لهم همة إلا بطونهم وفروجهم ساهون عن العاقبة لاهون بما هم

---

1 - ينظر الألوسي، روح المعاني (15 / 316)، النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (2 / 62)، أبو حيان، النهر الماد (4 / 80)

2 - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (22 / 222)

3 - الشاطبي، الموافقات (2/ 178، 179) .

4 - ينظر شلتوت، من توجيهات الإسلام، ص 127 .

فيه"[1]، أي" تمتع وأكل مجردان عن الفكر والنظر في العواقب"[2]، يقول تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى ﴾(العلق: 6، 7).

3- مما يدل أن الحكمة من وجود الخصائص هو القيام بالعمارة، تلك المقابلة المقدرة بل الموافقة المحكمة بينها وبين ما سخره الله في الكون للإنسان، وذلك "لأن الله ﷻ ما جعل في الأرض كنوزها وقوانينها، وجعل مفاتيح هذه الكنوز فيما أوتي البشر من أسرار المدارك إلا ليكون مراده بها هو عمارة الأرض على أوسع وأروع ما تكون العمارة "[3].

أثر تربوي لكون أن الخصائص وجدت لحكمة العمارة .

إن عقيدة الحكمة من خلق الإنسان لها مدخل مهم في تشكيل النمط الحياتي عامة والنمط الحضاري خاصة، لأنها أحد العوامل الرئيسية في تلوين الحضارات بألوان تختلف باختلافها،سواء في تعامل الإنسان مع الإنسان أو في تعامله مع الكون [4]، وهي التي تحدد القيمة الحقيقية للإنسان والوضع الأصيل له في الكون [5].

كما أن معرفة الحكمة من خلق الإنسان على هذه الصورة من الصفات والخصائص، ومعرفة مضمون وفحوى الرسالة التي كلف بها، وقيامه بهذا الواجب، لها الكثير من الأبعاد التربوية الإيجابية، منها:

1- شعور الإنسان بمسئوليته الكاملة على الكون وما فيه، وهي مسئولية دينية وأخلاقية وبالتالي يسعى إلى المحافظة عليه وإصلاحه ولعل هذا ما نلحظه في الكثير من توجيهاته ﷺ ومنها قوله: (ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان

---

1 - الشوكاني، فتح القدير (5 / 32) .
2 - الثعالبي، الجواهر الحسان (4 / 164) .
3 - الخولي، الثروة في ظل الإسلام، ص 62 .
4 - ينظر النجار، فقه التحضر الإسلامي، ص 85 .
5 - ينظر الشرقاوي، في فلسفة الحضارة الإسلامية، ص 272 .

له به صدقة) [1]، يقول ابن بطال: "فيه الحض على عمارة الأرض لتعيش نفسه أو من يـأتي بعده ممن يؤجر فيه، وذلك يدل على جواز اتخاذ الصناع، وأن الله تعالى أبـاح ذلـك لعبـاده المؤمنين لأقواتهم وأقوات أهليهم طلبًا للغنى بها عن الناس، وفساد قول من أنكر ذلـك، ولـو كان كما زعموا ما كان لمن زرع زرعًا وأكل منه إنسان أو بهيمة أجر، لأنه لا يـؤجر أحـد فيما لا يجوز فعله"[2]، ومنها ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسـول الله ﷺ: (بينا رجل يمشي فاشتد عليه العطش، فنزل بئرا فشرب منها، ثم خرج فإذا هـو بكلـب يلهث، يأكل الثرى من العطش، فقال لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ بي فملأ خفه ثم أمسكه بفيه، ثم رقى، فسقى الكلب فشكر الله له، فغفر له، قالوا يا رسول الله، وإن لنا في البهائم أجرا قال:في كل كبد رطبة أجر)[3]، "ففي هذا الحديث الحث على الإحسان إلى الحيوان المحترم وهو ما لا يؤمر بقتله فأما المأمور بقتله فيمتثل أمر الشرع في قتله"[4].

إن مثل هذه التوجيهات في الحث على العناية بمرافـق الكـون وعناصـره، والـدعوة إلـى احترامها، تعتبر من المبادئ التربوية التي تأسس عليها فقه العمران، مما كان له الأثر الكبيـر في تقدم الحضارة الإسلامية، ومن ذلك ما روي عن عمر بن عبد العزيز أنه كان يأمر بزرع الجبال حتى لا يجوع الطير في أرض المسلمين

2- لها أثر في تجديد طاقات الإنسان وتحويلها إلى قوة فاعلة متجددة تلاحق كل خطوات الواقـع من أجل تركيزها على الطريق المسـتقيم [5]ممـا يسـهم فـي نجـاة الإنسـان فـي الـدنيا والآخرة،وبخاصة أنه ساع لا محالة، يقول ﷺ: (كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها)

---

1 – البخاري، صحيح البخاري، كتاب المزارعة، باب فضل الزرع والغرس، (817/2)، رقم 2195 . ومسلم، صحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب فضل الغرس والزرع، (1189/3)، رقم 1553.

2 – ابن بطال، شرح صحيح البخاري (6 / 456)

3 – البخاري، صحيح البخاري، كتاب المساقاة، باب فضل سقي الماء، (833/2)، رقم 2234 . ومسلم، صحيح مسلم، كتاب السلام، باب فضل ساقي البهائم المحترمة وإطعامها، (1761/4)، رقم 2244 .

4 – النووي، شرح النووي على صحيح مسلم (14 / 241).

5 – محمد حسين فضل الله، تفسير من وحي القرآن (1 / 236)

[1]، "معناه كل إنسان يسعى بنفسه فمنهم من يبيعها لله تعالى بطاعته فيعتقها من العذاب ومنهم من يبيعها للشيطان والهوى باتباعهما فيوبقها أي يهلكها"[2]

3- يبعث في أعماق الإنسان الشعور بوجوده الحر بعيدا عن كل نوازع الضعف والاستكانة،لأنه يدرك أنه قوة فاعلة في الكون وأن مرتبته أعلى المراتب فيه، فليس هناك قوة تتحدى دوره أو تدمر له إنسانيته بل هو القوة التي تتحكم في الضغوط الخارجية كلها من خلال قوته الداخلية [3]

4- عندما يستقر هذا المعنى العقدي في ذهن المؤمن به فإنه يرتبط عند الإنسان في أصل وجوده بسبب ذلك الوجود وهو سعادته، فإذا هو ساع بهذا الدفع العقدي لأن يربط في الواقع بين الإنسان وبين السعادة بالعمل التلقائي على جلب ما به تكون السعادة ودفع ما به يكون الشقاء،ويستقر هذا المعنى في النفس حتى يصبح في مجموعة المسلمين نزوعا راسخا إلى إسعاد الإنسانية متمثلة في كل فرد منها بالسعي في إنقاذها من عوامل البؤس المادية والمعنوية، وإتاحة الفرص لها كي ينالها النعيم في الدنيا والآخرة، وتلك الحال هي التي عبرت عن نفسها في مقولة ربعي بن عامر: (لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد)،وتلك هي التي انطلق بها المسلمون في آفاق الأرض، يخلصون الشعوب من مهانة العبودية ومن بؤس الضلال [4].

لذلك كله ينبغيعلى العاملين في مجال التربية والدعوة في سبيل الله "أن يعمقوا في داخل نفوس الناس شعورهم بهذا المعنى لوجودهم والحكمة من خلقهم و بأن لهم رسالة في الحياة تحتاج منهم إلى تنمية ما آتاهم الله من خصائص، مما يسهم في إيجاد الشخصية المسلمة الفاعلة المتعاطفة مع

1- مسلم، صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء، (203/1)، رقم 223 .
2- النووي، شرح صحيح مسلم (3 / 102).
3- ينظر محمد حسين فضل الله، تفسير من وحي القرآن (1 / 236)
4- النجار، فقه التحضر الإسلامي، ص 86، بتصرف .

كل مجالات العمل في الحياة، المتطلعة في كل صباح جديد إلى واقع جديد ومسؤولية جديدة تنطلق أبدا من الآفاق الواسعة الشاملة التي تشرق بنور الله "[1].

ثالثا: العدل الإلهي يقتضي وجود الخصائص:-

إن وجود هذه الخصائص أمر اقتضاه العدل الإلهي، فمن باب عدله سبحانه وتعالى أنه لم يكن ليكلف الإنسان بالعمارة ويبتليه بها، إلا بعد أن يهيئه لها بما يكفل له تحقيقها، ويمده من الخصائص التي تولد له القدرة والطاقة على ذلك، وذلك وفق قاعدة قررها الله تعالى في قوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: 286)، "والطاقة اسم لمقدار ما يمكن للإنسان أن يفعله بمشقة، وذلك تشبيه بالطوق المحيط بالشيء"[2]، فالتكليف جاء وفق الوسع والطاقة وهذا يعني أن التكليف كما ارتبط في وجوده بوجود الخصائص كذلك ارتبط في مراتبه بقوة الخصائص وطاقة كل منها .

رابعا: التفضل الإلهي بالخصائص:-

لقد جاء ذكر الخصائص والأمر بتفعيلها في سياق الامتنان بها ليكون هذا الامتنان داعيا كما كان دليلا على توحيد الله بالعبادة وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾(هود:61)،وقد شرح هذا المعنى وبين ما يستلزم وجود هذه الخصائص، وأنها مما تفضل به الله على الإنسان، قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلاً مَا

---

[1] – محمد حسين فضل الله، تفسير من وحي القرآن (1 / 236)

[2] –.الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص398 .

تَشْكُرُونَ﴾(الأعراف:10)،أي" مكناهم بخلق القوى والقدر وإدرار النعم التي تعينهم على إنجاء أنفسهم"[1]، فمن مستلزمات التمكين أن يكون في ذات الإنسان أسباب هذا التمكين الذي من معانيه القدرة على التصرف في الأرض والتملك فيها، ومن مستلزمات الانتفاع بالمعيشة وجود ما يتوصل به إليها، وهذا المعنى يفهم من كلام الزمخشري في تفسيره لهذه الآية حيث قال: " (مكناكم في الأرض)، جعلنا لكم فيها مكاناً وقراراً، أو ملكناكم فيها و أقدرناكم على التصرف فيها، (وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا معايش) جمع معيشة وهي ما يعاش به من المطاعم والمشارب وغيرها، أو ما يتوصل به إلى ذلك "[2]، وفي هذا دليل على وجود الخصائص التي تمكن الإنسان من العمارة وهذه الدلالة هي دلالة التزام .

إن هذا التفضل بالخصائص على الإنسان وتمييزه بها، هو مما اقتضته المشيئة الإلهية، يقول تعالى: ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾(آل عمران: الآية 74)، يقول ابن تيمية: "ولذلك حكمة ورحمة هو أعلم بها، كما خص بعض الأبدان بقوى لا توجد في غيرها، وبسبب عدم القوة قد تحصل له أمراض وجودية وغير ذلك من حكمته "[3]

الخصائص والتكريم الإلهي للإنسان:-

إن ما ميز به الله ﷻ الإنسان من خصائص مكنته في الأرض وأطلقت يده بالتصرف فيها،مع ما قابل هذه الخصائص من تسخير لعناصر الكون، هو من نعم الله ﷻ على الإنسان وضرب من ضروب التكريم الإلهي له وإعانة له على القيام بمسئولية العمارة ومهمة العبادة بموجب الاستخلاف[4]، فمن التكريم الإلهي للإنسان تحميله أمانة المسئولية والتكليف وحرية الإرادة

---

[1] - البقاعي، نظم الدرر (3 / 183)
[2] - الزمخشري، الكشاف (2 /207)
[3] - ابن تيمية، التفسير الكبير (3 / 371)
[4] - ينظر المطرودي، الإنسان وجوده وخلافته في الأرض، ص 369 .

وعمارة الكون مع ضآلة جرمه ومحدود طاقته بالقياس إلى السماوات والأرض والجبال التي أبت أن تحملها، وتسخير كل ما في هذا الكون لنفعه وخدمته [1]، فالإنسان"أكرم الخلائق بما لديه من استعداد تفرد به بين خلائق السماء والأرض"[2]، وكون الخصائص ضرب من التكريم الإلهي إن لم يكن من أخص أنواع التكريم تضمنه عموم قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ (الإسراء:70)، والكرم "ضد اللؤم ويوصف به الشيء لشرفه في ذاته بكمال صفاته، أو لحسن أفعاله وما يصدر عنه من النفع لغيره، والمعنى: فعلنا لهم ما فيه رفعتهم ومنفعتهم من إنعاماتنا عليهم"[3]، وهذا يعني أن الإنسان متميز عن الكون في الميزان القيمي تميز رفعة واستعلاء، وقد جاء القرآن يبين هذه الحقيقة،ويؤكدها تأكيدا، فكلما ذكر الإنسان في معرض الموجودات الكونية خص بالتمييز والإعلاء، ووضع في المكانة الجُلّى من سلم التفاضل القيمي للمخلوقات[4].

وتكريم الله تعالى لخلقه قسمان: أحدهما عام والآخر خاص فأما العام فهو إخراجه لهم من العدم إلى الوجود، وإعطاؤه لكل شيء منهم خلقته اللائقة به من تركيب أجزاء ذاته وتعديل مادة تكوينه ومن أعضائه التي يحتاج إليها في حياته لجلب ما ينفع ودفع ما يضره، وهدايته وإلهامه ما خلق صالحا لذلك إلى استعمال تلك الأعضاء وطرق الجلب والدفع بها وأما الخاص فهو تكريمه وإنعامه على عباده المؤمنين بنعمة الإسلام في الدنيا وبدار السلام في الآخرة والتكريم المذكور في هذه الآية من القسم الأول العام[5]، والخصائص من التكريم العام للإنسان وهذا واضح بين دل عليه سياق الآيات التي تضمنت وجود هذه الخصائص فقد جاءت في سياق

---

1 - ينظر الشيباني، فلسفة التربية الإسلامية، ص 79 .

2 - العقاد، الإنسان في القرآن، ص 12 .

3 - ابن باديس، في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ص127 - 128 .

4 - النجار، فقه التحضر الإسلامي، ص 129، بتصرف.

5 - ابن باديس، في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ص 129، بتصرف .

الامتنان بالنعم، كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾(هود: 61)، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ﴾(الأعراف: 10)، و"هذا التكريم هـو عام للنوع الإنساني من حيث هو إنسان لا فرق بين من آمن ومن كفـر، لأنـه راجـع للخلقـة الإنسانية التي يتساوى فيها الجميع، والتمكين من أسباب المنافع الذي هو ثابت لجميع النوع بمـا عنده من عقل وتفكير، وهذا هو مقتضى العموم المستفاد من لفظ (بني آدم) ومثل هذا التكـريم في العموم الحمل في البر والبحر والرزق لأنهما من جملة التكريم "[1] .

إن ارتباط عقيدة تكريم الإنسان بالخصائص وكونها ضربا من ضروب التكريم هو "نقطة البدء في خلق الإحساس بالثقة والشعور بالانتماء، ليجد فيها الإنسان نفسه ويحس بذاتيته، وينتشل نفسه من الإحساس بالغربة الذي يعوق كل تفكير في النهضة ويقضي على كل أمل في البناء" [2].

إن هذا التكريم له علاقة وثيقة بما تهدف إليه التربيـة الإسـلامية فـي إخراجهـا للإنسـان الصالح،وذلك لأن صورة الإنسان الصالح الذي تهدف التربية الإسلامية إلى إخراجه، هو ذلـك الإنسان الذي يفي بشرط الخلافة في الأرض و"شرط الاستخلاف هو العمل بمقتضى هذا التكريم الإلهي،فلا يهبط الإنسان عن مستوى الإنسانية، ولا يتنازل عن الأفضلية التي فضله بها خالقـه على كثير ممن خلق، فينشط في عمارة الأرض بما يوحيه حمله (في البر والبحر) ورزقه (مـن الطيبات) فيستغل هذه الطاقات الممنوحة له في كل اتجاه، ولكن على مستوى التكريم في حـدود التقوى والاستمداد من منهج الله"[3]

ما يناقض كرامة هذه الخصائص:-

1- كبت هذه الخصائص والمواهب والقدرات وإعاقتها عن عملها في التعمير، ومن ذلـك عـدم الاعتماد عليها ومراعاتها في توجيه الطلبة إلى تخصصاتهم مما يسهم في عدم توجيههـا لمـا

---

[1] - ابن باديس، في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ص 129 .
[2] - الجليند، خلل في مسيرة الأمة، ص53 .
[3] - قطب، منهج التربية الإسلامية، (1 / 15)

خلقت له وتعطيلها عن عملها واختلال نظامها، وكذلك عدم إعطائها حقها من العناية والرعاية من قبل المربين وأصحاب القرار الذين يحددون ما تحتاجه العملية التعليمية من تشريعات ولوائح عامة وخاصة .

2- ازدراؤها وتحقير بعضها كازدراء خصيصة النشأة من الأرض والانتماء إليها وذلك باعتبار الطين عنصرا مستحقرا وهذا ناتج عن خلل في فهم البعد التعميري لهذا العنصر في كونه ربط الإنسان بالأرض وجعله أقدر للتعامل معها وولد فيه شعور الانتماء إليها، وكذلك ازدراء خصيصة حب التملك ومن ذلك احتقار المال وما ترتب عليه من التحذير من الغنى والترغيب في الفقر وهذا راجع إلى عدم فهم المقصد التعميري منه في كونه ذا شيء يتقوم به الناس وفي كون حب التملك دافعا إلى خوض غمار التعمير، وكذلك ازدراء خصيصة حب الخلود بذم الحياة الدنيا ونسيان أن الحياة في حد ذاتها نعمة من نعم الله على الإنسان، وكذلك ازدراء الآخرين بسبب ما ترتب عن خصيصة الاختلاف من درجات ونسوا أن مراد هذا الاختلاف والتنوع هو التكامل ولا التكبر والتفاخر، وغير ذلك من صور احتقار الخصائص وهي صور شائعة ومنتشرة ومن الممكن أن نجدها في ما جاء من مسائل في بعض كتب التراث التي تذم بعض هذه الخصائص وما تعلقت به .

البعد التربوي لعقيدة التكريم:

1- إن كون الخصائص من صور التكريم الإلهي للإنسان ونعمة من نعمه، يقتضي أن يحافظ الإنسان على هذا التكريم وأن يعرف قدر نفسه وما خلق له، لذلك ينبغي له شكر الله على هذه الخصائص والارتقاء بها وذلك باستعمالها فيما يرضي الله تعالى والالتزام بشرعه فيها، فقد "امتن الله على بني آدم بهذا التكريم لهم في شرف الخلقة ورفعتها وكثرة المنافع وتيسير

أسبابها تذكيرا لهم بنعمته ليشكروها فيزيدهم منها، وتعريفا لهم بشرف أنفسهم ليقدروها وينتفعوا بها، فهذان الأمران هما الحكمة المقصودة بهذا الامتنان" (1)

2- إن "عقيدة تكريم الإنسان هي نقطة البدء في خلق الإحساس بالثقة والشعور بالانتماء، ليجد فيها الإنسان نفسه ويحس بذاتيته، وينتشل نفسه من الإحساس بالغربة الذي يعوق كل تفكير في النهضة ويقضي على كل أمل في البناء"(2).

إن "من بخس الإنسان لقدر نفسه أن يجهل نفسه أن يجهل طاقاته أو يهدر بعضها لحساب بعض، فهو يستطيع دائما أن يكون نفسه كلها وأن يعمل بطاقاته جميعا في واقع الحياة،يستطيع أن يكون الإنسان العابد لله، المستمد من هداه، ويكون الإنسان المفكر المتعرف على أسرار الكون وقوانينه، ويكون الإنسان العامل بجهده الحيوي لترقية الحياة وتنميتها، ولن يعطله جانب من هذه الجوانب حين يسير على المنهج السوي أن يشبع كل الجوانب الأخرى، أو يستفيد منها إلى غايتها، فهكذا قد خلقه الله قادرا على هذا النشاط المتعدد محققا لكيانه في الاتجاهات كلها، وبهذه الطاقات المتعددة ذاتها منحه الخلافة في هذه الحياة"(3).

3- إن من يؤمن بأنه الكائن المكرم الذي أحاطت به العناية الخاصة ومن يتمثل هذا التكريم في نفسه ويستشعره في خصائصه، ويعرف أن ذلك كان على وجه من القصد والحكمة، ثم يقارن نفسه بما خص به من خصائص مقابل غيره من المخلوقات فإنه لا يملك إلا أن يحمد المنعم بتكريمه ويتوجه إليه بالشكر لما أنعم عليه، ويتخذ الأسباب للاقتراب منه وتحصيل مرضاته ومن ذلك تفعيله لهذه الخصائص فيما يرضي ربه، مما يجعل منه ذا فعالية دائمة تستمد زخمها من هدف بعيد هو مرضاة الله، وذلك لأنه سيربط هذه الخصائص برسالته التي خلق من أجلها فيحررها من كل هيمنة تتنافى مع كرامتها، مما يجعله يقبل على الخلافة في الأرض فيباشرها بالفعل إنشاء وتعميرا واستثمارا(4).

---

1 - ابن باديس، في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ص 131 .
2 - الجليند، خلل في مسيرة الأمة، ص53 .
3 - قطب، منهج التربية الإسلامية، (1 / 27)
4- النجار، عقيدة تكريم الإنسان وأثرها التربوي، ص133 بتصرف.

4- إن استحضار كون أن الإنسان مخلوق مكرم وكون الخصائص ضربا من ضروب هذا التكريم، يقضي إلى استشعار رفعة الإنسان وعزته وقوته، فيتحرر من أي سيطرة لمن هو دونه من الموجودات، مما يسهم في الدفع به في التعمير واستثمار العناصر الكونية وحسن الإفادة منها لمصلحته لأنه يرى في نفسه سيدا عليها وأنها خاضعة له مسخرة لمنفعته[1]، كما أن الشعور بالعزة والقوة يعطي المؤمن أملا يشيع في نفسه الأمن والطمأنينة مما يدفعه إلى التعمير في الأرض سعيا إلى النعيم في حياة الخلود، لأنه يعتقد بهذا التكريم أن هذه الخصائص ليست عبثية ولم تأت صدفة بل مقصودة لقيام العمارة وتحمله الأمانة وتفوقه على غيره من المخلوقات، فيسعى إلى شكرها ومعرفة قيمتها وفضل الله عليه فيها[2]، والمحافظة على مضمون الكرامة فيها، وذلك "لأن الله قد ابتدأه بهذه الكرامة في الخلقة بدون سعي منه ولا عمل وهو المبتدئ بالنعم قبل استحقاقها، فمن كبر هذه الكرامة وشكرها كان من المكرمين ومن لم يعرف قيمتها وكفرها كان من المهانين، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾(الحج: 18)، فلنقابل هذا التكريم في الخلقة بالشكر الجزيل بأن نعقد قلوبنا على تعظيم النعمة به ونطلق ألسنتنا بالاعتراف والثناء على مسديه ونستعمل هذه الخلقة الكريمة في مراضي ربنا وطاعته متوسلين بشكر ما ابتدأنا به خالقنا من تكريم الخلقة إلى ما وعد به الشاكرين من تريم الجزاء والمثوبة بأنواع ألطافه وأنعامه وجزيل فضله وإكرامه، فسبحان الله ذو الجلال والإكرام"[3] .

إن "من الكفران لنعمة الله وهو بخس من الإنسان لنفسه في ذات الوقت، أن يهمل شيئا منها فلا يستغلها إلى آخر أمد، ومن الكفر بأنعم الله ألا يستخدم الإنسان طاقته الحيوية في عمارة الأرض، بالتنقيب عن كنوزها والتعرف عن رزق الله الواسع فيها، واستغلال ذلك كله لترقية

---

[1] - ينظر حامد قتيبي، الكون والإنسان 102 .

[2] - ينظر النجار، عقيدة تكريم الإنسان وأثرها التربوي، ص 134، سعيد إسماعيل علي، القرآن الكريم رؤية تربوية، ص 212 .

[3] - ابن باديس، في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ص 131 .

الحياة وتنميتها، والوصول بها كل يوم إلى مستوى جديد، ومن الكفر بأنعم الله ألا يستخدم الإنسان طاقته الروحية في التعرف على الله، والاتصال به، والاستمداد من قوته، والاهتداء بهديه، والعمل بمقتضى ذلك كله على ترقية الحياة النفسية وتنميتها، والتعود على الخير والتعود على الحب، والتعود على الشعور بترابط الإنسانية، ومحاولة إيصال الخير المادي الذي يصل إليه الإنسان بطاقته المادية، إلى جميع البشر الخلفاء لله في مجموعهم، الشركاء في كل ثمار الحياة"[1].

4- إن عقيدة التكريم الإلهي للإنسان كان لها الأثر الكبير في نهضة الأمة الإسلامية ورقيها،وذلك عندما تشربتها قلوب المؤمنين فتلاشت بينهم الفروق الطبقية، وانمحت عادات الجاهلية التي كانت تسود العلاقات الاجتماعية بين الناس، وأصبح ميزان التفاضل بين الناس مختلفا عما كان عليه قبل الإسلام فليس المال ولا السلطة والجاه ولا النسب، إنما هو التقوى والعمل الصالح، كما أن هذه العقيدة لها أثرها الكبير في استقرار نفس المؤمن واطمئنان قلبه مما حرك همته للتعمير في الأرض والإنتاج والتنمية وهذا أيضا من الأسباب التي جعلت المسلمين يبنون الحضارة ويؤسسوا نهضة عمروا بها أركان المعمورة[2]، يقول تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾(الحجرات: 13).

وهو أمر دأبت العقيدة في تربيتها للإنسان المسلم على ترسيخه، لذلك ينبغي أن يكون موضوع الكرامة الإنسانية من الموضوعات التي تتناولها مناهج العقيدة في المدارس والجامعات، بل ينبغي النظر إلى هذا التكريم على أنه حقيقة تكاملت مع حقيقة التوحيد مع تمايز كل من الحقيقتين عن الآخر إلا أنه لا يمكن فصل إحداهما عن الأخرى لا في الاعتقاد القلبي والتصديق العقلي، ولا في السلوك العلمي والعلاقات الاجتماعية [3].

---

[1] – قطب، منهج التربية الإسلامية، (1 / 26)

[2] – الجليند، خلل في مسيرة الأمة، ص42، 43 بتصرف.

[3] – الجليند، خلل في مسيرة الأمة، ص42 بتصرف .

عقيدة التكريم والمنهج الدراسي:-

إن ما اشتملت عليه الخصائص من معان لتكريم الإنسان ينبغي "أن تكون جزءا أساسيا من المنهج التربوي الذي يلتف حوله الطلبة في المؤسسات التعليمية والتربوية في إطاره النظري وذلك بترسيخها في نفوس الشباب كأمر إلهي ومطلب شرعي وعقيدة دينية وأن كرامة الإنسان مستمدة من إيمانه بتكريم خالقه ومعبوده، وعزته مستمدة من إيمانه بعزة خالقه، وأن التكريم له صوره فهو مكرم في أصل خلقته، وهو مؤهل بما أمده الله به من إمكانات ليكون خليفة في كونه وسخر له ما سخر ليعمر بها حياته ويتنعم بما فيها" [1].

أما الإطار التطبيقي فيكون بتجسيد معاني هذه العقيدة في المواقف الصفية وفي العلاقات داخل المدرسة بين المعلم والمتعلم وبين الإدارة والطلبة، ليتعلموا من خلالها كيف تقوم العلاقات بين الناس، وكيف ترسم علاقات الرؤساء والمرؤسين، والحكام والمحكومين، ولهذا كله غاية تربوية وهو أن تتربى في نفوسهم صفات العزة في غير غرور، وأن تخلق فيهما الثقة بالنفس،والاطمئنان للمستقبل، ويربي فيها الانتماء إلى الأمة والوطن والاهتمام بالشئون العامة ويظهر فيهم الهمة والإرادة الجماعية والإبداع مما يسهم في انطلاقهم في التعمير والتنمية [2].

أما من ناحية التشريعات واللوائح ينبغي أن يكون هذا البعد حاضرا، وينبغي أن تشرع القوانين التي تضبط العملية التعليمية وفق ما يحقق هذا التكريم ويحافظ عليه، ولعل من أكثر المسائل ذات الخصوص هي مسألة العقاب سواء أكان ماديا أو معنويا، لذلك ينبغي أن يكون تحديد العقاب في مفهومه ومقاصده وصوره ووسائله وطرقه ومقداره، قائما على هذا التكريم تحقيقا له ومحافظة عليه، فكما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ﴾ (الحج: 18)، ومن الممكن أن نستنبط هذه التشريعات المتعلقة بالعقاب وتطبيقاته من خلال ما جاء من أحكام كتحريم ضرب الوجه وتحريم الشتم واللمز والتنابز بالألقاب، وما جاء في التعزير والتأديب .

---

[1] - الجليند، خلل في مسيرة الأمة، ص49 - 50 .

[2] - الجليند، خلل في مسيرة الأمة، ص52 بتصرف .

المبحث الثالث: تصنيف خصائص الإنسان في عمارة الكون وبيانها:-

المطلب الأول: التأصيل لتصنيف خصائص الإنسان في عمارة الكون:-

لقد جاء ذكرت هذه الخصائص تصريحا وضمنا في سورة الروم، في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾(الـروم :20 – 24)، والمتدبر في هذه الآيات يلاحظ أن هناك وحدة موضوعية تربطها في كونها آيات في الأنفس والآفاق، جاءت دلائل على وحدانية الله وعظمة قدرته، وعلى البعث الذي يعني أن هذه الحياة ليست عبثا، مما يربط الإنسان بالحكمة التي خلق من أجلها وهي عبادة الله بإقامة العمارة وذلك بموجب الاستخلاف في الأرض.

ومن الممكن الاستدلال على هذا البعد التعميري لهذه الآيات، وتصنيف ما جاء بها خصائص للتعمير مما يأتي:

1- الوحدة الموضوعية للسورة:-

المتدبر في هذه السورة يجد أن هناك روحا سارية في موضوعاتها، تتمثل في أنها اهتمت بشكل أو بآخر بموضوع العمارة والحضارة، وهذا من الممكن الاستدلال عليه من خلال .

أ- اسم السورة:

اسم السورة يعبر عما جاء فيها، ويضم موضوعاتها تحت عنوان رئيس يجسد روحها السارية، والمتأمل في اسم السورة، يجد أنه اسم لقوم يتميزون بأنهم أصحاب حضارة وعمارة،سادت العالم، فصارت مضرب مثل، ومما يؤكد هذا الربط بين الاسم وما جسده من

روح سارية ذكر العمارة في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾(الروم: 9).

ب- أغراض السورة:-

إن المتأمل في كلام المفسرين عن أعراض سورة الروم، يجد أن هذه الروح سارية بين موضوعاتها المتنوعة، ليضمها تحت ذلك البعد التعميري، وسينقل الباحث نصين من هذا التفاسير يظهر فيهما هذا البعد جليا:

- يقول سيد قطب رابطا بين سبب نزول السورة وبين ما فيها من أبعاد حضارية، فيما ترشد إليه السورة من أسس الحضارة والنصر والتمكين، لتطلق آفاق الفكر من ضيق حدود الزمان والمكان والحدث إلى سعة الكون: "نزلت الآيات الأولى من هذه السورة تبشر بغلبة أهل الكتاب من الروم في بضع سنين غلبة يفرح لها المؤمنون، الذين يودون انتصار ملة الإيمان من كل دين، ولكن القرآن لم يقف بالمسلمين وخصومهم عند هذا الوعد، ولا في حدود ذلك الحادث، إنما كانت هذه مناسبة لينطلق بهم إلى آفاق أبعد وآماد أوسع من ذلك الحادث الموقوت، وليصلهم بالكون كله، وليربط بين سنة الله في نصر العقيدة السماوية والحق الكبير الذي قامت عليه السماوات والأرض وما بينهما، وليصل بين ماضي البشرية وحاضرها ومستقبلها، ثم يستطرد بها إلى الحياة الأخرى بعد هذه الحياة الدنيا، وإلى العالم الآخر بعد عالم الأرض المحدود، ثم يطوف بهم في مشاهد الكون، وفي أغوار النفس، وفي أحوال البشر، وفي عجائب الفطر، فإذا هم في ذلك المحيط الهائل الضخم الرحيب يطلعون على آفاق من المعرفة ترفع حياتهم وتطلقها،وتوسع آمادها وأهدافها، وتخرجهم من تلك العزلة الضيقة، عزلة المكان والزمان والحادث، إلى فسحة الكون كله: ماضيه وحاضره ومستقبله، وإلى نواميس الكون وسننه وروابطه، ومن ثم يرتفع تصورهم لحقيقة الارتباطات وحقيقة العلاقات في هذا الكون

الكبير،ويشعرون بضخامة النواميس التي تحكم هذا الكون، وتحكم فطرة البشر؛ ودقة السنن التي تصرف حياة الناس وأحداث الحياة، وتحدد مواضع النصر ومواضع الهزيمة؛ وعدالة الموازين التي تقدر بها أعمال الخلق، ويقوّم بها نشاطهم في هذه الأرض، ويلقون على أساسها الجزاء في الدنيا والآخرة، وفي ظل ذلك التصور المرتفع الواسع الشامل تتكشف عالمية هذه الدعوة وارتباطها بأوضاع العالم كله من حولها حتى وهي ناشئة في مكة محصورة بين شعابها وجبالها ويتسع مجالها فلا تعود مرتبطة بهذه الأرض وحدها إنما هي مرتبطة كذلك بفطرة هذا الكون ونواميسه الكبرى، وفطرة النفس البشرية وأطوارها، وماضي هذه البشرية ومستقبلها، لا على هذه الأرض وحدها، ولكن كذلك في العالم الآخر الوثيق الصلة بها والارتباط، وكذلك يرتبط قلب المسلم بتلك الآفاق والآماد؛ ويتكيف على ضوئها شعوره وتصوره للحياة والقيم؛ ويتطلع إلى السماء والآخرة؛ ويتلفت حواليه على العجائب والأسرار، وخلفه وقدامه على الحوادث والمصائر ويدرك موقفه هو وموقف أمته في ذلك الخضم الهائل؛ ويعرف قيمته هو وقيمة عقيدته في حساب الناس وحساب الله، فيؤدي حينئذ دوره على بصيرة، وينهض بتكاليفه في ثقة وطمأنينة واهتمام، ويمضي سياق السورة في عرض تلك الارتباطات، وتحقيق دلالاتها في نظام الكون،وتثبيت مدلولاتها في القلوب"[1].

- يقول ابن عاشور مبينا أغراض السورة: " أول أغراض هذه السورة سبب نزولها على ما سر المشركين من تغلب الفرس على الروم، فقمع الله تعالى تطاول المشركين به وتحداهم بأن العاقبة للروم في الغلبة على الفرس بعد سنين قليلة ثم تطرق من ذلك إلى تجهيل المشركين بأنهم لا تغوص أفهامهم في الاعتبار بالأحداث ولا في أسباب نهوض وانحدار الأمم من الجانب الرباني، ومن ذلك إهمالهم النظر في الحياة الثانية ولم يتعظوا بهلاك الأمم السالفة المماثلة لهم في الإشراك بالله، وانتقل من ذلك إلى ذكر البعث، واستدل لذلك ولوحدانيته تعالى بدلائل من

1- سيد قطب، ظلال القرآن، (5/ 2755)،

آيات الله في تكوين نظام العالم ونظام حياة الإنسان، ثم حض النبي ﷺ والمسلمين على التمسك بهذا الدين وأثنى عليه، ونظر بين الفضائل التي يدعو إليها الإسلام وبين حال المشركين ورذائلهم، وضرب أمثالا لإحياء مختلف الأموات بعد زوال الحياة عنها ولإحياء الأمم بعد يأس الناس منها، وأمثالا لحدوث القوة بعد الضعف وبعكس ذلك، وختم ذلك بالعود إلى إثبات البعث ثم بتثبيت النبي ﷺ ووعده بالنصر، ومن أعظم ما اشتملت عليه التصريح بأن الإسلام دين فطر الله الناس عليه وأن من ابتغى غيره دينا فقد حاول تبديل ما خلق الله وأنى له ذلك"[1]، والمتأمل في كلامه يجد أن الروح السارية بين الأغراض هي الأسس التي يقوم عليه نظام الكون ونظام حياة الإنسان، وأسباب انهيار هذه النظام .

2- الوحدة الموضوعية للآيات:-

إن هذه الآيات التي ذكرها الله سبحانه وتعالى دلائل على البعث والوحدانية تربطها وحدة موضوعية واحدة في كونها "آيات الله في تكوين نظام العالم ونظام حياة الإنسان"[2]، وهذا ما يبين لنا بعدها التعميري في كونها خصائص اختص الله بها الإنسان في عمارة الكون، يقول سيد قطب مبينا ما بين الآيات من تناسب وترابط: " إنها جولة ضخمة هائلة، لطيفة عميقة، بعيدة الآماد والأغوار، جولة تطوّف بالقلب البشري في الأمسيات والأصباح، والسماوات والأرض،والعشي والأظهار، وتفتح هذا القلب لتدبر الحياة والموت والعمليات الدائبة في النشوء والدثور، وترتد به إلى نشأة الإنسان الأولى، وإلى ما ركب في فطرته من ميول ونوازع، وقوى وطاقات، وما يقوم بين زوجيه من علائق وروابط، وفق تلك الميول والنوازع وهذه القوى والطاقات، وتوجهه إلى آيات الله في خلق السماوات والأرض واختلاف الألسنة والألوان وفقا لاختلاف البيئة والمكان، وإلى تدبر ما يعتري الكائن البشري من نوم ويقظة وراحة وكد، وإلى

---

[1]- ابن عاشور، التحرير والتنوير، (21 / 41)
[2]- ابن عاشور، التحرير والتنوير، (21 / 41)

ما يعتري الكون من ظواهر البرق والمطر، وما تثيره في نفوس البشر من خوف وطمع، وفي بنية الأرض من حياة وازدهار، وتمضي هذه الجولة العجيبة في النهاية بالقلب البشري إلى قيام السماوات والأرض في هذا كله بأمر الله وإلى توجه من في السماوات والأرض كلهم لله،وتنتهي بالحقيقة التي تنجلي حينئذ واضحة هينة يسيرة إن الله هو يبدئ ويعيد، والإعادة أهون عليه،وله المثل الأعلى في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم "[1].

3- سياق الآيات وربطها بالعمارة:-

إن السياق العام لهذه الآيات من الممكن إدراكه من خلال تتبع ما ذكر من نصوص سابقة تبين أغراض السورة، إلا أن هناك سياقا آخر لهذه الآيات وهو سياق خاص يربط بين ما جاء في هذه الآيات من آيات نفسية وبين العمارة، مما يبين البعد التعميري لهذه الآيات في كونها خصائص للتعمير، وهذا ما يمكن بيانه مما يأتي:-

- قرن الله سبحانه التفكر في الأنفس للدلالة على نفي العبثية، بالأمر في النظر بآثار الأمم السابقة التي حادت عن المنهج القويم للعمارة، في قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾(الروم: 7 - 11)، ففي هذه الآيات أمر بالتفكر في آيات الله في الأنفس والآفاق، ليحصل للإنسان علم حقيقي يستطيع به عمارة الكون العمارة الكاملة، فيتم بذلك ما أراده الله من الحق .

1- سيد قطب، ظلال القرآن، (5/ 2763)،

- ومما يربط ما ورد في هذه الآيات بالعمارة، ما جاء في سياقها القريب، من ذكر ما يتضمن معنى العمارة، وذلك في قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾(الروم: 19).

المطلب الثاني: تصنيف خصائص الإنسان في عمارة الكون وبيانها :-

حصر الباحث خصائص الإنسان في عمارة الكون في ست خصائص، وقد صنفها وفقا لما استنبطه مما ورد في هذه الآيات تصريحا أو ضمنا، وما ورد في غيرها من آيات القرآن الكريم، والأصل الذي اعتمده الباحث في تحديد الخصائص وتصنيفها هو كل مزية للإنسان تؤهله للقيام بمسئولية العمارة، وتدفعه إليها، وهذه الخصائص وفق ما رآه الباحث هي: خاصية الانتماء إلى الأرض، خاصية النزعة الاجتماعية، خاصية الاختلاف والتنوع، خاصية التعقل، خاصية حب التملك، خاصية حب الخلود .

وفي هذا المقام لا يدعي الباحث أن خصائص الإنسان في عمارة الكون محصورة في هذا العدد، وإنما الأمر قابل للبحث والمراجعة.

1- خاصية الانتماء إلى الأرض:-

التعريف بالخاصية:-

خاصية الانتماء إلى الأرض راجعة إلى إنشاء الإنسان من الأرض؛ و"الإنشاء هو الاحداث و الإيجاد، والإنشاء من الأرض خلق آدم لأن إنشاءه إنشاء لنسله"[1]، وحقيقة الإنشاء من الأرض هو إخراج للحي من الميت، وهو ضرب منه "فالتراب موات لا حياة فيه وطبعه منافٍ لطبع الحياة لأن التراب بارد يابس وذلك طبع الموت، والحياةُ تقتضي حرارة ورطوبة فمن ذلك البارد اليابس ينشأ المخلوق الحي المدرك . وقد أشير إلى الحياة والإدراك بقوله تعالى: (إذا أنتم بشر)،وإلى التصرف والحركة بقوله: (تنتشرون)"[2] فالإنشاء ليس مجرد تكوين بل هو خلق متكامل.

---

1 - ابن عاشور (12 / 107 - 108)

2 ابن عاشور (21 / 70 - 72)

التأصيل للخاصية:-

ورد ذكر هذه الخاصية في العديد من الآيات، منها قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾ (الروم: 20)، والله سبحانه وتعالى خلق الإنسان من الأرض ليكون صالحا للارتباط بها بالاستخلاف والتعمير، وهذا ما يدل عليه مجيئها مقترنا بالاستعمار في قول المولى عز وجل: ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴾(هود: 61)، و هذا الارتباط بين الإنسان والأرض شديد ومتمكن، يقول تعالى: ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ (طه:55).

اختصاص الإنسان وتميزه بها:-

خاصية الانتماء إلى الأرض من الخصائص التي امتاز بها الإنسان عن الملائكة والجان وهذا ما دل عليه قوله ﷺ: (خُلِقَتِ الْمَلاَئِكَةُ مِنْ نُورٍ وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ)[1]، كما أن الإنسان تميز عن غيره من المخلوقات التي خلقت من الأرض بكيفية هذه النشأة مما يبين لنا بعدها التربوي في وجود هذا الشعور بالانتماء، فهذا الإنشاء معبر عنه بالإنبات، يقول تعالى:﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾(نوح:18،17) .

النشأة وقطبية الوجود الذاتي* :-

إن النشأة من الأرض ميزت الإنسان بنوع من القطبية الوجودية في الكون، وهذا القطبية راجعة إلى ما تتمتع به الأرض من مكانة محورية في الكون، وليس المقصود بهذه المكانة المحورية موقعها المكاني، وإنما هي محورية أخرى تمثلت في ضرورة قيام عمرانها وتوقف

1 - مسلم، صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب في أحاديث متفرقة، (2294/4)، رقم 2996 .

* - قطبية الوجود الذاتي، مصطلح اقتبسه الباحث من النجار في كتابه فقه التحضر الإسلامي.

تمام انتظام الكون عليه، الأمر الذي جعل الملائكة تتعجب من استخلاف آدم في الأرض، وتتخوف من عدم حصول هذا العمران، في قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: 30)، فتكرير ضمير (الأرض) "للاهتمام بها والتذكير بشأن عمرانها وحفظ نظامها ليكون ذلك أدخل في التعجب من استخلاف آدم" [1].

ومما يدل أيضا على هذه المحورية للمكانة الوجودية للأرض أنها سبقت خلق السماوات، يقول تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: 29)، وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾(فصلت: 9-11).

إن هذه المحورية التي اكتسبها الإنسان دون غيره من المخلوقات الأرضية دل عليها تميز النشأة الإنسان باعتبار خلاصة من الأرض، وهذا ما دل عليه لفظ السلالة في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾(المؤمنون: 12)، وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ﴾(السجدة: 8)، و"السلالة هي الخلاصة وأصلها ما يسل ويخلص بالتصفية "[2]، وهو ما نستطيع أن نسميه بمبدأ الانتخاب، وهو سنة كونية أرادها الله لضمان نظام الكون، ولتتحقق هذه الإرادة الكونية نجد أن الإرادة الشرعية جاءت بما يضمن تحققها، وذلك ببيان كل ما أحله الله سبحانه وتعالى وحرمه من أكل وشرب وفق قاعدة عامة وهي قاعدة الحلال والحرام، يقول تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا

---

1 - الألوسي، روح المعاني (29 / 75)
2 - الألوسي، روح المعاني (15 / 495)

النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ (البقرة: 168)، "وفي هذا الوصف معنى عظيم من الإيماء إلى قاعدة الحلال والحرام فلذلك قال علماؤنا: إن حكم الأشـياء التي لم ينص الشرع فيها بشيء أن أصل المضار منها التحريم وأصـل المنـافع الحـل، وهـذا بالنظر إلى ذات الشيء بقطع النظر عن عوارضه كتعلق حق الغير بـه الموجـب تحريمـه، إذ التحريم حينئذٍ حكم للعارض لا للمعروض "[1]، يقول تعالى: ﴿ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾(المائدة: الآية 88)، ويقول تعالى: ﴿ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾(الأنفال: الآية 69)، ويقول تعالى: ﴿ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾(النحل:114)، ليكون هذا الإنسان كما أراده الله نخبـة هـذا الكـون، بـل إن التوجيهات القرآنية ذهبت إلى أكثر من ذلك عندما وجهت الهمم إلى أن ينتقي الإنسان مـا هـو خير، وهذا ما نلاحظه في قوله تعالى: ﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾(البقرة: 60، 61)،ومن هنا ندرك أصلا تربويا مهما من أصول التربية الصحية، ومن أصول علم التغذية، وهذا الأصـل من الممكن بيانه وتتبع تطبيقاته من خلال ما جاءت به الشريعة من بيان لقاعدة الحلال والحـرم في الأكل والشرب، وفي أثر الغذاء على الطبع يقول ابن القيم: "كل من ألف ضربا من ضـروب هذه الحيوانات اكتسب من طبعه وخلقه، فإن تغذى بلحمه كان الشبه أقوى، فـإن الغـاذي شـبيه بالمتغذى"[2].

---

1 – ابن عاشور، التحرير والتنوير (1 / 102)

2 – ابن القيم، جامع الآداب، (1 / 408).

مراعاة الإسلام لخاصية الانتماء:-

إن استيطان أرض بعينها والاستقرار عليها له أثر كبير في اطمئنان الإنسان، وهذا البعد راعته الشريعة فيما يتعلق بالسفر من أحكام، من قصر للصلاة ومن إفطار، يقول سبحانه وتعالى: ﴿فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾(النساء: 103)، فهذه الآية هي تفريع عن قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا﴾(النساء: 101)، " والاطمئنان مراد به القفول من الغزو، لأن في الرجوع إلى الأوطان سكونا من قلاقل السفر واضطراب البدن، فإطلاق الاطمئنان عليه يشبه أن يكون حقيقة، وليس المراد الاطمئنان الذي هو عدم الخوف لعدم مناسبته هنا"[1].

كما اعتمدت الشريعة على هذه الخاصية في بعض أساليبها التربوية حتى يتم إصلاح الخلل الذي قد يطرأ على شخصية الإنسان، ومن ذلك حكم النفي للمحارب، يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(المائدة: 33)، وكحكم التغريب للزاني على قول من قال بذلك، وكذلك راعته فيما يخص أحكام ابن السبيل والتصدق عليه، كما نجد مسائل كثيرة في أبواب الفقه تتعلق بمراعاة الشرع لهذه الخاصية، ولذلك على التربية أن تحرر كل المفهومات المتعلقة بهذه الخاصية ومنها البلد والبلدة، والقرية والأرض بمعنى الوطن .

تطبيق تربوي:-

إنه بعد التأصيل لما لأصل النشأة من دور في إمداد الإنسان بالطاقة الإيجابية وتخليصه من الطاقة السلبية يتحتم على التربية الإسلامية البحث في خصائص عناصر التراب وأثرها في علاج الكثير من الأمراض النفسية والجسدية، فالانتشار الذي هو خاصية من خصائص التراب كجسم، وصف به البشر، وهو مفهوم له معنى شامل لكل ما هو حسي ومعنوي، فحقيقة انتشار

---

[1] - ابن عاشور، التحرير والتنوير، (5 / 189)

التراب هو إثارة نتجت عن فعل وانفعال، وكذلك البشـر ينتشـرون بأجسـادهم ويمكـن إثـارة مشاعرهم فتنتشر وتهيج .وإنه لمن الجدير أن نبحث في سر التقابل بين كلمتي البشـر والنشـر وبخاصة أن القرآن قد عبر بالاثنتين في مجال واحد ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴾(الفرقان: 48)، وفي رواية قالون (نشرا).

فعلى صعيد الانتشار الحسي والتكاثر على التربية الإسلامية أن تمد علـم الأجنـة والوراثـة والإخصاب بفرضية مفادها أن في التراب عناصر من الممكن أن نستفيد منها في صنع مكونات تعالج العقم أو الضعف الجنسي.

وعلى صعيد الانتشار المعنوي و التفاعلات النفسية على التربية الإسلامية أن تمد علم الـنفس بفرضية مفادها أن في التراب عناصر من الممكن أن نستفيد منها في تشخيص بعض الحـالات النفسية والعصبية وعلاجها .

إن الماء عنصر يشترط فيها ليكون سببا في الطهارة أن يكون طهورا، والطهور هو الطـاهر في نفسه المطهر لغيره، وهذا يعني أن يكون على طبيعته الأولى فلا يختلط به نجـس فيجعلـه متنجسا، ولا طاهر فيجعله غير مطهر لغيره، كذلك التراب وكل صعيد يشترط فيـه أن يكـون طاهرا .

الأساس الذي تقوم عليه الدلالة التربوية للخاصية:-

إن الإنشاء مصطلح تربوي ومما يدل على ذلك التعبير القرآني عن الإنشاء بالإنبات في قولـه تعالى: ﴿ والله أنبتكم من الأرض نباتا ﴾(نوح: الآية 17)، فقد "أُطلق علـى معنـى: أنشـأكم، فعـلُ (أنبتكم) للمشابهة بين إنشاء الإنسان وإنبات النبات من حيث إن كليهما تكوين"[1] وهذه الاسـتعارة

---

[1] - ابن عاشور (29 / 304 – 305)

لها دلالتها التربوية، فقد "استعير الإنبات للإنشاء لكونه أدل على الحدوث والتكون من الأرض لكونه محسوسا "[1]، وبالرجوع إلى القرآن الكريم نجد أنه استعمل لفظ (أنبت) في المجال التربوي في قوله تعالى عن مريم عليها السلام: ﴿ وأنبتها نباتاً حسناً ﴾(آل عمران: 37)، أي "أنشأها إنشاء صالحاً، وذلك في الخلق ونزاهة الباطن"[2]، مما يؤكد ذلك البعد التربوي لمفهوم الإنشاء.

التأصيل لأصول التربية النفسية:-

إنه لمن الجدير بالتربية الإسلامية أن تتخطى حدود النشأة التي يتكلم فيها علماء النفس والتربية الغربيين إلى حد أبعد من ذلك، وهو المبدأ البعيد الذي أخبر الله به ألا وهو التراب، فهذا التراب كانت منه البشرية والانتشار وهما القوة المدركة والقوة المتحركة في الإنسان، وهذا ما يدل على أن النشأة من التراب هي نشأة عمت الجسد والنفس والعقل على السواء، كما إن الإنسان ليس مجرد جسد بل ارتبطت الحاجة إلى الأكل بأمور نفسية أكثر من ارتباطها بأمور جسدية، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴾(الأنبياء:8)، والجسد: "الجسم الذي لا حياة فيه، وهو يرادف الجثة، والمعنى: أي ما جعلناهم أجراماً غير منبثة فيها الأرواح بحيث تنتفي عنهم صفات البشر التي خاصتها أكل الطعام "[3]، كما أن هناك ما يدل على الإنسان اكتسب طبائع وخصالا معنوية كم اكتسب خصالا مادية من التراب ومنها قوله ﷺ (إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةٍ قَبَضَهَا مِنْ جَمِيعِ الأَرْضِ فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَى قَدْرِ الأَرْضِ جَاءَ مِنْهُمُ الأَحْمَرُ وَالأَبْيَضُ وَالأَسْوَدُ وَبَيْنَ ذَلِكَ وَالسَّهْلُ وَالْحَزْنُ وَالْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ) [4]، ولقد تنبه علماؤنا الأوائل

[1] - الألوسي، روح المعاني (29 / 75)

[2] - ابن عاشور، التحرير والتنوير (3 / 235)

[3] - ابن عاشور، التحرير والتنوير (17 / 19)

[4] - أبو داوود، سنن أبي داوود ، باب في القدر (2 /634)، رقم 4693، قال الألباني في الحاشية صحيح .الترمذي، سنن الترمذي ، سورة البقرة ،(5 / 204)، رقم 2955 وقال عنه حسن صحيح، صححه الألباني في الحاشية .أبو حبان، صحيح أبي حبان ، باب بدء الخلق، (14 / 29)، رقم 6160 .

إلى هذا البعد النفسي، ومن ذلك ما قاله المناوي في شرحه لهذا الحديث: "أي على قـدر لونهـا وطبعها فخلق من الحمراء الأحمر ومن البيضاء الأبيض ومن سهلها سهل الخلق اللـين الرقيـق ومن حزنها ضده"[1]، ومما قاله في بيان مراعاة الشريعة لهذا البعد النفسي: "قيل : خلق آدم مـن ستين نوعا من أنواعها وطبائعها فاختلفت بنوه كذلك ولذا وجب في الكفارة إطعام ستين ليكـون بعدد هذه الأنواع ليعم الكل بالصدقة "[2]، ومما قاله أيضا في هذا الشأن: "ومن ثم اختلفت قـوى الإنسان فتقبل كل قوة منها ما يأتيها من المواد فيزيد لذلك وينقص ويصلح لذلك ويفسد ويطيـب ويخبث لما ذكر من أنه أنشئ من أشياء مختلفة وطبائع شتى "[3].

إن تحقيق المواطنة لا يكتفى فيه بالنشأة وحسب، إذ النشأة ولدت هـذا الشـعور فقـط، ودور التربية هو العناية بهذا الشعور باعتباره أصلا نفسيا للمواطنة، والمحافظة عليه وتنميته والرقـي به .

خاصية الانتماء أصل نفسي للتربية الوطنية:-

إن الإنشاء من الأرض ولد في نفس الإنسان شعورا يشده إليها وهو شعور الانتماء، وهو نوع آخر من الجاذبية الأرضية، إنها ليست الجاذبية المادية التي استقرت بها كل الأشياء المخلوقة من الأرض عليها، بل هي جاذبية معنوية نشعر بها ولا ندرك كنهها، إنها فطرة إنسانية لها معناهـا الشامل وصورها المتعددة، وهو شعور متبادل حقيقته فعل وانفعال، فجذب الأرض هـو الفعـل، وانجذابنا هو الانفعال، نحسه من طرفنا لأنه فينا، أما فعل الجذب فمن الصعب علينـا أن نـدرك سره، فما لنا إلا أن نفسره بأنه تلك العناصر التي خلقنا منها وتكونت بها نفوسنا .

---

1 – المناوي، فيض القدير (2 / 292)
2 – المناوي، فيض القدير (2 / 292)
3 – المناوي، فيض القدير (2 / 293)

في ضوء هذا المفهوم للانتماء يمكننا أن نفسر مفهوم المواطنة، لا على اعتبار أنها مفهوم اجتماعي أو مفهوم سياسي، بل هو أبعد من ذلك، إنه المفهوم النفسي الذي تبنى عليه كل المفهومات الأخرى، والذي يعني الشعور بالحب تجاه الأرض التي أنشئ الإنسان منها، والبقعة التي ترعرع فيها، هذا المفهوم النفسي لمعنى المواطنة في ظل مفهوم الانتماء إلى الأرض هو الذي نلمسه في قوله ﷺ مخاطبا مكة عندما أراد الهجرة: (و الله إني لأعلم أنك خير أرض الله و أحب أرض الله إلي و لولا أني أخرجت منك ما خرجت) [1]، إنه شعور متبادل، شريطة أن تسمو نفس الإنسان ولا يسعى في الأرض فسادا، ومما يبيّن هذا الشعور المتبادل قوله ﷺ:(إن أُحُداً جَبَلٌ يُحِبُّنَا ونُحِبُّهُ) [2]، وهو" حب على حقيقته على ما أختاره المحققون إذ جعل الله تعالى فيه تمييزا يحب به" [3] وهو نوع من الانفعال أثبته الله سبحانه وتعالى لأجزاء من الأرض، كما في قوله تعالى:﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾(البقرة: 74)، فقد أثبت الله تعالى نوعا من الإدراك للحجارة وهو الخشية، وعليه"فيجوز أن يخلق الله تعالى العقل والحياة في الحجر، واعتدال المزاج والبنية ليسا شرطاً في ذلك خلافاً للمعتزلة" [4] وظواهر الآيات ناطقة بذلك، ومنها قوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾(الإسراء:44)، وكذلك ما جاء في الأحاديث ومن ذلك قوله ﷺ: (إني لأعرف حجراً كان يسلم عليّ قبل أن أبعث) [5]، وغيرها من الأحاديث التي تثبت انفعالات للجمادات.

---

1 – الحاكم، المستدرك على الصحيحين، ذكر مناقب عبد الله بن عدي بن الحمراء، (315/3)، رقم 5220، وسكت عنه الذهبي في التلخيص، والطبراني في الأوسط، (144/1)، رقم 454.

2 – مسلم، صحيح مسلم، كتاب الحج، باب أحد جبل يحبنا ونحبه، (1011/2)، رقم 1393.

3 – النووي، شرح النووي على مسلم، (9 / 139)

4 – الألوسي، روح المعاني (1 / 371)

5 – مسلم، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي ﷺ وتسليم الحجر عليه، (1782/4)، رقم 2277 .

2- خاصية النزعة الاجتماعية (الاستئناس ببني جنسه):-

من أهم الخصائص التي اختص بها الإنسان دون غيره من المخلوقات، خاصية النزعة إلى الاجتماع أو إلى العمران؛ والنزعة من النزوع هو "الاشتياق الشديد، وأنزع القوم: نزعت إبلهم إلى مواطنهم، أي حنت"[1]، والاجتماع هو الالتقاء والعيش في جماعة والاستئناس بهم، ويبدو أن هذه الخاصية هي السمة الغالبة أو الخاصية الطاغية، على الشخصية الإنسانية، وخير دليل على ذلك سر تسمية هذا المخلوق بالإنسان، فقد قيل: سمي إنسانا "لأنه خلق خلقة لا قوام له إلا بإنس بعضهم ببعض، ولهذا قيل: الإنسان مدني بالطبع، من حيث لا قوام لبعضهم إلا ببعض،ولا يمكنه أن يقوم بجميع أسبابه، وقيل: سمي بذلك لأنه يأنس بكل ما يألفه"[2].

التأصيل للخاصية:-

إن أول الأدلة على هذه الخاصية هي تسمية الإنسان بهذا الاسم، وذلك لأن "اسم (الإنسان) فيه من الدلالة على الألفة الاجتماعية التي يتميز بها الإنسان، فليس بين الأحياء على وجه الأرض مخلوق يوصف بالفطرة الاجتماعية غير الإنسان، وبتفاعل عناصر الكون مع الإنسان تتخذ هذه الصفة، فالمكان الأنيس هو الذي يسكنه الإنسان، والحيوان الأنيس هو الذي يألف الإنسان في مسكنه"[3]، كما أن "لمادة (أناس) التي هي أصل اشتقاق (الإنس و الإنسان) دلالتها على نقيض التوحش وهو ملحظ الإنسية لكلا اللفظين، فالإنسية التي هي عدم التوحش يتميز بها الإنسان عن غيره من المخلوقات الأخرى التي لا تحيا حياته" [4].

ومن الأدلة التي تتضمن هذه الخاصية ما امتن الله سبحانه وتعالى على البشر بأن جعل لهم من جنسهم ما يسكنون إليه، في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ

---

1 – الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص 617 .

2 – ابن عاشور، التحرير والتنوير، (1 / 402).

3 – العقاد، الإنسان في القرآن، ص140 .

4 – سعيد إسماعيل علي،القرآن الكريم رؤية تربوية، ص 83، نقلا عن عائشة عبد الرحمن، مقال الإنسان، ص 14 .

﴿بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم: 21)، ووجه دلالة الآية على النزعة الاجتماعية أمور، أولها قوله تعالى: (من أنفسكم)، حيث يتضمن اجتماع الإنسان ببني جنسه، و هذا البعد أشار إليه الشوكاني في تفسيره فقال: "أي من جنسكم في البشرية والإنسانية "[1]، وأما الأمر الثاني قوله تعالى: (أزواجا)، فنظام الزواج صورة من صور الاجتماع البشري يستلزم النزوع إلى الاجتماع، يقول ابن عاشور مبينا دلالة ذلك على النزعة الاجتماعية: "وهذه الآية كائنة في خلق جوهر الصنفين من الإنسان: صنف الذكر، وصنف الأنثى، وإبداع نظام الإقبال بينهما في جبلتهما، وذلك من الذاتيات النسبية بين الصنفين"[2]، والأمر الثالث قوله: (لتسكنوا إليها) الدال على مطابقة على تأصل النزوع إلى التآلف في النفس البشرية، يقول الشوكاني مبينا هذا البعد: "أي تألفوها وتميلوا، إليها فإن الجنسين المختلفين لا يسكن أحدهما إلى الآخر"[3].

ومن الأدلة على هذه الخاصية قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾(الحجرات: 13)، فهذه التنظيمات الذي جعلها الله سنة في البشر، وهذا التعارف الحاصل عن هذه التنظيمات الاجتماعية تستلزم نزوعهم إلى الاجتماع، ومن الأدلة أيضا قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾(النحل: 72)، فهذه الآية تتكلم عن الأسرة وهي شكل من أشكال الاجتماع البشري الذي يستلزم النزوع إلى الاجتماع.

ويبدو أن هذه الخاصية ترجع في نشأتها إلى الانتماء إلى الأصل الواحد وهو آدم عليه السلام ومنه كانت حواء ؛ يقول المولى عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ

---

1 – الشوكاني، فتح القدير (4 / 263)

2 – ابن عاشور، التحرير والتنوير، (21 / 71).

3 – الشوكاني، فتح القدير (4 / 263)

﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾(النساء: 1)، كما "يقرر الإسلام وحدة الإنسانية بتقرير وحدة أصل التكوين"[1]، يقول تعالى: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾(يونس:19)،وهذا أيضا من الأدلة على هذه الخاصية.

البعد التعميري للنزعة الاجتماعية:-

إن رسالة العمارة لا تنهض إلا بالعمل الجماعي بين البشر، لذلك جعل الله في نفس كل إنسان نزعته إلى الاجتماع ببني جنسه، وهي ليست مجرد نزعة إلى أي اجتماع كان، بل هي نزعة إلى إشباع حاجة ملحة في نفسه وهي الاستئناس، كما أنها نزعة لا تنفك عنه، ولا يمكن لأي إنسان سوي الاستغناء عنها، حتى ولو توفرت له حاجاته المادية وهذا ما يدل أن وجود آدم في الجنة لم يكتمل إلا بوجود زوجه معه، و"الإنسان بحكم هذه النزعة لا يستطيع أن يعيش بمفرده، ولا يستطيع الحياة منفصلا عن المجتمع البشري الذي يعيش في محيطه، ولا عن الحياة والأحداث الجارية، بل تجده يسعى على الدوام إلى الاندماج في حياة مجتمعه في حال صحته النفسية وإلى بناء علاقات مختلفة مع أفراده وجماعاته، وإلى التفاعل مع حياة وثقافة مجتمعه،وإلى التعاون مع أفراده في تحصيل معاشه، وإلى التغلب على الموارد الطبيعية التي قد تكون محدودة عن طريق الاستغلال الأمثل"[2].

مراعاة الشرع للخاصية:-

إن الإسلام بتشريعاته ونظمه ومنهجه ومادته وقيمه يقوم على دعم أن الإنسان اجتماعي أو مدني بطبعه أي بفطرته التي فطره الله عليها، ومما يدل على ذلك أن كثير من الطاعات

1- سعيد إسماعيل علي، القرآن الكريم رؤية تربوية، ص 205 .

2- الشيباني، عمر، مفهوم الإنسان في الفكر الإسلامي، ص 165، 166 .

والعبادات لا تتم إلا مع طرف آخر فرد أو جماعة، مثل العقود ابتداء من عقد النكاح إلى سائر عقود المعاملات، كما أن كثيرا من الأعمال النظرية والتطبيقية لا تؤدى على صورتها الفضلى إلا في جماعة أو فريق متعاون للحصول على أحسن النتائج في كل مجال العلم ومجالات تطبيق العلم؛ كما أن كثيرا من القيم الإسلامية الأخلاقية لا تأثير لها إلا في جماعة، ومن هذه القيم مثلا:العدل والشورى والمساواة بين الناس في الحقوق والواجبات، كما أن القيم الإسلامية الرئيسة الراسخة كالتعارف بين الناس والتآلف معهم، والتعاون والتناصر والتكامل لا تبدو قيمتها الحقيقية إلا في جماعة، ومن هنا ندرك أن دين الإسلام كله لا يطبق إلا في نظام اجتماعي ولا يحقق للناس فوائد في الدنيا والآخرة إلا بالناس ومع الناس، من أجل ذلك كان الاختلاط بالناس سببا في تطبيق نظام الإسلام ومبادئه وقيمه وأحكامه وآدابه[1].

3- خاصية الاختلاف:-

من خصائص الإنسان في عمارة الكون خاصية الاختلاف، ومعنى الاختلاف "هو أن الله خلق الناس مختلفين في الاستعدادات والقدرات لينتج عن ذلك اختلاف في المهن والصناعات، ويبتليهم بالإخلاص في خدمة بعضهم بعضا"[2]، وذلك لأن "الله سبحانه أراد أن يكون الناس متكاملين في المواهب، وفي الكماليات؛ وهذا من متطلبات الخلافة؛ لأن الناس لو كانوا صورة مكررة في المواهب لفسدت الحياة، فلابد أن تختلف مواهبهم، لأن مطلوبات الحياة متعددة"[3].

التأصيل لخاصية الاختلاف:-

دل على خاصية الاختلاف قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ﴾(الروم: الآية 22)، فالاختلاف في هذه الآية أوسع شمولا من الاختلاف

---

[1] – علي عبد الحليم محمود، النفس في الإسلام، ص 494، 495 بتصرف .

[2] – الكيلاني، فلسفة التربية الإسلامية، ص 257 .

[3] – الشعراوي، تفسير الشعراوي (1 / 2803) .

الظاهري والشكلي، بل له معنى أدق وهو ما يختص به كل إنسان دون غيره، فقوله: (وألــوانكم) "ليس المراد به السواد والبياض والسمرة والحمرة والأدمة والصفرة، وإنما المعنى اختصاص كل واحد من الناس بخلقة وانفراده بصورة، يقارنها لفظ تدبير من الله تعالى، يجعله على لون ونــوع من التصوير يتميز به عن سائر أمثاله "[1].

ومما يدل على خاصية الاختلاف قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ (هود: 118، 119)، أي "خلقهم مستعدين للاخــتلاف والتفــرق فــي علومهم ومعارفهم وآرائهم وشعورهم، وما يتبع ذلك من إرادتهم واختيارهم في أعمــالهم، ومــن ذلك الدين والإيمان والطاعة والعصيان، وحكمته أن يكونوا مظهــرا لأســرار خلقــه الماديــة والمعنوية في الأجسام والأرواح وسننه في الأحياء، وتعلــق قدرتــه ومشــيئته بخلــق جميــع الممكنات،وبهذا كانوا خلفاء الأرض"[2].

ومما يدل عليها قوله تعالى: ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾(نوح: 13، 14)، فمــن المعاني التي دل عليها لفظ الأطوار "اختلافهم في الطول والقصــر، والقــوة والضــعف والهــم والتصرف، والغنى والفقر، أو اختلافهم في الأخلاق والأفعال"[3]، وكذلك قوله تعــالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾(فاطر:27،28)، فاختلاف الألوان المذكور في الآية هو صور من صور الاختلاف،ذكرت معه صورة أخرى وهي اختلاف البشر في أحوال قلوبهم ومداركهم، دل على ذلك قوله (كــذلك) والتقدير كذلك الاختلاف، يختلف الناس في خشيتهم لله [4].

[1] – الخطيب الاسكافي، درة التنزيل وغرة التأويل، ص 370 .
[2] – رشيد رضا، تفسير المنار، (12 / 160).
[3] – الماوردي، النكت والعيون، (6 / 102).
[4] – ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، (22 / 304).

تميز الاختلاف الإنساني:-

مبدأ الاختلاف بين الناس هو إحدى سنن الله في الكون وهو واقع بمشيئته سبحانه، ومـرتبط بمبدأ الحق في الاختيار الذي فطر الله الإنسان عليه وأعطاه له، كما أنه محكوم بمبدأ التواصـل الإنساني والنزوع إلى التعاون والتعارف[1]، لذلك " كان الإنسان أكثر اختلافـا؛ لأنـه مخيـر فإرادته الحرة ترتب أفراده درجات كثيرة بحسب قوتها وضعفها في دفعه إلى غاياته أو القعـود دونها ولكن الأنواع الأخرى لما كانت مطبوعة على تحصيل غاياتها لم يكن بينها تفـاوت كبيـر فيما هي مطبوعة عليه "[2].

4- خاصية التعقل:-

يطلق العقل على "القوة المتهيئة لقبول العلم، ويطلق على العلم الذي يسـتفيده الإنسـان بتلـك القوة" [3]، وسمي بذلك "تشبيها بعقل الناقة؛ لأن العقل يمنع الإنسان من الإقدام على شـهواته إذا قبحت، كما يمنع العقل الناقة من الشرود إذا نفرت"[4]، والعقل في رأي الإسلام هو قـوة مدركـة فطرية في الإنسان، خلقها الله فيه ليكون مسؤولا عن أعماله على أساس قدرته للإدراك والتمييز بين الخق والباطل والخير والشر والحسن والقبيح، ثم تكليفه بناء على ذلك أن يتبع طريق الحـق والخير والحسن، وأن يتجنب طريق الباطل والشـر والقـبح والضـلال والإنحـراف، وبتتبـع النصوص القرآنية نجد أن العقل يستعمل لثلاثة معان الأول: الإدراك، الثاني: العمـل بمقتضـى الإدراك، وهو العقل العملي أو الحكمة، والثالث: التعقل القلبي [5].

---

[1] - الدجاني، عمران لا طغيان، ص 11بتصرف .

[2] - النجار، تفصيل النشأتين، ص 112 .

[3] - الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص 434 .

[4] - الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص 7 .

[5] - يالجن، جوانب التربية الإسلامية الأساسية، ص87، 88 بتصرف.

التأصيل للخاصية:-

لم يرد لفظ (عقل) في القرآن الكريم على الإطلاق وإنما جاء بمعنى استخدام العقل في التعقل،لأن العقل ليس له ماهية قائمة بذاته، إنما هو عمليات عقلية صرحت بها الآيات الكريمة في مواضع كثيرة، حيث جاءت مشتقات العقل في تسع وأربعين آية كلها بالصيغة الفعلية، إلا أنه قد جاءت مرادفات للفظ العقل في القرآن الكريم وهي اللب وجمعت الألباب، والحلم وجمعت الأحلام، والحجر، والنهى، والقلب، والفؤاد وكلها جاءت بمعنى العقل[1].

ومع أنه لم يرد ذكر خاصية العقل بشكل مستقل باعتباره آية من الآيات المستدل بها في سورة الروم، إلا أنه جاء ذكر العقل ما يفيد هذه الخاصية، خلال ذكر هذه الخصائص، ومن ذلك التفكر في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾(الروم: 21)، ومن ذلك أيضا العلم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ﴾ (الروم: 22)، أي "أهل الانتفاع بالنظر فيها وهم أهل العلم"[2]،ومن ذلك أيضا التدبر والاعتبار والفهم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾(الروم:23)، أي "سماع تفهم واستبصار"[3]، أو "سماع تدبير واعتبار"[4]، ومن ذلك التعقل في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾(الروم: 24)، ومما يدل على هذه الخاصية أيضا قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾(الروم:23)، فالمنام و اليقظة يتضمنان وجود العقل لأنهما متعلقان بغياب القوة العقلية وحضورها، والابتغاء من فضل الله يستلزم الوعي والإدراك.

1- سعيد إسماعيل علي، القرآن الكريم رؤية تربوية، ص 185 .

2- ابن عطية، المحرر الوجيز، (4 / 386).

3- الألوسي، روح المعاني، (21 / 32).

4- ابن عادل الدمشقي، اللباب، (15 / 397).

ومما يدل على خاصية العقل قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾(الروم : 24)، فحصول الخوف والطمع وما يترتب عليهما من مواقف يستلزمان وجود العقل، لأنهما يعبران عن الإدراك والوعي والإرادة.

ومما يدل صراحة على أن العقل خاصية من خصائص التعمير مجيئها في معرض الحديث عن الاستخلاف في قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾(البقرة: 32)، فهذا نص صريح في أن الله سبحانه وتعالى "بث في الإنسان من أسرار الفهم والتمييز والاستعداد الفطري ما يكشف به تلك النواميس والسنن ويميز خصائص الأشياء بعضها من بعض" [1]، مما يدل على فطرية العقل وتأصلها في طبيعة خلق الإنسان، مع الاختلاف في كيفية حصول ذلك على ما بينه الألوسي بقوله: " قيل: بأن خلق فيه عليه السلام بموجب استعداده علماً ضرورياً تفصيلياً بتلك الأسماء وبمدلولاتها وبدلالتها ووجه دلالتها، وقيل: بأن خلقه من أجزاء مختلفة وقوى متباينة مستعداً لإدراك أنواع المدركات، وألهمه معرفة ذوات الأشياء وأسمائها وخواصها ومعارفها وأصول العلم وقوانين الصناعات وتفاصيل آلاتها وكيفيات استعمالاتها"[2].

العقل وقطبية الوجود المعرفي*:-

بوجود العقل في الإنسان صار معدن العلم ومركز المعرفة [3]، وبهذا تحققت قطبية للإنسان في الكون على المستوى المعرفي، وهذه القطبية تتمثل في قدرته على الاستيعاب المعرفي للكائنات، إذ هو مهيأ بوسائله الإدراكية لأن ينقل العالم الخارجي في مواصفاته الكمية إلى عالمه الداخلي على سبيل التصور، فيصبح هذا الكائن الصغير حاملا في ذاته لذلك العالم

---

[1] – الخولي، آدم عليه السلام، فلسفة تقويم الإنسان وخلافته، ص 114 .
[2] – الألوسي، روح المعاني، (1 / 224).
* – مصطلح قطبية الوجود المعرفي اقتبسه الباحث من كتاب فقه التحضر الإسلامي للدكتور النجار.
[3] – ينظر الأصفهاني، تفصيل النشأتين، ص 80 .

الكبير،فتحصل له بذلك القيمومة والإشراف على سائر الكائنات[1]، وهو ضرب من الرفعة والاستعلاء أكدها قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾(البقرة: 32)، أي "علمه حقائق مسمياتها وما لها من خصوصيات النافع والضار، فإن اسم الشيء يقترن دائما في الذهن بحاله من صورة ولون وأجزاء، وبحاله من سائر المقومات والمزايا الحسية والمعنوية، وما جدوى الاسم إذا لم يكن دالا على ما وراءه من مقومات الذات وخصائص الجواهر والعناصر، فآدم عليه السلام إنما تعلم حقائق الأشياء وسنن الله التي تحكمها وتضبط خيرها وشرها وتنظم نفعها وضرها"[2].

البعد التعميري للعقل: -

إن العقل والعلم من أسباب بقاء عمارة العالم[3]، وهذا من السنن الإلهية التي أرادها الله في هذا الكون، والقاعدة في ذلك" أن الله تعالى قدر الخير والشر في الدنيا والآخرة، وجعل لكل مقدر سببا يترتب عليه ويرتبط به ومن جملة الأسباب التي جرت عادة الله تعالى بها من العلوم والجهالات، فالجهل سبب عظيم في العالم لمفاسد من أمور الدنيا والآخرة وفوات المصالح،والعلم سبب عظيم لتحصيل مصالح ودرء مفاسد في الدنيا والآخرة"[4]. فالإنسان قد هدي إلى مصالحه بالعقل كما هديت الموجودات الأخرى إلى مصالحها بالإلهام[5]، وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾(طه:: 50)، فالخلق "هو إعطاء الوجود العيني للأشياء، أما الهداية فهي إعطاء الوجود الذهني والعلمي، فهذا خلقه وهذا هداه، وكلها هداية عامة وإعطاء تام، فكل ما خلقه الله جعل هدايته ذاتية فيه وليست خارجة عنه"[6]، قال الحسن وقتادة: " أعطى كل شيء صلاحه، وهداه لما يصلحه"[7].

---

1 – ينظر النجار، خلافة الإنسان، ص 57، .

2 – الخولي، آدم عليه السلام، فلسفة تقويم الإنسان وخلافته ص113، 114 .

3 – ينظر الرازي، التفسير الكبير (29 / 80)

4– القرافي، الفروق (1/ 272) .

5 – ينظر النجار، هامش تفصيل النشأتين، ص 127 .

6 – الجليند، خلل في مسيرة الأمة، ص 197 .

7 – الشوكاني، فتح القدير، (3 / 368)

5- خاصية حب الخلود:-

وهي تعني أن الإنسان مجبول على حب الخلود وحب الحياة، ويقصد بالخلود: "دوام البقاء في دار لا يخرج منها، خَلَدَ يَخْلُدُ خُلْداً وخُلوداً بقي وأقام"[1]، وقد عبر علماء النفس عن هذا الميل الشديد إلى الخلود بعبارات مختلفة، فقد "ورد في البحوث الخاصة بالغرائز عبارات المحافظة على النفس، وغريزة المقاتلة، وغريزة الخلاص أو الهرب، وغريزة الاستغاثة، وغريزة البحث عن الطعام، ولاشك أنها كلها معان تهدف إلى التشبث بالحياة ومدافعة كل خطر يتهدد بقاء الإنسان، أي أن ما ذهب إليه أصحاب هذه البحوث يندرج تحت الميل الفطري إلى الخلود وهو الميل الذي استغله الشيطان في آدم عليه السلام حين وقف يزين له الأكل من الشجر "[2]، كما "ينبعث عن حب الخلود والبقاء والحياة سلوك الدفاع عن النفس، وهو سلوك أقرته الشرائع السماوية ووضع له الإسلام ضوابطه"[3].

التأصيل للخاصية:-

جاء ذكر هذه الخاصية صراحة في قول المولى عز وجل: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ (الأعراف: 20)، قيل: طمع آدم في الخلود؛ لأنه علم أن الملائكة لا يموتون إلى يوم القيامة [4]، كما دل عليها قوله تعالى: ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى﴾(طه: 120)، فقد أفصح هذا عن استقرار محبة الحياة في جبلة البشر[5]، كما دل عليها ضمنا قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي

---

[1] – ابن منظور، لسان العرب، (3 / 164)

[2] – الخولي، آدم عليه السلام، فلسفة تقويم الإنسان وخلافته، ص 173 ..

[3] – محمد المحامي، الحياة الدنيا في القرآن الكريم، ص 114 .

[4] – القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (7 / 178)

[5] – ابن عاشور، التحرير والتنوير، (16 / 326).

ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾(الروم : 24)، فحصول الخوف يتضمن معنى سعي الإنسان في المحافظة على حياته ونفسه وهذا يعني حبه للخلود.

البعد التعميري للخاصية:-

إن الحياة " هي الوسيلة الزمنية التي لا تنهض إلا عليها جميع الأسباب والشروط التي لابد منها، لاستخدام الأرض وعمارتها، واستغلال ذخرها ومكنوناتها المختلفة، من أجل إنشاء المجتمع الإنساني السليم فوقها، فكانت الحكمة قاضية – نظرا إلى أهميتها- بأن تنطبع الغريزة* الإنسانية في أصل كينونتها على حب البقاء، والتعلق بالحياة"[1].

كما أن العمارة تستغرق كل حياة الإنسان، باعتبارها سلسلة طويلة من الابتلاءات، علاوة عن كونها تستغرق كل جانب من جوانب حياة الإنسان، وهذا أمر كوني ملاحظ، صدقه أمر شرعي يحث على استمرار العمارة كما في قوله ﷺ: (إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع ألا يقوم حتى يغرسها فليغرسها)[2].كما أنها تستغرق حياة البشرية كاملة خلال رحلتها الطويلة على الأرض، وهذا ما يتضمنه لفظ (خلائف) في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾(الروم : 24)، فصارت الدنيا "تنتقل بعمرانها إلى قرن بعد قرن فيتم الثاني ما أبقاه الأول من عمارتها، ويرمم الثالث ما أحدثه الثاني من فساد فيها، وبهذا تكون أحوالها ملتئمة وأمورها منتظمة"[3].

6- خاصية حب التملك:-

حب التملك قوة فطرية متأصلة في النفس تنزع بالإنسان إلى ملك ما يمكن تملكه [4]، وكون التملك محبوبا بالطبع لا يعني أنه محبوب لذاته، وإنما لأنه سبب من أسباب الكمال، وذلك لكونه

* – هذه اللفظة عفا عن الزمن، كما انها لا تليق بالكرامة الإنسانية، كما أنه تقرر في هذه الدراسة أن الخصائص هي مواهب وملكات وليست غرائز، وإنما نقلت هنا كما هي اعتبارا للنص المنقول دون تغيير فيه.

1 – البوطي، منهج الحضارة الإنسانية في القرآن، ص 57 .

2 – سبق تخريجه،ص 25 .

3 – الماوري، أدب الدنيا والدين، ص 122 .

4 – ينظر الخولي، آدم عليه السلام، ص174 .

سببا لحصول القدرة، ولكمالها في حق البشر، والذي يتوقف عليه المحبوب فهو محبوب [1]، كما أن حب التملك قوة لها علاقة وثيقة بحب الخلود والحياة، لعلاقة حب التملك بالخوف من المستقبل، وذلك لأن "كل نفس بشرية مجبولة على حب التملك والاقتناء تحسبا لحوادث المستقبل والمجهول"[2]، دل على هذا التلازم قوله ﷺ: (قلب الشيخ شاب على حب اثنتين، طول الحياة،وحب المال) [3]، و"هذا مجاز واستعارة، ومعناه أن قلب الشيخ كامل الحب للمال، محتكم في ذلك كاحتكام قوة الشاب في شبابه هذا صوابه" [4]، وفي رواية البخاري يقول ﷺ: (لا يزال قلب الكبير شابا في اثنتين في حب الدنيا وطول الأمل) [5].

التأصيل للخاصية:-

مما يدل على وجود هذه الخاصية في الإنسان قوله تعالى: ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى﴾(طه: 120)، أما بالنسبة للسياق التعميري في آيات سورة الروم، فقد جاء ما يتضمن ويستلزم هذه الخاصية في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾(الروم : 23، 24)، فالابتغاء من فضل الله يستلزم وجود حب التملك دافعا له، ولفظ الطمع يفيد ضمنا حب التملك.

القيمة التربوية للخاصية:-

إن القيمة التربوية للخاصية تكمن في كونها ركيزة يعتمد عليها في تزكية النفس، والسبب في ذلك يرجع إلى تعلق عبادة الزكاة بها، وهي عبادة تربوية بامتياز لما لها من آثار على الإنسان

---

1 - ينظر الرازي، التفسير الكبير، (16 / 80).
2 - المحامي، الحياة الدنيا في القرآن الكريم، ص 111 .
3 - مسلم، صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب كراهة الحرص على الدنيا، (724/2)، رقم 1046 .
4 - النووي، شرح النووي على مسلم، (7 / 138) .
5 - البخاري، صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب من بلغ ستين سنة فقد أعذر الله إليه في العمر، (2360/5)، رقم6057.

من تزكية نفسه من البخل والشح وتكميلا لها وترقية لقدراته وإمكاناته، وخير دليل على ذلك اسمها الذي يعني الزيادة والنماء، ومن هنا ندرك أن الزكاة لا تتعلق بالمال باعتباره عنصرا كونيا خارجا عن تركيبة كيان الإنسان، بقدر ما تعلقت بما جبلت عليه النفوس من حب للتملك،وهذا ما يمكن بيانه من قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾(البقرة: 265)،أي "تثبيتا بعض أنفسهم على الإيمان، فإن المال شقيق الروح، فمن بذل ماله لوجه الله ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه ثبتها كلها، أو تصديقا للإسلام وتحقيقا للجزاء مبتدأ من أصل أنفسهم، وفيه تنبيه على أن حكمة الإنفاق للمنفق تزكية النفس عن البخل وحب المال"[1]؛ وذلك لأن "بذله أشق شيء على النفس على سائر العبادات الشاقة وعلى الإيمان، لأن النفس إذا ريضت بالتحامل عليها وتكليفها ما يصعب عليها ذلت خاضعة لصاحبها وقل طمعها في اتباعه لشهواتها وبالعكس، فكان إنفاق المال تثبيتا لها على الإيمان واليقين"[2]، ومن هنا ندرك أصلا مهما من أصول التربية الإسلامية في جعل الزكاة المتعلقة بفطرية متأصلة في الإنسان وهي حب التملك محورية في التزكية، وهذا مما يفهم من كلام الشربيني في تفسيره لهذه الآية، حيث قال: "تثبيتاً بالنظر في إصلاح العمل وإخلاصه بالحمل على الحلم، والصبر على جميع مشاق التكاليف، فإن من راض نفسه يحملها على بذل المال، الذي هو شقيق الروح، فإن بذله أشق شيء على النفس؛ لأن النفس إذا رضيت بالتحامل عليها وتكاليفها بما يصعب عليها ذلت خاضعة لصاحبها، وقلّ طعمها في اتباعه لشهواتها فيسهل عليه حملها على سائر العبادات، ومتى تركها وهي مطبوعة على النقائص زاد طَمعها في اتباع الشهوات"[3].

---

1 - البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (1 / 567)،
2 - الزمخشري، الكشاف (1 / 340)
3 - الشربيني، السراج المنير (1 / 148)

الفصل الثاني: الصبغة التربوية لخصائص الإنسان في عمارة الكون

المبحث الأول: الإطار التعميري لعلاقة لخصائص الإنسان في عمارة الكون بالتربية

المبحث الثاني: السمات التربوية لخصائص الإنسان في الكون.

المبحث الثالث: الوظيفة التربوية لخصائص الإنسان في الكون في إطارها التعميري

الفصل الثاني: الصبغة التربوية لخصائص الإنسان في عمارة الكون

مقدمة:-

إن هناك علاقة وطيدة جمعت بين الخصائص والتربية في إطار عمارة الإنسان للكون، تمثلت فيما لكل واحد منهما من دور ومكانة في تحقيق رسالة العمارة، فالتربية هي التي ستعمل في هذه الخصائص حتى تؤدي عملها، ومرد هذه العلاقة إلى تلك العلاقة العضوية التي تكونت بين الفكرة الدينية والإنسان الذي يحملها، فالفكرة هي "أصل قيام الحضارة واطرادها والإنسان هو السند المحسوس لهذه الفكرة، كما أن الفكرة الدينية هي التي تبعث في الفرد الحركة والنشاط، وهي التي تتولى إخضاع خصائصه الفطرية لعملية شرطية وتنظيمها في علاقة وظيفية مع مقتضيات الفكرة الدينية، فهي لم تلغ ولكنها انضبطت بقواعد نظام معين وبهذا يتحقق نوع من التوازن بين الروح والمادة" [1]، وأثر هذه العلاقة شاهده ما حدث في الحضارة الإسلامية من رقي وتقدم، حيث كان العامل التربوي هو العامل الأصلي الذي كون الفرد عقلا ونفسا وخلقا وسلوكا، وكون المجتمع الأمثل، ومهد للثقافة طريقها إلى أن تتناول عناصر المعرفة وتؤلف كيانها[2]، هذه الثقافة التي تعد العامل النفساني الذي جعل ائتلاف العناصر الفردية في المجتمع الإسلامي على تلك الصورة التي تصرف بها المجتمع في ما بين يديه من العناصر الكونية حتى برز من تصرفه تلك الدلائل العمرانية والفكرية والأدبية [3].

---

1 - مالك بن نبي، شروط النهضة، ص 67 .

2 - ينظر محمد الفاضل بن عاشور، روح الحضارة الإسلامية، ص 39 .

3 - ينظر محمد الفاضل بن عاشور، روح الحضارة الإسلامية، ص 35 .

المبحث الأول: الإطار التعميري لعلاقة خصائص الإنسان في عمارة الكون بالتربية

تمهيد :

إن هناك ثلاثة أسس شاملة ومتكاملة منحت للبشرية لكي تعتمدها في ممارسة خلافتها العمرانية أو الحضارية في الكون، أولها: الإمكانيات والقدرات والمواهب التي وهبها الله للإنسان فجعلت منه ذا مقدرة فعلية على التعلم ومقدرة جسدية على التنفيذ والعمل والإبداع وإرادة حرة لاختيار أسلوب الحياة، وثانيهما: تسخير الله للكون وتمهيده له على نحو يتوافق مع مهمة الإنسان فيه، وثالثهما: تعاليم إلهية تضبط وتنظم حركة الإنسان في هذا العالم لتكون منهجا له في أداء رسالته [1]، وهذه الأسس تعتبر أركانا للعمارة وأسسا لقيامها، إذ العمارة ما هي إلا تفاعل بين عناصر البيئة الوجودية (العنصر الإنساني بمواهبه وقدراته –العنصر الغيبي بتعاليمه وهداه – العنصر الكوني بعناصره المسخرة) ونتيجة هذا التفاعل هو تحقيق الغاية من الوجود الإنساني التي هي العبادة، ويمكن التأصيل لهذه الأسس كأركان للعمارة من خلال قوله تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ (هود: 61)، فالعنصر الإنساني مثله ضمير الخطاب (كم) في قوله (استعمركم) الدال على التكليف بالعمارة وعلى ما وهبه الله الإنسان من إمكانيات فيها، والعنصر الكوني مثله ضمير الغيبة العائد على الأرض (فيها)، والعنصر الغيبي استلزمه الفعل (استعمر) إذ التكليف بالعمارة يستلزم وجود منهج يسير عليه الإنسان في عمارته للكون .

المطلب الأول: الركن الأول: الإنسان:-

يعتبر الإنسان "أحدث المخلوقات وجودا وأعظمها قوة وفاعلية في عمارة الكون وازدهاره المستديم، لأن خواص الإنسان الكامنة في طبيعة خلقه تنطوي على حقيقة الكون بأسره، فتكوينه

[1] – ينظر خليل، حول تشكيل العقل المسلم، ص 102– 103، وينظر الزحيلي، موسوعة قضايا إسلامية معاصرة (6 / 598)

مركب من جميع عناصر الكون وهو بذلك عالم بذاته، وعلى هذا الأساس أعطي الإنسان مرتبة خاصة هي أنه (خليفة) (إني جاعل في الأرض خليفة)"(1)، كما أنه "الموجود الوحيد الذي استطاع بما أودع الله في خلقته أن يتصرف في مخلوقات الأرض بوجوه عظيمة لا تنتهي خلاف غيره من الحيوان" [2].

التعريف بالإنسان:-

" الإنسان يقال على ضربين عام وخاص، فالعام أن يقال لكل منتصب القامة مختص بقوة الفكرة واستفادة العلم، والخاص أن يقال لمن عرف الحق فاعتقده والخير فعمله بحسب وسعه،وهذا معنى يتفاضل فيه الناس ويتفاوتون فيه تفاوتا بعيدا، وبحسب تحصيله تستحق الإنسانية وهي تعاطي الفعل المختص بالإنسان "[3].

المكانة التعميرية للإنسان:-

إن الله عز وجل حينما تعلقت إرادته بإيجاد هذا الكون بما فيه من الموجودات أنواعا وأجناسا،واقتضت حكمته الباهرة أن يختار نوعا من الموجودات (وهو الإنسان) فيجعله سيد هذا الكون ويجعل سائر مظاهره وموجوداته مسخرة له قائمة بخدمته وأن يكل إليه عمارته وأمر تنظيمه، فذلك هو المعني بالخلافة في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾(البقرة:30)، و"إخبار الله للملائكة بجعل الإنسان خليفة في الأرض عبارة عن تهيئة الأرض وقوى هذا العالم وأرواحه التي بها قوامه ونظامه لوجود نوع من المخلوقات يتصرف فيها، فيكون بها كمال الوجود في الأرض، وتعليم آدم الأسماء كلها بيان لا يتعداه الإنسان لعلم

---

1 – الشيباني، فلسفة التربية الإسلامية، ص 40، نقلا عن آزاد سبحاني، تعاليم الإسلام في ضوء الفلسفة الربانية ص52 .

2 – ابن عاشور، التحرير والتنوير (1 / 399)

3 – الأصفهاني، تفصيل النشأتين، ص 88 .

كل شيء في هذه الأرض وانتفاعه بها في استعماره"[1]، وهو المقصود بالاستعمار في قوله تعالى: ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾(هود:61)[2]، فالإنسان "هو محور العمارة الكونية في هذه الحياة، وهو الهدف من ورائها"[3]، وهذا المعنى قد تنبه له الأصفهاني فقال: "المقصود من العالم وإيجاده شيئا بعد شيء أن يوجد الإنسان، فالغرض من الأركان هو أن يحصل منها النبات، ومن النبات أن يحصل منه الحيوان، ومن الحيوان أن تحصل الأجسام البشرية، ومن الأجسام البشرية أن تحصل منها الأرواح الناطقة، ومن الأرواح الناطقة أن تحصل منها خلافة الله في الأرض، فيتوصل بإيفاء حقها إلى النعيم الأبدي، كما دل عليه تعالى بقوله: ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾(البقرة: 30)"[4]، ومما يؤخذ من قصة آدم "أنه سبحانه جعل في آدم من صفات الكمال ما كان به أفضل من غيره من المخلوقات، وأراد سبحانه أن يظهر لملائكته فضله وشرفه فأظهر لهم أحسن ما فيه وهو علمه فدل على أن العلم أشرف ما في الإنسان وأن فضله وشرفه إنما هو بالعلم"[5]، وهذا مبدأ تربوي هام يبين لنا عظم المكانة الوجودية للإنسان وهي مكانة أقرها القرآن في ذكره للعناصر الكونية، "إذ لم يرد ذكرها إلا في سياق يكون فيه الإنسان محورا لذلك الورود على سبيل الخطاب التربوي بصفة مباشرة أو غير مباشرة "[6]، إلا أنه علينا أن ندرك أن مكانة الإنسان التعميرية تتحدد باستثمار خصائصه في فعالياته المختلفة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية عن تعادلية تنمي جميع الخصائص وتستثمرها عن أمن واطمئنان

---

1 – محمد رشيد رضا، المنار (1 / 281)

2 – البوطي، كبرى اليقينيات الكونية، ص 65 .

3 – البوطي، منهج الحضارة الإنسانية في القرآن، ص 41 .

4 – الأصفهاني، تفصيل النشأتين،، ص 100 .

5 – يسري السيد محمد، بدائع التفسير الجامع لتفسير ابن القيم (1 / 300)

6 – النجار، مباحث في منهجية الفكر الإسلامي، ص 10 .

واستقرار [1]، فالله ﷻ قد قدر للإنسان من الخصائص و"الملكات والمواهب، ما لو عني به ووجهه إلى تحقيق مهمته لاستطاع أن يحقق وجودا معنويا ذا خصائص ربانية نفيسة من آثار صفات الله تعالى"[2]، دل على ذلك قوله ﷺ: (إن الله خلق آدم على صورته) [3]، أي أعطاه من كل صفة من صفاته أنموذجا يسعى إلى إظهاره في هذا الكون، يقول ابن حجر: "والمراد بالصورة الصفة، والمعنى أن الله خلقه على صفته، من العلم والحياة والسمع والبصر وغير ذلك وإن كانت صفات الله تعالى لا يشبهها شيء " [4].

المطلب الثاني:الركن الثاني: الكون

يعتبر القرآن الكريم الكون عنصرا أساسيا من عناصر البيئة الموسعة التي تحتضن الوجود الإنساني إلى جانب العنصرين الآخرين العنصر الغيبي والعنصر الاجتماعي[5]، ومما يدل على ذلك قوله تعالى في معرض ذكر خلق الإنسان واستخلافه: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(البقرة:22)، وغير ذلك من الآيات التي تدل على أن الأرض بيئة حاضنة للإنسان؛ هذا و"قد أجمع أهل السنة والجماعة أن للكون وجودا حقيقيا، وإن كان محدودا، يقابله وجود آخر مطلق وهو وجوده سبحانه وتعالى"[6]، كما أنه لا يمكن أن نفصل الكون عن حقيقته الكبرى و"هي أنه من خلق الله تعالى وأن حياة الإنسان فيه ستنتهي به إما إلى سعادة لا نهاية لها وإما إلى شقاوة لا نهاية لها"[7].

---

1 – ينظر المطرودي، الإنسان وجوده وخلافته في الأرض 416 .
2 – الخولي، آدم عليه السلام، فلسفة تقويم الإنسان وخلافته، ص 143 – 144 .
3 – مسلم، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن ضرب الوجه،(2016/4)،رقم 2612 .
4 – ابن حجر، فتح الباري في شرح صحيح البخاري (11 / 3) .
5 – ينظر النجار، مباحث في منهجية الفكر الإسلامي، ص 9 .
6 – صبري محمد خليل، الأبعاد المعرفية لمفهوم الاستخلاف، ص 5 .
7 – الشرقاوي، في فلسفة الحضارة الإسلامية، ص 282 .

والكون ركن من أركان العمارة وعنصر من عناصرها لا تتم إلا به؛ لأنه مسرحها ومادتها فبه قد توفر للإنسان المستقر والمتاع، كما أن تسخيره يعتبر من الشروط المادية لها وللاستخلاف، وهي شروط مطلقة ميسرة للجنس البشري[1]، وهذا ما دل عليه قوله تعالى: ﴿قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ (الأعراف: 24)، وقد خص ذكر الأرض دون غيرها من الموجودات الكونية؛ لأنها مركز الوجود وهذا ما يشعر به العناية بها عند ذكرها في القرآن الكريم، كما أن الاستخلاف المناط بالإنسان يشعر بأن اتساعه أوسع أفقا من مجال الأرض ليشمل غيرها وهذا ما يشعر به لفظ (في) المفيد للظرفية ولم يقل (على) ليدل على أن الأرض مركز للاستخلاف والعمارة لا مكانا لها فحسب، "فالأصل في الظرفية عدم استيعاب المظروف الظرف كقوله تعالى: (واستعمركم فيها)"[2].

تعريف الكون:-

إن لفظ الكون لم يرد في القرآن الكريم ولكن علماء المسلمين استنتجوا هذا المفهوم في الكتاب استنادا إلى آيات التكوين، أي إخراج الأجسام والأشياء إلى الوجود من العدم، والتكوين قد أشار إليه المولى عز وجل في آيات عديدة منها قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾(يس: 82)، والعلماء يستعملون مصطلح العالم للإشارة إلى مجموع أجزاء الكون أو مجموع المخلوقات [3]، فالمراد بالكون أو العالم أو الطبيعة هو كل ما عدا الله تعالى [4]، وهو" مجموع ما تكون بالإرادة الإلهية في الزمان والمكان من الموجودات على اختلافها بعد أن لم

---

1 – ينظر عبد الجبار السبهاني، الاستخلاف والتركيب الاجتماعي، ص 52 – 53 .

2 – ابن عاشور، التحرير والتنوير (18 / 228)

3 – ينظر جمال ميموني، نضال قسوم، قصة الكون، ص 59، 60 .

4 – الشيباني، فلسفة التربية الإسلامية، ص 39 .

تكن موجودة" [1]، ومما يشمله الكون "جميع النظم و القوانين التي تسير عليها الطبيعة ككل والتي يسير عليها كل عنصر من عناصرها أو كل جزء من أجزاءها" [2]، و"يحصـــر بعــض علمـــاء الإسلام المحدثين العالم في أربعة أصول عامة، هي الروح والمادة، والزمان،والمكان"[3]،والكون المقصود بالعمارة هو تلك المكونات المتنوعة المختلفة الخاضعة لتسخير الإنسان[4].

إن مفهوم الكون في القرآن الكريم قائم على اعتباره وسيلة لمعرفة الله وبرهانـــا علــى قدرتـــه وحكمته من جهة، كما يقوم على نفي ألوهيته وبيان أنه مسخر لنفع الإنسان وخيـــره مـــن جهـــة أخرى، وفي كلا الحالين يتحقق لوجود العالم معنى الغاية، ولهذا المفهوم بعده التربـــوي وأثـــره الكبير في نفس الإنسان فهو قد حرره من قيود عبودية ما سوى الله فأعاده سيدًا في الكون معمرًا له، كما أن لهذا المفهوم بعده التعميري، فهو مفهوم يتسم بالتفاعل والإقبال على الحيـــاة وتمجيـــد النشاط والحركة واستنهاض الإرادة للإبداع، وهو إبداع لا تنفصل فيه تقوى القلوب عـــن واقـــع الحياة مما له أثره الكبير في قيام الحضارة الإسلامية[5].

المكانة التعميرية للكون:-

إن خلق الكون وتسخير عناصره وتهيئته للإنسان ارتبط ذكره في القرآن الكريم ارتباطا عضويا بالدور الذي بعث الإنسان لكي يؤديه وبالقصد والجدوى والنظام والإعمار والغاية التي بعث مـــن أجلها مما يعد قاعدة أساسية للانطلاق في أي نشـــاط حضـــاري فعّـــال هـــادف مـــنظم علـــى الأرض[6]،يقول تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ﴾(الأنبياء: 16)، ويقول تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾(هـــود:7)، وتتمثـــل مكانة الكون التعميرية فيما يأتي :-

---

1 – التفتازاني، الإنسان والكون في الإسلام، ص 25 .
2 – الشيباني، فلسفة التربية الإسلامية، ص 39 .
3 – الشيباني، فلسفة التربية الإسلامية، ص 39 .
4 – ينظر البوطي، منهج الحضارة الإنسانية في القرآن، ص 85 .
5 – ينظر الشرقاوي، في فلسفة الحضارة الإسلامية، ص 278 .
6 – ينظر خليل، حول تشكيل العقل المسلم، ص 115، حول إعادة تشكيل العقل المسلم، ص 95، 96 .

1- يعتبر "الكون بعناصره المتنوعة مسرحا يمارس فيه الإنسان حياة التحضر"[1]، وهذا يعني أن الكون مسرح للفعل والاستثمار لا مجرد مسرح للوجود وهذا ما سعت الفكرة الدينية باعتبارها دافعا للتحضر وعاملا من عوامله إلى ترسيخه في النفوس[2]، وقد أفاد هذا المعنى قوله تعالى: (وأستعمركم فيها) وقوله تعالى: (إني جاعل في الأرض خليفة) وقوله تعالى: (ولقد مكناكم في الأرض)، فكل من (الاستعمار والاستخلاف والتمكين) معان اتسمت بالفاعلية، وهي معان قد اقترنت بالظرفية الوجودية معللة لها، فمن معاني (استعمركم)،التي بيّنها لنا المفسرون: خلقكم لعمارتها، وأقدركم عليها، و أمركم بها[3]، ومن المعاني التي تضمنها (خليفة) قيام الخليفة بتنفيذ مراد الله تعالى من تعمير الأرض [4]، ومن معاني التمكين القرار والمكان وكذلك القدرة على التصرف[5]، وعليه ينبغي ألا يخرج مفهوم الكون عن كونه مسرحا للفعل والاستثمار إلى كونه مسرحا للوجود، فتضيع الفاعلية التعميرية وتفقد حياة الإنسان في هذا الكون بعدها المقاصدي، ولعلنا نلمس هذا الخلل في المفهوم فيما وصف الله سبحانه به هؤلاء الذين فقدوا معنى الفعالية في الحياة فقال فيهم: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ (الجاثية: 24)، وهي قولة مشهورة عند مشركي العرب "إن هي ألا أرحام تدفع وأرض تبلع وما يهلكنا إلا الدهر"[6].

[1] - النجار، فقه التحضر الإسلامي، ص 125 .
[2] - ينظر النجار، فقه التحضر الإسلامي، ص 32 .
[3] - يراجع القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (9 / 55)، أبو حيان، البحر المحيط (5 / 239) النيسابوري، (4 / 313) ابن عاشور التحرير والتنوير (12 / 108)،
[4] - ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير (1/ 399)
[5] - يراجع الزمخشري، الكشاف (2 /207)
[6] - المراغي،تفسير المراغي (25 / 171) .

2- يعتبر الكون بعناصر المادة التي يصنع منها الإنسان حياة التحضر في بعدها الحسي أساسا وفي بعدها المعنوي أيضا [1]، وهذا من المعاني التي أفادها لفظ التسخير في أمثال قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (النحل: 14)، وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (الجاثية: 12)، وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾(الحج: 65)، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدىً وَلا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾(لقمان:20)،فالتسخير "ترتيب وظيفي للمفردات الكونية لتأمين خلافة الإنسان في الأرض وتحقيق مقاصدها وهو من الشروط المادية للعمارة، وهي شروط مطلقة وميسرة للجنس البشري"[2]، كما أفادها لفظ (معايش) الذي اقترن بالتمكين في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ﴾(الأعراف: 10)، وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾(الحجر: 20)، ولذلك ينبغي أن لا تتراجع البيئة الكونية "في حلولها في النفس من معنى كونها مسخرة إلى معنى الشيئية الجامدة لأن ذلك سوف يؤدي إلى عدم التفاعل معها وخوض غمارها بالتعمير، وهذا من الأسباب التي تفسر لنا انحسار التحضر الإسلامي وتراجعه"[3]، وحتى لا يخرج التسخير عن هذا المعنى المقاصدي الذي أريد له، كان التحذير من أن يتعامل الإنسان مع عناصر الكون على أساس التمتع لا المنفعة، أو أن يتعامل الإنسان مع عناصره على أساسا من العبثية، "فليس في الكون شيء

---

1 - النجار، فقه التحضر الإسلامي، ص 125 .

2 - السبهاني، الاستخلاف والتركيب الاجتماعي، ص 52 .

3 - النجار، فقه التحضر الإسلامي، ص 35 .

خلق جزافا أو عبثا، كل شيء فيه قد هيئ ليؤدي دوره فيما أراد الله في عمارة الأرض،واستمرار الحياة إلى أجلها، وخدمة الإنسان "[1] .

إن كون الكون مسرحا للعمارة ومادة لها لا يقتصر على جانبه المادي فقط، بل هو أمر يصدق على جانبه الروحي أيضا، وهو "مجال من مجالات وجود الإنسان يسعى فيه بروحه وهو مجال لا يمكن قياسه بمقاييس الزمان والمكان، ولا يصح تصور هيئة له أو إشارة من شارات الأفق الحسي، والسعي فيه مقدور بإشراقة الرغبة إلى الله، أما الجانب الحسي فهو أفق مقيس بأقيسة الزمان والمكان والسعي فيه مقدور بخطوات الأرجل وحركات الأيدي وما ينطق اللسان من كلام" [2]، "فالمادة التي بين أيدينا ليست سوى طاقة مقيدة أو محبوسة في قوانين، وأن وراء عالم القيود والحبوس أو عالم القوانين المحبوسة عالما طلقا من كل ما للقيود والحبوس من عقد الأرقام والمعادلات، وليس كل ملك الله هو تلك العناصر التي تتركب منها أجرام هذا الكون ومن غرور الإنسان وجحوده للحقيقة أن يحجر على المدارك الإنسانية الحسية والعلوية أن تقرر للكون مفهومه الروحي اللانهائي"[3].

المطلب الثالث: الركن الثالث: المنهج:-

إن الله سبحانه وتعالى مع ما ميز به الإنسان من خصائص، "هداه بها إلى المكاسب وأرشده بها إلى المعايش، جعل له الدين ليكون حكما، وشرعا يكون قيما، ليصل إلى المواد بتقديره ويطلب أسباب المكاسب بتدبيره "[4]، فالدين هو المنهج الذي يضمن له قيامه بهذه العمارة على أكمل وجه، فهو الذي ينظم حياة الناس على هذه الأرض ويدفعهم إلى تعميرها، و الموجه لحركة النشاط العمراني والضابط لها، كما يعتبر الدين ركنا من أركان العمارة وشرطا من شرائط

1- القرضاوي، الإيمان والحياة، ص 171 .

2 - الخولي، آدم عليه السلام، ص 56 - 57 .

3 - الخولي، آدم عليه السلام، فلسفة تقويم الإنسان وخلافته، ص 65 - 66.

4 - الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص 180 .

قيامها لما يتضمنه من معنى التكليف الذي يعني الابتلاء، لوجود علاقة بين الإنسان والكون ينظمها هذا التكليف، إلا أن أساس هذه العلاقة وبعدها الذي تقوم به هو العبادة، وهذا بين واضح في الآيات التي تناولت تاريخ بداية هذا النشاط العمراني في قوله تعالى: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة: 38)، وقوله تعالى: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾(طه: 123، 124).

تعريف الدين:-

"الدين في القرآن ولغة العرب يقارب في مصطلحات العصر الدستور العام للوجود الإنساني،وقد عرفه علماؤنا بأنه: وضع إلهي يرشد إلى الحق في الاعتقادات وإلى الخير في السلوك والمعاملات"[1]، وبذلك يكون الإنسان هو الغاية من الدين كله [2] كما أن الكون وجد لأجله .

البعد التعميري للدين:-

1- يتمثل البعد التعميري للدين في كونه يعد الدافع الذي يدفع الإنسان إلى التعمير، وذلك لما يقدمه من تصور لحقيقة الوجود، كما يعد الموجه الذي يوجهه إلى غاية في هذه الحياة، يسعى إلى تحقيقها [3]، لذلك فإن الفكرة الدينية تعد العامل الأساسي في كل ظاهرة تحضر، لكونها القاعدة الحقيقية للبناء الفكري والدافع القوي الذي يضفي على الإنجازات الحضارية الفاعلية والتقدم، وذلك لأنها تمد الإنسان بتصور عن حقيقة الوجود وغايته مما يسهم في توليد الجهود

---

1 - الأميري، الإسلام وأزمة الحضارة الإنسانية المعاصرة في ضوء الفقه الحضاري، ص 32 .
2 - ينظر النجار، فقه التحضر الإسلامي، ص 84 .
3 - ينظر النجار، فقه التحضر الإسلامي، ص 42 .

التي يبذلها في إعماره للأرض ودفعها وتوجيهها تلك الجهود نحو غاية معينة يسعى لتحقيقها [1]، كما "أن الدين مع ما يمد به الإنسان من فيض علمي كامل عن الحياة والكون يعرف به حقيقة الوجود، يرتقي به وذلك لما يبينه من أسباب السمو والهبوط والنقصان التي تطرأ في حياته الأولى والآخرة"[2].

2- الدين من الشروط الاعتقادية للعمارة، فالله سبحانه وتعالى قد تعهد بهداية البشر، وهو شرط لا يستفيد منه إلا من يقبل بمنهج الله وهديه، فتكتمل له شرائط العمارة الكاملة[3]، "فليست الفكرة الدينية عامل إنشاء أولي للحضارة فحسب، بل هي أيضا عامل صياغة للبناء الحضاري في جميع جوانبه، بحيث تظل بعد الإنشاء الأولي تكيف كل التداعيات الحضارية المادية والمعنوية بحسبها"[4]، ذلك لأن استخلاف الله الإنسان لإعمار الكون يحتاج إلى تنظيم فلو ترك الأمر بدون تنظيم محكم لعمت الفوضى وضاع الهدف من الاستخلاف، ولو تُرك الإنسان لتحكيم عقله فقط بدون منهج إلهي لضاع رغم هذه الميزة التي حباه الله بها، وكلما كان الإنسان تحت الأمر افعل ولا تفعل يتصرف داخل المنهج يكون قوياً، ويتصرف بحكمة، وهذه ولا شك طريقة تقود إلى تحقيق الهدف المنشود من الحكمة الأزلية التي خُلق الإنسان من أجلها وهي العبادة والطاعة [5].كما أن الإعمار يحتاج إلى مجهود، وإلى مواهب متعددة تتكاثف، فلا تستقيم الأمور إنْ كان هذا يبني وهذا يهدم، لذلك كان لا بد أنْ تُنظم حركة الحياة تنظيماً يجعل المواهب في الكون تتساند ولا تتعاند، وتتعاضد ولا تتعارض، ولا يضمن لنا هذا التنظيم إلا منهج من السماء ينزل بالتي هي أقوم، وأحكم، وأعدل[6]، وذلك مرجعه إلى أن

[1] - ينظر النجار، فقه التحضر الإسلامي، ص 27، وينظر زرمان، الفعل الحضاري في القرآن، ص 47 .
[2] - أبو بكر الجزائري، عقيدة المؤمن، ص 19 .
[3] - ينظر السبهاني، الاستخلاف والتركيب الاجتماعي؛ ص 53 .
[4] - النجار، فقه التحضر الإسلامي، ص 28 .
[5] - أحمد أبو مزيريق .
[6] - الشعراوي، تفسير الشعراوي 2033.

الإنسان محتاج إلى أن يتعاون مع غيره من بني جنسه ليتمكن من إعداد كل ما به تقوم حياته من مأكل ومشرب ومأوى وملبس وغيرها، لتستمر هذه الحياة إلى أجلها المسمى، ولكي يتم هذا التعاون بين أفراد الجنس البشري لا بد من تشريع ينظم علاقاتهم فيما بينهم فلا يطغى أحد على أحد ولا يظلم أحد أحدا، وهذا ما يوفره الدين [1]، يقول تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ﴾ (الشورى:17).

إلا أنه علينا أن ندرك أن التعمير لا يمكن أن يتحقق بمجرد ترديد القيم والوصايا والمواعظ وحدها _وهي شروط لابد منها_ بعيدا عن اكتشاف قوانين الترقي العلمي ومعرفة السنن التي تحكم الحياة والأحياء [2] لذلك كان طلب العلم فريضة على كل مسلم ليتمكن المسلم من أداء مهمته الاستخلافية التعميرية في هذا الوجود يقول ﷺ: (طلب العلم فريضة على كل مسلم) [3].

المطلب الرابع: الأسس التي تقوم عليها العلاقة التكاملية بين الخصائص والتربية :-

إن هذه الخصائص هي قدرات وإمكانات في الإنسان يقابلها تسخير في الكون، يتم التفاعل بينهما وفق تعاليم الدين (دافعة، موجهة، ضابطة) ينتج عن هذا التفاعل عمارة للكون، وحقيقة هذا التفاعل هو أنه عبادة، لكونه أمر إلهي وتكليف للإنسان بمباشرة الاستخلاف، فالإنسان هو الفاعل والعمارة هي الفعل والخلافة هي التكليف بالفعل والعبادة هي حقيقة الفعل والتسخير هو إمكانية الاستجابة للفعل، والخصائص هي التي أنتجت القدرة على هذا الفعل.

ومن الممكن إدراك ما للعلاقة التكاملية بين الخصائص والتربية من دور في قيام عمارة الكون من خلال عدة أسس تربوية مهمة تعد مقدمات تقوم عليها هذه العلاقة وهي .

---

[1] – أبو بكر الجزائري، عقيدة المؤمن، ص 19 .

[2] – ينظر زرمان، الفعل الحضاري في القرآن، ص 70 .

[3] – ابن ماجه، سنن ابن ماجه، كتاب الإيمان وفضائل الصحابة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، (81/1)، رقم 224 . وقال محمد فؤاد عبد الباقي في الزوائد، إسناده ضعيف لضعف حفص بن سليمان. السيوطي ، الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة (141/1)، رقم 283 وقال: الحديث حسن.

1- الارتباط المصيري بين الإنسان والكون:-

إن هناك علاقة مصيرية بين الكون والإنسان تشكلت في إطار العمارة باعتبارها المحور الذي تدور عليه هذه العلاقة، فبقاء الإنسان مرهون ببقاء نظام العالم، كما أن بقاء نظام العالم مرهون ببقاء الإنسان وسعيه في العمارة وكلاهما أمران متلازمان، وذلك لأن وجود الإنسان وصلاح حاله مرهون بتحقيقه للعمارة، لما فيه من صلاح للدنيا الذي يتم بأمرين هما: انتظام أمورها وصلاح حال أفرادها وهما أمران لا صلاح لأحدهما إلا بالآخر، و"ذلك لأنه من صلحت حاله مع فساد الدنيا واختلال أمرها لن يعدم أن يتعدى إليه فسادها، ومن فسدت حاله مع صلاح الدنيا وانتظام أمورها، لن يجد لصلاحها لذة ولا لانتظامها أثرا"[1]، كما أن هذه العلاقة مبنية على التشابه الكبير بين الإنسان والكون، فلكونهما متشابهين "قيل: الإنسان هو عالم صغير،والعالم إنسان كبير، ولذلك قال تعالى: ﴿ مَا خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾(لقمان: 28)، فأشار بالنفس الواحدة إلى ذات العالم"[2]، " فالإنسان جزء من البناء الإلهي وإزالة جزء من البناء يعرض البناء كله للانهيار وكذلك الفساد في الأرض يهدد هذا البناء "[3]، لذلك قال تعالى: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرائيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ (المائدة: 32)، ومما يزيد هذه العلاقة وثوقا نظرة الإنسان وتقييمه لصلاح الدنيا وفسادها، التي تنطلق مما عليه حاله من فساد أو صلاح، وذلك لأن "الإنسان دنيا نفسه فليس

---

1 - الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص 109

2 - الأصفهاني، تفصيل النشأتين، ص 78 .

3 - الشيباني، فلسفة التربية الإسلامية، ص 79 .

يرى الصلاح إلا إذا صلحت له ولا يجد الفساد إلا إذا فسدت عليه"[1]، كما أن "الإنسان هو العامل الرئيسي في شئون الحياة ويتوقف صلاحها وفسادها على صلاحه وفساده، وهذا ما يجب وضعه في الاعتبار مهما تغيرت الظروف والمناسبات واختلفت النظريات الفلسفية والاجتماعية،والتشريعات الوضعية والاجتهادات الفقهية والعلمية" [2].

إن عدم الفعالية وعدم التعرض لعناصر الكون مخالف تماما لما جبل عليه الإنسان وخلق لأجله وفي ذلك عرضة للهلاك والفناء، ولعل هذا ما يفسر لنا قوله ﷺ: (والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم)[3]، قال المناوي: "أراد المصطفى ﷺ أنكم لو كنتم مجبولين على ما جبلت عليه الملائكة لجاء بقوم يأتي منهم الذنب فيتجلى عليهم بتلك الصفات على مقتضى الحكمة فإن الغفار يستدعي مغفورا كما أن الرزاق يستدعي مرزوقا"[4]، وهذا إطار تعميري ينبغي أن يلتفت إليه في دراستنا وتوجيهاتنا لأمثال هذا النص وغيره من النصوص .

2- الصفة التعميرية للإنسان لا تكون إلا بوجود خصائص تؤهله للعمارة:-

إن الإنسان هو الركيزة الأساسية في عملية العمارة، لما يقوم به من دور مهم في سياسة شئون الكون، وهي أهمية أكتسبها مما وهبه الله من خصائص؛ ذلك لأن "الله لما شاء أن يختاره لعمارة هذه الأرض، وكلفه بتأليف أسرة إنسانية تقف تحت سلطان العبودية لله عز وجل، وتقيم حياتها على منهج الشريعة الربانية، لتكون بذلك مظهرا لعدالة الله في الأرض، جهّزه بملكات نادرة،وميزه بصفات سامية لم توجد في غيره، فأورثه العقل والتفكير، وسخر له كثيرا من

---

1 - الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص 110.

2 - الزحيلي، موسوعة قضايا إسلامية معاصرة (6 / 598)

3 - مسلم، صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب سقوط الذنوب بالاستغفار توبة، (2106/4)، رقم 2749 .

4 - المناوي، فيض القدير (5/ 388)

الحيوانات والمخلوقات، وغرس في كيانه شعور حب الذات والإحساس بالأنانية، وحب التملك واعتبار الأشياء، وأمده بالطاقة والقوة"[1].

إن خصائص الإنسان في عمارة الكون هي التي جعلت منه ذا صفة تعميرية وذلك لأن:

أ- هذه الخصائص الناتجة عن هذا الامتزاج التكاملي التفاعلي بين صفات الجسد، وصفات الروح هي التي صقلت الشخصية الإنسانية وصبغتها بالفعالية التعميرية، فبهما قد اتصف الإنسان بصفتين يمثلان جانبين يقوم عليهما أي فعل تعميري ألا وهما القدرة على مباشرة الفعل، والتي تقابل الجانب الحسي في كيان الإنسان، والإرادة التي تقابل الجانب المعنوي في كيان الإنسان، فصدق عليه ذلك الوصف الذي أشار إليه ﷺ في قوله أثناء حديثه عن الأسماء: (أحب الأسماء إلى الله تعالى، عبد الله وعبد الرحمن، وأصدقها حارث وهمام، وأقبحها حرب ومرة) [2]، "فالحارث بمعنى الكاسب، وهمام فعّال من همّ بالشيء إذا أراده فلا يخلو إنسان عن كسب وهمّ بل عن هموم، وهو معنى الصدق الذي وصف به هذان الاسمان" [3]، وذلك لأنه " لما كان كل عبد متحركا بالإرادة، والهم مبدأ الإرادة، ويترتب على إرادته حركته وكسبه كان أصدق الأسماء اسم همام واسم حارث"[4] فمسماهما لا ينفك عن حقيقة معناهما[5]، وذلك لأن الإنسان إما أن يكون في حرث الدنيا أو حرث الآخرة، ولأنه لا يزال يهم بالشيء بعد الشيء[6]،وهذا ما صدقته آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾(الشورى: 20).

---

1 - البوطي، منهج الحضارة الإنسانية في القرآن، ص 44 .

2- أبو داوود، سنن أبي داوود، كتاب الأدب، باب في تغيير الأسماء، (705/2)، رقم 4950. قال الألباني في الحاشية ، صحيح دون قوله تسموا بأسماء الأنبياء .

3 - العظيم آبادي، عون المعبود (13 /293)،و الخطابي، معالم السنن(شرح سنن أبي داوود)، (4 / 126)

4 - ابن القيم، جامع الآداب، (4 / 157)؟

5 - المناوي، فيض القدير (3 / 334)

6 - ابن حجر العسقلاني، فتح الباري (10 / 578)

ب- وجود هذه الخصائص في الإنسان جعلت منه مهديا إلى تحقيق العمارة بطبعه، وولدت فيه النزوع إليها، لأن العمارة ليست غريبة عن تكوينه كما أن الله ﷻ جعل سعادة الإنسان في تحقيقها[1]، وبذلك أصبح النزوع إلى العمران جزءا أساسيا من تكوين الإنسان الفطري [2] وهذا من بعض معاني قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾(طه: 55)، أي "عرف كيف يرتفق بما أعطي للمعيشة في الدنيا والسعادة في العقبى"[3]، وقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾(الأعلى: 3)، أي " قدر الأشياء كلها فهداها إلى أداء وظائفها كما قدرها لها، فالله لما قدر للإنسان أن يكون قابلا للنطق والعلم والصناعة بما وهبه من العقل وآلات الجسد هداه لاستعمال فكره لما يُحصل له ما خلق له "[4]، "والخلق لا يقتصر معناه على الإيجاد وإنما يشتمل أيضا على التكوين والتصميم فالإنسان وجد وجرى تكوينه وتصميمه للقيام بالوظائف والممارسات التي توجه إليها العبادة عبر أطوار الوجود الثلاثة: طور النشأة والحياة والمصير، وهذا يعني أن هناك تطابقا بين الخلق والغاية والتربية" [5]، وهو ما يشير إليه الحديث النبوي القائل (اعملوا فكل ميسر لما خلق له) [6].

3- أهمية الخصائص في قيام التفاعلية بين أركان العمارة:-

إن هناك قاسما مشتركا بين هذه الأركان وهو كونها أركانا للعمارة، ولكن هذا القاسم ليس كافيا في تحقيق هذه العمارة الكاملة، وإن كانت العمارة في حدها الأدنى إلزامية يضطر إليها الإنسان اضطرارا إلا أنها في الحقيقة لا تعدو كونها تمتعا، لذلك كان الدور الأساسي في ذلك للإنسان بخصائصه التي لها قابلية التفاعل مع سنن الإنتاج والتنمية المبثوثة في الكون والموافقة

---

1 - ينظر النجار، تفصيل النشأتين المقدمة، ص 32 .

2 - ينظر زرمان، الفعل الحضاري في القرآن، ص 21 .

3 - النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (2 / 62)

4 - ابن عاشور، التحرير والتنوير (30 / 245)

5 - الكيلاني، فلسفة التربية الإسلامية، ص 134 .

6 - البخاري، صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب سورة الليل، (1891/4)، رقم 4666 . ومسلم، صحيح مسلم، كتاب القدر، باب باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، (2039/4)، رقم2647.

لما جاء به المنهج من أوامر إلهية، إن القاسم والرابط الحقيقي بين هذه الأركان هو المحور الذي تقوم عليه هذه التفاعلية بينها، ألا وهو صفات الله، فالله سبحانه وتعالى قد أودع في الإنسان صورا من صفاته، وبث في الكون وعناصره مظاهر هذه الصفات، وهدانا بهديه كيفية إظهارها، فكانت العمارة إظهار الإنسان لآثار صفات الله سبحانه وتعالى في الكون، ولعلنا نلمس هذا المعنى في تسمية القرآن للسعي في الأرض بابتغاء فضل الله، يقول تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الجمعة:10)، ويقول تعالى: ﴿وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾(المزمل: 20)، فهذا التعرض لهذا الفضل هو المعتبر في النتيجة فكما قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (يونس: 58).

4- الارتباط بين الفكرة الدينية والخصائص:

إن لقيم الدين محتواها الحقيقي فهي ليست معاني مجردة بل تحمل في ثناياها طاقة التغيير والبناء [1]، وهي بحاجة إلى حيز تسكن فيه وتتفاعل معه وتؤثر فيه وتزوده بالطاقة وتنميه، وهذا الحيز هو الجانب الروحي الذي يعتبر حلقة وصل تنتقل فيها القيم إلى حيز التجسيد وهذا ما سيقوم به الجانب المادي؛ وبهذا تكونت علاقة عضوية في إطار العمارة بين الفكرة الدينية والإنسان الذي يحملها، فالفكرة "هي أصل قيام الحضارة واطرادها والإنسان هو السند المحسوس لهذه الفكرة، والفكرة الدينية هي التي تبعث في الفرد الحركة والنشاط، وهي التي تتولى إخضاع خصائصه الفطرية لعملية شرطية وتنظيمها في علاقة وظيفية مع مقتضيات الفكرة الدينية، فهي لم تلغ ولكنها انضبطت بقواعد نظام معين وبهذا يتحقق نوع من التوازن بين الروح والمادة" [2].

كما أن هناك صورا أخرى لهذه العلاقة تتمثل فيما يأتي:

1 – ينظر زرمان، الفعل الحضاري في القرآن، ص 70 .
2 – مالك بن نبي، شروط النهضة، ص 67 .

- التكليف يضبط الخصائص: إن للفكرة الدينية دورا كبيرا في ضبط الخصائص وفق عملية شرطية لتنظمها علاقة وظيفية مع مقتضيات هذه الفكرة (قيم الدين)، كما أنها تسهم في تفعيل الجانب الروحي للخصائص وطبعه بهذه القيم ليمارس الإنسان عمارته حسب قانون الروح، فالفكرة الدينية "هي التي تجعل الروح في كيان الإنسان مسيطرة على ما عداها" [1].

- التكليف يرتقي بالخصائص: الفكرة الدينية هي التي ترتقي بالسلوك الإنساني من إشباع الحد الأدنى الذي يتطلبه الجانب المادي في كل خاصية والذي تتلاشى عنده كل الجهود السلوكية،إلى السعي في إشباع الحد الأعلى وهو الجانب الروحي وذلك "برسمها لصورة واضحة عن غاية للحياة تستقر في الأذهان استقرار التبني الإيماني"[2].

- إن الإنسان بحاجة إلى الشعور بالواجب في مجال توظيف السلوك الذي يكون له أثر في تنظيم وتوجيه دوافعه وانفعالاته وخبراته، وأن التصور للغايات العليا لا يكفيه لرسم منهجه الذي له أثر في تكوين خبراته الانفعالية، وإنما لابد من رسم المنهج المؤدي إلى هذه التصورات، وبما أن الإنسان يتمتع بالحرية والإرادة والاختيار، وهو خليفة لله في أرضه، فإن له حركيته التي لها أثر في هذا المنهج ولذا لابد من صيانة هذا المنهج بالجانب التعبدي كخط دفاعي أول والعقوبات كخط دفاعي ثان [3].

5- حاجة الخصائص إلى منهج تربوي :-

إن مجرد وجود الخصائص في الإنسان لا يعني أنه كاف لقيام الإنسان بواجب العمارة، وإنما هو بحاجة إلى تكليف يلزمه بالسعي في العمارة، الذي يستلزم تفعيل خصائصه فيها، ذلك لأن "الطباع تألف الراحة وليس فيها ما يدعو إلى الكد والتعب، فلو لم يجعل هذا السعي واجبا لاجتمع الناس عن آخرهم على تركه وفي ذلك فساد العالم، والله ﷻ حكم ببقاء العالم إلى حين فنائه،وجعل سبب البقاء والنظام كسب العباد، لذلك جعل الشرع أصله فرضا لكيلا يجتمع الناس

---

1 - مالك بن نبي، شروط النهضة، ص 67 .
2 - النجار، فقه التحضر الإسلامي، ص 27 .
3 - ينظر المطرودي، الإنسان وجوده وخلافته في الأرض، ص 255 .

على تركه فيحصل ما هو المقصود "[1]، كما أن هذه الطباع قد تدعوه إلى أن يسعى إلى إشباع حاجاته بطرق تنافي النظام الذي وضع الله عليه العالم وفي ذلك اختلال لنظامه وفساد له، فلزم أن يكون هناك تكليف يلزم الإنسان بالسعي في العمارة أي بتفعيل خصائصه فيها، وهذا كله يدل على أن الإنسان حر مختار في تفعيل خصائصه للعمل في عمارة الكون، لذلك دأب الإسلام في منهجه التربوي في تفعيله للخصائص على الحث على العمل وربطه بالإيمان، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (التوبة: 105)، فقد "جمعت الآية بين الإيمان والعمل واليوم الآخر لينتظم في ذهن المسلمين أن الإيمان بمستوياته الثلاثة (الاعتقاد القلبي والعمل السلوكي والجزاء) لا ينفصل كل واحد منها عن الآخر"[2]، "فجعل العمل واجبا على الأفراد، منصوصا عليه في القانون العام،ويكل إلى الأمة ممثلة في الدولة الإشراف عليه بالتنظيم والمؤاخذة والمثوبة وأما المسئولية في الآخرة فقد نصت عليها الآية بقوله تعالى: (وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) وهذا العمل بمسئوليته الدنيوية والأخروية هو عمل في الدنيا في معترك الواقع، لا في صومعة ولا في سبحات الوهم ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ (الملك: 15)، ومناكب الأرض هي أنحاؤها العريضة وآفاقها الممتدة أفقا وراء أفق، أي أنه يجعل الواقع كله ميدان عمل، ولا يرضى بالنشاط المحدود بالتخوم المحلية وهو بذلك عمراني في التصنيع والزراعة والتجارة"[3]، هذا وقد "حذر القرآن من أن ينظر الإنسان إلى شيء من مظاهر الكون وفوائده المختلفة على أنه مما يجب الصدود عنه، أو عدم إشغال الذهن أو الحياة به رهبة أو تزهدا"[4]، يقول تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾(الأعراف: 32).

---

[1] - الشيباني، كتاب الكسب، ص 47 .
[2] -الجليند، خلل في مسيرة الأمة، ص 69 .
[3] - الخولي، الثروة في ظل الإسلام، ص 35 .
[4] - حامد قنيبي، الكون والإنسان، ص 131 .

إن "التكاليف الإسلامية تلزم الإنسان بتحقيق أكبر قدر ممكن من مطالب الجسم وبتحقيق أكبر قدر ممكن من مطالب الروح، وكشفت له من التخطيط الذي يحقق له ذلك، فهو مطالب بوضع خطة أبدية دائمة لتلبية مطالب الجسم، واضعا في اعتباره أنه لا نهاية لحياته في الدنيا، وهو مطالب بوضع خطة لحظية تحقق له في لحظته مطالب روحه، واضعا في حسبانه أن ذلك يجب أن يؤتي ثمرته في الأجل القصير جدا "اليوم"، يعمل الإنسان لدنياه كأنه دائم فيها، ويعمل لآخرته كأنه مقبل عليها بعد لحظات "[1]

إن هذا المعنى لحكمة تعلق التكليف بالخصائص، وما يتضمنه من سمو للخصائص ورفعتها عن الشهوات المركبة في طباع الحيوان، _والتي قد يكون بعضها سببا في بقاء العالم مع عدم القول بفرضيتها_ يبين لنا الأساس الذي يقوم عليه البعد التعبدي لتفعيل الخصائص في ضرورة أن تكون منافية للشهوات، ولعل هذا مما يفهم من تعريف الأصفهاني للعبادة في كونها " فعل اختياري مناف للشهوات البدنية تصدر عن نية يراد بها التقرب إلى الله طاعة للشريعة، فقولنا: فعل اختياري يخرج منه الفعل التسخيري والقهري ويدخل فيه الترك الذي هو على سبيل الاختيار، وبقولنا: مناف للشهوات البدنية يخرج ما ليس بطاعة، وأما الأفعال المباحة كالأكل والشرب ومجامعة المرأة فليست بعبادة من حيث إنها شهوة ولكن قد تكون عبادة إذا تحري بها حكم الشريعة "[2].

إن هذا التكليف يقتضي أن يكون هناك حساب على تفعيل الخصائص لأداء العمارة، إلا أن هذا الحساب يأتي على قدر ما أوتي الإنسان في عصره من إمكانات، "فلكل عصر درجة مقدرة من العلم والتكنولوجيا وبالتالي من السيادة في الأرض، ويحاسب على تحقيق هذا القدر المتاح له في عصره من السيادة، ومن ثم يحاسب على العمل لتحقيق السيادة أكثر من حسابه على العلم و التقدم العلمي في عصره، أما بالنسبة لتحقيق العبودية فالناس يحاسبون عليها كاملة لأن منهج الله فيها كامل وهو ميسور وفي طاقة الفرد والجماعة "[3].

---

1 - دنيا، الإسلام والتنمية، ص 52 .
2 - الأصفهاني، تفصيل النشأتين،، ص 157 .
3 - الدسوقي، مفاهيم قرآنية، ص 46 .

المبحث الثاني: السمات التربوية لخصائص الإنسان في عمارة الكون

تمهيد:-

إن لخصائص الإنسان في عمارة الكون مجموعة من السمات التربوية، التي تعتبر من الأدلة على وجود الأبعاد التربوية للخصائص، كما تعتبر من الأسس التي تعتمدها التربية في تعاملها مع هذه الخصائص، مع ما لهذه السمات من أبعاد تربوية مهمة نحتاج إليها في العملية التربوية والتعليمية، ومن هذه السمات ما يأتي:

المطلب الأول: فطرية:-

من دلالات الفطرة ومعانيها أنها "هيئة في نفس الإنسان معدة ومهيأة لأن يميز بها مصنوعات الله تعالى ويستدل بها على ربه"[1]، كما أن "الفطرة هي الخصائص التي طبعت وجبلت عليها النفس الإنسانية، والتي بازدهارها تزدهر النفس، وبإهمالها تذوي النفس الإنسانية وتفتر همة الإنسان"[2].

وبالنظر إلى خصائص الإنسان في عمارة الكون نجد أن هذه الأوصاف تنطبق عليها، فهي هيئة في نفس الإنسان معدة ومهيأة للتعامل مع عناصر الكون وفق قاعدة نص عليها القرآن وهي قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾(طه:55)، كما أنها يستدل بها على وجود الله ﷻ وهذا ما أفاده قوله تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾(هود: 61)، في معرض الاستدلال على وحدانيته والامتنان بنعمه، "فكون الأرض قابلة للعمارات النافعة للإنسان وكون الإنسان قادرا عليها دلالة عظيمة على وجود الصانع" [3]، كما أن الله ﷻ وصف ما منّ الله به على الإنسان من نعم اشتملت على هذه الخصائص بالآيات ثم ذكر من بعدها الفطرة، وذلك في

---

[1] – ابن عطية، المحرر الوجيز(4 / 390)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (14 / 29).

[2] – نحلاوي، التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة، ص85.

[3] – الرازي، التفسير الكبير (18 / 15)

قوله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(الروم:30.)، "وإقامة الوجه هو تقويم المقصد والقوة على الجد في أعمال الدين، وخص الوجه بالذكر لأنه جامع حواس الإنسان وأشرفه ودخل في هذا الخطاب أمته باتفاق من أهل التأويل" [1]، أي أن التعبير بالوجه وإقامته له دلالته التربوية وهي أن الإنسان عليه أن يضبط صورته بما جاء به الدين لتوافق الأمر الكوني مع الأمر الشرعي .

البعد التربوي لفطرية الخصائص:-

إن فطرية الخصائص تعني أنه لا تناقض بين العمارة كوظيفة للإنسان وبين فطرته، وذلك لأن للإنسان احتياجات فطرية لابد لإسعاده من إشباعها، وتحتوي هذه الاحتياجات على احتياجات روحية واحتياجات مادية، ومن ناحية أخرى على احتياجات ذاتية واحتياجات اجتماعية، وعليه فالوظيفة تلبي مطالب الفطرة والفطرة تنشد القيام بالوظيفة، بل إذا أمعنا النظر نجد بين الاثنين تكاملا وتلازما، فهناك ارتباط وثيق بين العمارة على أكمل وجه بهدف تحقيق أكبر قدر من عبادة الله وبين فطرة الإنسان، حيث "إن جانب الروح في فطرته يجعله ينشد عبادة الله، وينهض إلى القيام بما يستلزمه ذلك، وجانب المادة يجعله يقبل على التعمير لإشباع مطالب جسمه هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن جانب الذاتية المستقلة يعكس المزيد من الإبداع حسب ميول الأفراد ومواهبهم، ويعكس في الوقت ذاته التنوع في الأنشطة، فمادامت ميول الأفراد متنوعة فمجالات الحياة المختلفة تجد مواهب تطوقها وتعمل فيها، ويعكس جانب الاجتماعية في فطرة الإنسان تضافر الجهود النابع من منطق الفطرة لتعمير الأرض والاستفادة من مواردها "[2]، ولكي تؤدي

[1] – القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (14 / 24)
[2] – دنيا، الإسلام والتنمية، ص 54 – 55 .

هذه الخصائص دورها لابد من تلبية مطالب كلا العنصرين اللذين خلقت منهما، وإلا فلن نكـــون أمام الإنسان السوي الذي خلقه الله [1].

أسلوب توجيه الطاقة (توجيه طاقة الدافع):-

إن هذا المبدأ التربوي في كون أن الخصائص فطرية جبلت النفوس عليها، ممـــا جعـــل منهـــا صفة لها، يدعو إلى عدم كبتها، وهذا ما يدعو إلى أن يكون هناك أسلوبا تربويا للتعامل معها،هذا الأسلوب هو أسلوب تحويل الطاقة وتوجيهها، وهذا الأسلوب تحكمه قاعدة تربوية قعد لها الشيخ زروق مفادها أن الطباع لا تستأصل ولكن تحول، قال فيها: "ما جبلت عليه النفوس، فلا يصـــح انتفاؤه عنها، بل ضعفه وقوته فيها وتحويله عن مقصد لغيره، كالطمع لتعلق القلب بما عنـــد الله توكلا عليه ورجاء فيه، والحرص على الدار الآخرة بـــدلا مـــن الـــدنيا، والبخـــل فيمـــا حـــرم ومنع،والكبر على مستحقه، ولرفع الهمة عن المخلوقين حتى تتلاشى في همته جميع المقدورات، فضلا عن المخلوقات، والحسد للغبطة، والغضب لله سبحانه حيث أمر، والحقد على من لا نســـبة له من الله حسب إعراضه والتعزز على الدنيا وأهلها، والانتصار للحق عند تعينه إلى غير ذلـــك والله تعالى اعلم" [2].

أسلوب تهذيب الطاقة (تهذيب الدافعية):-

إن من الأساليب التربوية أسلوب تهذيب الطاقة، ويقصد به تحقيق التعادلية والاتزان، والعمـــل على عدم وجود خلل أو اضطراب، وبالنسبة للخصائص ينبغي المحافظة عليها من أن تتأثر بكل ما من شأنه أن يخرج بها عن وظيفتها؛ ذلك لأن "الاستعدادات تنشـــط لإشـــباع حاجاتهـــا مـــن البيئة،والبيئة تتولى تشكيل الاستعداد وتعديله قوة وضعفا، والتفاعل بين البيئة والوراثة في ظـــل التوجه الإسلامي وتحت ضوابط يحقق الخير للإنسان والإنسانية، ويتضح هذا في تهذيب الإسلام للغرائز الفطرية فقد هذب الغريزة الجنسية بالزواج، وهذب التملـــك بالزكـــاة، وهـــذب غريـــزة

---

[1] – ينظر دنيا، الإسلام والتنمية، ص 52 .

[2] –.زروق، قواعد التصوف، ص 117

السيطرة بالشورى، وهذب غريزة الاجتماع بالتعاون على البر والتقوى، وهذب غريزة المغامرة بالشجاعة في الحق، وهذب غريزة التنافس بالتنافس في مجال الطاعة والجهاد في سبيل الله، وهذب غريزة الأكل والشرب بالصوم، وهذب غريزة الغضب بالحلم، وهذب غريزة الانتقام بالعفو وغير ذلك من الغرائز، ومع التفاعل بين البيئة والوراثة يكون التفاضل بين الناس، فمع التفاضل بينهم يتحقق التكامل بين أجزاء المجتمع، ومع التكامل بين أجزاء المجتمع تتحقق الحياة ويتحقق البقاء"[1].

المطلب الثاني: الخصائص ملكات ومواهب إلزامية مرهونة في تفعيلها على الاختيار:-

الخصائص ملكات ومواهب مرهونة على تفعيلها على الاختيار، وكون أنها فطرية لا يعني أنها غريزية، وذلك لأنها مناط التكليف والابتلاء، وهذا يعني أنها متنوعة بين الإلزام والاختيار،"فليس للإنسان اختيار في إيجاد خصائصه فهي مخلوقة وفق ما اقتضته الإرادة الإلهية، إلا أن له الخيار في تنميتها واستثمارها عن تعادلية في فعالياته المختلفة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية مما سخر الله له في الكون وفق سنن وقوانين ثابتة، وفي ذلك تكمن ميزة الإنسان"[2]، ومما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً ﴾(الإنسان: 2)،وقوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾(الشمس: 7 – 10)، وهذا يعني أن تفعيل الخصائص متوقف على الإرادة الإنسانية، وهذا ما يتوافق مع قاعدة التكليف بعبادة التعمير التي هي منوطة بهذه الخصائص، كما أنه لا يتنافى مع ثبوت الإرادة الإلهية؛ لأن " الله سبحانه وتعالى إنما شاء العبادة من جميع عباده وأرادها منهم وقضاها عليهم في الشرع لا في الكون، فمن أطاع أمره وأتى بما أراده وشاءه منه

---

1 – الراوي، قضايا تربوية عربية في رؤى إسلامية، ص 258 .

2 – المطرودي، الإنسان وجوده وخلافته في الأرض، ص 415– 416، حسن صعب الإسلام والإنسان، ص 85 .

فله رضاه والجنة ومن خالف في ذلك فله سخطه والنار"[1]، وهذا يعني أن الخصائص ملكات ومواهب وليست مجرد غرائز وقد أشار الله تعالى إلى هذا المعنى بقوله تعالى:﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾(يونس: 99)، أي "هو القادر على أن يفعل في قلوبهم ما يضطرون عنده إلى الإيمان"[2]، وذلك "بأن يخلق فيهم جميعا استعدادا غريزيا _مثلا_ ينقادون به قسرا إلى الإيمان، ومن هنا ندرك فرقا يتميز به الإنسان عن الكون، فهو مريد والكون لا إرادة له"[3]، وهذا سر من أسرار التميز الإنسان بهذه الخصائص، وذلك لأن " الطبيعة لا خيار لها في الانفلات من سنن الله، أي أنها لم توهب موهبة الإرادة التي تجعل لها الاختيار في موافقة نواميس الله أو مخالفتها، فهي منقمعة في سطوة تلك النواميس لا تستطيع لها خلافا، كما قال تعالى: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾(يس: 40)، أما عمل الإنسان في الخلافة فهو إرادي لا غريزي على ما نشاهد من أمرنا من مخالفة أحكام الله، واستبدال مثل السوء والفساد بمثل الخير والحق الذي أمرنا بتحقيقها، فلو كان أمرنا في إمضاء أحكام الله موكولا إلى غريزة من الغرائز أو سنة من السنن لتولت السنن سياقنا إلى تحقيق ما هو مطلوب دون تدبر أو اختيار"[4]، وهذا أيضا بعد عقدي علينا أن ندركه وهو أن" للعباد قدرة على أعمالهم ولهم مشيئة، والله سبحانه وتعالى خالقهم وخالق قدرتهم ومشيئتهم ولا قدرة لهم ولا مشيئة إلا بإقدار الله عز وجل إن شاء وأراد" [5].

هذا وقد تنبه الشيباني لهذا البعد عند استدلاله العقلي على وجوب التكسب، وفيه يتبين الفارق بين الخصائص باعتبارها مناط للتكليف وبين الغرائز الحيوانية التي تعمل دون أي إدراك، يقول

---

1 – الحكمي، معارج القبول، ص83 .

2 – الزمخشري، الكشاف (3 / 55).

3 – الخولي، آدم عليه السلام، فلسفة تقويم الإنسان وخلافته، ص 136 .

4 – الخولي، آدم عليه السلام، فلسفة تقويم الإنسان وخلافته، ص 135 – 136 .

5 – الحكمي، معارج القبول، ص223 .

الشيباني: "والمعقول يشهد له فإن في الكسب نظام العالم، والله تعالى حكم ببقاء العالم إلى حين فنائها وجعل سبب البقاء والنظام كسب العباد، وفي تركه تخريب نظامه وذلك ممنوع منه، فإن قيل: فبقاء هذا النظام يتعلق بالتسافد بين الحيوانات، وأحد لا يقول بفرضية ذلك، قلنا: نعم إن الله تعالى علق البقاء بتسافد الحيوانات وركب الشهوة في طباعهم، فتلك الشهوة تحملهم على مباشرة ذلك الفعل، فلا تقع الحاجة إلى أن يجعل ذلك فرضا عليهم لكيلا يمتنعون عن ذلك، فإن الطبع أدعى إلى إفضاء الشهوات، فأما الاكتساب في الابتداء كد وتعب، وقد تعلق به بقاء العالم، فلو لم يجعل أصله فرضا لاجتمع الناس عن آخرهم على تركه، لأنه ليس في طبعهم ما يدعو إليه الكد والتعب فجعل الشرع أصله فرضا لكيلا يجتمعوا على تركه فيحصل ما هو المقصود"[1].

بعد تربوي: إن وجود هذه الخصائص في الإنسان لا يعني أنه سيضطر إلى إقامة العمارة الكاملة، بل يشترط في قيامها أن يسعى الإنسان إليها بالاكتساب وهذا من معاني التكليف بها[2]،فعلينا الموازنة بين معنى الإلزام في وجودها، ومعنى الاختيار في تفعيلها لقيام العمارة الكاملة، وذلك لأن العمارة في بعدها المادي تكاد تكون إلزامية لأنها وسيلة لإشباع الجانب المادي في الإنسان فتكون في ذلك داخلة تحت الإرادة الكونية[3]، والذي يعتبر جانبا مهما في الخصائص له أثره في إيجاد الدافعية لدى الإنسان في سعيه للعمارة إلا أنه سعي مضبوط بأحكام الشرع، فوجب تحصيله من الوجه المباح له، وبهذا يتحقق الابتلاء الذي يظهر مكنون محاسن خصائص الإنسان، والذي يجعل من العمارة عبادة .

أما عن إشباع الجانب الآخر من الخصائص فيغلب عليه جانب الاختيار وهو أيضا موضوع للابتلاء، يقول تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ

---

[1] – الشيباني، كتاب الكسب، ص 47 .
[2] – ينظر النجار، فقه التحضر الإسلامي، ص 37 .
[3] – ينظر المطرودي، الإنسان وجوده وخلافته في الأرض، ص 388 .

اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: 256)، ويقول تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾(البقرة: 168).

تفعيل الخصائص و عقيدة السببية:-

إن عمارة الكون "تنشأ بالتفكير في الارتقاء بالصالح في الكون"[1]، والعمارة باعتبارها فعلا إنسانيا تدخل في قيامها أو عدمه ضمن الإرادة الإنسانية على سبيل الكسب والتحصيل، لما يتميز به الإنسان من حرية الاختيار، وهي بهذا المعنى "تدخل ضمن دائرة محكومة بقانون الأسباب والمسببات"[2]، أو عقيدة السببية، وهو مبدأ تربوي عقدي يتوقف عليه قيام الإنسان بالعمارة، ذلك لأن "هذه الأسباب الكونية التي وضعها الله تعالى في هذه الحياة وسائل لمسبباتها موصلة _بإذن الله تعالى_ من تمسك بها إلى ما جعلت وسيلة إليه، بمقتضى أمر الله وتقديره وسننه في نظام هذه الحياة والكون ولو كان ذلك المتمسك بها لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر ولا يصدق المرسلين، ومن مقتضى هذا أن من أهمل تلك الأسباب الكونية التقديرية الإلهية ولم يأخذ بها لم ينل مسبباتها ولو كان من المؤمنين وهذا معلوم ومشاهد من تاريخ البشر في ماضيهم وحاضرهم، نعم لا يضيع على المؤمن أجر إيمانه ولكن جزاؤه عليه في غير هاته الدار، كما أن الآخر لم يضع عليه أخذه بالأسباب فنال جزاءه في دار الأسباب وليس له في الآخرة إلا النار"[3]، وهذا مبدأ أقره القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾(هود: 15)، وقوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ

---

1 - الشعراوي، تفسير الشعراوي، ص 373 .

2 - النجار، فقه التحضر الإسلامي، ص 42

3 - ابن باديس، في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ص 50 .

مَشْكُورًا﴾(الإسراء: 18، 19)، وقوله تعالى: ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾(الشورى: 20).

إن العقيدة الإسلامية إذ تربي المسلم على ضرورة الأخذ بالأسباب تربيه في الوقت نفسه" ألا يتكل على الأسباب الظاهرة فيحبط عمله، إنما يظل قلبه موصولا بالله متطلعا إليه أن ينجح مسعاه ويوصله إلى النتائج المرغوبة، وبذلك يتوازن الإنسان في سعيه في الأرض، لا يهمل الأسباب فتواكل، ولا يكف عن التطلع إلى قدر الله"[1]، وهذا هو مضمون معنى التوكل الذي في حقيقته الأخذ بالأسباب مع الثقة في الله، يقول تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾(الطلاق: 3)، فعلينا أن نعتقد اعتقادا جازما "أن سنن الله ماضية ومطردة لا تتخلف وأن من طلب النهضة بغير الأخذ بأسبابها فقد طلب المستحيل، وهذا الاعتقاد هو مدخل ضروري للوصول إلى الغايات وتحصيل المقاصد، كما أنه علينا أن نعلم أن عقيدة الأخذ بالأسباب محايدة لا تعرف المجاملة ولا المحاباة، فمن أخذ بأسباب النهضة لابد أن ينهض مهما كان دينه واعتقاده حقا كان أو باطلا صوابا كان أو خطأ ومن أهمل هذه العقيدة فلم يأخذ بها لابد أن يجني هذا الإهمال تخلفا وهزائم وهوانا ومذلة وهذا ما يصدقه واقعنا اليوم" [2]، وفق القاعدة العامة للتغيير في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾(الرعد: 11).

ومن هنا ندرك أهمية الارتباط الوثيق بين تفعيل الخصائص والإرادة الإنسانية لقيام العمارة،فلكي يتم هذا التغيير في مجال تحقيق العمارة ينبغي البدء بالخصائص وذلك بتفعيلها وتنميتها والرقي بها وتوجيهها نحو التعمير، وبذلك يتم موافقة الإرادة الإنسانية لإرادة الله الكونية

1 – خطاطبة، المضامين التربوية في العقيدة الإسلامية، ص 28 .
2 – الجليند، علل في مسيرة الأمة، ص 26، 27 .

وذلك بامتثال الإرادة الشرعية؛ فتتحقق العمارة الكاملة التي تتفق مع خصائص الإنسان المادية والروحية، وهي ما تكون نتيجة للتفاعل بين تلك الدوافع والتكليف الإلهي لتلتقي الإرادة الكونية مع الإرادة الشرعية وبهما تستحق الخلافة[1]، وهذا لا يتم إلا عن طريق تفعيل دور الخصائص وذلك بالربط بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية .

إن الخصائص في حدها الأدنى أي الجانب المادي تدفع بالعمارة المادية وتجعل منها إلزامية لما فيها من إشباع للحاجات المادية في الإنسان وهي بذلك يغلب عليها كونها إرادة كونية من كونها إرادة شرعية، إلا أن تعلق هذه الإرادة حاضر فيما جاء من أوامر ونواه تضبط إشباع هذا الجانب، أما الجانب الروحي منها فقد تعلقت الإرادة الكونية في وجود أصله أما ما يتعلق بتفعيله والرقي به، فيغلب عليه جانب الاختيار ليكون موضوعا للابتلاء الذي يظهر مكنون محاسن الإنسان، لذلك تعلقت به الإرادة الشرعية .

إن هذا الأمر يفسر لنا كون الإنسان مخيرا ومسيرا في آن واحد لتفاوت ارتباط كلا جانبي الخصائص بالإرادة الكونية أو الإرادة الشرعية .

عقيدة السببية في المناهج الدراسية:-

إن من الخلل الذي أصاب المناهج الدراسية "غياب عقيدة قانون الأخذ بالأسباب أو الاعتقاد بالسببية على أنها عقيدة ودين وسنة من سنن الله في الكون والاجتماع البشري، وهي سنة أثبتها القرآن الكريم ونبه إلى أهميتها وضرورة الإيمان بها على أنها نظام ثابت في الكون ونظام مطرد لا يتخلف إلا بمشيئة الله كما يحدث في المعجزات من خرقا للعادات، لذلك كان لزاما أن تحتل عقيدة السببية مكانتها مكانها في مناهجنا الدراسية كجزء أساسي من مفردات المنهج

[1] – المطرودي، الإنسان وجوده وخلافته في الأرض، ص 388 .

الدراسي، حتى يبدأ الجيل وهو مؤمن بهذه القضية كإيمانه بالله وبسننه المطردة، فيتحقق ما تصبو إليه الأمة من نهضة وما أمر به المولى عز وجل من عمارة للكون" [1].

المطلب الثالث: متناغمة مع السنن الكونية:-

إن تنوع القدرات والخبرات لدى البشر لا حدود له وهي تتلاقى مع بعض الأسرار الإلهية التي أودعها الله خالق هذا الكون فيه وسلط البشر عليها لأنها مسخرة لهم [2] وفق ما ينسجم والتركيب الذي ركب عليه الإنسان، ويحقق متطلباته، من أجل أن يواصل مسيرته في إعمار الكون وعبادة الله وحده[3]، كما أن المنهج الإسلامي ضبط التفاعل بين الخصائص والعناصر الكونية واستفادة الإنسان منها وفق قاعدة الحلال والحرام، التي دلت على هذا الانسجام من أمثال قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾(البقرة: 168)، ومرد هذا الانسجام إلى أن الله ﷻ قد خلق الكون قبل أن يخلق الإنسان ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ بل إن الإنسان هو المقصود من العالم وإيجاده شيئا بعد شيء، وفي هذا الشأن يقول الأصفهاني: " المقصود من العالم وإيجاده شيئا بعد شيء أن يوجد الإنسان، فالغرض من الأركان هو أن يحصل منها النبات، ومن النبات أن يحصل منه الحيوان، ومن الحيوان أن تحصل الأجسام البشرية، ومن الأجسام البشرية أن تحصل منها الأرواح الناطقة، ومن الأرواح الناطقة أن تحصل منها خلافة الله في الأرض، فيتوصل بإيفاء حقها إلى النعيم الأبدي، كما دل عليه تعالى بقوله: ﴿ إني جاعل في الأرض خليفة ﴾"[4]، كما أنه أثر من آثار النشأة من الأرض فالنشأة مفهوم له بعد تربوي مضمونه تحقيق هذا الانسجام، وهي نشأة تمت عبر مراحل أدت إلى هذا التوافق المؤدي إلى أن يتنعم الإنسان بنعم الله تعالى.

---

[1] – الجليند، علل في مسيرة الأمة، ص 26 .

[2] – ينظر بابللي، إعمار الأرض، ص 7 .

[3] – ينظر خليل، مفهوم الإعمار وعلاقته بالنهضة في ضوء القرآن الكريم، ص 24 .

[4] – الأصفهاني، تفصيل النشأتين،، ص 100 .

تقوم التفاعلية بين الخصائص وبين عناصر الكون المسخرة على وجود علاقة التوافق والانسجام بين الإنسان والكون، وهي علاقة اقتضتها عدة أمور بينتها العقيدة الإسلامية لتكون أساسا تربويا للتعامل مع الكون والقيام بتعميره ومن هذه الأمور:

- **الخضوع لنفس الإرادة:** إن هناك وشائج روحية بين الإنسان وبين الكون وعناصره المختلفة باعتبار أنهما يذعنان لنفس الإرادة مما يدفع بالإنسان إلى الاقتراب من الكون واقتحامه بالتعمير وعدم الصدود عنه والخوف منه [1].

إن التعبير القرآني بيَّن أن هذا الأمر كان له دور كبير في حصول العمارة وذلك في سياق الاستدلال على وحدانية الله بحصول الفساد في حال انتفائها فقال تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾(الأنبياء: 22)، كما أن الخضوع لنفس الإرادة له أثر في توجيه كليهما إلى نفس الغاية وهي العمارة، ونقصد بالإرادة هنا هو الإرادة الكونية باعتبارها قاسما مشتركا بين الطرفين، فالخصائص إرادة كونية والتخسير كذلك إرادة كونية، لذلك كانت العمارة المادية عمارة إلزامية في حدها الأدنى الذي يضمن بقاء وجود الإنسان، أما العمارة المعنوية فهي منوطة بالالتزام بالإرادة الشرعية

- **الانتماء لنفس الطرف الوجودي:** وهو وجود ناقص له أجل مسمى يقابله وجود كامل لا متناهي، سائر إليه، ينبغي أن يسعى إلى أن يكون كاملا فيه، إلا أن هذا الانتماء لنفس طرف الوجود لا يعني التساوي بينهما في الترتيب القيمي، فالكون مسخر للإنسان والإنسان مستخلف فيه، ومن مقتضيات هذا الأمر تميز الإنسان بهذه الخصائص ليقوم بمهمة العمارة، كما أن وجود هذه الخصائص وفرت للإنسان نوعا من التميز تمثل في تلك القطبية (الوجودية،التكوينية،المعرفية).

---

[1] - ينظر الشرقاوي، في فلسفة الحضارة الإسلامية، ص 279 .

أثر التناغم في تفاعلية الخصائص:-

إن وجود هذه الخصائص في الإنسان هو سبب في تمكن الإنسان في هذه الأرض، وهذا ما دل عليه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ﴾(الأعراف:10)، إذ من معاني التمكين الإقدار على التصرف فيها، وهذا لا يكون إلا إذا أمد الله الإنسان القدرة على هذا التصرف والتي تتمثل في هذه الخصائص، وذلك بأن تكون موجودة في ذات الإنسان إلا أن وجودها هو وجود بالقوة وما على الإنسان إلا أن يوجدها بالفعل، ويضبطها وفق ما جاء به الشرع، لتلتقي الإرادة الكونية مع الإرادة الشرعية .

وهذا التمكين الذي بمعنى القدرة هو تمكين مادي فقد جاء في تفسير (مكناكم) أيضا "جعلنا لكم فيها مكانا وقرارا، أو ملكناكم فيها"[1].

فإذا ما تقرر أن هذا التمكين بكل ما للفظ من دلالة يطابق ويتضمن ويستلزم وجود هذه الخصائص، وجد أن هذا التمكين جمع في سياق الامتنان مع وجود المعايش التي هي جمع معيشة وهي كل ما يعاش به من المطاعم والمشارب وغيرها أو ما يتوصل به إلى ذلك وبهذا المعنى قد تكون المعايش هي سنن الإنتاج والتنمية، وللخصائص طواعيتها مع سنن الإنتاج والتنمية، فقد اقتضى الجمع بين الخصائص والمعايش أن يكون هناك نوع من التفاعلية بين هذه الخصائص وبين العناصر المسخرة، وتتمثل هذه التفاعلية في وجود القدرة على الفعل من قبل الخصائص ووجود الانفعال من قبل العناصر، كما أن هناك فعلا في العناصر وهو الإثارة والتحدي المعبر عنه بالمعيشة، وانفعال من الخصائص يمتثل في الاستجابة لهذا التحدي، ولكن كل هذا يحتاج فيه إلى التزام الشرع لتتم هذه العملية على ما أراد الله لذلك كان وجود هذه

---

[1] - الزمخشري، الكشاف (2 /207)

التفاعلية التي نسميها عمارة وفق المنهج المرسوم هو شكر لله تعالى وقد يكون هذا من معاني قوله تعالى: (قليلا ما تشكرون).

إن "التنبيه إلى ما في الكون من قدرات وطاقات مسخرة مفاده أن توجه هذه لتأييد سيادة أحكام الله في الأرض لا إلى سيادة الأثرة والهوى"[1]، يقول تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾(الحديد: 25)، ولوجود هذا الانسجام بين خصائص الإنسان والسنن الكونية المسخرة دور كبير في تحقيق سيادة الإنسان، وذلك لأن " تحقيق السيادة يقوم على ركيزتين جعلهما الله عز وجل للإنسان، لأن الإنسان سيد على كل المخلوقات في الأرض بمقتضى كونه خليفة وقد سيده الله عليها بهاتين الركيزتين الأولى: وهبها الله للإنسان فهي ركيزة ذاتية، وهي استطاعة الإنسان على العمل، ويمكن العلم الإنسان من توسيع دائرة عمله، فعلم الأسماء يدخل كمقوم أساسي في هذه الركيزة، لأن العلم التجريبي ليس سوى معرفة خصائص الأشياء والقوانين التي تحكم علاقتها وتأثيرها، فإذا عرف الإنسان طبيعة الشيء وخصائصه وتأثيره وتأثره بغيره استطاع تسخيره وتحقيق سيادته عليه، فالعلم هو المؤهل الذاتي المحقق لسيادة الإنسان في الأرض، أما الركيزة الثانية فهي كامنة في طبيعة الأشياء والأحياء الأرضية وهي تتمثل في تسخير الله عز وجل لها"[2]، الذي يعتبر مظهرا من مظاهر تكريم الإنسان وإشعاره برئاسته لهذا الكون المحسوس[3]، يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾(الإسراء: 70).

---

[1] – الخولي، الثروة في ظل الإسلام، ص 16 .
[2] – الدسوقي، مفاهيم قرآنية، ص 43 .
[3] – ينظر حامد قتيبي، الكون والإنسان، ص 99 .

تفعيل الخصائص:-

يكون تفعيلها بأمرين هما الإرادة والقدرة (حارث وهمام) وهذا يقتضي توليد الإرادة، وهو ما يتم عن طريق الفكرة الدينية وما توفره من دافعية للعمارة، أما القدرة فتتم بالعلم والتدريب وتحويل ما هو موجود بالقوة إلى موجود بالفعل، فالقدرة على مباشرة الفعل، تقابل الجانب الحسي في كيان الإنسان، والإرادة تقابل الجانب المعنوي في كيان الإنسان، فصدق عليه ذلك الوصف الذي أشار إليه ﷺ في قوله أثناء حديثه عن الأسماء: (أحب الأسماء إلى الله تعالى عبد الله وعبد الرحمن وأصدقها حارث وهمام، وأقبحها حرب ومرة)[1]، "فالحارث بمعنى الكاسب، وهمام فعّال من همّ بالشيء إذا أراده فلا يخلو إنسان عن كسب وهمّ بل عن هموم، وهو معنى الصدق الذي وصف به هذان الاسمان[2]، فمسماهما لا ينفك عن حقيقة معناهما"[3]، وذلك لأن الإنسان "إما أن يكون في حرث الدنيا أو حرث الآخرة، ولأنه لا يزال يهم بالشيء بعد الشيء"[4].

أما عن منهج الإسلام في تفعيله للخصائص فهو أنه "أوجب على الإنسان العلم والعمل وأسبابهما ليتمكن من استثمار خصائصه فيما سخر له، للكشف عن أسرار الكون والاستفادة منه"[5].

إن التعاليم الدينية ما هي إلا منهج تربوي وضعه الله ﷻ _من باب عدله وحكمته _ للإنسان ليقوم بواجب العمارة الذي كلف به، لذلك كان على التربية الإسلامية أن تعتمد ما جاء في الدين من تعاليم في تفعيل دور الإنسان في العمارة، حتى يتحقق للأمة رقيها، وتتم حضارتها، ويتم

---

1 – سبق تخريجه، ص 93 .
2 – العظيم آبادي، عون المعبود (13 / 293)، و الخطابي، معالم السنن(شرح سنن أبي داوود)،(4 / 126)
3 – المناوي، فيض القدير (3 / 334)
4 – ابن حجر العسقلاني، فتح الباري (10 / 578)
5 – المطرودي، الإنسان وجوده وخلافته في الأرض، ص 418 .

التغيير "الذي يبدأ من داخل الفرد وذلك بتخليه عن كل اعتقاد أورثه الخمود والاستكانة وكبل قدراته وإمكانياته، وبتحليه بالعقيدة السليمة الدافعة به إلى البذل والعطاء، والانسجام مع سنن الله في الأنفس والآفاق، ومنه يمتد التغيير ليشمل قاعدة المجتمع كلها ويستوعبهم ضمن دائرة العقيدة فتقوم للأمة حضارتها ذلك لأن الإنسان بمجرد أن تتغير عقيدته وأفكاره في الاتجاه الإيجابي يتبع ذلك _بصفة تلقائية_ تغير في سلوكه وأفعاله واندفاع نحو تجسيد قيمه ومبادئه في الواقع، ومن مجموع الإرادات الاجتماعية تنشأ الحضارة"[1].

إن دور الإنسان يبدأ بتفعيل كل خاصية من خصائص التعمير فيه في جانبيها المعنوي والحسي عن تعادلية واتزان، وذلك "بأن ينشد كل جانب منها رقيه فيما حدده له التصور من أهداف يسعى إلى تحقيقها، وينضبط تعامله مع مطالبه المبثوثة في الكون بضوابط الشرع ؛ وهذا يستلزم تسجيل الفكرة في النفوس لتحل حلولا إيمانا وتكتسب في النفس وضعا بالغا فيها من العمق درجة تصبح بها مسيطرة على كل كيان الإنسان فتوجه قدرات ذلك الكيان توجيها موحدا نحو العمل الإنجازي لتحقيقها في الواقع" [2]، وقد نبه ابن خلدون إلى هذا البعد التربوي للفكرة الدينية على المستوى الفردي وعلى المستوى الجماعي، ففي المستوى الفردي قال في الدرجة الإيمانية التي تكون دافعة إلى الفعل الحضاري: إنها "حصول كيفية من ذلك الاعتقاد القلبي بالتوحيد وما يتبعه من العمل مستولية على القلب، فيستتبع الجوارح وتندرج في طاعتها جميع التصرفات حتى تنخرط الأفعال كلها في طاعة ذلك التصديق الإيماني"[3]، وفي المستوى الجماعي بين أثر العامل الإيماني الديني في وحدة القلوب والجهود نحو الإنشاء والتعمير، فقال: "إن القلوب إذا انصرفت إلى الحق ورفضت الدنيا والباطل وأقبلت على الله بالتوحيد اتحدت

---

1 – زرمان، الفعل الحضاري في القرآن، ص 56 .
2 – النجار، فقه التحضر الإسلامي، ص 28 .
3 – ابن خلدون، المقدمة، ص 426 .

وجهتها فذهب التنافس وقل الخلاف وحسن التعاون والتعاضد واتسق نطاق الكلمة، لذلك فعظمت الدولة"[1]، فهذان القولان يتكاملان في بيان الدافع إلى التحضر متمثلا في الدرجة الإيمانية الفاعلة التي تحل فيها الفكرة من النفس فينفر بها الإنسان نفيرا جماعيا للبناء الحضاري"[2].

المطلب الرابع: طواعيتها لسنن التنمية و الإنتاج:

من الأمور التي تتميز بها الخصائص طواعيتها للتفاعل مع سنن الإنتاج والتنمية[3]، لما توفره هذه السنن من إشباع لكلا الجانبين فيها، ومما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾(الأعراف: 10)، فمن مستلزمات التمكين أن يكون في ذات الإنسان أسباب هذا التمكين الذي من معانيه القدرة على التصرف في الأرض والتملك فيها، ومن مستلزمات الانتفاع بالمعيشة وجود ما يتوصل به إليها، وهذا المعنى يفهم من كلام الزمخشري في تفسيره لهذه الآية حيث قال تعالى: "(مكناكم في الأرض) جعلنا لكم فيها مكاناً وقراراً، أو ملكناكم فيها و أقدرناكم على التصرف فيها (وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا معايش) جمع معيشة وهي ما يعاش به من المطاعم والمشارب وغيرها، أو ما يتوصل به إلى ذلك "[4]، "والمراد بالمعايش وجوه المنافع وهي على قسمين، منها ما يحصل بخلق الله تعالى ابتداء مثل خلق الثمار وغيرها،ومنها ما يحصل بالاكتساب، وكلاهما في الحقيقة حصل بفضل الله وإقداره وتمكينه فيكون الكل إنعاما من الله تعالى"[5]، وفي هذا ما يفيد بأن للخصائص دورا في الحياة، ولها طواعيتها للتفاعل مع سنن الإنتاج والتنمية [6]، وفي ذلك دلالة عمرانية ذات مضمون تربوي " فليس الغرض من التمكين أن يأكل الناس ويشربوا فحسب، بل المراد استثارة أقصى ما يمكن

---

1 – ابن خلدون، المقدمة، ص 142 .
2 – النجار، فقه التحضر الإسلامي، ص 34 – 35 .
3 – ينظر المطرودي، الإنسان وجوده وخلافته في الأرض، ص 388 .
4 – الزمخشري، الكشاف (2 /207)
5 – الرازي، التفسير الكبير (14 / 24)
6 – ينظر المطرودي، الإنسان وجوده وخلافته في الأرض، ص 415 .

من الطاقات المضمرة في العزائم والعقول لاستثارة أقصى ما يمكن من الخيرات المضمرة في باطن الأرض وخفايا الطبيعة لإقامة أفضل ما يستطاع من العمارة المزدهرة بالجد والخلق الفاضل "[1]، لذلك جاء الشرع بمجموعة من القواعد والأحكام تحقق استقرار الناس على الأرض وارتفاقهم لها وتمكينهم من التصرف فيها، منها قاعدة التملك في قوله ﷺ: (من أحيا أرضا ميتة فهي له) [2]، وقوله ﷺ: (من أعمر أرضا ليست لأحد فهو أحق) [3]، وقاعدة الشراكة في موارد الطاقة المباحة يقول ﷺ: (المسلمون شركاء في ثلاث الكلأ والماء والنار) [4]، كما حرم كل ما من شأنه أن يحد من تمكين الإنسان في الأرض والانتفاع بها، ويسبب خللا في العلاقة بينه وبينها، ومن ذلك تحريمه لاغتصاب الأرض والسطو عليها يقول ﷺ: (من سرق شبرا من الأرض طوق إلى سبع الأرضين) [5]، وتحريمه إخراج الناس من أرضهم بغير الحق، وتحريمه كل ما من شأنه الحد من طواعية الخصائص لسنن الإنتاج والتنمية ومن ذلك تحريمه الاحتكار،والاستغلال؛ وغير ذلك من الأحكام التي تنظم انتفاع الناس بالأرض فيها وفق قاعدة عامة مفادها أن الأرض من الله للناس، عليه فلا ينبغي الحجر على هذه الخصائص والمواهب، وتضييعها وعدم الاستفادة منها؛ لأن في ذلك مخالفة لإرادة الله الكونية والشرعية في العمارة وتمكين الإنسان في الأرض، إذا أن "مجرد حمل المواهب هو إذن بل تكليف للإنسان أن يؤدي دورها في مجالها المقرر"[6].

---

1 – الخولي، الثروة في ظل الإسلام، ص 68 .

2 – البخاري، صحيح البخاري، كتاب المزارعة، باب من أحيا أرضا مواتا، (823/2)، رقم 2210 .

3 – البخاري، صحيح البخاري، كتاب المزارعة، باب من أحيا أرضا مواتا، (823/2)، رقم 2210 .

4 – أبو داوود، سنن أبي داوود، كتاب الإجارة، باب في منع الماء، (300/2)، رقم 3477، وقال الألباني في الحاشية، صحيح .

5 – الطبراني، المعجم الكبير، حديث سعيد بن زيد ﷺ، (149/1)، رقم 342،واللفظ له، البخاري، صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في سبع أرضين، (1167/3)، رقم 3023. ومسلم، صحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب تحريم الظلم، (1231/3)، رقم 1612، ولفظها ، (من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين).

6 – الخولي، الثروة في ظل الإسلام 67 – 68 .

المطلب الخامس: مستمرة العمل:

إن الله ﷻ خلق الكون على نحو يسير فيه إلى الاتساع الدائم المستمر، قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ (الذاريات: 47)، وهو اتساع إلى أجل قدره الله له يعاد فيه إلى ما كان عليه، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾(الأنبياء: 104)، كما أن الله ﷻ قدّر أن يكون للإنسان دورا في هذا الاتساع " وهو دور قائم على العمل والإبداع منذ لحظة الوعي الأولى إلى أن تنتهي حياته"[1]- فعمل الإنسان ما هو إلا امتداد لخلق الله سبحانه وتعالى، لأنه خلق أجراه على يد الإنسان وأذن له به، وهو خلق أثبته الله للإنسان إلا أنه خلق دون خلق[2]، يقول سبحانه وتعالى: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾ (الصافات: 125)، ويقول تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾(المؤمنون:14)، "وهذا مراعى فيه أصل الإطلاق اللغوي قبل غلبة استعمال مادة خلق في الخلق الذي لا يقدر عليه إلا الله تعالى ثم تخصيص تلك المادة بتكوين الله تعالى الموجودات"[3]، "فعملية الخلق الذي يقوم بها الإنسان لا بمعنى الإيجاد من عدم – فهذا ما يتفرد به الله– ولكن من حيث التأليف الجديد من بين ما سبق لله أن خلقه، كما أن الإنسان يشترك في صورة من صور الخلق بتحمله مسئولية إحلال النظام محل الفوضى"[4]، وفي هذا الشأن يقول الغزالي: " وأما الخالق البارئ فلا مدخل للعبد أيضا في هذين الاسمين إلا بنوع من المجاز بعيد ووجهه أن الخلق والإيجاد يرجع إلى استعمال القدرة بموجب العلم وقد خلق الله تعالى للعبد علما وقدرة وله سبيل إلى تحصيل مقدوراته على وفق

---

[1] – خليل، مفهوم الإعمار وعلاقته بالنهضة في ضوء القرآن الكريم، ص 12 .
[2] – ينظر المطرودي، الإنسان وجوده وخلافته في الأرض، ص 415 .
[3] – ابن عاشور، التحرير والتنوير (1 / 328)
[4] – سعيد إسماعيل علي، القرآن الكريم رؤية تربوية، ص 200 .

تقديره وعلمه، والأمور الموجودة تنقسم إلى ما لا يرتبط حصولها بقدرة العباد أصلا كالسماء والكواكب والأرض والحيوان والنبات وغير ذلك، وإلى ما لا حصول لها إلا بقدرة العباد وهي التي ترجع إلى أعمال العباد كالصناعات والسياسات والعبادات والمجاهدات فإذا بلغ العبد في مجاهدة نفسه بطريق الرياضة في سياستها وسياسة الخلق مبلغا ينفرد فيها باستنباط أمور لم يسبق إليها ويقدر مع ذلك على فعلها والترغيب فيها كان كالمخترع لما لم يكن له وجود من قبل"[1] .

إن استمرارية مضي الكون في اتساعه وما يقابلها من استمرار لدور الإنسان العمراني في هذا الاتساع يتضمن دوام فعالية الخصائص لتدفع بالإنسان إلى التعمير، وهي صفة ملازمة للإنسان دل عليها قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلَاقِيهِ ﴾ (الانشقاق: 6)، إذ" الكدح في اللغة هو السعي والدءوب في العمل في باب الدنيا وفي باب الآخرة "[2] وهو سعي مستمر "لأن الإنسان بعمله ليومه يطلب غده، وذلك يتقضى به العمر الذي هو أجل حياة كل إنسان، ويعقبه الموت الذي هو رجوع نفس الإنسان إلى محض تصرف الله، فلما آل سعيه وكدحه إلى الموت جعل كدحه إلى ربه" [3]وفي هذا "حث على الاجتهاد في الإحسان في العمل لأن من أيقن بأنه لابد له من العرض على الملك أفرغ جهده في العمل بما يحمده عليه عند لقائه"[4].

كما عبر المولى عز وجل عن هذا العمل المستمر بالمكابدة، وهو وصف تضمن معنى التحدي والمجاهدة والمثابرة، فلقد "اقتضت حكمته ﷻ أن يجعل حياة الإنسان سلسلة متصلة الجهاد، مبتدئة بالمشقة منتهية بها، فهو لا يزال يقاسي من ضروبها ما يقاسي منذ نشأته في بطن

---

[1] – الغزالي، المقصد الأسنى (1 / 79)
[2] – الطبراني، التفسير الكبير (6 / 466)، ابن زمنين، تفسير القرآن العزيز (4 / 272)
[3] – ابن عاشور، التحرير والتنوير (30 / 197)
[4] – البقاعي، نظم الدرر (21 / 329)

أمه إلى أن يصير رجلا، وكلما كبر زادت أتعابه "[1]، يقول تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾(البلد: 4)، فقوله: (في كبد) "معناه في شدة، ومعنى ذلك أنه خلق يكابد الأمور ويعالجها" [2]، وهو أمر ملازم له طيلة حياته محيط به إحاطة الظرف بالمظروف وهذا ما دل عليه حرف الجر (في) [3]، قال الحسن: "تكاد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة لا تلقى ابن آدم إلا يكابد أمر الدنيا في مشقة "[4].

إن هذا التصور الإسلامي لحركة الكون الهادفة نحو الاتساع ودور الإنسان فيه، له أثره الكبير في اتساع أفق العمارة ودوامها ما دام الوجود البشري [5]، وهو أمر يقتضي الاهتمام بهذه الخصائص والرقي بها، لأنه "لا يقدر على عملية الخلق والإسهام في اتساع الكون إلا الإنسان المتطور تطورا مطردا في معراج المثل الأعلى والساعي دائما إلى الرقي"[6]

إن المحورية في تفعيل استمرار عمل الخصائص يعتمد على خصيصتي حب التملك وحب الخلود فهما اللتان تدفعان بالإنسان إلى العمل في العمارة مما يسهم في تفعيل دور الخصائص الأخرى، ولعل هذا مما يرشد إليه قوله ﷺ: (لا يزال قلب الكبير شابا في اثنتين، في حب الدنيا وطول الأمل) [7]، يقول ابن حجر: "وفي الأمل سر لطيف؛ لأنه لولا الأمل ما تهنى أحد بعيش ولا طابت نفسه أن يشرع في عمل من أعمال الدنيا، وإنما المذموم منه الاسترسال فيه، وعدم الاستعداد لأمر الآخرة، فمن سلم من ذلك لم يكلف بإزالته"[8].

هذا وقد جاء الأمر الشرعي بالدعوة إلى الاستمرار في العمل موافقا لهذا الأمر الكوني في استمرارية عمل الخصائص وما للإنسان من دور في الاتساع، في كثير من النصوص التي

---

1 - المراغي، تفسير المراغي (م 10 / 424)
2 - الطبري، جامع البيان (30 / 240)
3 - ينظر البقاعي، نظم الدرر (22 / 50)
4 - الطبراني، التفسير الكبير (6 / 503).
5 - خليل، حول تشكيل العقل المسلم، ص 115، حول إعادة تشكيل العقل المسلم، ص 94 .
6 - حسن صعب، الإسلام والإنسان، ص 84، سعيد إسماعيل علي، القرآن الكريم رؤية تربوية، ص 200 .
7 - سبق تخريجه، ص 75.
8 - ابن حجر، فتح الباري (11 / 237)

تدعو إلى العمل، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(التوبة: 105)، وقوله ﷺ: (إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع ألا يقوم حتى يغرسها فليغرسها)[1].

المطلب السادس: يتجاذبها طرفان سلبي وإيجابي:

إن هذا التركيب الذي خلق عليه الإنسان جعل منه قابلا لأن يخرج عن الجبلة إلى الاكتساب وعن الامتثال إلى العصيان، وقد يكون هذا ما استشعرته الملائكة وأسست عليه حكمها [2]، ولعل هذا مما يدل عليه قوله ﷺ: (لما صور الله آدم في الجنة تركه ما شاء الله أن يتركه فجعل إبليس يطيف به ينظر ما هو فلما رآه أجوف عرف أنه خلق خلقا لا يتمالك)[3]، يقول النووي: " معنى لا يتمالك لا يملك نفسه ويحبسها عن الشهوات، وقيل: لا يملك دفع الوسواس عنه، وقيل: لا يملك نفسه عند الغضب والمراد جنس بني آدم "[4]، فهذه التفسيرات الثلاثة التي ذكرها النووي ذات صلة بالقوى الثلاثة التي تكلم عنه الحكماء (الفكرية، والشهوية، والغضبية)، وهذا الحديث بهذا التفسير يدل على الفعالية التي يتميز بها الإنسان بخصائصه، كما أن "طبيعة استخدام الإنسان لهذه القوى قاضية بأنه سيأتي بكل ما تصلح له هذه القوى خيرها وشرها فيحصل فعل مختلط من صالح وسيئ"[5].

إن الإنسان بهذا التركيب مهيأ لأن يرتقي في مصاف أعلى عليين أو يتسفل في مصاف أسفل السافلين، فهو مهيأ لأن يبلغ من الرفعة مدى يفوق مقام الملائكة المقربين، كما أنه مهيأ لأن يهوي إلى الدرك بحيث تصبح البهائم أرفع منه وأقوم لاستقامتها على فطرتها وإلهامها تسبيح

---

1 – سبق تخريجه، ص 25.

2 – ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير (1 /402)

3 – مسلم، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب خلق الإنسان خلقا لا يتمالك،(2016/4)،رقم 2611 .

4 –النووي، شرح صحيح مسلم (16 / 164) .

5 – ابن عاشور، التحرير والتنوير (1 /402)

ربها وأداء وظيفتها في الأرض على هدى[1]، يقول تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾(التين: 4، 5)، "فالجمع بين النقيضين في الإنسان ينصرف إلى وصف واحد، وهو وصف الاستعداد الذي يجعله أهلا للترقي إلى أحسن تقويم وأهلا للتدهور إلى أسفل سافلين"[2]، ومن هنا ندرك حقيقة تربوية مهمة وهي أن" في الكائن الإنساني استعدادات مختلفة متباينة فيها الموجب وفيها السالب، في كل اتجاه، وإذا تركت هذه الاستعدادات وشأنها كل منها ينمو من ناحيته أو يتوقف عن النمو، فالنتيجة هي اختلال التوازن من جهة، واضطراب السمة التي يتصف بها الإنسان في مجموعه فهو سلبي أحيانا وإيجابي أحيانا على غير منهج سوي أو هدف مرسوم"[3].

المطلب السابع: متفاعلة مع القيم الدينية:-

إن هناك علاقة عضوية تربط بين الفكرة الدينية والإنسان الذي يحملها، فالفكرة "هي أصل قيام الحضارة واطرادها، والإنسان هو السند المحسوس لهذه الفكرة، والفكرة الدينية هي التي تبعث في الفرد الحركة والنشاط، وهي التي تتولى إخضاع خصائصه الفطرية لعملية شرطية وتنظيمها في علاقة وظيفية مع مقتضيات الفكرة الدينية، فهي لم تلغ ولكنها انضبطت بقواعد نظام معين وبهذا يتحقق نوع من التوازن بين الروح والمادة "[4]، كما أن لقيم الدين أثرا كبيرا على الخصائص لأنها ليست معاني مجردة بل هي" تحمل في ثناياها طاقة التغيير والبناء"[5]،فهي تتفاعل مع جانب مهم في الخصائص ألا وهو الجانب الروحي، ويجسدها الجانب المادي في

1- ينظر سيد قطب، في ظلال القرآن (6 / 3934).
2 – العقاد، الإنسان في القرآن، ص 14.
3 – قطب، منهج التربية الإسلامية، (1 / 30)
4 – مالك بن نبي، شروط النهضة، ص 67 .
5 – زرمان، الفعل الحضاري، ص 70 .

تعاملاته وتفاعلاته مع عناصر الكون المختلفة، مما يسهم في تهذيب الخصائص والرقي بها وتنميتها .

إن تعاليم الدين الهادية للبشر تعتبر من الشروط الاعتقادية للاستخلاف وما اقتضاه من العمارة، فهي التي تجعل العمارة تعود بالفائدة على الإنسان، وتحقق له الأمن والاطمئنان وهي شروط لا يستفيد منها إلا من يقبل بمنهج الله وهديه [1].

إن الخصائص ما هي إلا نوافذ ومسالك تعبر منها الصفات الكامنة إلى الكون لتظهر فيه صفات الله تعالى، فالقدرة والقوة مثلا تعلقت بالجسد الذي أنشئ من الأرض، والرحمة والرأفة تعلقت بالنزعة الاجتماعية، وصفة العلم والإرادة تعلقت بالعقل، وصفة الكرم والجود لها علاقة بخاصية حب التملك، وصفة التواضع لها علاقة بخاصية الاختلاف والتنوع، فالدين هو الذي يحيي صفات الخير في الإنسان وينميها ويوجهها ويدفع بها، إن هذه الصفات هي التي تبعث الروح في هذه الخصائص وبفضلها يتم ضبطها وضمان فاعليتها، أما صفات النقص فهي صفات تأتي عرضية عند إهمال هذه الخصائص وعدم تخلقها بالصفات الإلهية .

الإيمان وإيجابية خصائص الإنسان في عمارة الكون:-

إن للإيمان خصائصه في الإيجاب والإبداع تضمنها قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ (الحجرات: 7، 8)، ولخصائص الإنسان في عمارة الكون استجابتها لهذا الإيمان، فبالإيمان وزينته تنشأ في القلب أذواقا جديدة تسمو بالخصائص عن تعلقها بالغرض الأدنى إلى تعلق بالحد الأعلى مما لحقائق الإيمان وقيمه من نفاسة وبهجة، إذ يكون عمل الخصائص موجها إلى الابتغاء من فضل الله ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ

---

[1] -ينظر السبهاني، الاستخلاف والتركيب الاجتماعي، ص 53 .

وَرِضْوَانًا﴾ (محمد: 29)، كما أن الإيمان يضبط عمل خصائص الإنسان في عمارة الكون" لما يقيمه في النفس من بصيرة تميز بين الحق والباطل وبين الطيب والخبيث، وبذلك تصبح الخصائص طاقة من الإيجاب لها أذواقها وحواسها، ولها إرادتها التي تفرضها على ظاهر الحياة بإقرار مثل وغايات عليا على غير ما يعهد الناس من غايات ومثل" [1] .

المطلب الثامن: قابليتها للتعادلية والاتزان:-

ليس في مواهب الإنسان شيء يزيد مثقال ذرة أو ينقص عن مقتضيات الوفاء بحقوق الخلافة، فإذا هو أدى الذي عليه، ونهض بحق ما ألقي إليه، وتعرض لكل أفق بحسبه، وأعطاه من نفسه كل حقه، فقد أنصف نفسه، وكان عند ما أراد الله له من كرامة، وإذا أرادها مأكلة وشهوة وملهاة، أو اتصل بأفق دون سواه، وعطل بعض مواهبه دون بعض، فقد أغلق من نوافذ نفسه وغير خلق ربه فيه، وانسلخ عما أراد له سبحانه من كرامة [2].

إن التوازن يمثل القاعدة الثابتة لعمل الخصائص، والمنطلق في نشاطاتها أثناء تفاعلاتها مع عناصر الكون، فبه ينتهي التضاد ويحدث التكامل والانسجام [3]، والتوازن يكون في الخاصية نفسها بحيث يتوازن فيها الجانبان الروحي والحسي، كما يكون بين الخصائص فيما بينها فلا يناقض بعضها بعضا، فيحدث التكامل بينها في العمل، أما إذا حدث تعارض في تحقيق حاجات خاصية مع خاصية أخرى، فيكون التقديم وفق ما تقتضيه الضرورة، بما يحفظ وجود الإنسان وذلك ما بينه فقه المقاصد، وهذا ما يمكن أن نستنبطه من الترتيب بين الضروريات الخمس (الدين، النفس، العقل، النسل، المال) وفق ما اقتضته الضرورة، كذلك في الخاصية نفسها يقدم الجانب الروحي على الجانب المادي إذا حدث تعارض في تعامل الخاصية مع العنصر الكوني.

---

[1] - الخولي، آدم عليه السلام، ص 148 – 151

[2] - الخولي، آدم عليه السلام، فلسفة تقويم الإنسان وخلافته، ص 47 ، بتصرف.

[3] - ينظر خليل، حول إعادة تشكيل العقل المسلم، ص 128 .

إن هناك منهجا فريدا في خلق التوازن بين جانبي الخصائص أثناء عملها التعميري، وهو الانتقال من مستوى الأدنى إلى مستوى الأعلى، "يبدأ بالدعوة لتأمين متطلبات الحياة اليومية المباشرة باعتبار أن حبها مركوز في جبلته التي يشكلها الجسد ونحركها الروح، ثم يتقدم به صوب إعمال الفكر في قلب العالم للكشف عن نواميسه وسننه، ليضع للحاجة المادية أهدافا أعلى وقيما أوسع وأكثر شمولا من تضييق نطاق الحياة البشرية في إشباع الحاجات البشرية، مما يسهم في الرقي به والارتفاع بإنسانيته" [1].

إنه "تفكير يطمئن القلب ويخدمه قبل أن يخدم العقل، ودون أن يروع الأمن، تفكير ينزع بالإنسان إلى جانب الروحية المهذبة التي تدعوه إلى استخدام ما يصل إليه عن طريق التفكير في المحافظة على الإنسانية والأخذ بها إلى الكمال الذي قدر لها وخلقت لأجله" [2]، لتحقيق سعادته "وذاتيته بتنمية قدراته وتفجير طاقاته الخلاقة لبناء شخصيته المتكاملة جسما وعقلا ووجدانا"[3].

أثر الفكرة الدينية في اتزان وضبط الخصائص:

إن وجود فكرة ثابتة منضبطة واضحة تستقر في النفس استقرار التبني الإيماني، يسهم في اتزان الخصائص داخل كيان الفرد، ويلغي الطبائع المرذولة والصفات الرديئة التي تطغى على النفوس، ويوجه الطاقات والإمكانيات و يسير الأفعال ويوحدها نحو هدف واحد وفي اتجاه واحد،ويسهم في الجمع بين الفردية والجماعية في العمل أي التكاملية بين خصائص أفراد المجموعة، مما يفضي بالسلوك الجماعي إلى البناء المشترك وتمنحه التجانس والتراكم اللذين يحصل بهما التعمير في ثبات واستقرار وانضباط ودوام [4]، هذا وقد تنبه الماوردي إلى هذا

---

1 – خليل، مفهوم الإعمار وعلاقته بالنهضة في ضوء القرآن الكريم، ص 20 .

2 – شلتوت، من توجيهات الإسلام، ص 118 .

3 – ينظر الراوي، قضايا تربوية عربية في رؤى إسلامية، ص 212 .

4 – ينظر النجار، فقه التحضر الإسلامي، ص 27، وينظر زرمان، الفعل الحضاري في القرآن، ص 50 .

البعد التربوي التعميري للدين لذلك عده من أقوى القواعد التي ينتظم بها أحوال الدنيا وتحصـل به استقامتها لما له من أثر كبير في تهذيب النفوس وتأديبها وصرفها عن الشهوات،ولما فيه مـن تحقيق للوحدة وعدم التفرقة وفي هذا الشأن يقول :" فلحكمه ينقاد الناس فلا تختلف الآراء،ولأمره يستسلمون فلا تتصرف بهم الأهواء، لذلك لم يترك الله خلقـه بـدون تكليـف شـرعي يـنظم أمورهم"[1] .

المطلب التاسع: اعتماد الخصائص في قيامها على الفردية والجماعية:-

تعتمد خصائص الإنسان في عمارة الكون في قيامها على الفردية الجماعية معا، ذلك لأن سعي الفرد في تحصيل لما فيه حياته وصلاح معاشه ليس له وحده بل له ولغيره، لكونه لا قـدرة لـه على تحصيل كل شيء وحده، فلزم التعاون بين الأفراد وأن يخدم كل واحد الغير ويخدمونه، وقد تنبه الأصفهاني إلى هذا المعنى في تأصيله للعمارة مع الخلافة والعبادة عمـلا اخـتص الله بـه الإنسان فقال: "وأما عمارة الأرض والقيام بما فيه تزجية حياة الناس وصلاح معاشهم، فالإنسـان الواحد من حيث لم يكف أمر معاشه بانفراده من مأكله وملبسه ومسكنه وليس له سبيل إلى ثباتـه في الدنيا إلا بما يسد جوعته ويستر عورته ويقيه من الحر والبرد، لم يكن له بد من تحصيل ذلك من الوجه المباح له، ولذلك قال تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾ (طه:118، 119)؛ وكان فيما يتولاه خادما للناس مسخرا بلا إرادة منه لخدمتهم"[2]، وهـذا مـا يفهم من كلام ابن خلدون في تأصيله لعلم العمران (الاجتمـاع البشـري) بمقتضـى ضـرورة التعاون، حين قال: "إن الله سبحانه خلق الإنسان وركبه على صورة لا يصح حياتها وبقاؤهـا إلا بالغذاء، وهداه إلى التماسه بفطرته، وبما ركب فيه من القدرة على تحصيله، إلا أن قدرة الواحـد من البشر قاصرة عن تحصيل حاجته من ذلك الغذاء، غير موفية له بمادة حياته منه، فلا بد من

---

1 - الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص 111 .

2 - الأصفهاني، الذريعة في مكارم الشريعة، ص 35 .

اجتماع القدر الكثير من أبناء جنسه ليحصل القوت له ولهم، فيحصل بالتعاون قدر الكفاية من الحاجة لأكثر منهم بأضعاف"[1]، لذلك كان الأمر الشرعي بالتعاون على البر والتقوى في قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾(المائدة:2)،وقد جاء هذا الأمر الشرعي ليوافق أمرا كونيا مفاده فطرية التعاون في النفس الإنسانية وضرورة وجوده في المجتمع الإنساني لكي تتم العمارة .

المطلب العاشر: قابلية خصائص الإنسان في عمارة الكون للترقي:-

إن "مزية الإنسان الكبرى هي الاستعداد الدائم للصعود، الاستعداد لأن يتفوق على نفسه، ويرتفع على الواقع ليبلغ المثال، وقد لا يبلغه في كل مرة، بل قد لا يبلغه في كل مرة، ولكنه يظل يحاول ما دام يوجه إلى الطريق، وفي محاولته تلك يرتقي ويرتفع في الآفاق، وتمر على الإنسان لحظات معجزة يحقق فيها انتصارات رائعة على نفسه وعلى كل قوى الأرض المحيطة به، ذلك حين يرتفع إيمانه بالطاقات التي وهبها الله، فيحاول أن يحقق كيانه كاملا كما أراده له الله"[2]، وهذا الأمر وثيق الصلة بالخصائص لأنها لا تنفصل عن تركيبة الإنسان، فعلى التربية الإسلامية أن "تعمل على ازدهار الجنس البشري، وضمان سعادته وانتشار حضارته وتحقيق رفاهيته، عن طريق تعبئة طاقاته ودوافعه وتوحيدها، وتوجيهها إلى الأفضل والأسمى، وتبرئتها من البطش والأثرة، وتهذيبها للخلاص من وحشيتها وطغيانها"[3].

منهجية التفاعلية والترقي:-

إن انضباط تفعيل الخصائص واستعمالها وتوجيهها لما خلقت له من عمارة ينبغي أن يكون على الوجه الذي يجب وبالطريقة التي تجب غير متصادمة مع سنن الله في كونه الذي أسلم

---

[1] – ابن خلدون، المقدمة 46 .

[2] – قطب، منهج التربية الإسلامية، (1 / 32)

[3] – نحلاوي، التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة، ص90 .

له،وغير متنافية مع ما خلقت له، "فحق الإنسان أن يراعي هذه القوى فيصلحها ويستعملها على الوجه الذي يجب، وكما يجب ليكون كمن وصفه تعالى بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (النحل: 32)" [1] ، وهذا الأمر متوقف على أمرين هما الإيمان والتقوى، ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾(الأعراف: 96)، فالإيمان يعني الانسجام والتوافق، أما التقوى فتعني التعامل مع عناصر الكون وفق سنة الله فيها، لتكون النتيجة هي العمارة الكاملة التي حصيلتها تحقيق الأمن بكل أشكاله وهذا هو المعيار الحقيقي للتحضر الإنساني، أما "التقدم المادي فلا يصلح لأن يكون مقياسا قيميا للتحضر، وأن المقياس الحقيقي في ذلك إنما هو ما يتحقق للناس من الأمن والاطمئنان والتآخي والتعاون، فأيما تحضر تحققت فيه تلك المعاني فهو تحضر حقيقي و أيما تحضر جلب معه الخوف والعداوة فهو ليس بتحضر على الحقيقة، ومن هنا ندرك أن التحضر هو وصف موضوعي وليس قيميا، والقيمية فيه إنما تستمد من تحقيقه للأمن والخير والتعاون لا من مجرد ترقي منجزاته المادية" [2]، وأن " أبرز ما تثمره حركة الترقي الروحي والخلقي التي يمارسها الإنسان وفق القيم الدينية هي الارتقاء بالحياة الاجتماعية إلى أعلى مستويات التوافق والانسجام والقوة والتماسك والاندماج والعطاء المثمر، من هنا اكتسبت عملية الترقي الروحي الخلقي أهمية قصوى في توجيه الفعل الحضاري وإثرائه وبسبب ذلك أولاه الوحي عناية خاصة وعده هدفا أساسيا وأصيلا من أهداف الفعل الحضاري وبعدا من أبعاده "[3].

إن الإيمان يقتضي العلم بسنن العنصر المراد التعامل معه وبالقدر الإلهي فيه وبما سخر له وكل ذلك يحكمه قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾(القمر: 49)، كما أن التقوى تقتضي

---

[1] – الأصفهاني، تفصيل النشأتين، ص 171 .

[2] – النجار، فقه التحضر الإسلامي، ص24، 25 .

[3] – زرمان، الفعل الحضاري، ص 19 .

استعمال العنصر فيما خلق له وبالطريقة التي يتم بها هذا الاستعمال وهذه قاعدة مبثوثة في الكثير من النصوص التي تناولت التفاعلية بين الإنسان وعناصر الكون منها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾(البقرة: 278)، وقد بين لنا الشرع الحكيم استعمالات عناصر شتى وفق دوائر معينة ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾(النحل: 8)، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾(البقرة: 173).

هذا وقد جاء في الحديث أنه رسول الله ﷺ قال: (بينما رجل راكب على بقرة التفتت إليه فقالت لم أخلق لهذا، خلقت للحراثة) [1]، ففي هذا الحديث توجيه نبوي إلى ضرورة معرفة الاستعمال الذي خلق له كل مرفق من مرافق الكون، من حيث ما ركبت عليه من سنن يكون بها عطاؤها[2]، حتى يتسنى للإنسان ارتفاقه الارتفاق الأمثل وهذا يقتضي أن ندرس خصائص العناصر وهذا ما سيمكننا من استنطاق هذه العناصر كما نطقت هذه البقرة نطقا يعبر عن معجزة الله فيها، يقول العيني: "والبقر لم تخلق للركوب فلذلك قالت لراكبها لم أخلق لهذا، وقولها خلقت للحراثة ليس بحصر فيها، ولما كانت فيها منفعتان الأكل والحراثة ذكرت منفعة الحراثة لكونها أبعد في الذهن من منفعة الأكل؛ ولأن الأكل كان مقررا عند الراكب بخلاف الحراثة، بل ربما كان يظن أنها غير متصورة عنده فنبهته عليها دون الأكل"[3].

المعيار التربوي للفعالية والترقي:-

إن هذا الارتباط بين الإيمان وتفعيل الخصائص في العمل الصالح، يمكن أن يرتقي ويقاس بأمرين يتعلق الأول بالإيمان، ويتعلق الثاني بالعمل الصالح، ومظهر كلا الأمرين التوافق بين

---

[1] – البخاري، صحيح البخاري، كتاب المزارعة، باب استعمال البقر للحراثة، (818/2)، رقم 2199 .

[2] – ينظر النجار ، فقه التحضر، ص 154 .

[3] – العيني، عمدة القارئ في شرح صحيح البخاري، (12 / 161)

الظاهر والباطن، وبين الفكر والسلوك، وبين العلم والعمل، ومنهجية قياس الأول والترقي به (الانسجام) هي العلم، وذلك لأن الإيمان باعتباره جانبا وجدانيا ومعرفيا لا يمكن أن ندركه بحواسنا لذلك نفى الله ﷺ عمن افتقده صفة الرشد، وجعل العلم سبيل التحقق من ذلك، لأنه من الأمور الخفية، وقد دل على ذلك، ما جاء من نفي للعلم على من ادعى الإيمان وما هو بمؤمن،في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾(البقرة: 13)، ويعتبر هذا وسيلة لمعرفة الترقي في الجانب الروحي للخصائص؛ لذلك دعا الإسلام إلى العلم وجعله سبيلا للانسجام وأول خطواته، وهذا يعني أنه لتفعيل الخصائص أن يكون من مفردات التربية الإيمانية في مناهجها في كافة المجالات، تعليم المسلم خصائص عناصر الكون التي يريد ارتفاقها لينسجم معها ويحسن الانتفاع بها، ولعل هذا مما يدل عليه ما جاء في الحديث سابق الذكر، الذي قال فيه ﷺ: (بينما رجل راكب على بقرة التفتت إليه فقالت لم أخلق لهذا خلقت للحراثة) [1].

أما عن منهجية معرفة الترقي في الجانب الثاني (العمل) فهي الحواس، أي أن معرفته عن طريق الحس، وهذا مما يدل عليه قوله تعالى في نفيه الشعور عمن ادعى الإصلاح في الأرض وهو مفسد، عندما قال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾(البقرة: 13)، لذلك أمر المولى عز وجل بالتقوى، التي تعني الالتزام بأوامر الشرع،كما أنها تدل على الجانب التطبيقي لتفعيل الخصائص، ليحسن المسلم كيفية استعمال المرفق بعد أن علم خصائص وانسجم معها، كما أن "تقوى الله عندما تتمكن من نفس الإنسان ومشاعره، فإنها تصبح بمثابة ضابط خُلُقي، يحاكم المرء نفسه إليه، حينما يقف أمام المشتبهات من الأمور"[2].

---

1 – سبق تخريجه، ص 127 .

2 – سعادة، الإسلام وتربية الإنسان، ص 65 .

المبحث الثالث: الوظيفة التربوية لخصائص الإنسان في عمارة الكون

تمهيد:-

إنّ العمارة باعتبارها فعلا إنسانيا من مقتضيات الخلافة ومن صور العبادة، تقوم على بعدين أساسيين: روحي وحسي؛ وذلك لأن الإنسان الذي سيقوم بالعمارة مخلوق من روح ومادة مما جعل منه مخلوقا ذا خصائص تميز بها عن غيره، كما أن لكل جانب منهما متطلباته وحاجاته التي يجدها أرزاقا روحية وحسية، "الروحية منها هي مبادئ الحق وقيمه والتي يتضمنها حظ المرء من معرفة ربه وهو الإيمان بمعناه الشامل، أما الحس فهو الإمكانات التي يحصلها من الطبيعة لتكون عدته في تحقيق مقاصده وهو العمل الصالح" [1] وهي متطلبات مبثوثة في الكون الذي ستقوم العمارة منه وفيه، وهو مكون من روح ومادة أيضا، مما سيدفع به إلى أن يسعى في الابتغاء من فضل الله في كلا المجالين في خط متواز ومتعادل ليحصل له الانتفاع الكامل .

المطلب الأول: مجال عمل خصائص الإنسان في عمارة الكون وجوانبه:-

إن مجال عمل الخصائص هو العمارة، وهي كأي بنيان متكونة من أساس وهيكل أو من قاعدة وبناء، القاعدة فيها هي الإيمان -الذي هو توحيد الله عز وجل وهو حقيقة من حقائق الكون القائمة التي يهتدى بأحكامها- هذه القاعدة لها وظيفتان هما الالتزام بالمنهج الإلهي، وتفعيل النشاط الإنساني في عمارة الكون، أما بناء العمارة فهو ما يمكن أن نسميه بالعمران وهو كل ما يثمره هذا النشاط الإنساني من جهود موافقة للمنهج الإلهي [2]، وعلى هذا يمثل الإيمان الجانب والبعد الروحي أو المعنوي للعمارة، ويمثل العمل الجانب والبعد المادي أو الحسي لها، وعليه تتنوع العمارة إلى نوعين عمارة معنوية وعمارة حسية، إلا أنه لا تكون عمارة كاملة تحقق

---

[1] – الخولي، آدم عليه السلام، ص 34 .

[2] – ينظر المطرودي، الإنسان وجوده وخلافته في الأرض، ص 417 .

كرامة الإنسان إلا بتكاملهما [1]، وهما جانبان يقابلان ما أقره علماء الحضارة من أنها تتكون من جانبين هما الثقافة والمدنية؛ فالثقافة هي الرقي في الجوانب الروحية والأدبية من دين وأخلاق وفلسفة ولغة وفنون، أما المدنية فهي الرقي في الجوانب المادية من علوم طبيعية وهندسية وتشييد واختراع واكتشاف مما يتصل بتنظيم مرافق الحياة[2] أما "الحصيلة الشاملة للمدنية والثقافة فهي مجموع الحياة في صورها وأنماطها المادية والمعنوية "[3]، ومن الممكن بيان هذين الجانبين بما يأتي:

1- **الجانب الروحي:** هو الترقي الروحي والخلقي، الذي يثمره تهذيب النفس الإنسانية وتزكيتها وتأهيلها لعمل الخير وتقوى الله في كل ما تأخذ وتدع، ومراعاة حقوق غيرها في المجتمع والمحافظة عليها، وكل هذا من الممكن أن ينطوي تحت مسمى الإيمان[4]، ومن أهم ما يثمره الترقي الروحي هو الارتقاء بالحياة الاجتماعية إلى أعلى مستويات التوافق والانسجام والقوة والتماسك والاندماج والعطاء المثمر[5]، وهذا ناتج عما يحققه من انضباط لكيان الفرد وفعاليته،قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الزمر: 29.).

إلا أن هذا الجانب ليس فقط معاني مجردة بل هو معان قابلة للتجسد في واقع الحياة، وهذا ما يوكده قوله ﷺ: (الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان) [6]، وهذا ما يسمى بالإيمان الفعلي؛

---

1 - الشرقاوي، في فلسفة الحضارة الإسلامية، ص 274 .

2 - ينظر الأميري، الإسلام وأزمة الحضارة الإنسانية المعاصرة في ضوء الفقه الحضاري، ص 11 .

3 - الأميري، الإسلام في المعترك الحضاري، ص 13 .

4 - ينظر زرمان، الفعل الحضاري في القرآن، ص 16 .

5 - ينظر زرمان، الفعل الحضاري في القرآن، ص 19 .

6 - مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر، (63/1)، رقم 35 .

وذلك لأن "هذه التجزئة إنما تصح في الأفعال وقد سماها إيمانا" [1]، فكل فعاليات الإنسان الفكرية والقولية والفعلية والعاطفية وغيرها ممن ينسجم مع سنن الله في الكون وتثمر الخير تسمى إيمانا، أما ما ورد في حديث جبريل عليه السلام في تعريفه ﷺ للإيمان بقوله: (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره) [2]، فهي جوانب الإيمان كما أنها تمثل الجانب الغيبي في عقيدة الإسلام، إلا أن لها مقتضيات ولوازم من العمل والسلوك الاجتماعي ينبغي الاهتمام بها كجزء من موضوعات العقيدة في مناهجنا الدراسية [3]، فهي الأصول التي ينبني عليها الانسجام ولن يحدث ترق بدونها، لفقدانه للفاعلية المتمثلة في الامتثال بما تضمنته جوانب الإيمان، تلك الفاعلية التي افتقدها المنافقون فكان نتيجة ذلك انحطاط في الجانب الروحي والجانب الحسي معا فقال الله فيهم: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة:8 – 13)، "وإنما اقتصر القرآن من أقوالهم على قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر مع أنهم أظهروا الإيمان بالنبي ﷺ، إيجازا لأن الأول هو مبدأ الاعتقادات كلها لأن من لم يؤمن برب واحد لا يصل إلى الإيمان بالرسول إذ الإيمان بالله هو الأصل وبه يصلح الاعتقاد وهو أصل العمل، والثاني هو الوازع والباعث في الأعمال كلها وفيه صلاح الحال العملي، أو هم الذين اقتصروا في قولهم على هذا القول لأنهم لغلوهم في الكفر لا يستطيعون أن يذكروا الإيمان بالنبي ﷺ استثقالا لهذا الاعتراف فيقتصرون

---

1 – القرافي، الفروق (2 / 395، 396)

2 – مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى، (36/1)، رقم 8.

3 –ينظر الجليند، خلل في مسيرة الأمة، ص 64 .

على ذكر الله واليوم الآخر إيهاما للاكتفاء ظاهرا ومحافظة على كفرهم باطنا"[1]، أي أنهم ادعوا الإيمان واقتصروا على جانبين من جوانبه، جانب المبدأ (بالله) وجانب المصير (وباليوم الآخر)،وفصلوا كل جانب عن الآخر عندما أتوا بالباء في عطفهم، فلم يكن لهم ذلك التصور الكامل لمفهوم الحياة وما لهم من دور فيها، لذلك نفى الله عنهم الإيمان ونفى عنهم المعرفة بكافة مستوياتها الحسي والمعنوي (لا يشعرون) (لا يعلمون)، ومثله قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾(الروم: 7)

إن الاعتقاد النظري ما لم يتحول على يد أتباعه إلى سلوك وعمل فلا فائدة منه ولا فائدة له في المجتمع، وهذا ما يفهم من ذكر العمل قرينا بالإيمان في القرآن الكريم، فهو عنوانه وآيته الدالة عليه، ومنذ أن تخلى المسلمون عن العمل بمقتضى العقيدة الإسلامية أو تحويلها إلى سلوك واقعي في حياتهم اليومية تنازلوا عن أهم الخصوصيات التي تجعل منهم أمة قوية تصنع التاريخ ولا تقبل أن تعيش على هامشه[2].

إن مادة البعد الروحي للعمارة هو الحق الذي خلق الله به هذا الكون، وهو "الأمر الثابت الذي يطابقه الواقع، وهو معيار يقاس به تفاوت الناس في أعمالهم"[3]، يقول تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (الجاثية: 21، 22)، وهو الذي يمثل روح الأعمال كافة والمادة التي تقوم عليها فعمل الإنسان مؤلف من أمرين "صورة ظاهرة وروح باطن، فالصورة الظاهرة هي ما يؤديه الجوارح من حركة منظورة والروح الباطن هو

---

1 – ابن عاشور، التحرير والتنوير (1 / 262، 263)

2– الجليند، خلل في مسيرة الأمة، ص 65 .

3 – البقاعي، نظم الدرر (8 / 33)

الحق الذي يستنزله الإنسان من أفقه الأعلى"[1]، وجميع الحضارات تنطلق في إعمار الأرض من عوالم غيب مختلفة، وعالم الغيب هو جماع العقائد والقيم والأشواق والبدهيات المستكنة في أفئدة الناس [2]، لذلك اكتسبت قيم الوحي وأعمال القلوب أهميتها في فعالية العمل وإتيانه ثمرتـــه؛ لأن معانيها تحمل في ثناياها طاقة التغيير والبناء، وهذا لا يتم إلا بعد أن تتجسد هذه الأعمال وعــدم إفراغها من محتواها الحقيقي .

معيار الترقي الروحي:-

الإيمان علاوة عن كونه يمثل الترقي الروحـــي، يمثـــل أيضـــا القـــوة الفكريـــة فـــي كيـــان الإنسان،وهذا ما دل عليه قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ (الفرقان: 68)، فقوله تعالى: (لا يدعون مع الله إلها آخر) يدل على القوة الفكرية، وقوله تعالى: (ولا يقتلون النفس) يدل على القوة الغضبية، وقولـــه تعـــالى: (ولا يزنون) يدل على القوة الشهوية[3]، وذلك لأن الإيمان يعني التصديق وهو مبني على العلـــم والمعرفـــة، يقـــول تعـــالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾(محمد: 15)، ومن هنا ندرك أن معيار هذا الترقي هو العلم؛ وذلك لأن الإيمان باعتبـــاره جانبا وجدانيا ومعرفيا، لا يمكن أن ندركه بحواسنا وإنما ندركه بالعلم ويدل على ذلـــك أن الله ﷻ نفى عمن افتقده صفة الرشد وجعل العلم سبيل التحقق من ذلك لأنها أمور خفية يقـــول تعـــالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾(البقرة: 13).

---

1 – الخولي، آدم عليه السلام، ص 155 .

2 – ينظر سيد دسوقي حسن، دراسة قرآنية في فقه التجدد الحضاري، ص 24 .

3 – يراجع ابن تيمية، التفسير الكبير، (6 / 5).

2- **الجانب الحسي:** هو الترقي المادي والمدني الذي يتمثل في الجهود التي يقوم بهـــا الإنســـان لاستثمار مرافق الكون والانتفاع بها وتسخيرها في خدمة مطالب حياته وحاجاته الأساسية والذي من الممكن أن نسميه العمران [1] .

إن مادة البعد الحسي هو كل ما أحله الله من الطيبات الحسية التي أخرجهـــا لعبـــاده، يقـــول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾(المائدة: 87، 88)، ويقول تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (الأعراف:32، 33)، كذلك كل ما سخره الله للإنسان .

التأصيل للجانبين: إنه من الممكن إدراك هذين البعدين من خلال ما ورد من اختلاف للعلماء في تحديدهم لموضوع الخلافة، قال أبو حيان: " وفي المستخلف فيـــه آدم قـــولان: أحـــدهما الحـــق والعدل، والثاني عمارة الأرض يزرع ويحصد ويبني ويجري الأنهار"[2]، إذ من الممكن الجمـــع بين القولين في جعلهما جانبين للعمارة المناطة بالإنسان بمقتضى كونه خليفـــة، فإقامـــة الحـــق والعدل يمثل الترقي الروحي وما به تقوم الحياة الروحية للكون، وإقامة العمران وغيره مما تقوم به حياة الأبدان يمثل الترقي المادي للكون.

التداخل بين البعدين: إلى جانب تنوع الأعمال ما بين ما هو روحي وحسي فإن الأعمال الحسية لا تخلو من وجود الروح فيها، كما أن الأعمال الروحية ليست معان مجردة بل هي قيم تتجســـد لتكون حسا حاضرا في حياتنا " فعمل الإنســـان مؤلـــف مـــن أمـــرين صـــورة ظـــاهرة وروح

1- ينظر زرمان، الفعل الحضاري في القرآن، ص 16 .

2 - أبو حيان، البحر المحيط (1 / 288) .

باطن،فالصورة الظاهرة هي ما تؤديه الجوارح من حركة منظورة، والروح الباطن هو الحق الذي يستنزله الإنسان من أفقه الأعلى، وما على الإنسان إلا أن يحمل أعماله كلها بنية ابتغاء مرضاة الله، حتى تكون النية قد أسكنت كل عمل من أعماله حظه من روح الحق، ويكون العمل بهذا الروح كائنا حيا له حياته المقدورة بميزان الحق عند الله"[1].

منهجية الترقي بالجانبين:-

إن لكل جانب من جوانب العمارة منهجا في تقدمه، وقد جمع الله هذين المنهجين في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾(الحديد: 25)، فالجانب الروحي منهج رقيه وتقدمه العبودية أو الدين وهو شريعة ثابتة وقيم مطلقة(وأنزلنا معهم الكتاب والميزان)،وهو منهج يهدف إلى قيام العلاقات والمعاملات الإنسانية في المجتمع على أسس الحق والعدل والخير والرحمة (ليقوم الناس بالقسط)، أما الجانب المادي الذي يتمثل في تحقيق السيادة والتمكين في الأرض فمنهج رقيه هو العلم والأخذ بالأسباب المادية (وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد) وقوله تعالى: (وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب) بيان للحكمة التي من أجلها أنزل الاثنين الدين كمنهج لتحقيق العبودية وكمقياس ثابت دائم وقيم مطلقة لتعامل الإنسان مع أخيه الإنسان،والحديد مع العلم الذي يتمكن به الإنسان من استخدامه في البأس الشديد والمنافع، هذه الحكمة هي الابتلاء الذي تكون نتيجته بالضرورة أن يميز الله به الخبيث من الطيب ويعلم به من ينصره ورسله بالغيب ومن ينصر الطاغوت أي من يكون خليفة لله ومن يكون خليفة للطاغوت[2].

المطلب الثاني:ضرورة التكامل بين الجانبين:-

إنه من الأهمية أن يتحقق التكامل بين جانبي العمارة (المعنوي و الحسي)، وذلك نظرا لطبيعة العلاقة بينهما، وارتباط كل منهما بالآخر؛ ولأنه بتكاملهما تحصل العمارة الكاملة التي تلبي واجب العبادة، ومما يؤكد ضرورة هذا التكامل ما يأتي :

---

[1] - الخولي، آدم عليه السلام، فلسفة تقويم الإنسان وخلافته، ص 154 – 155 .

[2] - ينظر الدسوقي، استخلاف الإنسان، ص 48 – 49 .

1- العلاقة العضوية بين الجانبين:-

إن بين الجانبين (المعنوي والحسي) ارتباطا عضويا به تتكون العمارة الحقيقية التـي أراد الله من الإنسان أن يقوم بها، فكانت له خصائصه المعنوية والحسية، فكل من الجانبين للعمارة يكمـل الآخر وكل منهما يؤول إلى صاحبه، وإن تفاوتا في الأهمية؛ فالجانـب المعنـوي يعـد أساسـا للإنجاز المادي[1]، أي أن الإيمان هو روح العمل وسره، كما أن الجانب الحسـي يعـد تجسـيدا للجانب المعنوي؛ أي أن "العمل هو جسم الإيمان وشكله"[2]، ومنه يكتسب قيمتـه ثـم إن مآلـه إليه،وهذا ما ركزت عليه الحضارة الإسلامية فلم تكن سمتها المثلى في غزارة الإنتـاج المـادي على كثرته، وإنما كانت التجسيد الحي لعقيدة التوحيد والمثل والقيم الإسـلامية والتجـاوب مـع النزعة الأصيلة نحو حب الخير والإحسان إلى الخلق والرقي بهم وهدايتهم وهذا ما يجعـل كـل جوانب الحياة منسجمة ضمن إطار العبودية لرب العاملين، والالتزام بأمره وتحقيق حكمته فـي الوجود[3]، وهكذا "جاءت التجربة الإيمانية لا لكي تمنح الحضارة وحدتها وتفردها وشخصـيتها وتماسكها، وتحميها من التفكك والتبعثر والانهيار فحسب، وإنما لكي ترفـدها بهـذين البعـدين الأساسين اللذين يؤول أولهما إلى تحقيق انسجامها مع نواميس الكون والطبيعة، يقـول تعـالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾(آل عمـران:83-85)، ويعطينا ثانيهما قدرات إبداعية أكثر وأعمق تتفجر على أيدي أناس يشعرون بمسـؤوليتهم

---

1 - ينظر خليل، حول تشكيل العقل المسلم، ص 140 .

2 - الشرقاوي، في فلسفة الحضارة الإسلامية، ص 310 .

3 - ينظر بكار، من أجل انطلاقة حضارية، ص 91 .

ويعانون يقظة ضمائرهم، ويسابقون الزمن في عطائهم لأنهم يؤمنون بالله واليوم الآخر، لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا"[1].

إن هذه العلاقة العضوية بين الإيمان وبين العمل الصالح، في كون كليهما مقوما من مقومات العمارة الكاملة، فمفهوم الإيمان مفهوم شامل لكل ما من شأنه أن يحدث الانسجام بين الإنسان والآفاق المحيطة به، والتعامل معها على أساس هذا الانسجام، وهذا مما يفهم من كلام ابن خلدون عندما قال: "إن المعتبر في هذا التوحيد ليس هو الإيمان فقط الذي هو تصديق حكمي،فإن ذلك من حديث النفس وإنما الكمال فيه حصول صفة منه تتكيف بها النفس"[2]، إن" منزلة تكييف النفس هي التي يكون بها الدفع إلى المبادرة والابتكار والإنجاز، كما أنها تسهم في أن تلتقي الإرادات الفردية في إرادة جماعية توجه حركتهم توجيها فاعلا بالتعاون الإنجازي، ومن هنا ندرك الفرق بين مجرد الإيمان وبين الإيمان الكامل الذي يحدث هذا الأثر في جعل الروح في كيان الإنسان قوة مسيطرة على العقل والغرائز مما يسهم في سمو العمارة ورقيها" [3].

إن "علماء الكلام والجدل في العقائد وإن اختلفوا حول مفهوم الإيمان وصلة العمل به، أهو جزء من مفهومه أم شرط له، أم ثمرة من ثمراته، إلا أنهم متفقون على أن العمل جزء لا يتجزأ من الإيمان الكامل"[4]، و"سواء كان ارتباط العمل بالإيمان شرط كمال أم شرط صحة*، فإن هذا الخلاف لا يقلل من أهمية الالتزام بالتطبيق لمقتضيات العقيدة واعتبارها جزءا مكملا لدرس العقيدة في قاعات الدرس والكتاب المدرسي"[5].

---

1 – خليل، حول إعادة تشكيل العقل المسلم 117 .

2 – ابن خلدون، المقدمة 425 .

3 – النجار، فقه التحضر الإسلامي 40 .

4– القرضاوي، الإيمان والحياة، ص 293 .

* – في هذا السياق ينبغي الإشارة إلى أن مذهب أهل السنة والجماعة هو أن الإيمان هو تصديق بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالجنان، وهذا هو الموافق للكتاب والسنة وما عليه سلف هذه الأمة.

5–الجليند، خلل في مسيرة الأمة، ص 67 .

الأثر السلبي لغياب هذا البعد في المناهج الدراسية:

إن "غياب هذا البعد في المناهج الدراسية قد أدى إلى نوع من الانفصام في الذهنية الإسلامية على امتداد تاريخها الطويل، انفصام بين الإيمان والعمل، انفصام بين الاعتقاد والتطبيق، ومع طول العهد بذلك الانفصام نشأ في المجتمعات الإنسانية نوع من الاكتفاء بالاعتقاد النظري، الذي يكتفي فيه المجتمع باعتقاد القلب ونطق اللسان، وإن أراد طلبا لكمال إيمانه فلا بأس من مباشرة الطقوس والشعائر الدينية التي هي أركان الإسلام من الصلاة والصيام والزكاة والحج ووقر في ذهنية المجتمعات الإسلامية أن ذلك هو الإسلام الذي ارتضاه الله لعباده دينا يجمع بين صلاح الدنيا وصلاح الآخرة، دينا يجمع بين عمارة الأرض بمنهج الله ونشدان الآخرة بعبادة الله، لقد غاب بذلك عن ذهنية المجتمعات الإسلامية أن الإسلام يجعل الدنيا مزرعة الآخرة وأن صلاح دنياهم باب ومدخل لصلاح أخراهم وما لم تصلح لهم دنياهم فقد خسروا الدنيا والآخرة معا"[1].

إن الإيمان أعظم دافع للإنتاج فالإنتاج لا ينمى ولا يزداد إلا بما يبذل الناس من جهد وعمل وما يصحب هذا العمل من إحكام وإتقان وهذا كله لا يتحقق إلا في جو من الأمانة والإخلاص في العمل وهذا لا يكون إلا بحافز قوي ألا وهو الإيمان[2]، كما أن الإيمان بما فيه من تصورات عن النشأة والحياة والمصير يعطي للإنسان معنى لوجوده مما يكون له الأثر الكبير في بناء الذات الإنسانية وقيام الإنسان بالعمارة، ومن هنا ندرك أن قضية الإيمان هي أهم من قضية الوجود وإن كان الوجود يدل عليه ويؤكده إذا اهتدى إليه [3].

إن هذا الترقي يعتبر في مفهوم القرآن خروجا من الظلمات إلى النور، أما الانحطاط فهو خروج من النور إلى الظلمات، يقول تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾(البقرة:257.)، فكل

1- الجليند، خلل في مسيرة الأمة، ص 67- 68 .

2- ينظر القرضاوي، الإيمان والحياة، ص293 .

3 - ينظر المطرودي، الإنسان وجوده وخلافته في الأرض، ص 427 .

ما يعبد من غير الله مع كثرته وتعدده وتنوعه واختلاف مشارب الناس فيه قد أدرجه الله تعالى تحت مسمى واحد وهو الطاغوت، وهو مسمى له دلالته الوصفية كما أن له دلالته الوظيفية فهو يتضمن فساد العمارة وتخبط الإنسان فيها وعدم توازنها واعتدالها .

2- أهمية التكامل بين الجانبين لقيام العمارة الكاملة:-

إن تكامل الجانبين في العمل مهم جدا في قيام العمارة الكاملة المحققة لحكمة وجود الإنسان،فالإيمان يمثل تناغم وانسجام الإنسان مع سنن الله في الكون فيستأنس عناصره ولا يتصادم معها، أما العمل فيمثل ارتفاق هذه العناصر والقدرة على الإبداع فيها[1]، أي تجسيد قيم الإيمان واقعا ملموسا أو هكذا ينبغي أن يكون، وتكاملهما يمثل المفهوم الحقيقي للصلاح المفضي إلى وراثة الأرض في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾ (الأنبياء: 105، 106)، فالبلاغ "يعني الكفاية أو ما تبلغ به البغية"[2]،فهذا الوعد مبلغ للقوم العابدين وهم "الذين من كانت العبادة _التي تعني الوقوف عند حدود الله_ قوام قوميتهم، فكأنه قال:أبلغتكم الوعد فاجتهدوا في نواله"[3]، "وقيل في العابدين: إنهم العاملون، وقيل: بل العالمون، والأولى أنهم الجامعون بين الأمرين"[4]، وهذا يقتضي تحقق شرط الصلاح بمعناه الشامل الذي يستلزم الإعداد الروحي والمادي لهذه الوراثة، فتعمير الأرض ووراثتها والتمكين فيها "لا يتحقق بمجرد ترديد القيم وإقامة الشعائر التعبدية وترويض النفس على الطاعات فحسب، كما اقتصر عليه بعض أصحاب الفهم القاصر، بل له جانب آخر وهو الأخذ بالأسباب المادية من السعي في الأرض واكتشاف قوانين الترقي العلمي ومعرفة السنن

---

1 – ينظر خليل، حول إعادة تشكيل العقل المسلم 117 .

2 – الرازي، التفسير الكبير (22 / 199)

3 – ابن عاشور، التحرير والتنوير (17 / 120)

4 – الرازي، التفسير الكبير (22 / 199)

التي تحكم الحياة والأحياء، وهذا المعنى يشهد به سيرة الأنبياء عليهم السلام وكذلك تاريخ المسلمين في عصرهم الزاهر، فهم لم يستطيعوا تعمير الحياة وقيادة البشرية وإنتاج الحضارة إلا بالمكابدة وتحصيل العلم والتفوق على عصرهم بما حققوا من شروط نفسية إيمانية"[1]، وهذا المعنى يتضمنه أيضا قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾(النور: 55).

سر التفاعلية بين الجانبين :-

تقوم هذه الفعالية بين الجانبين على ركيزة محورية مهمة جمعت بينهما وهي التحبيب الإلهي والزينة، فالله حبب الإيمان وزينه في القلوب، وهو متعلق بالجانب المعنوي، وجعله من الفطرة، كما زين حب الشهوات المتعلقة بالجانب الحسي، يقول تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾(آل عمران: 14، 15)، "يدل على أمور ثلاثة مرتبة أولها: أنه يشتهي أنواع المشتهيات، وثانيها: أنه يحب شهوته لها، وثالثها: أنه يعتقد أن تلك المحبة حسنة وفضيلة، ولما اجتمعت في هذه القضية الدرجات الثلاثة بلغت الغاية القصوى في الشدة والقوة،ولا يكاد ينحل إلا بتوفيق عظيم من الله تعالى، ثم إنه تعالى أضاف ذلك إلى الناس، وهو لفظ عام دخله حرف التعريف فيفيد الاستغراق، فظاهر اللفظ يقتضي أن هذا المعنى حاصل

---

[1] – زرمان، الفعل الحضاري في القرآن، ص 70 .

لجميع الناس، والعقل أيضاً يدل عليه، وهو أن كل ما كان لذيذاً ونافعاً فهو محبوب ومطلوب لذاته، واللذيذ النافع قسمان: جسماني وروحاني، والقسم الجسماني حاصل لكل أحد في أول الأمر، وأما القسم الروحاني فلا يكون إلا في الإنسان الواحد على سبيل الندرة، ثم ذلك الإنسان إنما يحصل له تلك اللذة الروحانية بعد استئناس النفس باللذات الجسمانية، فيكون انجذاب النفس إلى اللذات الجسمانية كالملكة المستقرة المتأكدة، وانجذابها إلى اللذات الروحانية كالحالة الطارئة التي تزول بأدنى سبب، فلا جرم كان الغالب على الخلق إنما هو الميل الشديد إلى اللذات الجسمانية، وأما الميل إلى طلب اللذات الروحانية فذاك لا يحصل إلا للشخص النادر، ثم حصوله لذلك النادر لا يتفق إلا في أوقات نادرة، فلهذا السبب عم الله هذا الحكم"[1].

أما بالنسبة للجانب المعنوي فهو شديد الصلة بالإيمان، كما قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾(الحجرات: 7، 8)، إن"حب الحق وزينته في القلب معناه نشوء أذواق جديدة تتحول بضمير صاحبها من حب الغرض الأدنى إلى ما لحقائق الإيمان وقيمه من نفاسة وبهجة، وقد وصف القرآن الكريم أصحاب رسول الله ﷺ بأنهم كانوا، كما قال تعالى: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ﴾(محمد: 29)، ومن كان الإيمان زينة قلبه فلن تجد لهمته دون عرش الله مبتغى" [2]،يقول تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾يونس: 58).

ومما يدل على ضرورة التكامل بين الجانبين (المعنوي والحسي) لتتحقق العمارة الكاملة،ويتحقق مقصد العبادة ما يأتي:

---

1 – الرازي، التفسير الكبير (7 / 170) .

2 – الخولي، آدم عليه السلام، فلسفة تقويم الإنسان وخلافته، ص 147 .

1- النصوص التي قرنت الإيمان بالعمل الصالح في سياق ما يحققاه من حياة طيبة وعزة وتمكين وخير واستقرار، من أمثال قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾(النور: 55)، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ (الروم: 42 – 45)، وقوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (النحل: 97)، "وهكذا عظمت قيمة العمل في المجتمع الإسلامي، فارتبط بإيمان الفرد ارتباطا وثيقا لأن الإيمان إذا كان روح العمل وسره،فإن العمل هو جسم الإيمان وشكله "[1].

2- قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (الأعراف: 96)، ففي هذه الآية ربط بين التنمية الاقتصادية والتنمية الإيمانية[2]،فهذان الشرطان هما سببان في حصول البركة، والذي يعني جماع معناها "الخير الصالح الذي لا تبعة عليه في الآخرة فهو أحسن أحوال النعمة، وهو معنى أعم من الحسنة المعبر عنه في جانب الكافرين المستدرجين"[3]، كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ

---

1 – الشرقاوي، في فلسفة الحضارة الإسلامية، ص 310 .

2 – ينظر السالوس، موسوعة القضايا الفقهية المعاصرة والاقتصاد الإسلامي، ص 28 .

3 – ابن عاشور، التحرير والتنوير (8 / 210)

حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (الأعراف: 95)، كما أن اجتماع الإيمان والتقوى في سعي الإنسان في ابتغائه لفضل الله ﷻ هو الذي يمثل المفهوم الحقيقي للتوكل على الله، وهو سعي تحقق فيه "معاملة الله ﷻ بمقتضى شمول قدرته وعوائده في ملكه" [1].

إن التقوى في حقيقتها تعني العمل والسعي في ابتغاء فضل الله، إذ هي التزام لسنن الله في كونه وأخذ بالأسباب التي جعلها لنوال فضله، وهذا المعنى قد أشار قوله تعالى الذي وصف به التقوى بوصف حسي، يقول تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ (البقرة:197)،فهذه الآية نزلت "تعريضا لأهل اليمن الذين كانوا يحجون دون زاد ويقولون نحن متوكلون على الله فيكونون كلا على الناس، فأمروا بإعداد الزاد" [2]، وفي ذلك أخذ بالأسباب المعينة لهم على الامتثال الذي هو التقوى" الواقية لكم من الحاجة إلى السؤال والسرقة، فإنهم كانوا يسافرون إلى الجهاد والحج بغير زاد فربما وقع بعضهم في إحدى المفسدتين المذكورتين فأمرهم الله تعالى بالتزام العوائد وحرم عليهم تركها، فإن المأمور به منهي عن ضده بل أضداده" [3]، وهذا المعنى للتقوى في اتخاذ الأسباب الشرعية للرزق دل عليه قوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(المائدة: 35)، الوارد ذكره بعد ذكر حد الحرابة وقبل حد السرقة .

3- قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (التوبة: 109)، فالتقوى هي اجتناب معاصيه أو اتقاء

---

1 - القرافي، الفروق (4 / 418)

2 – ابن عاشور، التحرير والتنوير (2 / 232)

3 – القرافي، الفروق (4/ 418)

عذابه،والرضوان هو فعل طاعته أو طلب ثوابه[1]، وكلا المعنيين تجسدا في شيء حسي وهذا ما يوحي به التشبيه الذي بين لنا أن هذا البناء كان"على قاعدة محكمة قوية هي التقوى من مخالفته"[2]، "فلما كان الشأن في الأساس أن يتطلب صلابة الأرض لدوامه جعلت التقوى في القصد الذي بني له أحد المسجدين فشبهت التقوى بما يرتكز عليه الأساس على طريقة المكنية، وهو أساس راسخ ثابت دل على ذلك ما يقابله في تشبيه الضد بما أسس على شفا جرف هار،وذلك بأنه شبه المقصد الفاسد بالبناء بشفا جرف منهار في عدم ثبات ما يقام عليه من الأساس بله البناء"[3]، "فالباني لما بنى ذلك البناء لوجه الله تعالى وللرهبة من عقابه، والرغبة في ثوابه، كان ذلك البناء أفضل وأكمل من البناء الذي بناه الباني لداعية الكفر بالله والإضرار بعباد الله"[4] .

المطلب الثالث: المضامين التربوية لمجال عمل الخصائص:-

1- العمارة الكاملة لا تتم إلا بهذه التفاعلية والتكاملية والاتزان بين ما هو حسي وما هو معنوي وإن أي ضرر أو فساد يلحق بأحدهما ينعكس بشكل أو بآخر على الجانب الآخر، وهذا واضح بين في أكثر من آية [5]، من أمثال قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (التوبة: 109)، وقوله تعالى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (الأعراف: 85)، كما ينبغي أن يكون مع هذا التكامل تواز في السعي نحو الترقي الروحي مع

---

1 - ينظر الماوردي، النكت والعيون (2/ 404)

2 - الإيجي، جامع البيان في تفسير القرآن (2/ 102)/

3 - ابن عاشور، التحرير والتنوير (10 / 206)

4 - الرازي، التفسير الكبير (16 / 156)

5 - ينظر خليل، مفهوم الإعمار وعلاقته بالنهضة في ضوء القرآن الكريم، ص 16،وينظر خليل، حول إعادة تشكيل العقل المسلم، ص 118 .

جهود الترقي المادي والمدني فإذا اتجه اهتمام الإنسان نحو جانب دون الآخر اضطربت حركته واختلت وفقد توازنه[1].

2- إن التعادلية والاتزان بين جانبي العمارة المختلف كل واحد عن الآخر، تحتاج إلى أن يكون هناك توحيد في العمل بينهما وهذا ما حققه الإسلام باعتباره منهجا منزلا من عند خالق كليهما، وهذا ما يلمس في ظاهرة الزهد الإسلامي القويم الذي نشأ جمعا بين أعمال لتصفية القلوب وأعمال للتعمير المادي[2]، إن منطق التوازن الحركي بين ما هو مادي وما هو روحي يعد من القواعد التي تكفل نموا سليما للعمارة، ويجعلها ذات فاعلية، وفي حركة دائمة، وهذا ما ربى عليه القرآن الكريم المسلمين عندما دعا إلى ربط أية فاعلية في الكون بالله تعالى،"فكل آية أو مقطع فيه يتناول مسألة طبيعية أو حيوية أو مادية، ينتهي بأفعال الإيمان والتقوى"[3]،ومن تطبيقات ذلك ما جاء من توجيهات تربوية للنبي ﷺ في ربط أيه فعالية بابتغاء وجه الله تعالى، وذلك بذكره سبحانه، ومن ذلك قوله :ﷺ (كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد أقطع) [4]، ليبين أن للبعد الروحي أثره في كمال العمل وإتيانه ثمرته .

لقد اعتمد المنهج الإسلامي في إيجاده لهذا التوازن على أمرين، أولهما أنه لم يهمل المادة والحاجات المتعلقة بها بل اعترف بعلاقة الإنسان بها وبكون حبها مغروزا في جبلته التي يشكلها الجسد وتحركها الروح، وثانيهما وضع أهداف عليا وقيم أوسع وأكثر شمولا من مجرد السعي إلى إشباعها، متمثلة في أن تكون ابتغاء لوجه الله وفضله[5].

3- إن الاهتمام بالجانب المعنوي للعمارة باعتباره أساسا لقيامها كان واضحا في النهج التربوي للدعوة الإسلامية فحين"ننظر في توجيهات النبي ﷺ واهتماماته في إشادة صرح المجتمع الإسلامي والحضارة الإسلامية نجد أن خطابه كان يركز على بناء الإنسان عقديا ونفسيا

---

[1] - ينظر زرمان، الفعل الحضاري، ص 22 .

[2] - ينظر النجار، فقه التحضر الإسلامي، ص 69- 70، وينظر فاروق الدسوقي، مفاهيم قرآنية، ص 47.

[3] - خليل، مفهوم الإعمار وعلاقته بالنهضة في ضوء القرآن الكريم، ص 20 .

[4] - ابن ماجه، سنن ابن ماجه، كتاب النكاح، باب خطبة النكاح، (610/1)، رقم 1894 . قال محمد فؤاد عبدالباقي في الزوائد ، قال السّندي الحديث قد حسنه ابن الصلاح والنووي، وقال الألباني في الحاشية ، ضعيف. قال ابن الملقن في البدر المنير(529/7)، حكم ابن الصلاح على هذا الحديث بالحُسن.

[5] - ينظر خليل، مفهوم الإعمار وعلاقته بالنهضة في ضوء القرآن الكريم، ص 20 .

وفكريا وسلوكيا، وجعل كل ما عدا ذلك من جوانب الحياة عبارة عن مكملات ومتممات،والناظر في أحكام الشريعة قاطبة يلحظ ذلك بوضوح على مستوى الأصول والتفاصيل"[1] والإيمان قاعدة لها دورها في الالتزام بالمنهج الإلهي من جهة، وفي فعاليات النشاط الإنساني في عمارة الكون من جهة أخرى[2].

4- إن قيم الوحي ليست معان مجردة بل هي ذات محتوى حقيقي، فهي تحمل في ثناياها طاقة التغيير والبناء، فإذا ما أفرغها الإنسان من هذه المعاني واكتفى بالمعاني الظاهرة فقدت هذه القيم فعاليتها[3]، ولعلنا نلحظ هذا البعد التعميري لهذه القيم في التصوير القرآني لفعالية الإيمان، وكذلك تصويره لما يترتب عن غيابه من فساد، فقد"شبه القرآن الكريم ما يحدثه الإيمان في قلوب المؤمنين بأنه ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (البقرة: 265)، وعقب على ذكر تلك الجنة بما يفعل الشيطان في إتلافها فقال: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾(البقرة: 266.)"[4]، ومن هنا ندرك أنه من الخطأ تصنيف العمل إلى دنيوي وأخروي، بل إن التصنيف الصحيح هو "عمل صالح ينفع الناس ويمكن في الأرض ويؤول بالرضا وآخر سيئ يؤذي الحياة ولا يمدها بخير فهو إذا كفر أو فسق"[5]، كما قال تعالى:﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(التوبة: 102)، وهذا التصنيف قائم على

---

1 - بكار، من أجل انطلاقة حضارية، ص 90، 91 .
2 - ينظر المطرودي، الإنسان وجوده وخلافته في الأرض، ص 417 .
3 - ينظر زرمان، الفعل الحضاري، ص 70 .
4 - الخولي، آدم عليه السلام، فلسفة تقويم الإنسان وخلافته، ص 98 .
5 -عبد المنعم خلاف، المادية في الإسلام وأبعادها، ص 163 .

عدة اعتبارات منها اعتبار المقصد وهو تحقيق السعادة وذلك معياره ما يحققــه العمــل مــن عبودية لله، وهناك اعتبار آخر وهو اعتبار المآل أي ما يؤول إليه العمل، أي أنــه تصــنيف تعميري للعمل مبني على أن عمارة الدنيا هي عمارة للآخرة، "فالعمل الذي قرن بالإيمان فــي أكثر من سبعين أية من آيات القرآن الكريم يتطلب أن يكون عملا للصــالحات وهــي كلمــة جامعة تشمل كل ما تصلح به الدنيا والآخرة وما يصلح به الفرد والمجتمع، وما تصــلح بــه الحياة الروحية والمادية معا"[1]، إلا إن الأخذ بظاهر العمل أمر مشاع بين الناس ممــا جعلهــم يضيعون الكثير من الأعمال زهدا فيها وفي ذلك تقصير في واجب العمارة .

5- إن قيمة العمارة المادية تتمثل فيما تحققه من عمارة روحية، باعتبار أن عمارة الدنيا ينبغــي أن تكون عمارة للآخرة، فالحياة الدنيا ليست هي كل ما في الكون من وجود، " إنما هي طور من أطوار هذا الوجود، له خصائصه التي تصله بما بعده وهو الدار الآخرة، فهــي بالنســبة للآخرة بمكان المقدمة من النتيجة، ومن خصائصها أن أعمالنا التي تتضمن روح الحق إنمــا هي بذور نبذرها ونجني حقيقة ثمرها في الآخرة، بعد أن يكون المؤمن قد جنى منها في الدنيا عزة التمكين وشرف المنزلة ولذا كانت الدنيا مزرعة الآخرة"[2]، ثم إن عمارة الآخرة هي في حقيقتها عمارة حسية باعتبار أن ما فيها محسوس ولكن بغير حواس الدنيا، وكذلك الأمر فــي خرابها .

وعلى ضوء هذا التصنيف يعاد تصنيف العلوم على أن كل علم نافع هو علم شرعي .

6- صحيح أن قيام العمارة الكاملة مناط بتحقق التكامل بين الجانبين والذي يفضي إلــى تحقــق الصلاح، إلا أن هذا لا يعني ألا تقام عمارة بعدم تكاملهما، فالعمارة المادية لا يمكن أن تقــوم إلا بالأخذ بالأسباب الحسية وهي سبب رئيس في التمكين، وهذا ما نراه واقعا ملموسا في تقدم

1- القرضاوي، الإيمان والحياة، ص 294 .

2 - الخولي، آدم عليه السلام، فلسفة تقويم الإنسان وخلافته، ص 156 .

الغرب على المسلمين في عمارة الكون، مع أنهم لم يهتموا بالجانب المعنوي للعمارة واهتموا بالجانب الحسي، وهذا سيقودنا إلى السؤال عن السر في ذلك مع ما ذكر من أن الجانب المعنوي يعد أساسا للعمارة، يمكن أن نقول أن الحديث كان عن العمارة الكاملة التي تحقق مقصد العبودية لله تعالى، أما مجرد العمارة فهو يتحقق بمجرد الأخذ بالأسباب الحسية لها، لذلك وصف الله بعض الأمم بأنهم عمروا الأرض مع أنها قد تكون أمما كافرة، لذلك كان الاختلاف في مفهوم استخلاف الأمم السابقة مبنيا على تحقيق العمارة الكاملة وعدمه، وهذا ما يفهم من مجيء التعبير القرآني بصيغتي (خلائف وخلفاء) "فبتتبع استعمال هاتين الصيغتين في سياقهما القرآني، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ (يونس: 13، 14)، وقوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴾(يونس: 73)، وقوله تعالى: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الأعراف: 69)، وقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (الأعراف:74)،يلاحظ أن استعمال صيغة (خلائف) في الوراثة الزمنية للأمم الكافرة التي أهلكها الله، والتي يجب أن تكون الأمم الخالفة فيها مخالفة للأمم المخلوفة في نهجها وسلوكها، واستعمال صيغة خلفاء في الوراثة الدينية الصالحة لأنها جاءت بعد انقضاء أجل الأمة الصالحة، وهذا يعني أن على الأمة الخالفة أن تقتدي بالأمة المخلوفة وأن تسير على نهجها وسلوكها، كما يلاحظ أن صيغة (خلفاء) تشير إلى سجايا نفسية في هؤلاء الذين استخلفهم الله

كما هو الشأن في كل ما جمع على فعلاء، وأنه بالإضافة إلى هذه الخصال والسجايا النفسية التي ترشحهم للخلافة الصالحة هناك أيضا إشارة صريحة في الآيات إلى ما أعطاهم الله من قوة جسمية ومادية "[1]، وهذا التفريق بين الصيغتين مبني على ما لمفهوم الخلافة من علاقة وثيقة بمفهوم العمارة والله أعلم .

التكامل بين الانتفاع الروحي والانتفاع المادي:-

إن الانتفاع الروحي من الكون يتمثل في كونه مظهرا من مظاهر صفات الله ﷻ، وهو بعد ذو أهمية كبيرة وكدها الإسلام، دون أن يهمل البعد الحسي الذي يعد أساسا لكل معرفة إنسانية، فهذه "الأشياء المادية ما هي إلا أبجديات الحقائق العقلية الممهدة لإدراك الحقائق الروحية والقيم العليا التي توجد وراء المادة، وبهذا يتسنى للمسلم معرفة حقيقية تتعدى ظواهر الأشياء إلى ما وراءها من تفسير غيبي يربطها بخالقها" [2]وهي معرفة ترتقي بالمسلم في مسيرته التعميرية الكاملة، ولعلنا نلمس ذلك فيما جاء من ذم لهؤلاء الذين أبدعوا في الجانب المادي للعمارة وغفلوا عن الجانب الروحي في قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾(الروم:7)،أي" يعرفون عمران الدنيا وهم في أمر الدين جهال"[3]، فعلمهم هذا لم يتعد حدوده المادية الظاهرة المتعلقة بحياتهم الدنيا وتدبير معايشهم فيها وما يصلحهم، إلى علم ما وراء هذه المادية من أمور هي أولى بهم فيكون لحياتهم معنى ينفي عنها العبثية فيكون عملهم مرتبط بغاية يستعدون لها وهي الآخرة .

مضامين تربوية:-

1- إن تفاعل الإنسان بخصائصه مع عناصر الكون وسننه هو الذي يحدث هذا الترقي وذلك لأن هذا التفاعل سيحدث نوعا من الانتفاع الروحي على مستويين هما الانتفاع الجمالي

---

[1] – أحمد حسن فرحات، الخلافة في الأرض، ص 27، 28 .

[2] – الشرقاوي، في فلسفة الحضارة الإسلامية، ص 280، نقلا عن خلاف، المادية الإسلامية وأبعادها، ص 59

[3] – الطبري، جامع البيان (21 / 28)

والانتفاع المعرفي وهذا ما وكدته نصوص عديدة منها قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (النحل: 114)، أي أن هناك منهجية تربوية لهذا الانتفاع تتمثل في التدرج والانتقال من الأدنى إلى الأعلى من مستوى الانتفاع الحسي إلى مستوى الانتفاع الجمالي إلى مستوى الانتفاع المعرفي، و"القرآن الكريم في عرضه لنعم الله لا يتوقف على حد إشباع المادة بل ينتقل بالمسلم من إشباع الحاجات المادية إلى تذوق جمالياتها إلى التفكر فيها مما يفضي إلى كامل الانسجام والتسليم لمنهج الله ﷻ وبالتالي إلى الصلاح،والإنسان المصلح يترك بصمات الصلاح على كل جوانب الحياة التي يمسها،ويجعلها جميعا منسجمة في وحدة ضمن إطار العبودية لله رب العالمين "[1].

2- إن غياب هذا البعد في التعامل مع الكون يجعل من سعي الإنسان سعيا قاصرا على التمتع بمعناه الضيق المحصور في الملذات الحسية دون أن ينزع به إلى تلك الروحية المهذبة التي تدعوه إلى استخدام ما توفر له من نعم في المحافظة على الإنسانية والأخذ بها إلى الكمال الذي خلقت لأجله، وهذا ما ذم الله عليه فريقا من الناس عرفوا النعم وكفروها بعدم انتفاعهم بها انتفاعا كاملا، فحرموا أنفسهم من التمتع بالمادة التي تبني الحياة وبالعلم الذي يغذي العقل وبالدلالة التي تغذي الروح[2]، فذمهم الله بقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ (الأعراف: 179)، وقال فيهم: ﴿ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ (العنكبوت: 67)، وقال أيضا: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (النحل: 83).

1 - بكار، من أجل انطلاقة حضارية، ص 91 .
2 - ينظر شلتوت، من توجيهات الإسلام، ص 128 – 122 .

3- بناء على هذه الشمولية ينبغي أن يكون في انتفاع الإنسان وهو يرتفق عناصر الكون، نوع من التكاملية بين ما هو حسي ومعنوي في ذات الانتفاع، بحيث يقضي في وقت واحد حاجته الحسية المباشرة، ويتمتع فوق ذلك بالجمال باستغلال طاقاته الذهنية العليا، وهذا من المضامين التي تستفاد من أمثال قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ﴾ (الحجر: 16)،وقوله تعالى: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ (النحل: 5، 6)، و"الجمال يكون في الصورة وتركيب الخلقة ويكون في الأخلاق الباطنة ويكون في الأفعال فأما جمال الخلقة فهو أمر يدركه البصر ويلقيه إلى القلب متلائما فتتعلق به النفس من غير معرفة بوجه ذلك ولا نسبته لأحد من البشر وأما جمال الأخلاق فكونها على الصفات المحمودة من العلم والحكمة والعدل والعفة وكظم الغيظ وإرادة الخير لكل أحد وأما جمال الأفعال فهو وجودها ملائمة لمصالح الخلق وقاضية لجلب المنافع فيهم وصرف الشر عنهم وجمال الأنعام والدواب من جمال الخلقة وهو مرئي بالأبصار موافق للبصائر ومن جمالها كثرتها وقول الناس إذا رأوها هذه نعم فلان" [1]، وقوله تعالى: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النحل: 8)، فقد جاء عرض هذه النعم ليبين أنها تحقق غرضا وظيفيا بقضاء حاجات الإنسان الضرورية وتحقق في نفس الوقت غرضا جماليا يسمو بالإنسان عن مستوى الضرورة الحيوانية [2]، فهذه الأشياء المادية هي في حقيقتها" أبجديات الحقائق العقلية الممهدة لإدراك الحقائق الروحية والقيم العليا التي توجد وراء المادة"[3].

---

[1] – القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (10 / 65) .
[2] – ينظر محمد السميح، ملكية الأرض في الشريعة الإسلامية، ص 38 .
[3] – الشرقاوي، في فلسفة الحضارة الإسلامية، ص 280 .

4- في إطار هذا المفهوم للانتفاع والترقي والفعالية من الممكن أن نناقش ما جاء من أحاديث في انتفاء كمال الإيمان لمرتكبي بعض المعاصي التي تضر بالعمارة ضررا كبيرا كقوله ﷺ: (لا يزنى الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا ينهب نهبة ذات شرف يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن)[1]، و"أشار بعض العلماء إلى أن ما في الحديث تنبيه على جميع أنواع المعاصي والتحذير منها، فنبه بالزنا على جميع الشهوات، وبالسرقة على الرغبة في الدنيا والحرص على الحرام، وبالخمر على جميع ما يصدّ عن الله تعالى، ويوجب الغفلة عن حقوقه وبالانتهاب الموصوف عن الاستخفاف بعباد الله وترك توقيرهم والحياء منهم، وجمع الدنيا من غير وجهها"[2]، فكل هذه التصنيفات للأعمال المنافية لكمال الإيمان هي أعمال تسبب الخلل في المسيرة التعميرية للإنسان .

[1] - البخاري، صحيح البخاري، كتاب المظالم، باب النهبى بغير إذن صاحبه، (875/2)، رقم 2343 .
[2] - النووي، شرح النووي على صحيح مسلم (2 / 45)

الفصل الثالث: المبادئ والضوابط التربوية المتضمنة في خصائص الإنسان في عمارة الكون

المبحث الأول: المبادئ التربوية المتضمنة في خاصية الانتماء إلى الأرض

المبحث الثاني: المبادئ التربوية المتضمنة في خاصية الاختلاف

المبحث الثالث: المبادئ التربوية المتضمنة في خاصية النزعة الاجتماعية

المبحث الرابع: المبادئ التربوية المتضمنة في خاصية العقل

المبحث الخامس: المبادئ التربوية المتضمنة في خاصية حب الخلود

المبحث السادس: المبادئ التربوية المتضمنة في خاصية حب التملك

الفصل الثالث: المبادئ والضوابط التربوية المتضمنة في خصائص الإنسان في عمارة الكون

تمهيد:

إن هذه الخصائص التي تميز بها الإنسان عن غيره من المخلوقات ليقوم بمهمته في تعمير الأرض مع ما أمده الله به من منهج يضبطها ويوجهها ويرتقي بها، ينبغي أن تكون أسسا وأصولا نفسية تقوم عليها التربية الإسلامية في نظرتها للإنسان، ذلك لأن التربية الإسلامية في سعيها لتحقيق الغاية التي خلق من أجلها الإنسان "لا تركز على إعداد الإنسان المنتج المستهلك فحسب، كما تفعل التربية الغربية، بل هي تسعى للارتقاء به إلى طور الإنسانية فيما تحققه له العبادة بمعناها الشامل، من توافق بين طبيعة تكوينه والغاية من وجوده"[1]، ولهذا ينبغي الإحاطة بالمبادئ التربوية التي تعلقت بالخصائص، واعتبارها ضوابط تضبط تعامل الإنسان مع هذه الخصائص حتى يتمكن من توظيفها وتفعيلها في العمارة .

[1] - الكيلاني، فلسفة التربية الإسلامية، ص 134 .

المبحث الأول: المبادئ التربوية والضوابط المتضمنة في خاصية الانتماء إلى الأرض

تمهيد:-

إنّ خاصية الانتماء إلى الأرض نافذة يطل بها الإنسان على عنصر المكان، وهو عنصر من عناصر الحضارة، مما يجعل من الإنسان صاحب علاقة وثيقة بالمكان الذي يقطنه بخاصة، وبالأرض بعامة، وهناك الكثير من المبادئ التربوية ذات العلاقة بخاصية الانتماء إلى الأرض،وهي في مجملها تصلح لأن تكون أسسا تربوية للتربية الوطنية، مما يدفع الإنسان إلى تعمير الأرض واستصلاحها والعناية بها، ومن هذه المبادئ ما يأتي

المطلب الأول - مبدأ الارتباط بالمكان ينبغي أن يكون قائما على أساس روحي:-

إنّ ارتباط الإنسان بالأرض ينبغي أن يكون ارتباطا قائما على العبودية لله، وهذا ما بيّنه قوله تعالى: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾(العنكبوت: 56)، وهو مما يفهم من قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (النساء: 97)، ومن هنا ندرك أن ارتباط الإنسان بالمكان لا يكون ذا قيمة، ولا يعتبر تمكينا ولا تبوءا إن لم يحقق العبادة، ويكن معه تبوء للإيمان، يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (الحشر: 9)، فعلى التربية الوطنية أن تسعى إلى تربية المسلم على القيم الإيمانية التي تحقق له هذا التمكن في الأرض وتحرره من قيود الارتباط بالمكان الضيق، وأن تجعل محبة الله فوق محبة المكان،ومحبة الوطن تابعة لمحبة الله، فإن تعارضت المحبتان قدمت محبة الله يقول تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ

تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾(التوبة: 24).

إنّ هذا الارتباط الوجداني بالأرض مبني على أصل عقدي مفاده أن الأرض لله يورثها من يشاء، يقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾(الأعراف:128)،وهو أصل من أصول التربية الوطنية، يوجب على المسلم أن يحترم أرض الله ولا يزدريها، كما أن هذا يعني أن الوطنية لا تعني أن يتعصب الإنسان إلى بلده ويزدري البلدان الأخرى، وهو أمر ظاهر وشائع في عالمنا اليوم، مما يمكن أن نسميه بالعصبية الوطنية، ويبدو أن نظرة الازدراء لبعض البلدان قائم على نوع من التقييم متعلق بمن يقطن هذا البلد وهي القيمة الاجتماعية للتراب، وهذه القيمة أشار إليه مالك بن نبي عندما قال: " وهذه القيمة الاجتماعية للتراب مستمدة من قيمة مالكيه فحينما تكون قيمة الأمة مرتفعة وحضارتها متقدمة يكون التراب غالي القيمة، وحيث تكون الأمة متخلفة يكون التراب على قدرها من الانحطاط"[1]، وهذا الكلام لمالك بن نبي يبيّن فيه واقع الحال، ولكن على المسلم أن ينظر بمنظار واحد وهو أن الأرض لله، وأن عليه احترام أرض الله.

اتساع دائرة الانتماء:-

إنّ هذا الارتباط الوجداني بالأرض ومرد ملكية الأرض لله وحده، ينبثق منه مبدأ آخر وهو اتساع الانتماء باتساع شمولية العبادة، أي أن دائرة الانتماء ليست ضيقة محدودة بحدود المكان الذي ينتمي إليه الإنسان نسبة، بل هي تتسع وتمتد ليكون الانتماء لكل الأرض، وهذا المبدأ يؤكده قوله ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةٍ قَبَضَهَا مِنْ جَمِيعِ الأَرْضِ فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَى قَدْرِ الأَرْضِ

---

[1] – مالك بن نبي، شروط النهضة، ص 131 .

جَاءَ مِنْهُمُ الأَحْمَرُ وَالأَبْيَضُ وَالأَسْوَدُ وَبَيْنَ ذَلِكَ وَالسَّهْلُ وَالْحَزْنُ وَالْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ)[1]، وهذا يحتم على أن تتوسع دائرة الانتماء من الانتماء الضيق إلى بقعة أرض بعينها إلى الانتماء إلى الكرة الأرضية كلها، بحيث يفعل الإنسان الصلاح أينما حل، وهذا مما يدخل تحت الهدف العام للتربية الإسلامية، وذلك لأن" الهدف التي تسعى التربية الإسلامية إلى تحقيقه هو إعداد الإنسان الصالح، بمعناه الإنساني الشامل، الإنسان بجوهره الكامن في أعماقه، الإنسان من حيث هو إنسان، لا من حيث هو مواطن في هذه البقعة من الأرض أو في ذلك المكان"[2]، فالإنسان مستخلف في الأرض، ودوائر الاستخلاف تتسع وتضيق حسب الارتباط المكاني.

شمولية الانتماء وعالمية العمارة:-

إن هذه العقيدة في كون الأرض لله جعلها لانتفاع الجميع، يجعل من إعمار الكون مبدأ إنسانيا عالميا[3]، أي أن الانتفاع بما في الكون ليس مختصا بجنس دون جنس من بني البشر، أو فئة دون الأخرى، فهو مخلوق للناس جميعا وميسر لمن تمكن من كشف سننه [4]، وهذا ما أفاده الخطاب القرآني (لكم) المتكرر في سياق الانتفاع مما جعل الله في هذه الأرض من خيرات، في كثير من الآيات القرآنية من أمثال قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (البقرة:29) ، للتأكيد على أن الخطاب موجه لبني الإنسان، وفي ذلك دعوة إلى التعاون بين الناس في تحمل أعباء هذه الرسالة[5]، فلام التعليل في (لكم) دلت على أن خلق ما في الأرض كله لأجل الناس[6]، مما "يفيد الاختصاص على جهة

---

[1] - سبق تخريجه، ص 61.
[2] - قطب، منهج التربية الإسلامية، (1 / 13)
[3] - ينظر بابللي، إعمار الأرض، ص 7.
[4] - ينظر بابللي، إعمار الأرض، ص 76 .
[5] - ينظر بابللي، إعمار الأرض، ص 28 .
[6] -ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير (1 / 379)

الانتفاع للمخاطبين دون تفريق بينهم، أي أن ذلك مختص بكم، مما يدل على أن الانتفاع بجميع مخلوقات الأرض وما فيها من خيرات مأذون فيه بل مطلوب شرعا، وهذا من القيود التي ضبطت عمارة الأرض فهي تتقيد بطاعة الله والاهتداء بهديه والامتناع عما نهى عنه، والاعتقاد بأن الناس جميعا شركاء في منتجات الطبيعة المباحة، فكان لابد لهم من التراحم والتعاون في العمل والنتاج (العطاء) بدون تخصيص أو تمييز بين البشر في الجنس أو اللون أو العنصر بل والدين أيضا"[1]، ولعل هذا من المعاني التي يقتضيها معنى كون الأرض لله، ومما يدل على عالمية العمارة قوله تعالى: (واستعمركم فيها) فالخطاب و"إن كان خطابا لثمود قوم صالح إلا أنه يتناول جميع البشر"[2]، وعلى هذا فإن ما صنع الإنسان من تخطيط الأرض إلى ممالك وأقطار ودول ذات تخوم لا يجعل ثروة أية بيئة حقا أو ملكا خالصا لأهلها، لأنه إبطال لمنطق إنتاج الطبيعة الفطري، ولا يقصد بهذا إلغاء الفواصل التي تجعل لكل أمة حيزها المتميز، فإن ذلك من ضرورات تنظيم إقامة الناس في هذا الكوكب، إنما ضرورة محدثة طارئة على ما كان للطبيعة قبل خلق الإنسان من أحكام أزلية، وليس من شأن التنظيمات أو الضرورات الطارئة أن تتعارض مع أحكام الأزل أو تنقصها، ولا يجوز الخلط بين ضرورات التنظيم الداعية إلى التقسيم الإدارية والسياسية وبين الأنانية الداعية إلى الأثرة والاحتكار الحاد، فإنا إذا جاوزنا طور داعي الأنانية ألفينا أنفسنا نتواصل بود الإخاء ومنطق أحكام الأزل، ويدرك أهل كل بيئة أن حظهم من الثروة ملك إنساني عام ينتفعون به لخاصة أنفسهم فإذا اجتاز بهم ابن السبيل الذي أبعد به السفر موطنه، ولا مال معه فله حقه المشروع بينهم دون تفضل أو منة لأحد، وكذلك تكون المواساة بين سائر البيئات إذا نزلت ضائقة أو جانحة ببيئة ما[3].

---

[1] – الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته (8 / 491)

[2] – محمد الغزالي، نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم ص22 .

[3] – الخولي، الثروة في ظل الإسلام، ص 17 بتصرف .

إن مبدأ عالمية العمارة يقتضي التواصل والتعاون بين الجماعات البشرية وانفتاح بعضها على بعض، فإنه "من الخطأ فضلا عن الاستحالة الفصل والتجزئة بين جوانب التجارب البشرية وعزلها عن بعضها لأنها تمثل وحدة حيوية واحدة تسري فيها روح واحدة"[1]، وهذا مبدأ تربوي قامت عليه الحضارة الإسلامية في انفتاحها على الحضارات الأخرى، مصداقه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: 13).

المطلب الثاني – مبدأ شمولية الانتماء لكل أفراد الإنسان:-

الإنشاء من الأرض والخلق منها، يشمل جميع أفراد النوع الإنسان دون استثناء، ولقد جاء الخطاب التربوي القرآني يخاطب الإنسان بأنه مخلوق من الأرض من طريقين، الطريق الأول باعتبار النوع العائد إلى أصله الأول وهو آدم عليه السلام وهذا ما دلت عليه الكثير من الآيات منها قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾(الحجر: 28)، وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ﴾(ص: 71)، أو باعتبار الفرد فكل إنسان قد خلق من الأرض باعتبار أن النطفة قد تكونت مما يأكله الإنسان الذي مصدره الأرض، يقول تعالى: ﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا ﴾(الكهف: 37)، ويقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾(الحج: 5)، ويقول تعالى: ﴿ اللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾(فاطر: 11)، ويقول تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ

[1] – خليل، حول إعادة تشكيل العقل المسلم، ص 120 .

نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾(غافر:67).

استمرارية النشأة:-

الإنشاء من الأرض أمر كوني مستمر، "فشأن آدم من حيث إنه خلق من طين هو شأن أبنائه"[1]، وذلك لأن خلق آدم عليه الصلاة السلام من الأرض خلق لجميع أفراد البشر منها، فإن خلقته عليه الصلاة والسلام لم تكن مقصورة على نفسه بل كانت أنموذجا منطويا على خلق جميع ذرياته التي ستوجد إلى يوم القيامة انطواء إجماليا،وقيل:إن خلق آدم عليه الصلاة والسلام وإنشاء مواد النطف التي منها خلق نسله من التراب إنشاء لجميع الخلق من الأرض[2]، وهذا يعني أن كل إنسان مخلوق من الأرض باعتبار أن النطفة متولدة من الغذاء والغذاء من النبات أو الحيوان وهما من الأرض [3]، وقد جاء الخطاب القرآني يخاطب الناس بهذا الاعتبار، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا ﴾ (الكهف:37)،وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾(الحج:الآية 5)، وقوله تعالى: ﴿ اللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾(فاطر:11)، وقوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (غافر: 67).

---

[1] – الخولي، آدم عليه السلام، فلسفة تقويم الإنسان وخلافته، ص 28 .
[2] – ينظر أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (3 / 327)
[3] – ينظر الخولي، آدم عليه السلام، ص 20 – 21 .

إن مبدأ استمرارية الإنشاء من الأرض يدعونا إلى احترام الأرض لكونها تحمل العناصر التي سيخلق منها أولادنا، علاوة على أننا كنا موجودين فيها قبل أن نولد، وهذا ما يوطد العلاقة التفاعلية بين الإنسان والأرض باعتبارها أصل الحياة البشرية، مما يدعو إلى المحافظة عليها بإصلاحها وعدم إفسادها، و"لعل من النتائج الخفية لمعرفة الإنسان أنه وأولاده وأنعامه صنعوا من طين الأرض هو إثارة حبهم للأرض والطين، وإدراك ضرورة عنايتهم بها ورعايتها ذلك لأنهم إذا ماتت الأرض وأجدبت ماتوا وهلكوا"[1].

المطلب الثالث: مبدأ شمولية الاتساع المكاني لجوانب الوجود الإنساني:-

إن النشأة من التراب قد جعلت للإنسان كيانا ماديا هو الجسد وكيانا معنويا، مما أسهم في التمكين في الأرض، وهو مفهوم لا يرتبط بشغل حيز من المكان والاستقرار فيه فقط، بل يرتبط بالسيطرة والتصرف أيضا، وهذا قد تحقق من ناحيتين، الأولى: هي أن الإنسان استقر على الأرض وشغل حيزا منها بسبب تجسده، أما الثانية: فتمكنه من التعامل معها والتصرف فيها لكونه من نفس جنسها فهو ليس غريبا عليها ولا على ما خلق منها من مخلوقات، على خلاف الملائكة والجن فإنهما أجسام وليست أجسادا، فالملائكة التي خلقت من نور بعيدة في خلقها عن الأرض وليس لها الاطمئنان عليها، يقول تعالى: ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴾(الإسراء: 17)، وكذلك الجن التي لا تستقر غالبا على الأرض، يقول تعالى: ﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾ (الجن: 8-10)، وعلى خلاف الشيطان الذي استحقر الطين واستخف به، يقول تعالى: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾(ص: 76).

[1] – طيرة، خلق الإنسان دراسة علمية قرآنية، ص 59 .

كما أن الإنسان ارتبط بالأرض من ناحية أخرى وهي أن كونه من تراب أوجد فيه حاجات كثيرة يسعى لتلبيتها، وهذه الحاجات موجودة في الأرض، وهو ما يتعلق بأمور المعيشة، وهي حاجات جسدية وحاجات نفسية، ولعل هذا ما نلمسه في قوله تعالى في معرض الامتنان: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾(الأعراف: 10)، فقوله: (مكناكم في الأرض) "يعني جعلنا لكم فيها مكاناً وقراراً، أو ملكناكم فيها و أقدرناكم على التصرف فيها، وقوله: (وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا معايش) جمع معيشة وهي ما يعاش به من المطاعم والمشارب وغيرها، أو ما يتوصل به إلى ذلك"[1]، "وهذا المعنى يكمل المعنى السابق لأن مفهوم الإنسان يتناول وجوده الحسي -بدنه- الذي يحتاج إلى مكان وقرار في الأرض، ويتناول وجوده العقلي الذي يتضمن مواهب التسلط والتصرف فيها"[2]، لذلك فإن"العمارة المادية تكاد تكون إلزامية لارتباط النشاط الإنساني فيها بالدوافع العضوية والدوافع النفسية القريبة منها والتي تعتبر إلزامية لحركة ونشاط الإنسان، ولكن هذه العمارة ليست مقصودة لذاتها وإنما لهدف أسمى وأشرف وهي العبادة لله تعالى والتي توافق خصائص تكوين الإنسان وليست غريبة عنه"[3]، عليه من الممكن إدراك ما للنشأة من الأرض من دور كبير في تحقيق الحكمة من خلق الإنسان، إذ"الحكمة من خلق الإنسان من مادة هذه الأرض هي أن يتمكن من العيش عليها حيث كان، واستعمارها والاستفادة منها ومن موجوداتها ومما هو مسخر له فيها أو فيما يحيط بها لكي يحقق الغاية التي خلقه الله من أجلها وهي عبادة الله والإخلاص له في العبادة"[4].

طبيعة العلاقة بين الأرض والإنسان:

وصف الله سبحانه وتعالى طبيعة العلاقة المكانية بين الإنسان والأرض بأنها مستقر مستودع، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ

---

1 - الزمخشري، الكشاف (2/ 207)

2 - الخولي، الثروة في ظل الإسلام 68.

3 - الخولي، الثروة في ظل الإسلام، ص 67، 68 .

4 - بابللي، إعمار الأرض، ص 32

يَفْقَهُونَ ﴾(الأنعام: 98)، أي" أنشأكم فشأنكم استقرار واستيداع فأنتم في حال استقراركم في الأرض ودائع فيها ومرجعكم إلى خالقكم كما ترجع الوديعة إلى خالقها" [1]، وهذان الوصفان يتضمنان معنى أن الأرض هي البيئة الحاضنة للإنسان وهو وديعة فيها ؛ إذ الاستقرار "هو القرار والاستيداع هو طلب الترك"[2]، وفي ذلك ما يوحي إلى أن هناك علاقة سامية بين الإنسان والأرض، هي علاقة الأم بولدها، فهي أمه لأنها أصل خلقته، وهي أمه التي قدر الله أن تكون حاضنة له حال حياته وحال مماته .

المطلب الرابع: مبدأ الإنشاء يحصل بتفاعل الإنسان مع المكان:-

إن خلق الإنسان من تراب متحقق باعتبارين هما اعتبار النوع، وهو أن أبا البشر آدم عليه السلام مخلوق من تراب، وهذا ما دلت عليه النصوص الكثيرة بأساليب متعددة، أما الاعتبار الثاني هو اعتبار أن كل فرد من البشر مخلوق من تراب، وذلك لأن النطف تولدت من الغذاء والغذاء من النبات أو الحيوان الذي تغذى على النبات، والنبات من التراب، وبهذا تحقق كون كل واحد من البشر مخلوقا من تراب، وهذا ما دلت عليه الآيات التي خاطبت أفراد الناس بأصل خلقتهم، وإن كان هناك اختلاف بين المفسرين في بيان هذا الاعتبار فمنهم من اعتمد الاعتبار الأول فقط، ومنهم من اعتمد الاعتبارين، وأيا كانت كيفية هذا الإنشاء، إلا أن هناك بعدا يكاد يكون غائبا عند تناول هذه القضية، وهو سر ذلك التفاعل المتحقق بين الإنسان والتراب في الإنشاء، فالإنسان باعتبار أصله مخلوق من تراب وباعتبار شخصه مخلوق من تراب، إلا أن هذا الإنشاء لا يتم إلا بتفاعل الإنسان مع التراب وهذا متحقق من أول ولادة من لدن آدم إلى آخر ولادة شاءها الله على هذه الأرض، فالنطفة التي أصلها من تراب لا يتم خلقها إلا في جسم الإنسان.

---

1 - ابن عاشور، التحرير والتنوير (7 / 397)

2 - ابن عاشور، التحرير والتنوير (7 / 396)

إن هذه التفاعلية نلمسها في ذلك التعبير القرآني عن الإنشاء والخلق بالإنبات في قوله تعالى:﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴾(نوح: 17)، فالله سبحانه وتعالى هو الذي قام بالفعل (أنبت)،والإنسان هو الذي نبت، وهذا البعد مما بينه الأوسي في تفسيره لهذه الآية مما يفيد : أن هناك فعل وانفعال هما الإنبات والنبات تساويا في حقيقتهما، واختلفا بالنسبة لقيام التحقق، فالفاعل هو الله والقابل للفعل هو الإنسان، لذلك لم يقل إنباتا بل قال نباتا [1]، و في إطار هذه التفاعلية بين الإنسان والتراب يتم الجمع بين المبدأ البعيد للإنسان وهو التراب،والمبدأ القريب وهو الإنسان سواء كان آدم أم الوالد المباشر .

إن هذه التفاعلية هي أمر كوني لكونه متعلقا بالخلق والإيجاد والتكوين، وهو أمر محكوم بارتباط الأسباب بمسبباتها، مضبوط بالأمر الشرعي حتى تتم هذه النشأة في كل مستوياتها وفق ما اقتضته الحكمة الإلهية في جعل الإنسان نخبة هذا الكون، وهذا ما نلمسه في عناية الشريعة ببيان كل ما يتعلق بهذه النشأة من أحكام، فعلى مستوى المبدأ البعيد (التراب) كان الإنسان سلالة من طين، يقول تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴾(المؤمنون: 12)، وعلى مستوى المبدأ القريب (النطفة) كان الإنسان سلالة من ماء مهين، يقول تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ (السجدة: 8)، والسلالة "هي الخلاصة وأصلها ما يسل ويخلص بالتصفية "[2]، وهو ما نستطيع أن نسميه بمبدأ الانتخاب، وهو سنة كونية أرادها الله لضمان نظام الكون.

مبدأ التأثير والتأثر:--

إن الإنشاء من الأرض أوجد نوعا من الوحدة يتأثر فيها الجزء بالكل والكل بالجزء، وهذا التأثير والتأثر في حقيقته هو عبارة عن علاقة تفاعلية بين الأرض والإنسان قائمة على أن ما

[1] – يراجع الألوسي، روح المعاني (21 / 320)
[2] – الألوسي، روح المعاني (15 / 495)

في الأرض من مكونات يثير ويستفز ما في الإنسان من مواهب وقدرات مما يدفعه إلى الاستفادة من خيراتها، ذلك لأن" الإنسان لديه من المواهب والقدرات التي يقابلها تسخير في الكون للقيام بمهمته كاملة، ليكون مستثمرا لها أقصى ما يمكن أن تكون عليه عملية الاستثمار لعمارة الأرض"[1]وهي مواهب" تتلاقى مع بعض الأسرار الإلهية التي أودعها الله خالق هذا الكون فيه وسلط البشر عليها لأنها مسخرة لهم"[2]و"يبدو ذلك التسخير الكوني للإنسان فيما ركب عليه من قوانين كمية وكيفية تحكم عناصره، تناسب تماما الكيان الإنساني في وجوده ابتداء، يقول تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾(إبراهيم: 33)، كما يبدو فيما يسر في الكون من أسباب لحفظ حياة الإنسان وتواصلها وإثمارها، خصوبة لتوفير الغذاء، يقول تعالى:﴿يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾(النحل:11)، يقول تعالى: ﴿وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ (النحل: 5)، وانبساطا لإمكان التنقل وجوب البر والبحر، يقول تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (الجاثية: 12)، ويقول تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ بِسَاطًا لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴾ (نوح:19،20)، وقبل كل ذلك ثباتا في قانون التركيب والحركة ليستطيع العقل رصد القوانين واستيعابها واستثمار الكون بها"[3].

مبدأ التكيف والانسجام:-

إن الإنشاء من الأرض جعل من الإنسان مخلوقا منسجما معها ومع مكوناتها، متكيفا مع ظروفها، بإمكانه العيش على أي جزء منها، مما يسهم في سهولة انتشاره عليها، وهذه الميزة

[1] – المطرودي، الإنسان وجوده ولافته، ص 374 .
[2] – بابللي، إعمار الأرض، ص 7 .
[3] – النجار، خلافة الإنسان، ص 58 .

ليست موجودة لدى كثير من المخلوقات الأرضية الأخرى، التي قد يكون لها توزيع جغرافي معين، كما أن هناك نوعا آخر من التكيف يتمثل في تكيف الإنسان مع معطيات الزمان والمكان،وهما مفهومان مرتبطان ارتباطا أصيلا بالأرض، فما تحوزه الأرض هو المكان، أما الزمان فهو ناتج عن دورانها، ولهذا الانسجام أثر في الحركة العمرانية للإنسان وهذا ما يبدو من قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ (يونس:67)، وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴾(الإسراء: 12)، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴾ (الفرقان: 47)، وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾(النمل: 86)، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾(القصص: 71_ 73)، وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (غافر: 61)، وقوله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ (الروم:23).

الأساس الذي يقوم عليه علم التغذية:-

إنه لتتحقق إرادة الله الكونية في أن يكون الإنسان نخبة، نجد أن الإرادة الشرعية جاءت بما يضمن تحققها، وذلك ببيان كل ما أحله الله سبحانه وتعالى وحرمه من أكل وشرب وفق قاعدة

عامة وهي قاعدة الحلال والحرام، يقول تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ (البقرة: 168)، "وفي هذا الوصف معنى عظيم من الإيماء إلى قاعدة الحلال والحرام فلذلك قال علماؤنا: إن حكم الأشياء التي لم ينص الشرع فيها بشيء أن أصل المضار منها التحريم وأصل المنافع الحل، وهذا بالنظر إلى ذات الشيء بقطع النظر عن عوارضه كتعلق حق الغير به الموجب تحريمه، إذ التحريم حينئذ حكم للعارض لا للمعروض"[1]، يقول تعالى: ﴿ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾(المائدة:88)،ويقول تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (الأنفال:69)،ويقول تعالى:﴿ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾(النحل:114)، ليكون هذا الإنسان كما أراده الله نخبة هذا الكون، بل إن التوجيهات القرآنية ذهبت إلى أكثر من ذلك عندما وجهت الهمم إلى أن ينتقي الإنسان ما هو خير وهذا ما نلاحظه في قوله تعالى: ﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾(البقرة: 60،61).

إن القاعدة في النظام الغذائي الذي يعتبر سببا في هذه النشأة هي الأكل من الحلال الطيب،وهما وصفان أحدهما حسي والآخر معنوي، وهذا ينقلنا إلى أن الاهتمام لم يكن بالتكوين الجسدي فقط بل بالتكوين النفسي أيضا، فالإنسان جزء متكامل وعندما تقرر أن الإنسان هو خلاصة العالم ونخبته فليس المراد به ذلك الكيان الحسي فقط بل معه كيانه المعنوي.

---

[1] - ابن عاشور، التحرير والتنوير (1 / 102)

المبحث الثاني: المبادئ والضوابط التربوية المتضمنة في خاصية الاختلاف

تمهيد:-

إن خاصية الاختلاف نافذة يطل بها الإنسان على نفسه وما تميز به من ذاتية واستقلالية تجعلها يدرك ما يتعين عليه من مهام تعميرية، كما تجعله يدرك مكانته الخاصة، فيعي قدر نفسه، ويعطي وفق وسعه، وهذه الخاصية لها عدة مبادئ تصلح لأن تكون أسسا تقوم عليها التربية الأخلاقية أو النفسية ومن هذه المبادئ ما يأتي:

المطلب الأول: مبدأ الاختلاف يقتضي الذاتية والاستقلالية والتميز:-

الذاتية هي" هوية الذات في إطارها الفردي، والتي بها يتمايز الإنسان عن غيره من البشر"[1]، والإنسان بفطرته كيان مستقل، والذي يحقق له هذه الاستقلالية هو الاختلاف، "ومعنى أنه كيان مستقل أن لكل فرد ذاتيته الخاصة، فليست هناك صور مكررة من الأفراد سواء في الخصائص المادية أو الميزات المعنوية، ولقد اعترف الإسلام بذلك إذ يقول الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ﴾ (الروم: 22)، فاختلاف اللسان واختلاف اللغة يعكس الكيان الخاص، ويقول تعالى: ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾(النحل:71)، فالرزق كل ما لدى الإنسان من ماديات ومعنويات وهناك تفاوت في كل ذلك، وذلك يعكس الكيان الخاص أيضا"[2].

إن هذه النزعة الفردية التي يحققها الاختلاف " تدعو الكائن البشري إلى التميز والاعتماد على النفس، وإثبات الذات"[3]، كما أن التميز الفردي الذي يحققه الاختلاف بين البشر له دور كبير في انتظام الحياة، وعدم اختلالها، واستمرارها، وذلك لما يحدثه من تعارف بين الناس؛ لأنه "لو

---

[1] – قمبر، دراسات تراثية في التربية الإسلامية، ص332.

[2] – دنيا، الإسلام والتنمية، ص 53 .

[3] – نحلاوي، التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة، ص95 .

اتفقت الصور والأصوات وتشاكلت وكانت ضربا واحدا لوقع التجاهل والالتباس ولتعطلت مصالح كثيرة"[1]، لذلك ينبغي للتربية أن تربي الآخر احترام الاختلاف، وذلك لأن "احترام الاختلاف والتنوع يهدينا إلى فتح مجال التنافس الحر الشريف بينهم، كي يأتي كل إنسان بالأفضل والأحسن والأبقى، الأمر الذي يتيح لكل أمة سبيل التطور والنضج والبناء وإثراء الحياة بكل ما هو خير ومفيد "[2].

وعلى مستوى التطبيق التربوي يمكن إدراك أهمية هذا المبدأ في مراعاة ما يتميز به كل طالب عن غيره، وأن كل واحد منهم لابد وأن يتميز بأمر ما، وهذا ما يدعونا إلى أن نهتم بالجميع، وألا نحكم بأفضلية طالب ما بمجرد أنه امتاز في علم من العلوم، أو أن نحكم بفشل طالب ما بمجرد عدم تفوقه في علم من العلوم، ومن الممكن ملاحظة هذا التطبيق التربوي في توجيهاته ﷺ في هذا المجال، في الحديث الذي يبيّن فيه تلك المزايا الفردية للصحابة، الذي قال فيه: (أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في أمر الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأقرؤهم أبي، ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيد بن الجراح) [3]، وفي مجال التحصيل العلمي نرى لهذه القاعدة ظهورا واضحا في قصة موسى عليه السلام والرجل الصالح، وهذا ما دل عليه قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾(الكهف: 66-68).

إن "على المنهج يجعل من أهدافه تنمية فردية المتعلم، واكتساب ما لدى المتعلمين من مواهب وقدرات وتنميتها، إلى حد ممكن، واحترام الآراء الفردية ومناقشتها في جدية واهتمام، وترك

---

1 - الخطيب الشربيني، السراج المنير (5 / 235)

2 - عبد اللطيف حموش، قصة الإنسان، ص 411 .

3 - الترمذي، سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب معاذ وزيد وأبي و أبي عبيدة، (664/5)، رقم 3790، وقال: حديث هذا حديث حسن غريب لا نعرفه من حديث قتادة إلا من هذا الوجه، وصححه الألباني في الحاشية.

الحرية لكل فرد بأن يحل مشكلاته بطريقته الخاصة، وتشجيع الأساليب الفردية في التعليم لتنمية الشخصية الفردية لدى المتعلمين"[1].

ضرورة معرفة الإنسان قدر نفسه:-

في إطار رسالة الإنسان في عمارة الكون، وما اختص به دون غيره من المخلوقات من خصائص جعلته أهلا لها، وما تميز به كل فرد من مزايا شخصية، جعلت منه صاحب واجب مخصوص في هذه الرسالة، في إطار كل هذا ينبغي لكل فرد أن يعرف قدر نفسه، وواجبه التعميري الخاص به دون غيره، وهذا مما يفهم من القاعدة التربوية التي قعد لها الشيخ زروق والتي مفادها (لزوم إقامة العبد حيث أقامه الله من غير التفات لمقام آخر وإن كان أتم في نظره)،قال فيها: "إقامة رسم الحكمة لازم، كالاستسلام للقدرة، فلزم إقامة العبد حيث أقيم من غير التفات لغيره، وإن كان الغير أتم في نظره، ما لم يختل شرط الإقامة بتخلف الفائدة أو عدم إقامة إمكان الحقوق الشرعية، فيتعين الانتقال للمثل" [2].

التربية على الاعتزاز بالنفس والمهنة:-

على التربية أن تسعى بعد اكتشاف المزايا الشخصية وتوجيه المتعلم إلى ما خلق له ويرتضيه من مهنة، أن تربيه على الاعتزاز بها والثبات عليها، وهذا مبدأ تربوي نبه إليه الغزالي عندما قال: "وليس من شرط المتجرد لعلم أو صناعة أن يتطلع على قدر رتبته ونسبته إلى من فوقه. بل إلى من تحته. وإنما المطّلع على حملة مراتب العلوم هم المتكفل بالعلوم كلها، وهو الذي آتاه الله الحكمة، وأراه الأشياء على ما هي عليه"[3]، وعليه يجب على التربية أن تربي التلاميذ في توجيههم إلى تخصصاتهم، على أن كل واحد منهم" يمكن أن يسهم في بناء الحضارة الإسلامية، كل في ميدان عمله عن طريق إحراز التفوق في اختصاصه ومهنته والاستمرار في البحث عن

---

1 - الساموك، الأساليب التعليمية للتربية الإسلامية، ص 47.

2 -.زروق، قواعد التصوف، ص 72

3 - الغزالي، ميزان العمل 119، 120 .

المعلومات، فالأفراد الذي يجددون أنفسهم بالمعلومات والمهارات باستمرار هم متقدمون إلى الأمام ويتفوقون على غيرهم"[1] أيا كان تخصصهم.

والمبدأ التربوي الذي تعتمده التربية في ذلك هو مبدأ الرضا النفسي، وهو مبدأ فطري متأصل في النفوس، فمن رحمة الله سبحانه وتعالى بخلقه أن قنعهم بما خلقوا له بحيث جعل قيام معيار تقويم المهنة مبعثه رضا النفس بها، بل إن الأمر أبعد من ذلك، وذلك فيما يراه المتلبس بمهنة يحبها ويرغبها أنها أفضل المهن على الإطلاق، فعلى التربية مراعاة هذا الأمر في إعداد النشء، وذلك في تخصيص من يقوم بالبحث عن مزايا الطلبة وما خلقوا له حتى يتم توجيههم التوجيه الأمثل في اختيار المهنة التي ترتضيه أنفسهم، ومبدأ الرضا النفسي تنبه له الإمام الغزالي عندما قال: " وإنهم يقولون لولا إرادة الله عمارة الدنيا، لارتفعت الحجب وزالت الغفلة وتوجه الخلق كلهم إلى سبيل الله، وترك كل فريق ما هو بعيد عن المقصود، ولكن كل حزب بما لديهم فرحون، وبه قوام العالم، بل لولاه لبطلت الصناعات. فلو لم يعتقد الخيّاط والحائك والحجام في صنعته ما يوجب ميله إليها، لتركها وأقبل الكل على أشرف الصنائع، ولبطلت كثرة الصنائع. فإن رحمة الله غفلتهم بوجه من الوجوه. وعليه حمل بعضهم قوله عليه السلام: (اختلاف أمتي رحمة)[2]، يعني اختلاف هممهم، ولو عرف الكنّاس ما في صناعته لتركها، ولاضطر العلماء والخلفاء والأولياء أن يتولوها بأنفسهم. وكذلك الدباغة والحدادة والزراعة، وجميع الأمور"[3].

---

[1] – يالجن، مشكلة غياب الشخصية والهوية الإسلامية، ص 55 .

[2] – السيوطي، الجامع الصغير، باب حرف الألف، (20/1)، رقم 288. وسكت عنه. قال الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير (265/4)، رقم 1243 ، موضوع . وأفاض الألباني الكلام عليه في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، فلتنظر، (141/1)، رقم 57.

[3] – الغزالي، ميزان العمل 119، 120 .

التربية على التواضع:-

حرم الله سبحانه وتعالى الكبر حتى لا تمادى الإنسان في تقدير نفسه، فيرد الحق ويحتقر الآخرين وهذا الأمر دل عليه قوله ﷺ في سياق ذكر حب التميز: (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، قال رجل إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة، قال: إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس)[1]، "وبطر الحق: رده وعدم الإذعان له،وغمط الناس: ازدراؤهم وانتقاص أقدارهم وحقوقهم، فالكبر على هذا: هو الأنانية الجاهلة التي تريد أن تكون إلها في الأرض لا يخضع لحق، وطاغية في الناس لا يريد أن يذهب أحدهم بكرامة أو خير إذ يرى نفسه أولى بكل شيء"[2]، ومن هنا "يجب أن يغرس في نفس الطفل منذ صغره بأن إنسانيته تقتضي أن ينظر إلى الناس كما ينظر لنفسه؛ لأن الآخرين أناس مثله لهم حق الحياة، وعليه التزامات ومسئوليات كما عليهم، ولا فرق بين جنس ولا لون ولون آخر، بل كلهم سواسية من حيث أصل الخلقة"[3].

الذاتية لا تتنافى مع الجماعية :-

إن كون الاختلاف يحقق للإنسان تميزه والفردية، لا يتنافى مع كون الإنسان اجتماعيا بطبعه،أي أن الاختلاف يحقق الفردية والجماعية في آن واحد، يحقق الفردية بما يحققه من تميز ذاتي، ويحقق الجماعية فيما يقتضيه من تعاون وتآزر وتآلف، "فكما هو معروف أن الإنسان مدني بطبعه لا يستطيع العيش المتحضر بمفرده، وذلك مرتبط تماما بالذاتية الخاصة، حيث إنه طالما كل فرد مختلف عن الآخر فكل فرد في حاجة إلى الآخر معطيا وآخذا"[4]، وبهذا يتكون

---

[1] – مسلم، صحيح مسلم، ،كتاب الإيمان، باب تحريم الظلم، (65/1)، 275 .

[2] – الخولي، آدم عليه السلام، فلسفة تقويم الإنسان وخلافته، ص 92 .

[3] – يالجن، دور التربية الأخلاقية الإسلامية في بناء الفرد والمجتمع والحضارة الإنسانية، ص40 .

[4] – دنيا، الإسلام والتنمية الاقتصادية، ص 53 .

المجتمع، "وعندما يتكون على الأرض مجتمع من الخلفاء فإن كلا منهم سيكون بالنسبة لهذا المجتمع أكثر من مجرد لبنة تقوم في البناء، لأن التفاعل القائم بين هؤلاء الأفراد سينتج حضارة إنسانية حقة كاملة، فكلهم يرتبط بهدف واحد وكلهم يعمل لهذا الهدف، ولكن من منطلقاتهم الفردية المختلفة ووسائلهم المختلفة وسبلهم المختلفة كذلك"[1]، ومن هنا ندرك كيف أن الاختلاف يعتبر أساسا للتعاون والتآزر والاجتماع، كما يعتبر أساسا للتميز الذاتي، وهنا على التربية في تربيتها للفرد أن تراعي هذين البعدين معا، في الاعتناء بالفرد في ذاته والاعتناء به كجزء من المجتمع، ومن الممكن التأصيل لهذا المنهج من قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ (الصف: 4)، "شبه الله المؤمنين في ثباتهم وعدم انفلاتهم بالبنيان المرصوص إي المتلاصق بعضه ببعض"[2]، "والبنيان المرصوص يكتسب قوته وصلابته من توافر عنصرين قوة اللبنة في ذاتها وقوة التماسك والترابط بين اللبنات وذلك يعكس تماما توجيهات الإسلام في هذا الصدد فالفرد في ذاته يجب أن يعتنى به، والفرد كلبنة في مجتمع يجب أن يعتنى به"[3]، وفي هذا المجال من الممكن إدراك الدور التربوي الذي ستلعبه القيم الاجتماعية في تحقيق التماسك بين أفراد المجتمع؛ ذلك لأنها"هي التي تقيم ميزان العدل بين الدوافع الذاتية والمصالح الاجتماعية، وتوجه من ثمة طاقات المجتمع نحو أهدافه الإستراتيجية"[4].

إن هذه القيم تتجسد في قيم التواد والتراحم والتعاطف والمؤازرة والبذل والعطاء والاعتناء بالآخرين والاهتمام بهم، وكلها جاءت تعبيرا عن ذلك البنيان الذي وصف به المجتمع المسلم في قوله ﷺ: (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا) [5]، وقوله ﷺ: (مثل المؤمنين في توادهم

---

1 - الدسوقي، استخلاف الإنسان، ص 92 .

2 - ابن عاشور، التحرير والتنوير، (28 / 176).

3 - دنيا، الإسلام والتنمية الاقتصادية، ص 54 .

4 - زرمان، الفعل الحضاري، ص 64 .

5 - البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضا، (2242/5)، رقم 5680 . ومسلم ، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، (1999/4)، رقم 2585 .

وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)[1]،مما جعل من المجتمع الإسلامي مجتمعا متلاحما، ومتعاونا على البر والتقوى والعمل الصالح، تربطه عقيدة واحدة ومنهج واحد، ومشاعر إنسانية نبيلة، فيتحقق الأمن والاستقرار والاطمئنان، وهذا كله له أثره الكبير في قيام المسلمين بواجب العمارة، ووعيهم بالمسئولية الفردية والجماعية، مما "يخفف على الدولة الأعباء التي قد تقع عليها في إدارة المجتمع، كما أنها تقلل تكاليف الإدارة فيه البشرية والمالية، لتستغلها في قطاعات إنتاجية تعود بالصالح العام على الفرد والمجتمع"[2].

إن على المسلم أن يسهم في بناء روح التعاطف والمحبة والمودة بين الناس وذلك بأن يعمل على أن يربي " نفسه على التعاطف مع الآخرين وأن يضفي على علاقاته معهم كلها بالمحبة والمودة، بادئا بأسرته ثم جيرانه ثم مع أبنائه في المدرسة وخراجها، أو مصنعه أو في عمله،وأن ينصح ويدعو الآخرين إلى ذلك، وأن يصحح سلوكيات الآخرين بقدر الإمكان عندما يجد فرصة لذلك، بالأساليب التربوية"[3].

إن على التربية" أن تشعر الفرد دائما بالمشاركة الاجتماعية مع أفراد المجتمع حتى تحدث التوازن بين الذاتية والاجتماعية"[4]، كما أنه " لابد من تكوين وعي بأن المصالح العامة مشتركة بين أفراد المجتمع وكذلك الخسائر، وهذا يقتضي أن يشجع الأفراد بعضهم بعضا على تنمية إمكانياتهم وقدراتهم المادية والمعنوية بدلا من أن يحسد بعضهم بعضا"[5]

إن من الأساليب التي من الممكن أن تستخدمها التربية الإسلامية في تربية الفرد على الذاتية والجماعية أسلوب العمل في فريق واحد يتولى كل فرد فيه دورا محددا يتكامل مع أدوار

---

1 - البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، (2238/5)، رقم 5665 .

2 - المطرودي، الإنسان وجوده وخلافته في الأرض، ص 411 .

3 - يالجن، مشكلة غياب الشخصية والهوية الإسلامية، ص 47 .

4 - مطر، التغير الاجتماعي دراسة تحليلية من منظور التربية الإسلامية، ص 39 .

5 - يالجن، دور التربية الأخلاقية الإسلامية في بناء الفرد والمجتمع والحضارة الإنسانية، ص44.

الآخرين، ومن هنا يمكن أن نحدد هدفا للتربية الرياضية، فنستخدم المباريات وسيلة لهذه التربية،وهذا استنادا إلى ما أشار إليه محمد قطب في أن التربية الرياضية من الممكن أن تربي روح التعاون والتكافل[1]، كما أن على "المنهج الإكثار من التخطيط للمناسبات التي يلتقي فيها المتعلمون كالندوات والرحلات والمعارض، وكل ما ينمي الجانب الاجتماعي السليم لدى المتعلمين"[2]، حتى لا تطغى الذاتية على الاجتماعية.

إن "جعل الطلاب يعملون بروح الفريق الواحد يجب أن يتم عن طريق غير مباشر، وذلك من خلال تشكيل المجموعات المتعاونة، حيث يمكن تقسيم الفصل الدراسي الواحد إلى مجموعات،تتشكل كل مجموعة منها من خمسة أو ستة طلاب، ويتعاون أعضاء كل مجموعة فيما بينهم في حل الواجبات، وتحضير الدروس، وتنفيذ بعض المشروعات العملية، وكتابة بعض البحوث، ويُعيَّن لكل مجموعة مرشد من المعلمين يتولى رعايتها وإرشادها"[3].

التمحور حول الذات:-

إن ما يعانيه الإنسان من أنانية وأثرة وحب للذات، وتكبر وتعالٍ على الآخرين واستخفاف بهم،وعدم انسجام معهم، هي صور من صور التمحور والتمركز حول الذات، وهذه كلها ناتجة عن طغيان الذاتية، وعدم التوافق بين البعدين الذاتي والجماعي، وهو "خلل يسبب سقوط الإنسان في فردية مجحفة تلغي الآخرين فيكون التصادم المذهب لريح الجماعة، وهو ما ضربه القرآن مثلا يربي به الفرد المسلم على عدم التعالي، فيما جاء في شأن فرعون في قوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ (غافر: 29)، وهو أيضا شأن المذهب الفردي

---

1 - براجع قطب، منهج التربية الإسلامية (I / 11) .

2 - الساموك، الأساليب التعليمية للتربية الإسلامية، ص 47.

3 - بكار، بناء الأجيال، ص 45 .

السائد اليوم في حضارة الغرب، والذي يفضي إلى أنانية فردية كان من مر ثمارها حركة الاستعمار ولحروب العالمية المدمرة"[1].

منهج التربية في تحقيقها للتوفيق بين الذاتية والجماعية:-

إن من الأهداف التي ينبغي أن تسعى التربية إلى تحقيقها هو تحقيق التوافق بين ذاتية الفرد وبين اجتماعيته، وهذا ما يسمى بالقوام التوافقي الذي يعني العدل في ترقية الفرد بين البعد الفردي والبعد الاجتماعي فيه، وهذا مظهر من مظاهر خلافية الترقي الفردي، أما عن كيفية تحقيق هذا التوافق فتكون بتنمية البعد الفردي فيه بحيث يقوي الاعتزاز بالذات واستشعار قوة النفس مما يدفع إلى المبادرة والابتكار والفعالية، ولكن ليس إلى الحد الذي يطغى على البعد الجماعي فيميته، ويكون موازنة لذلك تنمية للبعد الجماعي في النفس بحيث تنفسح فيها مساحة للآخرين بها يكون التكافل والتآزر والتعاون، وبهذا العدل بين البعدين في ذات الفرد يكون ترقيه باستكمال قدرات الإبداع الذاتية من جهة، وتوفيق تلك القدرات في نظم جماعي يتجه بها إلى الله في تحقيق القيم الإنسانية، والمنجزات التعميرية من جهة أخرى، ولعل هذا المعنى هو أحد مدلولات قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (الحجرات: 13)، فالذكورة والأنوثة إشارة إلى الخصائص الفردية في الإنسان، وتعارف الشعوب والقبائل أي تعاونها إشارة إلى البعد الجماعي فيه، والتقوى التي هي تقدم في الطريق إلى الله إنما تكون من بين ما تكون بالموافقة بين ذينك البعدين [2].

لقد جمعت التربية الإسلامية بين هاتين النزعتين باتزان واعتدال، فأما النزعة الفردية، فقد بنيت التربية الإسلامية على مسؤولية الفرد عن نفسه أمام الله حين يسأل عن تطبيق شريعته تعالى، وإخلاص العبادة له، فأي فرد في الجماعة لن يغني عن الآخر شيئا في هذه

---

[1] – النجار، فقه التحضر الإسلامي، ص 57.
[2] – النجار، فقه التحضر الإسلامي، ص 57 بتصرف .

المسؤولية،وأما رعاية التربية الإسلامية للنزعة الاجتماعية، فقد جعل الإسلام للمجتمع دورا في حفز فعالية الفرد وانضاج ذاتيه[1].

قاعدة تربوية: المزية لا تقتضي الأفضلية:-

إن تميز الفرد بمزية معينة دون غيره من الأفراد لا يعني أنه الأفضل، أي أن"المزية لا تقتضي التفضيل"[2]، وذلك لأن التفاضل بين الناس هو تفاضل متبادل ومتناوب، فكل مفضل على الآخر فيما يختص به من مواهب واستعدادات وقدرات، أي أن الفرد من الناس يكون مفضلا فيما يختص به من مواهب، ومفضلا عليه فيما يختص به غيره من مواهب، وفي ذلك حكمة عظيمة؛ "لأن الحق يريد أن يتكاتف المخلوقون، ولا ينشأ التكاتف تفضلاً، وإنما ينشأ لحاجة، فلابد أن تكون إدارة المصالح في الكون اضطراراً"[3]، أما الأفضلية فتكون في مجموع الخصال.

إن هذا المبدأ التربوي مهم تقوم عليه التربية الإسلامية في نظرتها لخاصية الاختلاف، كما تظهر تطبيقاته التربوية في توزيع المهام وتحديد التخصصات وفي التقييم، وقد تنبه لهذا المبدأ الإمام القرافي في كتابه الفروق، وقعّد له قاعدة تحمل عنوان بين قاعدة الأفضلية وقاعدة المزية والخاصية، وفيها أنه قد يختص المفضول بخصلة ليست في المجموع الحاصل للفاضل من الفضائل' وأصّل لها من حديث الرسول ﷺ في فضل الأذان والإقامة، الذي قال فيه (إذا نودي للصلاة أدبر الشيطان له ضراط حتى لا يسمع التأذين فإذا قضى التأذين أقبل، حتى إذا ثوب بالصلاة أدبر، حتى إذا قضى التثويب أقبل حتى يخطر بين المرء ونفسه يقول له اذكر كذا واذكر كذا لما لم يكن يذكر من قبل حتى يظل الرجل ما يدرى كم صلى)[4]، فالأذان والإقامة لهما تأثير شديد على الشيطان، بينما الصلاة لم يكن لها هذا التأثير، ولا أحد يقول بأفضلية الأذان والإقامة على الصلاة، وإنما هي مزية في الأذان والإقامة ليست موجودة في الصلاة[5].

---

1 - نحلاوي، التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة، ص95، 96 .

2 -.زروق، قواعد التصوف، ص 99 .

3 - الشعراوي، تفسير الشعراوي (I / 2803) .

4 - مسلم، صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب فضل الأذان وهرب الشيطان عند سماعه، (291/1)، رقم 389 .

5 - يراجع القرافي، الفروق، (2 / 252).

المطلب الثاني: مبدأ الاختلاف يقتضي التكامل والتعاون:-

إن التباين والتفرق والاختلاف بين الناس سبب الالتئام والاجتماع والاتفاق[1]، وهذا من رحمة الله تعالى لما فيه من ضمان لاستمرار الحياة الإنسانية و" قد أشار النبي ﷺ إلى ما يتعلق من المصلحة بتباينهم واختلاف طبقاتهم، فقال: (لا يزالُ الناس بخيرٍ ما تباينوا فإذا تساووا هلكوا)[2]"[3]، فقد أراد سبحانه أن يكون الناس متكاملين في المواهب، وفي الكماليات؛ وهذا من متطلبات الخلافة؛ لأن الناس لو كانوا صورة مكررة في المواهب، لفسدت الحياة، فلابد أن تختلف مواهبهم، لأن مطلوبات الحياة متعددة[4]، ذلك لأن الاختلاف بين البشر هو اختلاف تنوع لا اختلاف تفاوت، وهذا مما يقتضي التعاون والتكافل بينهم، وذلك لأن كل فرد منهم يشعر بحاجته لما عند غيره، وعدم استغنائه عنه، مع شعوره بخصوصيته وما يحقق فرديته، فيتواصل معهم على أساس من التعاون والتكافل المتبادل دون أن يجد في نفسه حرج يعينه على ذلك نزوعه إلى الاجتماع، ومن هنا يمكن إدراك ما لخاصية الاختلاف والتنوع من بعد تعميري، فقد "شاء الله عز وجل أن تكون الحياة الإنسانية متنوعة النشاطات متعددة المطالب ومن ثم جعل الله عز وجل الناس مختلفي المشارب والميول والملكات والقدرات "[5]، وقد تنبه إلى هذا البعد الماوردي عندما قال: "واعلم أن الدنيا لم تكن قط لجميع أهلها مسعدة، ولا عن كافة ذويها معرضة؛ لأن إعراضها عن جميعهم عطب وإسعادها لكافتهم فساد لائتلافهم بالاختلاف والتباين،واتفاقهم بالمساعدة والتعاون، فإذا تساوى جميعهم لم يجد أحدهم إلى الاستعانة بغيره سبيلا، وبهم من الحاجة والعجز ما وصفنا، فيذهبوا ضيعة ويهلكوا عجزا، وإذا تباينوا واختلفوا

---

1 – ينظر الأصفهاني، الذريعة، ص 264 .

2 – البيهقي، شعب الإيمان، باب فضل الوضوء، (506/6)، رقم 9084 .

3 – الأصفهاني، تفصيل النشأتين، ص 114 .

4 – ينظر الشعراوي، تفسير الشعراوي (1 / 2803) .

5 – الدسوقي، استخلاف الإنسان، ص 93 .

صاروا مؤتلفين بالمعونة متواصلين بالحاجة ؛ لأن ذا الحاجة وصول، والمحتاج إليه موصول،وقد قال الله تعالى: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ (هود:118، 119)، قال الحسن: مختلفين في الرزق فهذا غني وهذا فقير، ولذلك خلقهم يعني للاختلاف بالغنى والفقر، وقال الله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ ﴾(النحل:71)"[1]، ومن هنا ينبغي للتربية إدراك مبدأ تربوي هام في إعدادها للفرد وهو أن الاختلاف يحقق الفردية التي تعني التميز والخصوصية، وهذا التميز يعني حاجة الغير لما يختص به المتميز، وحاجته لما يختص به غيره، مما يقتضي التعاون بين الناس في إطار العمل الجماعي الذي يدفع إليه النزوع إلى الاجتماع، أي أن الاختلاف لا يعني التفاوت بقدر ما يعني أن كل واحد يقف في طرف يقابل فيه الآخرين في دوائر تكاملية تضيق وتتسع حسب المكانة التعميرية للفرد.

إن الاختلاف " يعطي ثماره في جعل الحياة مليئة بالتنوع والتجدد مما يجعلها حياة جميلة ممتعة غير مملة ولا رتيبة ما دامت تقترن بفهم علاقة الابتلاء والمسئولية أمام الله، ولكن حين يغيب هذا الفهم فإن الاختلاف ينقلب سببا من أسباب الخلاف والخصومات الفردية والأسرية والأممية والقارية والقطرية وهكذا"[2].

إن على التربية أن تربي النشء على أن يحمدوا الله على ما فضلهم به من نعم، باللسان وبالفعل بأن يقوموا بواجباتهم تجاه غيرهم من المحتاجين، وهذا الربط بين الحمد وبين الاختلاف أشار إليه ابن القيم، بقوله: "اقتضت حكمته وحمده أن فاوت بين عباده أعظم تفاوت وأبينه ليشكره منهم من ظهرت عليه نعمته وفضله ويعرف انه قد حبي بالإنعام وخص دون غيره بالإكرام ولو تساووا جميعهم في النعمة والعافية لم يعرف صاحب النعمة قدرها ولم يبذل شكرها

---

1 – الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص 110 .

2 – الكيلاني، فلسفة التربية الإسلامية، ص 262 .

إذ لا يرى أحدا إلا في مثل حاله ومن أقوى أسباب الشكر وأعظمها استخرجا له من العبد أن يرى غيره في ضد حاله الذي هو عليها من الكمال والفلاح"[1].

حاجة الائتلاف والتعاون إلى الشرع:-

إن التعاون والتكافل والائتلاف لن يتم وينتظم إلا بوجود شرع ينظم حياة الناس ويسوسهم ويهديهم إلى ما فيه صلاحهم، وإلا اصطدمت رغباتهم وتفاوتت سبلهم، وهذا من رحمة الله سبحانه وتعالى بالناس، وذلك لأن "الله تعالى جعل لهم مع ما هداهم إليه من مكاسبهم وأرشدهم إليه من معايشهم دينا يكون حكما وشرعا يكون قيما؛ ليصلوا إلى موادهم بتقديره، ويطلبوا أسباب مكاسبهم بتدبيره، حتى لا ينفردوا بإرادتهم فيتغالبوا، وتستولي عليهم أهواؤهم فيتقاطعوا،قال الله تعالى: ﴿ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ (المؤمنون:71)،قال المفسرون*: الحق في هذا الموضع هو الله - جل جلاله - فلأجل ذلك لم يجعل المواد مطلوبة بالإلهام حتى جعل العقل هاديا إليها، والدين قاضيا عليها ؛ لتتم السعادة وتعم المصلحة "[2]، ومن هنا من الممكن إدراك الأهمية التربوية للتكليف في تحقيقه للتعاون وفي أثره الكبير في خلقه لتلك البيئة الاجتماعية المتآلفة، ذلك لأنه يوحد بين مختلف اتجاهات الأفراد، "لأن له مقوماته العامة التي تتفق مع جميع خصائصهم ويعمل على تنظيمهم في جانب الإيجابية كما يعمل على التوفيق بين المصالح الذاتية والمصالح الاجتماعية"[3].

إن هذا البعد التعميري لأوامر الشرع ونواهيه ينبغي مراعاته في تحديد أهداف مناهج مادة الفقه وموضوعاتها، في كونه علما يبين لنا انتظام حياة الناس أفرادا وجماعات ودولا، وهذا الإطار التعميري لمادة الفقه من الممكن أن يفهم من كلام الغزالي في تحديده لغايات هذا العلم

---

1 - ابن القيم، مفتاح دار السعادة، (1 / 16).

* - اختلف المفسرون في تفسير الحق على قولين أحدهما، أنه الله، وهو قول الأكثرين، والثاني ، أنه التنزيل، يراجع الماوردي، النكت والعيون(4/ 62).

2 - الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص 179 .

3 - المطرودي، الإنسان وجوده وخلافته في الأرض، ص 384 .

وموضوعاته عندما قال: " والفقه إنما يحتاج إليه من حيث إنه محتاج إليه البدن، والبدن لا يبقى إلا بعلم الأبدان، وهو الطب. وعلم الأديان، وهو الفقه، إذ الآدمي خلق بحيث لا يمكن أن يعيش وحده كالبهيمة الوحشية، بل يفتقر إلى أن يكون بين جمع متعاونين على أشغال كثيرة، في تهيئة المطاعم والملابس وآلاتهما، ولا بد إذ كان لهم اجتماع من أن يكون بينهم عدل وقانون في المعاملة، عليه يترددون، ولولاه لتنازعوا وتقاتلوا وهلكوا. فالفقه هو بيان ذلك القانون، وتفصيله في ربع النكاح والمعاملات والعقوبات" [1].

محورية التعاون وإطاره العام:-

أمر الله سبحانه وتعالى بالتعاون على البر وقرنه بالتقوى؛ لأنه من أسباب الألفة بين الناس يقول تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾(المائدة: 2)، وقد "يقع في وهم كثير من المسلمين أن هذا التكافل أو كثير منه يدخل في باب النفل، فآل معظمه إلى الضياع والحق أنه واجب ديني في حق الأفراد والمجموعات والشواهد على ذلك كثيرة يؤكد بعضها بعضا"[2]،فهذه المحورية جمعت بين أمرين مهمين في الحياة هما البر والتقوى، وذلك "لأن في التقوى رضا الله تعالى، وفي البر رضا الناس، ومن جمع بين رضا الله تعالى ورضا الناس فقد تمت سعادته وعمت نعمته"[3].

دوران التكامل بين الفردية والجماعية:-

إن التكامل والتعاون والتكافل بين الناس هو أمر دائر بين نزعتين متأصلتين في النفس الإنسانية وهما النزعة الفردية التي يحققها الاختلاف والنزعة الاجتماعية، حيث " يتصل هذا المفهوم بحقيقتين من حقائق الاجتماع الإنساني:الأولى هي أن الناس فيه وهم يلتقون في كونهم

---

1 – الغزالي، ميزان العمل 119 .

2 – النجار، فقه التحضر الإسلامي، هامش، ص 60 .

3 – الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص 155 .

بشرا يختلفون في مواطنهم وأممهم وأجيالهم وألسنتهم وألوانهم وسيرهم وعقائدهم وأخلاقهم، فالله تعالى خلقهم من ذكر وأنثى وجعلهم شعوبا وقبائل ليتعارفوا واعتبر اختلاف ألسنتهم وألوانهم آيات للعالمين، وهو القائل: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ (هود:118، 119)، فمبدأ الاختلاف بين الناس هو إحدى سنن الله في الكون وهو واقع بمشيئته سبحانه، ومرتبط بمبدأ الحق في الاختيار الذي فطر الله الإنسان عليه وأعطاه له، كما أنه محكوم بمبدأ التواصل الإنساني والنزوع إلى التعاون والتعارف ومن هنا يبرز مفهوم الوحدة . والحقيقة الأخرى:هي أن الناس في الاجتماع الإنساني مخلوقات تفكر، فالله سبحانه وتعالى حين خلق الإنسان عاقلا ميزه عن سائر مخلوقاته بالفكر، الذي هو إعمال النظر في الأشياء وإعمال العقل في المعلوم للوصول إلى المجهول، وهذه الحقيقة تجعل توجه الناس من مواقع الاختلاف والتمايز والافتراق نحو الوحدة تعبيرا عن النزوع إلى التعارف والتعاون يتم بالفكر والروية فضلا عن الإلهام الرباني الذي هو وحده سبيل الاجتماع في عوالم المخلوقات الأخرى"[1].

وهنا على التربية أن تعمل على إيجاد هذا التكامل وفقا لمبدأ تربوي مهم وهو أن فطرية الاختلاف تقتضي يسر التعاون وسهولته على النفس، ففطرية الاختلاف تعني سهولة الائتلاف لعدم الحاجة إلى تكلفه فهو ترشد إليه الطباع وتهدي إليه العقول وتدعو إليه الحاجة وهذا كله مبني على الاختلاف، وقد تنبه الشيخ زروق إلى هذا في قواعده عندما قال: "التعاون على الشيء ميسّر لطلبه، ومسهل لمشاقه على النفس وتعبه، فلذلك ألفته النفوس، حتى أمر به على البر والتقوى، لا على الإثم والعدوان. فلزم مراعاة الأول في كلّ شيء لا كالثاني"[2]، يقول تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (المائدة : 2).

---

1 – الدجاني، عمران لا طغيان، ص 11 .
2 –. زروق، قواعد التصوف، ص34 .

المطلب الثالث:مبدأ اختلاف الميول والرغبات يقابله تعدد في المكاسب:-

إن ما سخره الله سبحانه وتعالى في هذا الكون من منافع، جعلها سببا في بقائه، من الأمور التي جبل الإنسان على حبها والميل إليها والرغبة فيها، وهذا الميول دل عليه قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾(آل عمران: 14)، يقول رشيد رضا بعد أن أورد أقوال المفسرين في التزيين والمزين: " وغفل الجميع عن كون الكلام في طبيعة البشر وبيان حقيقة الأمر في نفسه لا في جزئياته وأفراد وقائعه؛ فالمراد أن الله تعالى أنشأ الناس على هذا وفطرهم عليه"[1]، وهذا الميل اجتمعت فيه ثلاثة أمور نفسية، مما جعله ميلا قويا، وهو ما بيّنه الرازي بقوله: " يدل على أمور ثلاثة مرتبة أولها: أنه يشتهي أنواع المشتهيات، وثانيها: أنه يحب شهوته لها، وثالثها: أنه يعتقد أن تلك المحبة حسنة وفضيلة، ولما اجتمعت في هذه القضية الدرجات الثلاثة بلغت الغاية القصوى في الشدة والقوة، ولا يكاد ينحل إلا بتوفيق عظيم من الله تعالى، ثم إنه تعالى أضاف ذلك إلى الناس، وهو لفظ عام دخله حرف التعريف فيفيد الاستغراق،فظاهر اللفظ يقتضي أن هذا المعنى حاصل لجميع الناس، والعقل أيضاً يدل عليه"[2].

إلا أنه علينا أن ندرك أن الأصل في هذا الميل الشديد هو ما رُكّب في النفوس من الشهوة، وهو أمر له علاقة وثيقة بوجود هذه الخصائص في النفس، وهذا الأمر من الممكن ملاحظته من أصناف المشتهيات في الآية، فحب النساء والبنين له علاقة بالنزعة الاجتماعية في الإنسان، كما أن له علاقة بخاصية بحب الخلود والبقاء، كما أن له علاقة بخاصية الاختلاف والتنوع، أما ما ذكر من أصناف الأموال فله علاقة بخاصية حب التملك، كما له علاقة بخاصية الاختلاف والتنوع، كما أن حب الحرث له علاقة بخاصية الانتماء إلى الأرض.

هذا وقد نقل القرطبي عن العلماء ما يفيد أن هذه الأصناف التي ذكرت جاءت موافقة لصنوف الميول والرغبات النفسية مع مراعاة الفروق بين البشر، فقال: " قال العلماء: ذكر الله تعالى

---

[1] -.رشيد رضا، تفسير المنار، (3 / 197).
[2] -.الرازي، التفسير الكبير (4 / 134) .

أربعة أصناف من المال، كل نوع من المال يتموّل به صنف من الناس؛ أمّا الذهب والفضة فيتموّل بها التجار، وأمّا الخيل المسوّمة فيتموّل بها الملوك، وأمّا الأنعام فيتموّل بها أهل البوادي، وأمّا الحرث فيتموّل بها أهل الرساتيق*، فتكون فتنة كل صنف في النوع الذي يتموّل، فأمّا النساء والبنون ففتنة للجميع"[1]، وهذه الأصناف التي ذكرها القرطبي وما ترتب عليها من تصنيف للناس على حسبها، هي أعمال تعميرية يقابلها في عصرنا المعاش تخصصات علمية ينبغي الالتفات إليها في تحديد مجالات العلوم، وهذا ما يبيّن لنا مبدأ من المبادئ التي تقوم العملية التعليمية والتربوية، وهو مراعاة الميول في توجيه الطلبة إلى تخصصاتهم التي خلقوا لها، وتفصيل ذلك أن الذهب والفضة إشارة إلى علم التجارة والاقتصاد، والخيل والمسومة إشارة إلى علم السياسة والإدارة، والأنعام إشارة إلى علم الحيوان، والحرث إشارة إلى علم الزراعة، والله أعلم .

اختلاف الحاجات والرغبات يقابله تنوع في وسائل إشباعها:-

إن الاختلاف في الحاجات والرغبات لدى البشر يقابله تنوع في وسائل تحقيقها وإشباعها،وهذا من الأمور التي تقتضي التآلف بينهم، كما أنه يخلق لديهم نوعا من التنافس الشريف لعدم اصطدام مصالحهم، وهذا مما يفهم من كلام الماوردي عندما عدد قواعد صلاح أمر الدنيا ومنها المادة الكافية، التي أشار من خلالها إلى وجه من الوجوه التي تقتضي ائتلاف الناس وتعاونهم، في قوله: " أما القاعدة الثالثة: فهي المادة الكافية؛ لأن حاجة الإنسان لازمة لا يعرى منها بشر، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾ (الأنبياء : 8)، فإذا عدم المادة التي هي قوام نفسه لم تدم له حياة، ولم تستقم له دنيا، وإذا تعذر شيء منها عليه لحقه من الوهن في نفسه والاختلال في دنياه بقدر ما تعذر من المادة عليه ؛ لأن الشيء القائم

---

* – الرساتيق ، جمع رستق ورستاق وهي كلمة فارسية معربة ألحقت بقرطاس تعني السواد والقرى .يراجع ابن منظور، لسان العرب(10 / 116).

[1] –.القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (4 / 36).

بغيره يكمل بكماله ويختل باختلاله؛ ثم لما كانت المواد مطلوبة لحاجة الكافة إليها أعوزت بغير طلب، وعدمت لغير سبب؛ وأسباب المودة مختلفة، وجهات المكاسب متشعبة؛ ليكون اختلاف أسبابها علة الائتلاف بها، وتشعب جهاتها توسعة لطلابها، كي لا يجتمعوا على سبب واحد فلا يلتئمون، أو يشتركوا في جهة واحدة فلا يكتفون، ثم هداهم إليها بعقولهم وأرشدهم إليها بطباعهم حتى لا يتكلفوا ائتلافهم في المعايش المختلفة فيعجزوا ولا يعاونوا بتقدير موادهم بالمكاسب المتشعبة، فيختلوا حكمة منه سبحانه وتعالى اطلع بها على عواقب الأمور"[1].

تنوع المكاسب واختلاف البلدان فيها يقتضي التعاون الدولي:-

الاختلاف "لا يقف عند الأفراد وإنما ينسحب على البيئات والأمم وأجناس الثقافات وأنماط التفكير، وهو قائم في المهارات الصناعية والفنية وفي الأذواق، وفي المهن وفي الأشكال والألوان وعادات الأكل والشرب والفرح والاحتفال وفي التضاريس والمناخ وفي كل شيء،والأقطار التي تعي هذه الحقيقة هيأت التنظيمات الاجتماعية والإدارات المحلية لتستثمر هذا التنوع والاختلاف وتصنع منهما نظما اجتماعية متكاملة، غنية الثقافة غزيرة الإنتاج متجددة الخبرات والمسرات"[2]يقول تعالى: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ﴾(فصلت: 10)، قال عكرمة: "قدر في كل بلدة منها ما لم يجعله في الأخرى ليعيش بعضهم من بعض بالتجارة من بلد إلى بلد"[3].

المطلب الرابع: مبدأ كل إنسان ميسر لما خلق له:-

وهو مبدأ من المبادئ التربوية المهمة التي يعتمد عليها في تصنيف المتعلمين وتوجيههم، وقد أشار إليه الأصفهاني بقوله: "إن الله تعالى فرّق همم الناس للصناعات المتفاوتة ويسّر كلا لما

---

1 – الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص 179 .
2 – الكيلاني، فلسفة التربية الإسلامية، ص 261 .
3 – الماوردي، النكت والعيون (4/ 48) .

خلق له، وجعل آلاتهم الفكرية والبدنية مستعدة لها، فجعل لمن قيّضه لمراعاة العلم والمحافظة على الدين قلوبا صافية، وعقولا بالمعارف لائقة وأمزجة لطيفة وأبدانا لينة مستصلحة، ومن قيّضه الله لمراعاة المهن الدنيوية والمحافظة عليها كالزراعة والبناء جعل لهم قلوبا قاسية وعقولا كنزة وأمزجة غليظة وأبدانا خشنة"[1]، والأصل لهذا المبدأ قوله ﷺ: (اعملوا فكل ميسر لما خلق له)[2].

إن الإسلام يستغل الميل الفطري لدى الإنسان في معرفة ما يجهله وإشباع حب الاستطلاع لديه لنزعات طبيعية في تكوينه النفسي[3]، وهذا مبدأ تربوي أشار إليه ابن القيم بقوله: "ومما ينبغي أن يعتمد المربي حال الصبي وما هو مستعد له من الأعمال، ومهيأ له منها، فيعلم أنه مخلوق له فلا يحمله على غيره ما كان مأذونا فيه شرعا، فإنه إن حمله على غير ما هو مستعد له لم يفلح فيه وفاته ما هو مهيأ له، فإذا رآه حسن الفهم صحيح الإدراك جيد الحفظ واعيا فهذه من علامات قبوله وتهيئه للعلم لينقشه في لوح قلبه ما دام خاليا فإنه يتمكن فيه ويستقر ويزكو معه؛ وإن رآه بخلاف ذلك من كل وجه وهو مستعد للفروسية وأسبابها من الركوب والرمي واللعب بالرمح وأنه لا نفاذ له في العلم ولم يخلق له مكنه من أسباب الفروسية والتمرن عليها فإنه أنفع له وللمسلمين، وإن رآه بخلاف ذلك وأنه لم يخلق لذلك، ورأى عينه مفتوحة إلى صنعة من الصنائع مستعدا لها قابلا لها وهي صناعة مباحة نافعة للناس فليمكنه منها هذا كله بعد تعليمه له ما يحتاج إليه في دينه فإن ذلك ميسر على كل أحد لتقوم حجة الله على العبد فإن له على عباد الحجة البالغة كما له عليهم النعمة السابغة والله أعلم"[4]، وهذا المبدأ قاعدة قعدها زروق في كتابه قواعد التصوف فقال: " ما رُكِّب في الطباع معين للنفس على ما تريد حسب قواها، فلذا قيل: إذا علم الصغير ما تميل إليه نفسه من المباحات، خرج إماما فيها"[5].

---

1 – الأصفهاني، الذريعة، ص 265، 266 .

2 – سبق تخريجه، ص 94.

3 – ينظر مرسي، فلسفة التربية اتجاهاتها ومدارسها، ص 246 .

4 – ابن القيم، تحفة المودود بأحكام المولود، ص 243 .

5 –. زروق، قواعد التصوف، ص 70.

إن الاختلاف والتفاوت في القدرات والاستعدادات (الجسمية والعقلية والنفسية) له أثر كبير في عملية تصنيف الناس إلى قدرات مختلفة في المجتمع والتي لها دور كبير في تحقيق التكامل في عمارة الأرض[1]، وهذا يفرض على التربية منهاجا معينا في تصنيف المتعلمين وإعدادهم حسب قدراتهم واستعدادتهم العقلية والنفسية والجسدية [2]، والبحث فيما رُكّب في النفوس من طباع تتناسب مع صنائع ومهن معينة، ليتم توجيههم التوجيه الأمثل، ويتم الإفادة من هذه القوى الخفية وإعداد الرجل المناسب للمكان المناسب، ويسهل التعليم على المعلم والمتعلم، ويحدث التفوق المستمر في كل المجالات مما يعود على الأمة بكل خير، وهذا ما تقتضيه القاعدة التربوية التي تم الإشارة إليها سابقا : "ما ركب في الطباع معين للنفس على ما تريد حسب قواها، فلذا قيل: إذا علم الصغير ما تميل إليه نفسه من المباحات، خرج إماما فيها، وإذا انتحل المريد ما ترجحه حقيقته من الأذكار والأوراد، كان معينا على مقصده بدوامه؛ فإنه ما قصر جسد عن مهمته ويعين الله العبد على قدر نيته، ما دخل بانبساط كان أدعى للدوام"[3].

وعلى هذا الأساس النفسي من الممكن أن نصنف المتعلمين إلى ما يلائم طباعهم وفق مجالين هما المجال الأكاديمي والمجال المهني وقد وكد ابن مسكويه على ضرورة الأخذ بهذا المبدأ بقوله: " يجب على مدير المدن أن يسوق كل إنسان نحو سعادته التي تخصه ثم يقسم عنايته بالناس ونظره لهم بقسمين: أحدهما في تسديد الناس وتقويمهم بالعلوم الفكرية، والآخر في تسديدهم نحو الصناعات والأعمال الحسية"[4].

إن هذا التصنيف يستلزم وجود الكثير من الأخصائيين النفسيين في المؤسسات التعليمية والتربوية، ليبحثوا في ميول الطلبة ورغباتهم وسلوكياتهم وما يسر له كل واحد منهم من

---

1 – ينظر المطرودي، الإنسان وجوده وخلافته في الأرض، ص 365 .

2 – ينظر الكيلاني، فلسفة التربية الإسلامية، ص 263 ..

3 –. زروق، قواعد التصوف، ص 70.

4 – ابن مسكويه، تهذيب الأخلاق، ص 27 .

عمل،ويدونوا كل ذلك وبشكل متواصل ومتتابع، حتى إذا حان وقت التخصص الذي يؤهل الطالب لتولي عمله، يتم توجيه الطالب وفقا لهذه الملاحظات القائمة على الأسس العلمية .

وبهذا الخصوص اقترح مالك بن نبي إنشاء مجلس للتوجيه الفني ليحل نظريا وعمليا المشكلة الخطيرة للتربية المهنية تبعا لحاجات البلاد، مع الأخذ باعتبارين مهمين هما أن الصناعة كما هي وسيلة لعيش الفرد وتحقيق مجده، هي أيضا وسيلة للمحافظة على كيان المجتمع واستمرار نموه[1].

ضرورة مراعاة ميول المتعلم وقدراته في اختيار التخصص:-

ينبغي الاهتمام بضرورة مراعاة ميول المتعلم وقدرته في توجيهه إلى التخصص الذي يمكنه من خلاله عمارة الأرض وإصلاحها وبالتالي نكون قد وفقنا في توجيه هذه الطاقة الكامنة إلى ما خلقت له والقاعدة التي تحكم كل ذلك قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾(طه:50)، وقوله ﷺ: (كل ميسر لما خلق له)[2]، وهذا يحتاج منا إلى دراسة سلوك المتعلم وأخلاقياته خلال سنوات دراسته الأولى حتى يمكن توجيهه إلى ما يصلح له، ذلك لأن" كثيرا من المهن يحتاج إلى نوعيات من السلوكيات والأخلاقيات تصاحبها، بعض المهن يحتاج إلى صبر، وبعضها يحتاج إلى شجاعة، وبعضها يحتاج إلى روح المغامرة، وبعضها يحتاج إلى روح البحث من جديد، كما أن بعضها يحتاج إلى روح محافظة، وبعضها يحتاج إلى بسط اليد، وبعضها يحتاج إلى قبضها، وكل مهنة تحتاج إلى تدريب سلوكي بحسبها، والأمر كله يحتاج إلى نظر بصير وبحوث متصلة من قبل علماء الأمة" [3].

إن هذه المراعاة سيكون لها أثر في تحقيق أهداف التربية والتعليم، فقد"أثبتت دراسات عديدة أجريت على التعلم المفرد وأثره على اتجاهات التلاميذ وميولهم نحو التعليم والتعلم وجود علاقة

---

[1] - يراجع مالك بن نبي، شروط النهضة، ص 97 .
[2] - سبق تخريجه، ص 94 .
[3] - سيد دسوقي، دراسة قرآنية، ص 52 .

موجبة بين استخدام طرائق التعلم عندما كانت المواد التعليمية والطرائق المستخدمة فيهـا تلبـي حاجاتهم ورغباتهم وقدراتهم"[1].

كما أن على التربية مراعاة هذا مراعاة هذا النوع من التعليم (التعليم الفردي)، وهـو" تغييـر منهجي يهدف إلى الاهتمام بالفرد المتعلم والتركيز عليه في عمليتي التعلـيم والـتعلم وتصـميم برامج لمجموعات من الأفراد، بحيث يترك أمر تقـدمهم إلـى قـدراتهم الفرديـة وسـرعتهم الذاتية،وهو يعني تقديم يراعي ما بين المتعلمين من فروق فردية، ويتطلب تـوفير سلسـلة مـن الأهداف التعليمية السلوكية التي تتصل بهدف نهائي معين، واقتراح الأنشطة التعليميـة التعلميـة التي تساعد كل متعلم على بلوغ تلك الأهداف، بالطريقة والسرعة والقدر الذي يناسبه ويتطلـب كذلك توفير المواد التعليمية ومصادر التعلم التي يحتاج إليها المتعلم"[2]

مراجعة قضية الرسوب وإعادة السنة:-

إن من القضايا المهمة التي ينبغي مراجعتها هي قضية الرسوب، فهل مـن العـدل أن يعيـد الطالب السنة كاملة من أجل أنه لم يوفق في مادة لا يتقنها، ونحن قد قررنا من قبـل ضـرورة مراعاة ميول الطالب وقدرته لكي يتم توجيهه نحو تعمير الأرض والإنتاج تحت قاعدة كل ميسر لما خلق له، كما تنادي أصول التربية بضرورة مراعاة الفروق الفردية .

إن القانون السائد في الرسوب وإعادة السنة ضيع الكثير من الطاقات فكم من مبدع ومتفوق فـي مادة من المواد ترك دراسته بسبب مادة أخرى ليس ميسرا لها أصلا، فأصبح شخصا معطـلا لا يتقن شيئا من الأعمال فإذا به في الشارع يعاني البطالة، يفعل الشر أكثر مما يفعل الخير .

عليه ينبغي تحديد آلية للرسوب وفق حُكم العلم، فالعلم الذي حكمه الفرض العينـي لا يتجـاوز الطالب فيه سنته إلا بعد تجاوزه، أما العلم الذي حكمه الفرض الكفائي فلا ينبغي أن يعيد السـنة بسبب عدم نجاحه في الامتحان، بل ينتقل إلى ما يليها من مرحلة دراسية، حتى إذا بلغ الطالـب

---

[1] – نشوان، المنهج التربوي من منظور إسلامي، ص 270 .

[2] – الساموك، الأساليب التعليمية للتربية الإسلامية، ص 216 .

سنة التخصص لا يسمح له التخصص في هذا العلم لأن النتائج السابقة تشهد بأنه لـــيس ميســـرا لذلك .

المطلب الخامس: مبدأ الأفراد في اختلافهم درجات:-

إن "حكمة الله سبحانه وتعالى اقتضت تسخير الإنسان للإنسان، قال تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾(الزخرف: 32)، "فالناس لا يستغني بعضهم على بعض، وفي احتياجهم إلى بعض صلاح لجميعهم، وأساس ذلك تشابه الاحتياجات واختلاف الملكات إلا أن ذلك لا يضع أساسا لطبقية وظيفية "[1] بل هو مفهوم آخر مختلف تماما عن الطبقية عُبِّر عنه بالدرجية، وهو مفهوم يضع كل فرد في المجتمع في مكانه الذي خلق له، ويحدد له مسئولياته تجاه الكون وتجاه من تحته في الدرجة، أي أنه مفهوم مرتبط بالابتلاء الإلهي للإنسان حتى يخرج أفضل ما عنده،وذلك لأن الدرجية تعني "أن الله جعل الناس درجات فيما هم مختلفون فيه، ويتحدد مستوى ابتلاء كل فرد طبقا للدرجة التي وضعه الله فيها"[2] ومن هنا يمكن إدراك أن الإسلام عالج كل ما يترتب عن التطبيقات الخاطئة لمفهوم الاختلاف بتحديد مفهوم الدرجية، وهذا لا يعني إقراره لمبدأ التقسيم الطبقي القائم على الاختلاف في المستوى المعيشي، وما جاء من ذكر لتفضيل البعض على البعض في الرزق إنما هو تقرير لواقع الحال لا للتقسيم الطبقي دليل ذلك أن هذا التفضيل في تبدل وتنقل دائمين، ثم إنه لا علاقة له بالعوامل التي يعزي إليها نشوء الطبقات أو المجموعات الاقتصادية، وذلك "لأن الإسلام لا يعترف بطبقية أو تقسيمات لا تقوم على الإيمان والتقوى والعمل الصالح، كما أن رفضه للطبقية لا يعني إقراره للمساواة المطلقة بين أعضاء المجتمع، وذلك لأنهم يتفاوتون في قدراتهم الذهنية والجسمية وهو تفاوت ينعكس على تصرفاتهم التي يقومون بها، وعلى المناشط التي يداولونها في مختلف مجالات الحياة" [3]، "ومن أجل ذلك

---

[1] – السبهاني، الاستخلاف والتركيب الاجتماعي، ص 58 .

[2] – الكيلاني، فلسفة التربية الإسلامية، ص 258 ..

[3] – البراوي، التفسير القرآني للتاريخ ص189، 192 .

يجب على الدولة أن تعمل على تحقيق المساواة الاجتماعية في الحرية والمواطنة والتابعية وتكافؤ الفرص، فليس في المجتمع الإسلامي فوارق عنصرية أو فوارق لجاه أو نسب أو مال،وإذا كان يجب على الدولة أن تمكن كل فرد من القيام بواجبه، فإن عليها أن تعمل على تسهيل استغلال الطاقات والإمكانيات الفردية والاجتماعية، لتحقيق المصالح الخاصة والعامة،لتشد أزر كل مجتهد ولكل أجر حسب إنتاجيته"[1].

إن" الأساس في الاختلاف والدرجية أنهما ابتلاء ليسا امتيازا ولا تفوقـا، أي أن أهـل كـل درجة هم ممتحنون بأهل الدرجة المقابلة ومسئولون عن علاقتهم بهم وعما يعاملونهم به من خير وشر" [2]، يقول تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(الأنعام: 165)، أي "ليختبركم في الذي أنعم به عليكم وامتحنكم به، ليختبر الغني في غناه ويسأله عن شكره، والفقير في فقره ويسأله عن صبره"[3].

1 – المطرودي، الإنسان وجوده وخلافته في الأرض ص409، 410 .
2 – الكيلاني، فلسفة التربية الإسلامية، ص 260 .
3 – ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (3 / 385).

المبحث الثالث: المبادئ والضوابط التربوية المتضمنة في خاصية النزعة الاجتماعية

تمهيد:

إن خاصية النزعة الاجتماعية نافذة نفسية يطل بها الإنسان على بني جنسه الذي يشاركونه القيام بواجب العمارة، لذلك ينبغي أن تضبط هذه الخاصية وتبنى في تفعيلها على المبادئ التربوية ومن هذه المبادئ ما يأتي:

المطلب الأول: مبدأ توقف حياة الإنسان وانتظامها على الاجتماع: -

إنّ الاجتماع البشري ضرورة تتوقف عليها حياة الإنسان وانتظامها، وهذه الحقيقة عبر عنها ابن خلدون بقوله: " هذا الاجتماع ضروري للنوع الإنساني، وإلا لم يكمل وجودهم وما أراده الله من اعتمار العالم بهم واستخلافه إياهم وهذا هو معنى العمران"[1]، كما أن" الخلافة في الأرض مهمة لا يمكن أن تنهض بها إلا جماعة الإنسان، ومهما يكن من ترقي الإنسان الفرد في ذاته فإنه لا يقدر في حال التفرد أن ينجز تلك المهمة فيكون الاجتماع ضرورة حتمية لتحقيق الخلافة"[2]، وذلك لأن" الإنسان الواحد لو لم يكن في الوجود إلا هو والأمور الطبيعية لهلك أو ساءت معيشته، وذلك لأن الإنسان يحتاج إلى أمور أزيد مما في الطبيعة مثل الغذاء المعمول واللباس المعمول، وذلك لأن الأغذية الطبيعية لا تلائم الإنسان، والملابس أيضا لا تصلح للإنسان إلا بعد صيرورتها صناعية، فلذلك يحتاج الإنسان إلى جملة من الصناعات حتى تحسن معيشته، والإنسان الواحد لا يمكنه القيام بمجموع تلك الصناعات، لذلك لابد له من المشاركة مع غيره ليقوم بها [3]، وهذا يستلزم"اجتماع القدر الكثير من أبناء جنسه ليحصل القوت له ولهم،فيحصل بالتعاون قدر الكفاية من الحاجة لأكثر منهم بأضعاف"[4]، "ولأجل ذلك قيل:

---

1 – ابن خلدون، المقدمة، ص 46 .

2 – النجار، فقه التحضر الإسلامي، ص 58 .

3 – الرازي، المباحث المشرقية في علم الإلهيات والطبيعيات (2 / 421).

4 – ابن خلدون، المقدمة 46 .

الإنسان مدني بطبعه أي لا يمكنه التفرد عن الجماعة بعيشه بل يفتقر بعضهم إلى بعض في مصالح الدين والدنيا"[1].

هذا وقد قرر الماوردي هذا الاجتماع الذي يحقق الألفة من القواعد التي يصلح حال الإنسان بها فقال: " وأما ما يصلح به حال الإنسان فيها فثلاثة أشياء، هي قواعد أمره ونظام حاله، وهي نفس مطيعة إلى رشدها منتهية عن غيها، وألفة جامعة تنعطف القلوب عليها ويندفع المكروه بها،ومادة كافية تسكن نفس الإنسان إليها ويستقيم أوده بها"[2].

ومن هنا يمكن إدراك أن مفهوم المجتمع يتحقق في تحقيقه للخلافة، وأن كل فرد في المجتمع مستخلف حسب قدراته، وهذا أساس ينبغي أن يبنى عليه الفكر التربوي لعلم الاجتماعي السياسي، أما التفويض للوالي في المجتمع المسلم"فلا يعني أن الخلافة تخصه لأن المؤمنين جميعا خلفاء الله، وليست لفرد أو طبقة أو فئة، فلا تفريق ولا امتيازات ولا عصمة ولا قداسة،فليس من حق الوالي أن ينتزع حقهم في الخلافة، بل يجب أن يعمل على تمكينهم من القيام بها لأن الكل مكلف"[3].

الصفة الاجتماعية للذات الفردية:-

في تفسير الكيان الجماعي للإنسان تقف مذاهب في طرف يعتبر فيه أن الفرد هو الحقيقة الأولى، وهو الحقيقة الأعلى، وليس المجتمع إلا صدى للفرد فينبغي أن يكون في خدمته بإطلاق،وتلك هي مذاهب الفردية المفرطة التي قامت عليها الحضارة الفرعونية، وتقوم عليها اليوم الحضارة الغربية في عمومها، وتقف مذاهب أخرى في طرف مقابل لترى أن المجتمع هو الحقيقة الأولى فيجب أن يهدر الفرد لفائدة الجماعة، وذلك ما تقوم عليه المذاهب الاشتراكية في

1 – الأصفهاني، تفصيل النشأتين، ص 262 .
2 – الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص 123 .
3 – المطرودي، الإنسان وجوده وخلافته في الأرض، ص 399،

عمومها، ويقف المبدأ الإسلامي في الوسط ليوازن بين الفرد والمجتمع، فيمتد كل منهما إلى الحد الذي يثبت فيه كيانه وتتحقق فيه مصلحته دون إجحاف بمصلحة الآخر [1]، وهذا ما يبين لنا كيف أن التربية الإسلامية في نظرتها للإنسان وافقت بين الذاتية والاجتماعية في آن واحد، ومن هذا التوافق والاتزان انطلقت في الكثير من تطبيقاتها في تربية الفرد تربية اجتماعية.

ضرورة التوازن لخاصية النزعة حتى تنتظم الحياة:-

إن الخلل الذي يصيب هذه الخاصية يتمثل في أمرين هما: انزواء الإنسان وتوحده وعزلته عن بني جنسه، وهذا ما يسبب له اضطراب شديد في نفسيته، قد يؤدي به إلى الجنون أو الانتحار، يقول عالم النفس إيرك فروم: "إن أعمق حاجة في كيان الإنسان هي حاجته إلى التغلب على انفصاله والخروج من سجن العزلة والفشل في تحقيق هذه الحاجة يعني الجنون، والسبب أن رعب العزلة التامة لا يمكن التغلب عليه إلا بالانسحاب الكامل من العالم مع عدم الإحساس بهذا الانسحاب، وهذا لا يتحقق إلا إذا اختفى العالم نفسه ولذلك كانت المشكلة التي يواجهها الإنسان في كل العصور والثقافات كيفية التغلب على العزلة وتحقيق الاتحاد وتخطي الحياة الفردية "[2].

والأمر الثاني أن تطغى النزعة الجماعية على البعد الذاتي للإنسان مما فتمحو شخصيته،وتذوب ذاتية مما يجعل منه إمعة، ويسيطر ما يسمى بالعقل الجمعي، وهذا الخلل ناتج عن عدم التوافق والاتزان بين البعدين، مما يجعل الإنسان يسقط" في جماعية مجحفة تدمر في الفرد قدرات الإبداع، فإذا هو كالترس في الآلة يدور بدورانها، وهو شأن من وصفهم القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾(الزخرف: 54)، فهؤلاء

---

[1] - ينظر النجار، فقه التحضر الإسلامي، ص 115 .

[2] - الكيلاني، فلسفة التربية الإسلامية، ص 120 .

ذواتهم ممحوة، ولذلك فهم ينعقون مع كل ناعق، وهو أيضا شأن المجتمعات الشيوعية التـي آل قهر البعد الفردي في أفرادها إلى انهيارها وعودها إلى البؤس والتطاحن كما هو قائم اليوم"[1].

المطلب الثاني: مبدأ الترابط الاجتماعي ينبغي أن يكون على أساس روحي:-

إن الانتماء حاجة من حاجات الإنسان الأساسية [2]، وهناك الكثير من الأمـور التـي تـدعو الإنسان بل تحتم عليه الاجتماع بالآخرين والتعاون معهم، ومن هذه الأمور افتقار الإنسان إلـى بني جنسه، وعدم استغنائه عليهم، وتوقف قيام حياته أو انتظامها على الاجتماع بهم، ومن ذلـك المصالح المشتركة، والطمع والمحبة، والخوف، وغيرها من الأمور التي قد يتخـذها الإنسـان أساسا أو داعيا للاجتماع بالآخرين، وكل هذه الأمور تعد دوافع للنزعة الاجتماعية وأسسا له، إلا أنه على المسلم أن يرتقي بهذه الدافعية، ويكون الأساس لكل هذه الأسس هو أساس روحي،وذلك بأن يجعل الإطار لكل دافع يدفعه إلى الارتباط بالآخرين هو الإيمان بالله وحده، فيحـب فـي الله ويكره في الله، ويعطي في الله ويمنع في الله، ويواصل في الله، ويهجر فـي الله، وعليـه فـإن "مفهوم المجتمع في الإسلام يقوم على أساس من المنطق الروحي الذي يرفع أصـول العلاقـات الاجتماعية إلى نطاق غيبي، كما يعقد الصلة الواضحة بين ضمير الفرد والمجتمع وبين الجـزاء الروحي ومصير الوجود، ومعنى ذلك أن الوحدة الحضارية في الإسلام تجمع بين المسلمين على أساس من أخوة العقيدة، فتلك رابطتها العامة التي لا تعتـرف بـالقيود الطبقيـة أو العنصـرية المقلقة"[3].

إن مما يدل على أهمية هذا الأساس هو أن هناك الكثير من العلاقات الاجتماعيـة ذات بعـد روحي عظيم منها الأخوة الإيمانية والمودة الاجتماعية والتراحم الإنساني وهـي تمثـل البعـد التعميري للعبادة في مظاهرها الفكرية والنفسية والمادية [4]، ومن الممكـن إدراك هـذا البعـد

---

[1] - النجار، فقه التحضر الإسلامي، ص 57- 58 .

[2] - الكيلاني، فلسفة التربية الإسلامية، ص 120 .

[3] - عفت الشرقاوي، في فلسفة الحضارة الإسلامية، ص 308 .

[4] - ينظر الكيلاني، فلسفة التربية الإسلامية، ص 120 .

الروحي للعلاقات الإنسانية في إطار المجتمع، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ ﴾(الصف: 4)، في قوله ﷺ: (يد الله مع الجماعة)[1]، وكذلك ما ورد من فضل لصلاة الجماعة .

لذلك كان هذا الأساس حاضرا في الكثير من تطبيقات العلاقة الاجتماعية، ومن ذلك مثلا علاقة الزواج، والتي هي صورة من صور الاجتماع البشري فقد جاء في ضرورة تغليبه والاهتمام به، ما بيّنه الرسول ﷺ من أسس تقام عليها علاقة الزواج، في قوله ﷺ: (تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك) [2]، وهذا يتضمن أن النزوع كي يستقيم ويؤتي ثمره لابد له أن يقوم على أساس روحي، وهو الدين أي أن يكون لله وفي الله، ويبيّن الماوردي السر في ذلك فيقول: " وإن كان العقد رغبة في الدين، فهو أوثق العقود حالا، وأدومها ألفة، وأحمدها بدءا وعاقبة ؛ لأن طالب الدين متبع له ومن اتبع الدين إنقاد له، فاستقامت له حاله، وأمن زَلَلَهُ"[3].

إن تفاعل الإنسان مع بني جنسه ونزوعه إليه هو تفاعل يزدوج فيه عنصري التكوين المادي والروحي، فالإنسان يحمل في جوانبه رغبة شديدة القسوة في الاتصال بفرد من الجنس الآخر،ولكنه يؤسس لهذه الرغبة النظم والقواعد والمعاملات، وهو لا يقتصر على الملامسة الجسمية، وإنما يعبر عن عواطف جياشة عن الحب كلاما وشعرا وغير ذلك [4].

الأساس العقدي للتعايش الإنساني:-

لقد بنت التربية الإسلامية في تربيتها للفرد المسلم على التعايش مع غيره من الناس على مجموعة من المبادئ تعد أساسا عقديا لهذا التعايش، فقد بينت العقيدة في تصورتها للمسلم أن"

1 - الترمذي، سنن الترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة، (466/4)، رقم 2166، وقال: حديث غريب لا نعرفه من حديث ابن عباس إلا من هذا الوجه، وصحّحه الألباني في الحاشية.

2 - مسلم، صحيح مسلم، كتاب الرضاع، باب استحباب نكاح ذات الدين، (1086/2)، رقم 1466 .

3 - الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص 131 .

4 - سعيد إسماعيل علي، القرآن الكريم رؤية تربوية، ص 95 .

الناس كلهم من خلق الله إخوة في الخليقة، وكلهم من طين إخوة في المنشأ، وكلهم صائرون إلى الله، إخوة في المصير، وكلهم من نفس واحدة إخوة في الإنسانية، وكلهم ينبغي لهم أن يعبدوا الله ويلتقوا في حماه إخوة في الاتجاه، ومن هنا ينشأ الحب للإنسانية والصلة بين بني الإنسان ويروح الإسلام يغذيه بكل توجيهاته وكل تطبيقاته حتى يصبح جزءا من العقيدة حيا ممتزجا بالكيان [1]، إن هذا الأساس من الأمور التي دعا إليها القرآن الكريم من أمثال قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾(النساء:1).

المطلب الثالث:مبدأ كل ما ينسب من الحقوق لله تعالى مراعى فيه منفعة الجماعة:-

إن هناك قاعدة في الإسلام حكمت حياة الفرد في المجتمع وضبطت خصوصيات كل منهما،وهذه قاعدة مبنية على بيان ما هو حق لله وحق للعبد، وهذه القاعدة مفادها: أن "كل ما ينسب من الحقوق لله إنما هو لمنفعة الجماعة وهي التي تشرف عليه دون الأفراد"[2]، ولا يقصد بحقوق الله هنا حقوق ذات الله المتمثلة في العقائد والعبادات، وإنما المراد بها حقوق الأمة مما فيه تحصيل النفع العام أو الغالب أو حق من يعجز عن حماية حقه، وهي حقوق أوصى الله بحمايتها وحمل الناس عليها، ولم يجعل لأحد من الناس إسقاطها[3]، هذا وقد بيّن القرافي القاعدة في التفريق بين ما حق لله وما هو حق للآدميين وذكر فيها بعد ما عدد هذه العقوبات التي ليس للعبد إسقاطها، ما يفهم منه أن حق الله مراعى فيه المصلحة العامة فقال: " ولو رضي العبد بإسقاط حقه من ذلك لم يعتبر رضاه، ولم ينفذ إسقاطه، فهذه كلها وما يلحق بها من نظائرها مما هو مشتمل على مصالح العباد حق الله تعالى لأنها لا تسقط بالإسقاط، وهي مشتملة على حقوق العباد لما فيها من مصالحهم ودرء مفاسدهم، وأكثر الشريعة من هذا النوع كالرضا بولاية الفسقة

---

1 – قطب، منهج التربية الإسلامية، (1 / 70)

2 – عودة، المال والحكم في الإسلام، ص 48.

3 – ينظر ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، ص 416، 417 .

وشهادة الأراذل ونحوها فتأمل ذلك بما ذكرته لك من النظائر تجده فحجر الرب تعالى على العبد في هذه المواطن لطفا به ورحمة له سبحانه وتعالى"[1].

إن هذه الفكرة في التفريق بين حق الفرد وحق الجماعة تتضح في الأساس الذي يقوم عليه التفريق بين الحد والقصاص، فالمقصود بالقصاص: "ما وجب إتيانه أو الامتناع عنه لحق الفرد " أي أن القصاص وضع لحماية حق الفرد ولذا يجوز العفو عنه في القصاص ولا يجوز في الحد"[2]، أما الحد فقد روعيت فيه مصلحة الجماعة إذ الحدود هي "عبارة عن عقوبة مقدرة واجبة حقا لله تعالى"[3]، وما كان حقا لله يعني أن وضعه كان لحماية مصلحة الجماعة لا مصلحة الفرد، لذلك لا سبيل لإسقاطه، يقول الكاساني: "والمقصود بما وجب إتيانه والامتناع عنه باعتباره حقا لله كل فعل أو امتناع ترجع علة إيجابه أو النهي عنه إلى الجماعة "[4]، ولعل مما يبيّن لنا البعد الاجتماعي للحدود هو العلة في تسميتها بهذا الاسم، فقد "سمي هذا النوع من العقوبة حدا ؛ لأنه يمنع صاحبه إذا لم يكن متلفا وغيره بالمشاهدة، ويمنع من يشاهد ذلك ويعاينه إذا لم يكن متلفا؛ لأنه يتصور حلول تلك العقوبة بنفسه؛ لو باشر تلك الجناية فيمنعه ذلك من المباشرة"[5]، ومن الممكن إدراك هذا البعد أيضا في حكمة التحريم وهذا ما بينه الكاساني، بقوله: "إن سائر الحدود إنما كانت حقوق الله تبارك وتعالى على الخلوص لأنها وجبت لمصالح العامة، وهي دفع فساد يرجع إليهم ويقع حصول الصيانة لهم، فحد الزنا وجب لصيانة الإبضاع عن التعرض، وحد السرقة وقطع الطريق وجب لصيانة الأموال والأنفس عن القاصدين، وحد الشرب وجب لصيانة الأنفس والأموال والأبضاع في الحقيقة بواسطة صيانة العقول عن الزوال والاستتار بالسكر، وكل جناية يرجع فسادها إلى العامة ومنفعة جزائها يعود إلى العامة كان

---

1 – القرافي، الفروق (1 / 257)
2 – صبري محمد خليل، الأبعاد المعرفية لمفهوم الاستخلاف، ص 31 .
3 – الكاساني، بدائع الصنائع (7 / 33)
4 – الكاساني، بدائع الصنائع (7 / 33)
5 – الكاساني، بدائع الصنائع (7 / 33)

الجزاء الواجب بها حق الله عز شأنه على الخلوص تأكيدا للنفع والدفع كيلا يسقط بإسقاط العبد وهو معنى نسبة هذه الحقوق إلى الله تبارك وتعالى"[1].

كما تتضح هذه الفكرة في دوران الملكية بين الفردية والجماعية، فقد جعل" الله سبحانه وتعالى مال الأفراد هو في حقيقته مال الجماعة، عندما أعطى الحق لولي الأمر في حجر السفهاء ومنعهم من التصرف بأموالهم، هذه الأموال وإن كانت هي من حيث الاختصاص لهؤلاء السفهاء ولكنها في حقيقتها جزء من أموال الأمة وإن إضاعتها في غير الطريق السوي إضاعة لأموال الأمة"[2]، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾(النساء: 5)، يقول الشيخ ابن عاشور: "أضيفت الأموال إلى ضمير المخاطبين ب (يا أيها الناس) إشارة بديعة إلى أن المال الرائج بين الناس هو حق لمالكيه المختصين به في ظاهر الأمر، ولكنه عند التأمل تلوح فيه حقوق الأمة جمعاء؛ لأن في حصوله منفعة للأمة كلها، لأن ما في أيدي بعض أفرادها من الثروة يعود إلى الجميع بالصالحة، فمن تلك الأموال ينفق أربابها ويستأجرون ويشترون ويتصدقون ثم تورث عنهم إذا ماتوا فينتقل المال بذلك من يد إلى غيرها فينتفع العاجز والعامل والتاجر والفقير وذو الكفاف، ومتى قلت الأموال من أيدي الناس تقاربوا في الحاجة والخصاصة، فأصبحوا في ضنك وبؤس، واحتاجوا إلى قبيلة أو أمة أخرى وذلك من أسباب ابتزاز عزهم، وامتلاك بلادهم، وتصيير منافعهم لخدمة غيرهم،فلأجل هاته الحكمة أضاف الله تعالى الأموال إلى جميع المخاطبين ليكون لهم الحق في إقامة الأحكام التي تحفظ الأموال والثروة العامة، وهذه إشارة لا أحسب أن حكيما من حكماء الاقتصاد سبق القرآن إلى بيانها"[3].

لقد راعى الشرع الحكيم مصلحة الجماعة في المال، و الدليل على ذلك حد السرقة الذي وضعه الشارع تعالى لحماية مصلحة الجماعة التي لها حق الانتفاع أصلا، وإن كان الانتفاع بيد

---

[1] – الكاساني، بدائع الصنائع (7 / 56)

[2] – بابللي، إعمار الأرض، ص 78 .

[3] – ابن عاشور، التحرير والتنوير (4 / 234، 235) .

الفرد، وهذا يعني أن الإسلام لم يقر الملكية الخاصة وإنما هو إقرار للملكية الفردية التي لا تتنافي مع مصلحة الجماعة، إذ لو كان المراد إقرار الملكية الخاصة لكانت عقوبة السرقة قصاصا لا حدًا.

المطلب الرابع: مبدأ القيام بالواجب يسبق المطالبة بالحق:-

إن هناك مبدأ تربويا مهما يحكم حياة الفرد في مجتمعه، وهو أن عليه أن يقوم بواجبه قبل أن يطالب بحقه، وهو مبدأ ذو علاقة وثيقة بالتحضر والقيام بالعمارة، ذلك لأن" المعنى الأولي والأساسي للحضارة هو أن يتعلم الإنسان كيف يعيش في جماعة وكيف يقوم بواجبه قبل أن يطالب بحقوقه، لأن الحقوق كما يقرر مالك بن نبي تأتي تلقائيا بعد أداء الواجبات: "فالمجتمع الذي يرتفع وينمو فإن ذلك يعني أن لديه رصيدا من الواجب فائضا على الحقوق"[1]، من هنا "كان احتفاء القرآن بخلق الإيثار وتنميته له، إشارة إلى ما في الارتفاع على المصالح الفردية وتقديم المصلحة الجماعية من أثر بارز في التحام المجتمع ونجاحه في وضع الأساس المتين للحضارة"[2]، وهو نوع من التربية السلوكية التي بها يتغلب الفرد على تمركزه حول ذاته وأنانيته وشحه، فيصبح من المفلحين، يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الحشر: 9)، ويقول تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(التغابن: 15، 16).

هذا وقد دأبت التوجيهات التربوية على التأكيد على هذا المبدأ والتحذير من مخالفته وبيان بعده الحضاري، ومن ذلك تحذيره ﷺ من الشُح وبيان مخاطره عندما قال: (اتقوا الظلم فإن

---

[1] – مالك بن نبي، تأملات، ص 27 .
[2] – زرمان، الفعل الحضاري، ص 67 .

الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم) [1].

وأمام هذا التحذير على التربية أن تعي معنى الشح والفرق بينه وبين البخل وهذا ما بيّنه الرازي بقوله: "اعلم أن الفرق بين الشح والبخل هو أن البخل نفس المنع، والشح هو الحالة النفسانية التي تقتضي ذلك المنع، فلما كان الشح من صفات النفس، لا جرم قال تعالى: ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(الحشر:9)، الظافرون بما أرادوا، قال ابن زيد: من لم يأخذ شيئاً نهاه الله عن أخذه ولم يمنع شيئاً أمره الله بإعطائه فقد وقى شح نفسه"[2].

كما أن على التربية أن تدرك وهي تتعامل مع هذا الطبع أن تعمل على توجيهه وتعديله لا أن ترهق نفسها في استئصاله، ذلك لأنه لا يمكن استئصال الشح من النفوس لأنه طبع لازم فيها جعله الله لحكمة، يقول تعالى: ﴿وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾(النساء: 128)، "ومعنى (وأحضرت الأنفس الشح) ملازمة الشح للنفوس البشرية حتى كأنه حاضر لديها، ولكونه من أفعال الجبلة بني فعله للمجهول على طريقة العرب في بناء كل فعل غير معلوم الفاعل للمجهول"[3].

وهي إذ تعمل على ذلك يكون هدفها هو تحقيق وقاية النفس من تبعات الشح وسلبياته، ومن هنا ندرك أننا سنسلك في ذلك تربية سلوكية نركز فيها على تدريب المسلم على الوقاية من الشح، وذلك بأن يتدرب على خلق الإيثار والكرم بالإنفاق ومشاركة الغير أغراضه، وهذا ما يمكن إدراكه من سؤال الصحابة للرسول ﷺ: (يا رسول الله أي الصدقة أعظم، فقال أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا

---

1 – مسلم، صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب، باب بيان تحريم الظلم ، (1996/4)، رقم 2578 .
2 – الرازي، التفسير الكبير، (15 / 300) .
3 – ابن عاشور، التحرير والتنوير، (5 / 217)

ولفلان كذا ألا وقد كان لفلان)[1]، فهذا الحديث يبيّن لنا بعدا تربويا للتصدق كونه علاجا للشح،ذلك لأن: " الشح غالب في حال الصحة فإذا شح فيها وتصدق كان أصدق في نيته وأعظم لأجره، بخلاف من أشرف على الموت وآيس من الحياة ورأى مصير المال لغيره، فإن صدقته حينئذ ناقصة بالنسبة إلى حالة الصحة والشح رجاء البقاء وخوف الفقر"[2].

ومن التوجيهات النبوية التي تؤكد هذا المبدأ ما رواه الشيخان عن حكيم بن حزام قال سألت النبي ﷺ فأعطاني ثم سألته فأعطاني ثم سألته فأعطاني ثم قال لي يا حكيم: (إن هذا المال خضرة حلوة فمن أخذه بطيب نفس بورك له فيه ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه وكان كالذي يأكل ولا يشبع واليد العليا خير من اليد السفلى) [3]، فقد جاء في الحديث مبدأ اليد العليا خير من السفلى، ومبدأ الأخذ والإعطاء عن طيب نفس، يقول النووي: "قال العلماء إشراف النفس تطلعها إليه وتعرضها له وطمعها فيه، وأما طيب النفس فذكر القاضي فيه احتمالين: أظهرهما أنه عائد على الآخذ، ومعناه من أخذه بغير سؤال ولا إشراف وتطلع بورك له فيه، والثاني أنه عائد إلى الدافع، ومعناه من أخذه ممن يدفع منشرحا بدفعه إليه طيب النفس لا بسؤال اضطره إليه أو نحوه مما لا تطيب معه نفس الدافع، وأما قوله ﷺ: (كالذي يأكل ولا يشبع)، فقيل: هو الذي به داء لا يشبع بسببه، وقيل: يحتمل أن المراد التشبيه بالبهيمة الراعية"[4].

المطلب الخامس: مبدأ التنظيم الاجتماعي ضروري لقيام العمارة:-

إن النسيج الاجتماعي ينبغي أن يتكون من مجموعة من الخيوط المتنوعة والمتناسقة والمترابطة، حتى يكون بنيانا مرصوصا، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴾(الصف: 4)، والصف "عدد من أشياء متجانبة منتظمة الأماكن، وهو هنا

1 - البخاري، صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب أي الصدقة أفضل وصدقة الشحيح الصحيح، (515/2)، رقم 1353.

2 - النووي، شرح صحيح مسلم، (7 / 123) .

3 - البخاري، صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب قوله ﷺ هذا المال خضرة حلوة، (2365/5)، رقم 6076 .

4 - النووي، شرح صحيح مسلم، (7 / 126) .

كناية عن الانتظام والمقاتلة عن تدبر" [1]، وهذا يقتضي التنظيم لشبكة العلاقات الاجتماعية، وهذا التنظيم يقوم على مراعاة هذه الأسس الثلاثة: التنوع القائم على اختلاف الأفراد، وتعدد ميولهم ورغباتهم، وانتماءاتهم وأفكارهم، مما سيؤدي إلى التقائهم في جماعات، وهذا ما سيؤدي إلى نوع من الترابط بين الأفراد، كما أن هذا الجماعات مترابطة فيما بينها بسبب ترابط أجزائها بأجزاء غيرها، وهذا قائم على تعدد انتماء الفرد إلى أكثر من صنف من الجماعات، أما الأساس الثالث فهو التناسق القائم على التقائهم في لون من مجالات هذا التنوع مع تشابك هذه الألوان،وعليه فإن" كل مجتمع مضطر أن يقسم نفسه إلى وحدات وجماعات عديدة على أساس قرابي أو إقليمي أو مهني أو ثقافي وذلك باندفاع من الألفة أو المصلحة أو سهولة التفاهم، ويمكن أن تعرف الجماعة بأنها"وحدة اجتماعية تتكون من عدد من الأفراد يشغلون مراكز محددة كما يقومون بأداء وظائف محددة بالنسبة لبعضهم بعضا، ولديها جهاز من القيم والمعايير خاص بها ينظم سلوك الأفراد فيما يؤثر في بقاء وحدة الجماعة بصورة أخص"[2].

مظاهر الترقي الجماعي وقواعده:-

إن ترقي الأفراد لا يقتضي بالضرورة ترقي الجماعة، وإن كان شرطا من شروطه، إلا أن هناك اعتبارات أخرى ينبغي مراعاتها لتحقيق الترقي الجماعي، وهي اعتبارات ذات علاقة بخصوصيات الحياة الجماعية وما تقتضيه من تعاون وتكافل وتراحم وتآلف، ومشاركة في المرافق والمصالح والأهداف، وكل هذا يحتاج من التربية إلى أن تضع الضوابط والقواعد لهذا الترقي، فيما يمكن أن يسمى بفقه الترقي الجماعي، ومن الممكن التأصيل للقاعدة الأساسية لهذا الفقه وتحديدها من قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾(الحجرات: 13)، يقول ابن عاشور مبيّنا هذا البعد في

---

[1] – ابن عاشور، التحرير والتنوير، (28 / 176).
[2] – بكار، من أجل انطلاقة حضارية، ص 17 .

الربط بين هذه الآية وبين ما قبلها من آيات تنهى عن اللمز والتنابز والسخرية والاستهزاء: "فكان هذا التقسيم الذي ألهمهم الله إياه نظاماً محكماً لربط أواصرهم دون مشقة ولا تعذر فإن تسهيل حصول العمل بين عدد واسع الانتشار يكون بتجزئة تحصيله بين العدد القليل ثم ببث عمله بين طوائف من ذلك العدد القليل ثم بينه وبين جماعات أكثر، وهكذا حتى يعم أمة أو يعم الناس كلهم وما انتشرت الحضارات المماثلة بين البشر إلا بهذا الناموس الحكيم، والمقصود: أنكم حرّفتم الفطرة وقلبتم الوضع فجعلتم اختلاف الشعوب والقبائل بسبب تناكر وتطاحن وعدوان"[1]،وبهذا يكون هذا التعارف الوارد في الآية هو القاعدة العامة لفقه الترقي الخلافي الجماعي، وإنما عبر عن التعاون بالتعارف لأنه أصل له، وشرط من شروطه، فهو تعبير عن رجوع تلك الكثرة من الأفراد مع تعدد انتماءاتهم إلى وحدة متعاونة تنتظم بها الحياة الجماعية،وما يكون به من تحقيق للمقاصد والأهداف، اقترابا من الله تعالى بتحقيق أوامره، وهذا هو الترقي الذي دل عليه لفظ التقوى التي ذيلت به الآية في مقام الهدف الذي من أجله يكون التعارف، ولهذا التعارف مظاهر وتحققات متعددة، يعتبر كل منها قواعد فرعية للقاعدة الأساسية الجامعة[2]، ومن هذه المظاهر:

- تعارف التكافل:

الذي يعني أن يقوم كل فرد وكل مجموعة في المجتمع مقام الكفيل لكل الأفراد والمجموعات الأخرى على قد الوسع، فالكفالة وصف لعلاقة اجتماعية يكون فيها الفرد والمجموعة رعاة للآخرين من الأفراد والمجموعات في اتجاه متبادل رعاية تهدف إلى تمكين ذوي القصور والعجز والحاجات والأرزاء من الارتقاء إلى حال القدرة على أداء مهامهم والوفاء بأغراض حياتهم بتخليصهم مما حل بهم من العوائق المعطلة دون ذلك، وهذا التكافل يكون ماديا كالإيفاء بحاجات الفقراء والمحتاجين والقصر من لوازم العيش الكريم، كما يكون معنويا بالمواساة

[1] – ابن عاشور، التحرير والتنوير (26 / 260)
[2] – النجار، فقه التحضر الإسلامي، ص 59 بتصرف .

والتسرية عن المأزومين والمنكوبين، وبالتعليم والإرشاد للجهلة والضالين، وجماع هذا التعارف قوله ﷺ: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)[1]، والتداعي بالسهر والحمى ليس في حقيقته العلمية سوى تجند جهاز الدفاع في سائر الأعضاء لنجدة العضو المصاب وكشف العطب عنه، وهذا ضرب من ضروب الترقي الجماعي، لأنه يفضي إلى الخلوص من أكدار المآسي الحاصلة بالحاجات والكروب من جهة، وإلى الاقتدار على الإنجاز والفعل من جهة أخرى، وبذلك تتسارع وتيرة التقدم في الإنجاز الحضاري[2].

- تعارف الشورى:

وهو مظهر من مظاهر فقه الترقي الجماعي، كما يعتبر قاعدة فرعية منبثقة من قاعدته الرئيسة، لأن انتظام الحياة الجماعية ورقيها يقتضي أن يتبادل الناس معارفهم، ويتشاوروا فيما بينهم في قضاياهم ومشاكلهم، ويتداولوها بحثا وتحليلا وتعليلا ليبدي كل واحد منهم برأيه الذي نتج عن حصيلة تجاربه في الحياة، فتتجند في أطار التشاور طاقات المجتمع في المعرفة النظرية والخبرة العملية، لتصبح الشورى حركة تقدمية ترتقي بالجماعة في سبل مصالحها التي لا تنتظم إلا على أصول الحق، لذلك تنزلت الشورى في النظام الإسلامي أصلا من أصول الدين يتصل بمبدأ الاشتراك في الاستخلاف على الأرض وتحمل المسئولية في ذلك، فقرنت بأم العقائد، وهو الاستجابة لله، لتكون الشورى بذلك قانونا للحياة الجماعية كلها خلافا لما استقر في بعض الأذهان من أنها شأن من شئون السياسة دون غيرها[3]، يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾(الشورى: 38)، وهي آية نزلت بمكة قبل قيام الدولة المسلمة، "مما يوحي بأن وضع الشورى أعمق في حياة المسلمين من مجرد أن تكون نظاماً

1 - سبق تخريجه، ص 174.

2 - ينظر النجار، فقه التحضر الإسلامي، ص 59، 60 .

3 - ينظر النجار، فقه التحضر الإسلامي، ص 60، 61 .

سياسياً للدولة، فهو طابع أساسي للجماعة كلها، يقوم عليه أمرها كجماعة، ثم يتسرب من الجماعة إلى الدولة، بوصفها إفرازاً طبيعيا للجماعة"[1].

- تعارف التآزر بالمعروف:

وهو مظهر من مظاهر الترقي الجماعي وقاعدة من قواعده الفرعية، ويقصد به أن أفراد المجتمع إذا ما أصيبت هممهم بالتكاسل، أو توانوا في تحقيق الأهداف، فإن هناك مبدأ يوقظ الهمم ويشحذ العزائم وهو مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو يعني" أن يقوم الأفراد والمجموعات في نطاق الأمة مقام الحارس الاجتماعي الذي يرصد السيرورة الحضارية للمجتمع، فإذا ما رأى مبدأ مما تعارف عليه الناس قد أهمل بغفلة أو فتور نبه إليه، وحشد من أجل عودته في الأفهام والأعمال، وكذلك إذا ما رأى مظهرا من المنكرات الخارجة عن المألوف الذي أقره المجتمع بعد التشاور ونبه إليه وحشد من أجل إزالته، وهكذا يتكون بهذه القاعدة منزع اجتماعي عام يحرس مسار الترقي الجماعي من أن يفتر أو يزيغ وينحرف، وكأنه جهاز مناعة يعالج ما يصيب الحياة الاجتماعية من حياد عن الخط الأخلاقي، بل إنه يوفر لها أسباب السداد قبل أن تقع في الحياد"[2]، وهذا المبدأ للتعارف، دل عليه قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(آل عمران:104)، فهذه الآية ترشد إلى ما فيه حفاظ الجامعة التي تضم الأمة وتربط بعضها ببعض، وبدونها لا تقوم لها قائمة، وما فيه سياج وحدتها، ألا وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[3].

إن هذا المبدأ له بعد تربوي كبير في المحافظة على تلك المنجزات الحضارية التي يقدمها المجتمع بتعاونه وتشاوره، وفي المقابل فإن غياب هذا المبدأ سيؤدي إلى نوع من الاستحواذ على الرأي وإلى التسلط، كما سيؤدي إلى الفرقة بين المسلمين، مما يفضي إلى تصدع البناء الاجتماعي، وعدم الرقي الحضاري، "ولهذا كله يجب أن يعي الأطفال هذه الحقائق ومدى ارتباط

---

[1] - سيد قطب، في ظلال القرآن، (5/ 3160) .

[2] - النجار، فقه التحضر الإسلامي، ص 62 .

[3] - ينظر رشيد رضا، المنار، (4 / 22).

حياة الأفراد بعضها ببعض، من حيث التأثير والتأثر في الخير والشر معا، وكيف يمارسون مبدأ النضج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعدم تركهم الآخرين يتصرفون تصرفا خاطئا، ولو كان في حق أنفسهم من حيث الظاهر"[1].

التكامل بين القواعد الثلاث في الترقي الجماعي:-

"إن هذه القواعد الثلاث(تعارف التكافل، تعارف الشورى، تعارف التآزر بالمعرف) تتكامل في ترقية الجماعة بتأهيلها لأداء مهمتها الخلافية، فالتكافل يحشد القوى الفردية ويكتلها ويصنع اللحمة الجماعية، والتشاور يرشد الرأي والعمل فيسددهما إلى الحق والخير، والتآمر بالمعروف يعصم من الزيغ، ويحفظ السيرورة على الخط الخلافي السوي، ولو تأملنا في ضعف الجماعات وقصورها في أدائها الحضاري لوجدنا الأسباب المتعلقة بالجانب الجماعي لا تخرج عن الخلل في هذه القواعد بعضها أو كلها"[2].

مراعاة حاجات المجتمع والاهتمام بالتخصصات:-

إن هناك مشكلة كبيرة تعاني منها مؤسساتنا التعليمية أسهمت في تقنين البطالة وعدم تفعيل القدرات، وذلك أننا نجد الكثير من العلوم التي تدرس لا حاجة لهذه الأعداد الكبيرة من الطلاب لها وهي علوم نظرية بحتة من أمثال علم التاريخ وعلم الاجتماع وعلم النفس والرياضة وغيرها، فالمجتمع ليس إلى هذه الأعداد الهائلة بل هو في حاجة إلى نخبة من كل علم منها فهو بحاجة إلى مؤرخين أكثر من حاجته إلى حاملي شهادة في التاريخ وهو بحاجة إلى أخصائيين اجتماعيين أكثر من حاجته إلى معلمي علم اجتماع .

وأمام هذه المشكلة نجد أنه على النظام التعليمي أن يختار أحد حلّين، إما أن يعلم أصحاب هذه التخصصات مهنة تناسب ميول كل طالب منهم ونكون بذلك فجرنا القدرات الكامنة داخلهم، أو أن يحدد عدد الطلبة حسب ما تقتضيه حاجة المجتمع، ويكون التركيز على إعداد النخبة

---

[1] – بالجن، دور التربية الأخلاقية الإسلامية في بناء الفرد والمجتمع والحضارة الإنسانية، ص46.

[2] – النجار، فقه التحضر الإسلامي، ص 63 .

المتخصصة التي تلبي هذه الحاجة، ولعلنا نجد في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾(التوبة: 122)، تأصيلا لهذه التخصصية التي تلبي حاجات المجتمع في كافة المجالات دون أن نضيع طاقات أفراده ونفوت على المجتمع تقدمه.

المطلب السادس: مبدأ الاجتماع ضرورة تربوية:-

إن للاجتماع البشري دوره المهم في تربية الإنسان، وذلك لأن التنشئة الاجتماعية كوسيلة تربوية قائمة على مبدأ تربوي مهم يتعلق بالنزعة الاجتماعية، وهو أن" المشاركة المصلحية تقتضي المنع من بعض الأعمال والحث على بعض الأفعال، ثم إن الإنسان يعتقد ذلك من صغره ويستمر نشوؤه عليه، ثم إنه لا يرى أحدا ينازعه وينكر عليه، فحينئذ يتأكد فيه اعتقاد وجوب الامتناع من أحدها والإقدام على الآخر، فيسمي الأول قبيحا والثاني حسنا جميلا" [1]، ومن هنا ندرك العلاقة الوثيقة بين الأخلاق والنزعة الاجتماعية، المتمثلة في كون الأخلاق تعتبر قوة التماسك اللازمة بين الأفراد في المجتمع، وهي قوة مرتبطة في أصلها بنزوع الفرد إلى الحياة في جماعة[2]، "فإذا زالت الأخلاق انفصمت هذه الرابطة وانقطعت الصلات، ومن ثم أدى الأمر إلى شلل الجسم وانهدام البناء الاجتماعي، وكل عمل غير أخلاقي يصدر عن الفرد يضعف هذه الرابطة بينه وبين غيره"[3].

إن هذا الدور التربوي للتنشئة الاجتماعية يدعو إلى أهمية "السيطرة على البيئة الاجتماعية؛لأن لها وحيها الخفي والجلي، الذي يؤثر في تشكيل الفرد من حيث لا يدري كالخبرات الانفعالية والعادات والتقاليد الإيجابية والسلبية، ولذلك فإن السيطرة على الفرد والبيئة

---

1 - الرازي، المباحث المشرقية في علم الإلهيات والطبيعيات (2 / 422).

2 - مالك بن نبي، شروط النهضة، ص 88 .

3 - يالجن، دور التربية الأخلاقية الإسلامية في بناء الفرد والمجتمع والحضارة الإنسانية، ص44.

هي هدف أي رسالة جادة لامتلاك الحرية العامة لصيانة الفرد والمجتمع في الحاضر والمستقبل،فلابد أن يقنن لهما قواعد العلاقة الخاصة والعلاقة العامة"[1].

الاجتماع البشري ضروري للتواصل المعرفي عبر الأجيال:-

إن وجود "المعايشة الاجتماعية شرط أساسي في تمدين الإنسان ورقيه ونموه المتكامل، فهو لا يتعلم اللغة ولا يكتسب العادات والتفكير الراقي ولا يرقى سلوكه ومنتجاته المادية إلا من خلال تعاونه مع أخيه الإنسان"[2]، ليس المعاصر له فقط، بل تمتد حاجته إلى من سبق من بني جنسه،ومن هنا تبرز أهمية الاجتماع البشري في التواصل المعرفي، وذلك" لأن كل المعارف التي في الأجيال الماضية تعطى مختصرة للطفل الذي ينشأ في المجتمع، وبهذا يعرف أن الإنسان يكتسب قدرات هائلة ولو في قبيلة بدائية، لأننا لا نشك في أن الفرق كبير بين من نشأ في قبيلة بدائية وبين من نشأ في مجتمع متمدن، وهذا يدلل على أن الإنسان حين يولد فإن المجتمع هو الذي يعطيه القدرات المكتسبة المتراكمة على مر التاريخ، ينبغي ألا ننسى هذا وهو أن الإنسان في قدراته وصلاته بالكون وبالإنسان في حاجة إلى أن نلخص له تاريخ مكاسب الإنسان كلها، لنعطي له من خلال سنوات قصيرة كل ما تعبت به البشرية في الحصول عليه خلال آلاف السنين، وهذا أوضح ما يكون في العلوم: الطب والفلك والرياضيات؛ فكم تعبت البشرية حتى وصلت إلى ما وصلت إليه في هذه العلوم مثل كشف التعقيم والتلقيح وبعد النجوم وقوانين سيرها ورموز الأرقام والصفر"[3]، وهذا العامل التاريخي شديد الصلة بنظام تربوي تطبيقي، يتمثل في الثقافة التي يتلقاها الفرد في مجتمعه، وهذه الثقافة"تتعرف بصورة عملية على أنها مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية، التي يلقاها الفرد منذ ولادته كرأسمال أولي في الوسط الذي ولد فيه، والثقافة على هذا هي المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه

---

[1] – المطرودي، الإنسان وجوده وخلافته في الأرض، ص 387، محمد الغزالي، نظرات في القرآن، ص 64 .

[2] – بكار،من أجل انطلاقة حضارية، ص 169 .

[3] – جودت سعيد، العمل قدرة وإرادة، ص 194 .

وشخصيته"[1]، " فليست الثقافة الإسلامية في أي عنصر من تلك العناصر العلمية ولا هي المزج الذي حصل فيما بينها، ولكنها وراء ذلك في الوضع الذي وضعت عليه الوحدة المكتملة من تآلف تلك العناصر وفي الطريق التكويني التربوي الذي صيغت به نفسية المسلم وبه تناولت تلك المعارف، وبه ألفت في ما بين بعضها وبعض وبه أعطتها الوضع الخاص الذي وضعت عليه في وحدتها المؤتلفة"[2]، ومن هنا يتحدد البرنامج التربوي للثقافة وينحصر فيما يتألف منه من عناصر يتخذ منها الشعب دستورا لحياته المثقفة وهي: عنصر الأخلاق لتكوين الصلات الاجتماعية، وعنصر الجمال لتكوين الذوق العام، ومنطق عملي لتحديد أشكال النشاط العام،والفن التطبيقي الدائم لكل نوع من أنواع المجتمع[3].

إن البعد التربوي للثقافة يكمن في كونها تمثل" العامل النفساني الذي جعل ائتلاف العناصر الفردية في المجتمع الإسلامي على تلك الصورة التي تصرف بها المجتمع في ما بين يديه من العناصر الكونية حتى برز من تصرفه ذلك تلكم الدلائل العمرانية والفكرية والأدبية، وليس العامل النفساني الذي ساق العناصر الفردية إلى الموقف المشترك الذي ائتلفت فيه لإبراز تلك الدلائل الحضارية، إلا الصورة التي صيغت عليها المدارك وطبعت عليها المواهب من الأثر التكويني التربوي الذي أودعته الدعوة الإسلامية شخصية الفرد المسلم"[4]، وعليه فإن"الثقافة ليست علما خاصا لطبقة من الشعب دون أخرى بل هي دستور تتطلبه الحياة العامة بجميع ما فيها من ضروب التفكير والتنوع الاجتماعي، وعلى الأخص إذا كانت الثقافة هي الجسر الذي يعبره المجتمع إلى الرقي والتمدن، فإنها أيضا ذلك الحاجز الذي يحفظ بعض أفراده من السقوط من فوق الجسر إلى الهاوية"[5].

---

1 – مالك بن نبي، شروط النهضة، ص 83 .
2 – محمد الفاضل بن عاشور، روح الحضارة الإسلامية 34 .
3 – ينظر مالك بن نبي، شروط النهضة، ص 87 .
4 – محمد الفاضل بن عاشور، روح الحضارة الإسلامية 34 – 36 .
5 – مالك بن نبي، شروط النهضة، ص 86 .

وفي مقابل ذلك كله على التربية أن تحذر أي أثر سلبي قد ينتج عن حصر هذا التواصل المعرفي في الأخذ عن الأجيال السابقة دون تدقيق أو مراجعة، فيما يتعلق بالتقاليد والعادات مما يسبب حجرا للتفكير وعدم استفادة الإنسان من وسائل المعرفة، وذلك "لأن الإنسان قد يكتسب في خضم حياته الاجتماعية الإلف والعادة والتقليد والانشداد إلى موروث الآباء والأجداد، مما قد يعوقه عن الانطلاق في مراحل النظر، وكل ذلك يؤول بالعقل إلى الوقوع في الخطأ من حيث خلقه الله وسيلة للمعرفة"[1]، وهذا من الأمور التي منعت المشركين من الانقياد للحق، وعدم الانتفاع الحقيقي بالكون، فقد جاء في سياق بيان وسائل البحث العلمي، وبيان ما ينبغي البحث فيه، في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ (المائدة: 101) ، الذي جاء بيان آفة من آفات عدم الاستفادة من العقل، مما جعلهم لا يستعملون مرافق الكون الاستعمال الأمثل، وهذه الآفة هي التقليد الأعمى يقول تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (المائدة: 103، 104)، فكما "نهى تعالى ومنع الناس من السؤال والبحث عن أمور ما كلفوا بالبحث عنها، كذلك منعهم عن التزام أمور ما كلفوا التزامها، وبيّن ضلال أهل الجاهلية فيما حرموه على أنفسهم وما شرعوه بغير إذن ربهم، وأن ذلك باطل، وأن التقليد باطل أيضا مناف للعلم والدين" [2].

---

1 – النجار، خلافة الإنسان، ص 74 .

2 – الزحيلي، التفسير المنير، (7 / 85).

المبحث الرابع: المبادئ التربوية المتضمنة في خاصية العقل

تمهيد:

إن خاصية العقل نافذة يطل بها الإنسان على خصائص الأشياء التي هي مادة للعمارة، لذلك ينبغي الوقوف على أهم المبادئ التربوية لهذه الخاصية وذلك لأن "الإعداد العقلي للقوة البشرية المنوط بها القيام على خريطة التنمية أمر بالغ الأهمية والناس قد خلقوا درجات في قدراتهم العقلية وفي نفس الوقت تتدرج الأعمال في مطالبها العقلية، فمنها أعمال تحتاج إلى مضاء عقلي عظيم، وهناك أعمال تحتاج إلى مهارات يدوية أكثر مما تحتاج إلى مضاء عقلي، وهناك أعمال تحتاج إلى شحذ الوجدان وتنمية الروح، و ينبغي والأمر كذلك أن يتوجه كل امرئ إلى ما يجد نفسه فيه، وينبغي أن لا نسرف في الإعداد العقلي لبشر سوف يقومون بأعمال بسيطة طيلة حياتهم" [1]، وفي هذا المبحث سيتم بيان بعض المبادئ التربوية التي تقوم عليها خاصية العقل .

المطلب الأول: مبدأ فطرية التعقل:-

إن الله سبحانه وتعالى "وهب للإنسان استعدادا فطريا للإدراك والفهم والإلهام والمعرفة، يقول سبحانه وتعالى: ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (العلق: 5)، وقوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ (الرحمن:3، 4)، أي أودع فيه سر النطق والتعبير عما يجول في نفسه من المعاني، وهذا نوع من الاستعداد الفطري العام الشامل لجميع أفراد النوع الإنساني، وهناك نوع آخر من الاستعداد الفطري وهو استعداد خاص بأفراد من النوع الإنساني، كالذي كان ليوسف عليه السلام، مما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾(يوسف:22)، ومن البديهي أن ذلك لم يكن دروسا ألقيت عليه، إنما هو نور قذف في فطرته جعل له هذا الاستعداد الخاص، الذي جاء ذكره في الإخبار عن يوسف عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي

[1] – سيد دسوقي، دراسة قرآنية، ص 50، 51 .

رَبِّي﴾(يوسف:37)، وفي قوله تعالى: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ﴾(يوسف:101)"[1]

إن السر في هذا الاستعداد لإدراك الحقيقة الحسية والمعنوية يكمن في طبيعة خلق الإنسان، وقد بيّن الألوسي ذلك، في بيانه لكيفية التعليم، في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾(البقرة: 32.)، فقال: " قيل: بأن خلق فيه عليه السلام بموجب استعداده علماً ضرورياً تفصيلياً بتلك الأسماء وبمدلولاتها وبدلالتها ووجه دلالتها، وقيل: بأن خلقه من أجزاء مختلفة وقوى متباينة مستعداً لإدراك أنواع المدركات، وألهمه معرفة ذوات الأشياء وأسمائها وخواصها ومعارفها وأصول العلم وقوانين الصناعات وتفاصيل آلاتها وكيفيات استعمالاتها"[2].

العقل بين الفطرية والاكتساب:-

قسم بعض العلماء العقل إلى قسمين، هما العقل الغريزي والعقل المكتسب، والعقل الغريزي هو العقل الحقيقي وبه يمتاز الإنسان عن الحيوان، وهو على أصح التعريفات له العلم بالمدركات الضرورية، وهذا العلم نوعان، نوع يقع بالإدراك الحسي عن طريق ما تقع عليه الحواس، ونوع يكون بالإدراك المعنوي مما يقع في النفس ابتداء، والعلم الغريزي بنوعيه يتحقق به كمال العقل[3]، "فالعقل هو مرتكز التعلم، والعلم هو المعلومات التي تم تحصيلها ومعالجتها فيه بعد الولادة، ولذا فالتكليف للإنسان إنما يكون بعد البلوغ، الذي يكون فيه قد حصل على المعلومات الكافية لمعرفة الواجبات على الأقل "[4]، ومن هنا ندرك أن" فطرة العقل إدراك العلاقة بين شيئين "[5].

أما القسم الثاني فهو العقل المكتسب وهو نتيجة للعقل الغريزي، وهو ليس له حد، وهو قابل للنماء إن استعمل، وللنقصان إن أهمل [6]، وهو ما يمكن أن نسميه بالعقل الاستدلالي وهو وحده

---

1 - الخولي، آدم عليه السلام، فلسفة تقويم الإنسان وخلافته، ص 114- 115 .
2 - الألوسي، روح المعاني، (1 / 224).
3 - ينظر الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص 7 .
4 - المطرودي، الإنسان وجوده وخلافته في الأرض، ص 243 .
5 - جودت سعيد، العمل قدرة وإرادة، ص 160 .
6 - ينظر الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص 7 .

يجعل الإنسان سيدا لبيئته، لذلك وجب أن تثبت دعائمه ويشد من أزره وذلك بكبت أساليب المعرفة التي لا تعتمد عليه [1].

ومن هنا من الممكن أن نفرق بين نوعين من الإدراك وهما: " الإدراك الحسي وهو خاص بإدراك مقررات الطبيعة وقوانينها وطاقاتها، والإدراك الروحي وهو إدراك ما في الكون من آثار صفات الخالق تعالى، صفات القدرة والعلم والهيمنة والإحاطة والحكمة والكرم والود والرحمة والبر وغيرها، فيكون للإنسان بهذا نوعان من العلم: العلم الطبيعي والعلم بالله "[2].

العقل بين الوجود بالقوة والوجود بالفعل:-

العقل موجود في الإنسان بالقوة، لكنه يحتاج إلى تفعيله بالتفكر والتدبر والتعلم حتى يتحول من الوجود بالقوة إلى الوجود بالفعل[3]، أي أن"تجلية العقل تكون بتمرينه على النظر والفكر،فإن العقل البشري أكمن الله فيه القوة الإدراكية ما إذا وجهت بالنظر الصحيح، والتدبر الواعي استطاعت أن تدرك خفايا الأرض والسماء من حقائق الكون وما وراء الكون، وفي إدراك تلك الحقائق تحقيق مصلحة الإنسان الكاملة"[4]، وإذا هذبت قوة الفكر وأصلحت كما ينبغي، فستحصل بها الحكمة، التي أخبر الله عنها حيث قال: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾(البقرة: 269)، وثمرتها أن يتيسر له الفرق بين الحق والباطل في الاعتقادات وبين الصدق والكذب في المقال، وبين الجميل والقبيح في الأفعال، ولا يلتبس عليه شيء من ذلك، مع أنه الأمر الملتبس على أكثر الخلق[5].

إن قوة التعقل وجدت في الإنسان على مراحل، بيّنها الأصفهاني بقوله: "فأول ما يظهر فيه قوة النزاع للوجود في النبات والحيوانات، ثم قوة تناول الموافق ودفع المخالف، ثم الحس، ثم التخيل،ثم التصور، ثم التفكر، ثم التعقل"[6].

---

[1] - ينظر جودت سعيد، العمل قدرة وإرادة، ص 147 .

[2] - الخولي، آدم عليه السلام، فلسفة تقويم الإنسان وخلافته، ص 139 – 140 .

[3] - ينظر الأصفهاني، تفصيل النشأتين، ص 80 .

[4] - النجار، هامش تفصيل النشأتين، ص 127 .

[5] - ينظر الغزالي، ميزان العمل، ص 46 .

[6] - الأصفهاني، تفصيل النشأتين، ص 80 .

الداعية الفطرية الذاتية للعلم :-

لقد "تناولت الحضارة الإسلامية العلم بداعية فطرية ذاتية باعتبار كونه طريق الدين وأساس العقيدة، ولم تبق في ما بين موضوعه وموضوع الدين نبوة ولا جفوة ولا انحرافا فأصبح كل موضوع ذا صلة بالعقيدة وصار ارتباط بين الدين والمعرفة العقلية أو بين علم الطبيعة وعلم ما وراءها ارتباط التفاعل والتمازج، ونشأ من ذلك اتجاه نحو الحياة والسلوك فيها، يدفعه العامل الديني و الاعتقادي في كل وجه من وجوهه، وسبيل من سبله فصار الداعي الديني متجليا في ما يضع العالم وما ينتج الأديب وما يصوغ صاحب الفن وصارت المعرفة العلمية سندا لكلام المتكلم وفقه الفقيه وتصوف الصوفي، على الصورة التي ربطت بين عناصر المعرفة وأخرجت كتب العقيدة الإسلامية جامعة للمعارف الطبيعية والرياضية والإنسانية مع الحقائق الاعتقادية يتجانس فيها العلم مع الدين ويتساند العقلي و النقلي"[1].

الفرق بين العقل والفكر:

يكمن الفرق بين العقل والفكر في أن العقل هو القوة الإدراكية جوهرا على رأي الفلاسفة وعلوما أولية على رأي المتكلمين، بينما الفكر هو حركة العقل في السعي إلى إدراك الحقيقة انتقالا من المعلوم إلى المجهول[2]، وهذا ما بينه الجرجاني بقوله: "الفكر ترتيب أمور معلومة للتأدي إلى مجهول "[3]، ومن هنا يمكن إدراك أن هذا الفكر كوسيلة للعقل في الوصول إلى العلم لابد أن يتصف بالمرحلية والتدرج والترابط، وطريقه في ذلك المقايسة والموازنة والانتقال بين المقدمات للوصول إلى النتائج، وبين المعاليم للوصول إلى المجاهيل[4]، ومع اختلاف العقل والفكر من ناحية المفهوم إلا أنهما يتكاملان في تحصيل المعرفة، فالإنسان "ببديهة العقل يعرف مبادئ العلوم، وبالفكر يتوصل إلى استنباط المجهول من المعلوم" [5].

---

1 - محمد الفاضل بن عاشور، روح الحضارة الإسلامية 31، 32 .

2 - ينظر النجار، تفصيل النشأتين هامش، ص 125 .

3 - الجرجاني، التعريفات، ص 217 .

4 - ينظر النجار، خلافة الإنسان، ص 74 .

5 - الأصفهاني، تفصيل النشأتين، ص 125 .

ولخاصية العقل أمر الله الإنسان في كثير من آيات القرآن الكريم، أن يتدبر وينظر في نفسه وفي ملكوت ربه ليتوصل بالنظر العقلي وبذلك التدبر من المصنوع إلى الدلالة على الصانع ومن النظر في المخلوق إلى الإيمان بالخالق سبحانه، كما أمره أن يتدبر حقائق التاريخ وينظر في عاقبة ما سبق من الأمم، وكلفه دون غيره من الحيوانات بقبول ما جاء به الأنبياء والرسل،لأنه لا تكليف إلا بالعقل [1]، فخاصية الفكر هي الموكلة بإدراك ما في آيات الكائنات من العبر والمعارف الدالة على معاني صفات الخالق تعالى[2].

المطلب الثاني: مبدأ الكون مسخر معرفيا للإنسان:-

إن الله سبحانه وتعالى سخر الكون للإنسان وهذا التسخير لا يقتصر على التسخير المادي فقط، بل له مظهر آخر، يتمثل في كونه مسخرا تسخيرا معرفيا، "وهذا ما يبدو في بناء الكون مادة وحركة على قوانين ثابتة لا تتغير مما يتيح للعقل الإنساني أن يرصد ظواهر الكون فيتمكن بالمقارنة والحكم من النفاذ إلى تلك القوانين، فيعرف حقائق الموجودات الكونية، وذلك هو أول الطريق للاستفادة منه كما أنه أول الطريق لمعرفة الحقيقة الإلهية، وهو ما يفسر ذلك التوجيه القرآني الدائم للنظر في الآيات الكونية والتدبر فيها، إن الكون بني على سنن وقوانين تناسب سنن وقوانين العقل في الفهم، وذلك مظهر عظيم للتسخير جاء مبينا في العقيدة الإسلامية فاعلا في عقول المؤمنين بها موجها لتصرفهم الكوني بحسبها"[3]، فمدارك العقل البشري تتسع لكل الكون ظاهره وباطنه، وظاهر الكون هو كائنات الطبيعة وما تتضمن من ثروة وطاقات، وما لها من قوانين ومعطيات، معطيات في شتى علوم الكون كالكيمياء والطب والأحياء والفلك ونحوها،وما يستنبط من ذلك من منافع وصناعات ووسائل للعمارة، والعقل يوجه لذلك خواصه التي نسميها الإدراك الحسي، أو العقل الطبيعي والرياضي، والمراد بالباطن ما يدركه في الكون الطبيعي نفسه من دلالة كائناته على الخالق، والعقل يوجه إلى ذلك خاصية الخالقية التي تبصر

1- ينظر الشيباني، عمر، مفهوم الإنسان في الفكر الإسلامي، ص152 .

2 - ينظر الخولي، آدم عليه السلام، فلسفة تقويم الإنسان وخلافته، ص 141 – 142 .

3 - النجار، فقه التحضر الإسلامي، ص 131- 132 .

في الكون أنه مخلوق، فإذا استقرت في ذلك انكشفت للفكر معالم الصنع الدالة على صفات الصانع تعالى صفات القدرة والعلم والحكمة والكرم والود والرحمة والبر[1].

إن هناك علاقة وثيقة بين التسخير والعقل لها جانب آخر غير جانب التوافق وهو جانب التكامل، وذلك أنه لن يحدث استفادة للإنسان من التسخير إلا عن طريق استخدام العقل، لأن "التسخير يأتي نتيجة العلم بسنن الله في خلقه، فالعلم والتسخير والسنة (القانون) أمور مرتبطة بعضها ببعض، فالسنة قانون الله والعلم معرفة هذه السنن والتسخير نتيجة هذه المعرفة"[2]، ولما "كان العقل دالا على أسباب ما تدعو إليه الحاجة، جعل الله تعالى الإدراك والظفر موقوفا على ما قسم وقدر كي لا يعتمدوا في الأرزاق على عقولهم، وفي العجز على فطنهم، لتدوم له الرغبة والرهبة، ويظهر منه الغنى والقدرة، وربما عزب هذا المعنى على من ساء ظنه بخالقه حتى صار سببا لضلاله"[3] .

إن هذا كله يبين أن العقل نعمة كبيرة، "ومن الكفر بأنعم الله ألا يستخدم الإنسان طاقته العقلية في التعرف على أسرار الكون وقوانينه، والتعرف على سنن الله في الكون المادي، وفي حياة الإنسان، واستغلال ذلك كله في تنظيم الحياة البشرية وتقويمها، والسير بها في نهجها القويم"[4]

التسخير واستثارة القدرات العقلية:-

إن تسخير الكون هو تسخير متوازن، أي أن التسخير ليس مفتوحا تماما وليس منغلقا تماما، " إنه الحد الوسط الذي يتحدى الإنسان إلى نقطة التوتر والقدرة على الاستجابة والفعل والإعمار ويتجاوز التكشف الكامل أو الانغلاق الكامل الذي يستحيل معهما رد الفعل والإبداع"[5].

إن هذا التسخير للكون مع ما قابله من قدرات وإمكانات في الإنسان وتوافق بينهما لا يتم من خلالهما تعمير واستثمار إلا إذا تم ذلك التفاعل الذي يبدأ بالتخاطب بين عناصر الأرض وبين

---

[1] – ينظر الخولي، آدم عليه السلام، فلسفة تقويم الإنسان وخلافته، ص 116 .
[2] – جودت سعيد، العمل قدرة وإرادة، ص 72، 73 .
[3] – الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص 108 .
[4] – قطب، منهج التربية الإسلامية، (1 / 27)
[5] – خليل، حول تشكيل العقل المسلم 119 .

مواهب الإنسان، فكان مفتاح هذا التخاطب هو الزينة التي جعلت في الأرض قال تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾(الكهف: 7)، وهذا ما سيولد حب الاستطلاع وإرادة الكشف التي ستدفع العقل إلى البحث والتقصي، وخوض غمار الكون لمعرفة أسراره .

إن "هذا الفهم الإسلامي للتسخير هو الذي يطلق يد الإنسان المستهدية في الكون ويأخذ العقل الإنساني صعدا لفهم أسرار الوجود والكشف عن الوظيفة التي يؤديها كل جزء من أجزاء هذا الخلق الكبير فليس ثمة شيء وجد عبثا أو اعتباطا ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾(القمر:49)، وغاية ذلك كمال التسخير للإنسان"[1].

المطلب الثالث: مبدأ حقيقة التعقل مرهونة بالانتفاع الروحي:-

إن تفاعل الإنسان بخصائصه مع عناصر الكون وسننه هو الذي يحدث الترقي المعنوي للإنسان، وذلك لأن هذا التفاعل سيحدث نوعا من الانتفاع الروحي على مستويين هما الانتفاع الجمالي والانتفاع المعرفي، وهذا ما يمكن أن نسميه بالتعقل الذي هو في حقيقته "نوع من إبداع العقل في استعمال الحواس، والانطلاق من المعطيات الحسية إلى إدراك ما وراءها من المعقول المجرد"[2]، فهذه "الأشياء المادية ما هي إلا أبجديات الحقائق العقلية الممهدة لإدراك الحقائق الروحية والقيم العليا التي توجد وراء المادة، وبهذا يتسنى للمسلم معرفة حقيقية تتعدى ظواهر الأشياء إلى ما وراءها من تفسير غيبي يربطها بخالقها"[3]، فالقيمة الحقيقية لتلك الإدراكات الإنسانية تكمن في عملية الاستثمار لها، وتوجيهها بما توحي إليه من معاني باطنية، والتي ستصل به إلى مسائل اجتماعية واقتصادية، فيجب ألا يأخذ منها إدراكاته الحسية فقط، ولكن يجب أن يأخذ منها إدراكاته المعنوية، التي هي قيمة الإنسان والتي تحتم عليه أن يكون

---

1 - السبهاني، الاستخلاف والتركيب الاجتماعي، ص 58 .
2 - النجار، خلافة الإنسان، ص 75 .
3 - الشرقاوي، في فلسفة الحضارة الإسلامية، ص 280، نقلا عن خلاف، المادية الإسلامية وأبعادها، ص 59.

استثمارها وتوجيهها نحو العمل الصالح، فليست قيمة العلم في اكتشاف الجديد بقدر قيمته في توجيه الاستثمار [1]، وبهذا يبرز البعد التربوي للمعرفة في كونها ترتقي بالمسلم في مسيرته التعميرية الكاملة، من هنا ندرك أن حقيقة التعقل تكمن فيما يتحقق من الانتفاع الروحي من الكون، والذي يتمثل في كونه مظهرا من مظاهر صفات الله ﷻ، وهو بعد ذو أهمية كبيرة وكدها الإسلام، دون أن يهمل البعد الحسي الذي يعد أساسا لكل معرفة إنسانية، وهذا الأساس ينبغي أن يكون مبدأ من المبادئ التربوية التي تبنى عليها التربية العقلية .

إن مجرد الوصول إلى المعلومة الحسية المتجردة عن أي بعد معنوي يربطها بحقيقتها الكبرى في كونها آية من آيات الله سبحانه وتعالى وسنة من سننه، لا يعتبر في حقيقته وصولا إلى المعرفة الحق، بل هو مجرد علم بظواهر الأشياء دون الغوص في بواطنها، لا ترتقي بالإنسان الرقي الكامل؛ لأن "العلم بالكون في حدوده المادية لا يعود على الإنسان بالنفع إلا في محيط ضيق من وجوده وهو محيطه الجسمي، فيكون من اقتصر عليه قد أهدر إمكانيات ضخمة للترقية في محيطه الروحي، إذ غفل عن حقيقة الدلالة الغيبية للكون، ولا يكون حينئذ على اختلاف كبير مع سائر موجودات الكون من الأنعام التي تنتفع هي أيضا بالكون في أجسامها، والحال أن الإنسان يختلف عنها كثيرا في أبعاده الروحية التي تتطلب منافع زائدة على منافع الجسم"[2]، وهو في حقيقته غفلة وإن كان في ظاهره معرفة، ولعل هذا ما يفيده قوله تعالى في ذم هؤلاء الذين أبدعوا في الجانب المادي للعمارة وغفلوا عن الجانب الروحي، فلم يستفيدوا الاستفادة الكاملة من حواسهم، فقال الله فيهم: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ (الروم: 7)، أي "يعرفون عمران الدنيا وهم في أمر الدين جهّال" [3]، فعلمهم هذا لم يتعد حدوده

---

1 – ينظر المطرودي، الإنسان وجوده وخلافته في الأرض، ص 359 – 360 .
2 – النجار، فقه التحضر الإسلامي، ص 144 .
3 – الطبري، جامع البيان (21 / 28)

المادية الظاهرة المتعلقة بحياتهم الدنيا وتدبير معايشهم فيها وما يصلحهم، إلى علم ما وراء هذه المادية من أمور هي أولى بهم فيكون لحياتهم معنى ينفي عنها العبثية فيكون عملهم مرتبطا بغاية يستعدون لها وهي الآخرة [1]، كما أفاده قوله تعالى :﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾(الأعراف: 179)، فهم "غافلون عن معرفة الدلالة العقدية لمشاهد الكون بإهدارهم لقواهم الإدراكية التي تنفذ بهم إليها، واقتصارهم على القوى الحسية التي تشاركهم الأنعام فيها، وهم بذلك لا يرتقون في مضمار الروح مثلما لا ترتقي الأنعام وهم أضل منها لأنها لا تملك إمكانية الترقي وهم يملكون"[2].

إن غياب هذا البعد في التعامل المعرفي مع الكون يجعل من سعي الإنسان سعيا قاصرا على التمتع بمعناه الضيق المحصور في الملذات الحسية دون أن ينزع به إلى تلك الروحانية المهذبة التي تدعوه إلى استخدام ما توفر له من نعم في المحافظة على الإنسانية والأخذ بها إلى الكمال الذي خلقت لأجله، وهذا ما ذم الله عليه فريقا من الناس عرفوا النعم وكفروها بعدم انتفاعهم بها انتفاعا كاملا، فحرموا أنفسهم من التمتع بالمادة التي تبني الحياة وبالعلم الذي يغذي العقل وبالدلالة التي تغذي الروح[3]، فذمهم الله بقوله: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ (الأعراف:179)، وقال فيهم: ﴿أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾(النحل: 72)، وقال أيضا: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (النحل: 83).

---

[1] – ينظر الطبراني، التفسير الكبير (5/ 116)، الطبري، جامع البيان (21 / 28)

[2] – النجار، فقه التحضر الإسلامي، ص144 .

[3] – ينظر شلتوت، من توجيهات الإسلام، ص 128 – 122 .

إن التعقل بهذا المفهوم يستلزم أن تهتم وسائل التربية ومؤسساتها بتعليم النشء مهارة استعمال الحواس، وهو علم من الممكن التأصيل له مما جاء به قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾(الحج 46)، تلك المهارة التي افتقدها الكافرون، فلم يتوصلوا إلى الحق، فقال الله فيهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾(البقرة: 170-172).

وعلى هذا الأساس أقام الإسلام تصوره التربوي للبعد الحضاري للمعرفة، "لتصبح كل معرفة في الإسلام هي في جوهرها تعبد لله الحق الذي خلق هذا الكون العظيم، فإذا كان المنطق العلمي مهتم بخصائص المادة وظواهر الطبيعة بوصفها واقعا مشاهدا يخضع بالضرورة للعلاقة السببية بين العلل والمعلولات ثم يتوقف عند ذلك فإن الإسلام يضيف إلى هذه الملاحظة العلمية التجريبية ربطها بحقيقتها الكونية الكبرى بوصفها خلق الله ونعمته على الإنسان توضيحا لبيان مغزاها في الدلالة على الصلة بين الله والعالم" [1]، وبهذا يظهر البعد الروحي للعقل، حيث تظهر فيه خاصية غير خاصية الإدراك الظاهري للأشياء المادية، وهي خاصية إدراك دلالة آيات الإتقان وإحكام النظام وعجائب الخلق وقصد الإحسان والإنعام على ما للخالق من صفات القدرة والعلم والحكمة والكرم والود والرحمة إلى ما له من صفات، مما ينشئ في الإنسان حياة باطنة زادها معرفة الله عز وجل[2]، وهذه المعرفة الكبرى المتمثلة في معرفة مبدأ الأشياء ومعرفة مصيرها، هي مفتاح المعارف والعلوم كلها، وعلى هذا الأساس بنت التربية الإسلامية منهجها الفكري التوحيدي، لتسهم في بناء الحضارة الإنسانية والرقي بالإنسان .

1 – الشرقاوي، في فلسفة الحضارة الإسلامية، ص 280 .

2 – ينظر الخولي، آدم عليه السلام، فلسفة تقويم الإنسان وخلافته، ص 52 – 53 .

منهجية الانتفاع الروحي:

إن هناك منهجية تربوية لهذا الانتفاع تتمثل في التدرج والانتقال من الأدنى إلى الأعلى من مستوى الانتفاع الحسي إلى مستوى الانتفاع الجمالي إلى مستوى الانتفاع المعرفي، وهذه المنهجية من الممكن ملاحظتها في أن "القرآن الكريم في عرضه لنعم الله لا يتوقف على حد إشباع المادة بل ينتقل بالمسلم من إشباع الحاجات المادية إلى تذوق جمالياتها إلى التفكر فيها مما يفضي إلى كامل الانسجام والتسليم لمنهج الله ﷻ وبالتالي إلى الصلاح، والإنسان المصلح يترك بصمات الصلاح على كل جوانب الحياة التي يمسها، ويجعلها جميعا منسجمة في وحدة ضمن إطار العبودية لله رب العالمين"[1]، وهذا ما وكدته نصوص عديدة منها قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (النحل: 114).

الخاصية الروحية للعقل الإنساني:-

إن في العقل خاصية روحية لا تبصر من الكائنات جرما ولا لونا ولا طولا ولا عرضا، إنما تبصر ما لله فيها من عبر الصنع وعجائبه، فيستخلص الإنسان بتلك حصيلة من معرفة الله عز وجل، فالخاصية بهذا ليست من قبيل ملكات الإدراك الحسي فهي روحية، وحصيلتها ليست من مقررات العلم الطبيعي، إذ هي من خالص العلم بالله، والميدان الذي حصلت منه تلك محصولها من العلم ليس هو المادة، إنما هو دلالة المادة على الخالق عز وجل، وهذه الدلالة أفق روحي امتاز الإنسان من دون الحيوان بأن له فيه جولات وصولات [2].

الأساس الروحي للعلم:

إن ملكة العلم تُكتسَب بالتقوى، وذلك لأن التقوى هي أساس العلم وهذا ما دل عليه قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾(البقرة: 282)، ففي "عطف قوله: (ويعلمكم الله) على الأمر بالتقوى إيماء إلى أن التقوى سبب إفاضة العلوم، حتى قيل: إن الواو فيه للتعليل أي

---

1 - بكار، من أجل انطلاقة حضارية، ص 91 .

2 - ينظر الخولي، آدم عليه السلام، فلسفة تقويم الإنسان وخلافته، ص 54 .

ليعلمكم "[1]، وكون التقوى سببا للعلم راجع إلى ما تستلزمه وتقتضيه التقوى من البحث وتقصي الحقيقة والموازنة بين الأمور، والتجارب المستمرة في تعرض الإنسان لعناصر الكون والعلم بخصائصها، ليتم استخلاص النتائج من المقدمات، ومعرفة ما ينفع الإنسان أو يضره، كما تقتضي التقوى معرفة كيفية الاستعمال الأمثل للعنصر الكوني فيما خلق له، وهذه قاعدة مبثوثة في الكثير من النصوص التي تناولت التفاعلية بين الإنسان وعناصر الكون منها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة:278)، أما غير المتقي فهو إنسان يلهث وراء العرض الأدنى للعناصر وينغمس في الشهوات ويتبع الشبهات.

إن هذه التقوى تكون بالتزام ما جاء به الشرع من أحكام ولذلك أثره الكبير على العقل؛ وذلك لأن" التشريع السماوي إنما هو هداية للعقل الإنساني من أن يتأثر بالعوامل السلبية التي لها أثر عليه من جهة، وتكريم له من أن يكون محطة للتجارب من جهة أخرى"[2].

المطلب الرابع: مبدأ تميز العقل الإنساني:-

إن الإنسان له قدراته وإمكانياته العقلية التي يستطيع بها أن يدرك ما تقع عليه حواسه والتي تغذي حياته الباطنية بالمعاني المجردة التي توحي بها، كما أن الإنسان يتمتع بالقدرة على إعطاء هذه المدركات وما توحي به المصطلحات اللغوية التي يستطيع بها أن يعبر عنها بالبيان والقراءة والكتابة، فيستطيع أن يدون معلوماته وخبراته له وللآخرين وأن تبادل هذه المعلومات والخبرات لتسري الحياة في مسيرتها العلمية والعملية فيصل الإنسان بها إلى مزيد من الرقي[3]، كما يتميز الإنسان بقدرته على القيام بالعمليات العقلية العليا، كالتفكير المجرد الذي يتعلق بأمور معنوية مجردة، والتأمل والتدبر في الكون، والتخيل والنظر العلمي بقصد الكشف عن الحقيقة في

1 – ابن عاشور، التحرير والتنوير (3 / 118).
2 – المطرودي، الإنسان وجوده وخلافته في الأرض، ص 256 .
3 – المطرودي، الإنسان وجوده وخلافته، ص 356 بتصرف.

موضوعية وتجرد عن الهوى والمؤثرات الذاتية، والقياس والاستدلال والاستنباط واستنتاج النتائج الصائبة من التجارب المتشابهة، إلى غير ذلك من العمليات العقلية[1].

إن "علم الإنسان يختلف عن علم الملائكة الذي لا مجال فيه لميزة الكسب"[2]، وإنما هو تعليم من الله لهم على سبيل الهبة، لذلك قال الله سبحانه وتعالى فيهم:﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾(البقرة: 32)، أي "فلا مطمع لنا في تجاوز العلم إلى ما لم تهيئ لنا علمه بحسب فطرتنا"[3]، بينما الإنسان قابل لأن يتعلم لذلك أمره الله بالتعلم عن طريق النظر في آياته الكونية بعد أن أعطاه أداة التعلم، وهذا "يعني أن دائرة التعلم –القدرات العقلية– عند الإنسان أوسع من دائرته عند غير من المخلوقات، وإن الإشارة إلى العلم في هذا المقام تدل على أن قمة مقومات الإنسان للخلافة في الأرض، وإذا كانت دائرة القدرات العقلية عند الإنسان أوسع من بقية المخلوقات فإن دائرة الاستثمار لها أوسع"[4]، إن هذه القصة القرآنية تكشف أن الإنسان يمتاز بنسبة عالية جدا من قابلية تحصيل المعارف والعلوم واستنباطها، بما أودع الله فيه من استعدادات فكرية ذهنية كبيرة، ونستطيع أن نفهم من مضامينها أن الإنسان أكثر استعدادا لاستنباط المعارف واستنتاجها من الجن ومن الملائكة، وذلك بما فطره الله عليه من خصائص فكرية عالية، وما أعطاه الله لآدم قد انتقل إلى ذريته بالوراثة، ولكن على سبيل انتقال الاستعداد الفطري، لا انتقال المعارف نفسها التي علمها الله لآدم [5]، كما أنها تدل على أن "علم آدم عليه السلام علم كلي، أما علم الملائكة فهو علم غير كلي"[6]، أما علم الغيب لا سبيل إليه إلا بتعليم

---

[1]– ينظر الشيباني، عمر، مفهوم الإنسان في الفكر الإسلامي، ص 151 .

[2]– سعيد ، القرآن الكريم رؤية تربوية، ص 203، نقلا عن عائشة عبد الرحمن، مقال في الإنسان، ص 41.

[3]– ابن عاشور، التحرير والتنوير، (1 / 414).

[4] – المطرودي، الإنسان وجوده وخلافته، ص 357 .

[5] – ينظر الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها، ص 354 .

[6] – الخولي، آدم عليه السلام، فلسفة تقويم الإنسان وخلافته، ص 115 .

من الله، وذلك لأن" للعقل كما للحس الظاهر حدودا ينتهي إليها، ويعلن عجزه عندما يصل إلى مستواها"[1]، " فالعقل والحواس وسيلتان يستعان بهما على الإدراك والمعرفة ولكنهما ليستا كافيتين في الوصول إلى حقيقة ما لم تقع عليه الحواس بيقين، ولهذا كان الوحي الإلهي للإنسان الذي يعطيه اليقين في الغيبيات وإن كان لبعضها أدلة وآثار وعلامات تدل عليها"[2]، ومن هنا تتضح شدة حاجة العقل الإنساني إلى الوحي .

العقل والكمال الإنساني:-

إن الإنسان لم يتحقق له كامل معنى الإنسانية إلا بالفكر والعقل الذي يميز به بين الخير والشر، والجميل والقبيح[3]، ومن الكمال أن جعل العقل عماد التعبد وذلك لأن الله سبحانه وتعالى جعل التعبد قسمين: قسما وجب بالعقل فوكده الشرع، وقسما جاز في العقل فأوجبه الشرع [4]،وبالعقل استغنى الإنسان عن كل ما وهب للحيوان في أصل الفطرة من الكساء الذي يقيه البرد والحر، والأعضاء التي يتناول بها غذاءه والتي يدافع بها عن نفسه ويسطو بها على عدوه[5]، و"لما خلق الله الإنسان ماس الحاجة ظاهر العجز جعل لنيل حاجته أسبابا، ولدفع عجزه حيلا دله عليها بالعقل، وأرشده إليها بالفطنة" [6]، وبالعقل يتوصل الإنسان إلى معرفة الحقيقة وهي فوق كونها كمالا روحيا، تعتبر أيضا ذات أهمية تعميرية كبيرة؛ لأن" نمو الحياة الإنسانية في حركة التحضر لا يتم إلا بها، فهي شرط أساسي للترقي الإنساني سواء على محور الذات الفردية والجماعية، أو على محور التعمير في الأرض، وهو بالتالي شرط في إنجاز الإنسان

[1]- خطاطبة، المضامين التربوية في العقيدة الإسلامية، ص 32 .
[2] - المطرودي، الإنسان وجوده وخلافته في الأرض، ص 255
[3] - ينظر الأصفهاني، تفصيل النشأتين، ص 80 .
[4] - ينظر الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص 5 .
[5] -ينظر محمد رشيد رضا، تفسير المنار (1 /216)
[6] - الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص 108 .

لخلافته في الأرض، إذ الخلافة ليست إلا ترقيا في ذينك المحورين في اتجاه الله تعالى"[1]، فالعلم ليس مجرد معلومات بقدر ما هو طريقة أو منهج لتحصيل المعلومات وهو بهذا الاعتبار قيمة من القيم، إذا آمن بها المجتمع كأسلوب في الحياة فإن هذا المجتمع يحقق تقدمه الحضاري المنشود وإذا لم يؤمن بها أصبح أفراده فريسة للأوهام والخرافات ولم يحققوا لمجتمعهم أي تقدم مادي أو روحي"[2].

يقول الماوردي في بيان هذا البعد التربوي للعقل وما له من دور في الرقي الإنساني على مستوى الفرد والجماعة والعمارة: "اعلم أن لكل فضيلة أسا ولكل أدب ينبوعا، وأس الفضائل وينبوع الآداب هو العقل، الذي جعله الله تعالى للدين أصلا وللدنيا عمادا، فأوجب الدين بكماله وجعل الدنيا مدبَّرة بأحكامه، وألف به بين خلقه مع اختلاف هممهم ومآربهم، وتباين أغراضهم ومقاصدهم"[3].

المطلب الخامس: مبدأ العلم وبيانه قيمة:-

إن "قيمة العلم في الإسلام تتبوأ الدرجة الأولى في سلم القيم وتنبني عليها كل القيم الأخرى، وهذا ما يفسره تلك الدعوة الدءوب إلى العلم التي جاءت مبثوثة في تعاليم الدين في شكل لا يوجد له مثيل في أي دين آخر"[4]، وكون العلم قيمة هو مبدأ من المبادئ التي تقوم عليها التربية العقلية، لما له من دور تربوي في الترقية بالمسلم، وذلك لأن" العلم ليس مجرد معلومات، بقدر ما هو منهج لتحصيل المعلومات"[5]، وهنا ينبغي على التربية أن تخصص جزءا من مناهجها لبيان هذا البعد القيمي لمفهوم العلم، ليكون منطلقا لها لتربية المتعلمين على حب العلم، والمثابرة

[1] - النجار، فقه التحضر الإسلامي، ص 139 .
[2] - التفتازاني، الإنسان والكون في الإسلام، ص 21 .
[3] - الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص 5
[4] - النجار، فقه التحضر الإسلامي، ص 94، .
[5] - التفتازاني، الإنسان والكون في الإسلام، ص 21 .

فيه، والسعي في طلبه، وهذا البعد في حقيقة الأمر هو بعد غائب عن برامجنا التربوية والتعليمية، لأننا نركز على إمداد المتعلم بالمعلومات دون أن نركز على بيان أهمية ما هو مقبل عليه من المعلومات.

إن قيمة العلم تتحدد في كونه سببا لخشية الله، يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (فاطر: 28)، وعلى هذا ينبغي أن يطلب العلم لله، لا لغيره من حظوظ النفس، وطلب العلم لله يعني أن يكون طلبه تقربا لله، لأنه أمر به وافترضه، ويثيب عليه الأجر الجزيل.

قيمة بيان العلم:-

بيان العلم هو إظهار الحقائق على تنوعها وإفشاؤها بين الناس على الصورة التي تيسر لهم الانتفاع بها في حياتهم، أما بالنسبة للمسلمين فبصفة مطلقة وأما بالنسبة لسائر الناس فبالصفة التي يكون فيها حفظ الكرامة الإنسانية أولا إذ الإنسان مكرم باعتباره إنسانا، وبالصفة التي تكون بها هدايتهم إلى حظيرة الخير الإسلامي ثانيا [1]، وبيان العلم قيمة إسلامية عقدية، يقول ﷺ: (من كتم علما نافعا جاء يوم القيامة ملجما بلجام من نار)[2] فقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾(آل عمران: 187)، فقد "أخذ عليهم الميثاق بأمرين: هما بيان الكتاب أي عدم إجمال معانيه أو تحريف تأويله، وعدم كتمانه أي إخفاء شيء منه" [3]، وفي ذلك مؤاخذة شديدة على الذين عوهدوا من بني إسرائيل على أن يبيّنوا ما استحفظوا على العلم وينشروه بين الناس،فإذا هو يكتمونه في صدورهم ويحبسونه عن الظهور لينفع الناس، و"في ذلك تشريع عام لبيان العلم ونشره وتحريم كتمانه ويؤيد ذلك ما جاء في الحديث النبوي من قوله ﷺ: (من سئل

[1] - النجار، فقه التحضر الإسلامي، ص 102 – 103 .
[2] - الترمذي / كتاب العلم / باب ما جاء في كتمان العلم
[3] - ابن عاشور، التحرير والتنوير، (4 / 191)

عن علم ثم كتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار)[1]، ومما ينسب إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه قوله: (ما أخذ الله على الجاهلين أن يتعلموا حتى أخذ على العلماء أن يعلموا)[2]، وقد روي عن قتادة رضي الله عنه قوله في شرح الميثاق الذي نقضه بنو إسرائيل بكتمان العلم: "هذا ميثاق أخذ الله على أهل العلم، فمن علم شيئا فليعلمه وإياكم وكتمان العلم فإن كتمان العلم هلكة "موسعا بثاقب فهمه ميثاق العلم من خصوص بني إسرائيل إلى عموم من حصل له علم ليصبح بيان العلم مبدأ كليا في الإسلام"[3].

المطلب السادس: مبدأ ضرورة التكامل بين العقل والحواس:-

إن التكامل بين العقل والحس أمر في غاية الأهمية، وبدونه سيكون هناك قصور في إدراك الحق، وذلك لأن العقل دون الحواس لا يصل إلا إلى مجردات من الفكر قد لا يكون لها مصداق من الواقع، كما أن الحس بدون العقل لا يفضي إلا إلى علم سطحي بمظاهر الكون، وعلى هذا المبدأ قامت فلسفة التربية الإسلامية في نظرتها إلى المعرفة، حيث سلك المسلمون منهجا معتدلا بين العقل والحس، فلم يهملوا أو يغلبوا أي جانب على الآخر وذلك ما أشار إليه القاضي عبد الجبار[4]، في قوله: "إن من الخطأ القول بأن الحواس تقضي على العقول أو العقول قاضية عليها، والصحيح أن يقال إنه لولا العلم بما يدرك بالحواس لما صح أن يعلم الإنسان سائر الأمور ويعبر عن ذلك بأن علوم الحواس أصل لعلوم العقل"[5].

منهج التربية في تحقيقها للتكاملية والاتزان بين العقل والحواس:-

إن المنهج التربوي في تحقيق هذا التوازن والتكامل يعتمد على ترقية كلا من العقل والحس في خط واحد وعلى وتيرة واحدة، وتوزيع المهام بينهما كل لما يصلح له من تحصيل للمعرفة،حتى يحدث التكامل والانسجام بينهما، وذلك عن طريق ترقية آلة الحس بإعمالها في

---

1 - الترمذي، ،سنن الترمذي، كتاب العلم ، باب كتمان العلم ، (5/ 29)، رقم 2649 .قال الترمذي حديث حسن، وقال عنه الألباني في الحاشية حديث صحيح.

2 - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (4 / 305)

3 - النجار، فقه التحضر الإسلامي، ص 102 – 103 .

4 - النجار، فقه التحضر الإسلامي، ص 56 – 57 بتصرف.

5 - القاضي عبد الجبار، المغني (12 / 57- 58)

تعرف المحسوسات، وإكسابها الدربة المطردة في ذلك حتى ترتقي صعدا في القدرة على اكتشاف مظاهر الكون، ورصد دقائقه الحسية الظاهرة والخفية، وبالموازنة مع ذلك ترقية آلة العقل بإعمالها في إدراك الدلالات المجردة للمحسوسات، وإكسابها القدرة على النفاذ إلى الحق انطلاقا من تحليل دلالات الحس، وارتقاء في إدراك الحق المجرد في مجال الغيب أو مجال الحياة، بحيث يرتقي الحس والعقل متظاهرين متكاملين بما يمكن الإنسان من التقرب إلى الله بالمزيد من معرفة حقيقة وجوده وصفاته وخلقه، وبالمزيد من إحكام السلطنة على الكون بمعرفة مشاهده وقوانينه[1].

إن من أكبر المشكلات التي تعاني منها أنظمتنا التعليمية هو التركيز على العلم النظري وعدم الاهتمام بالتطبيق إلا في حدود ضيقة لا تواكب العصر أحيانا، وهذا ملاحظ لكل شاهد لا يحتاج في إثباته إلى أدنى نظر، هذا الأمر أسهم في إمداد الأمة بمخرجات من المتعلمين تحمل معلومات حبيسة الذهن منقطعة عن الواقع حيث إنها لا تتمكن من تطبيق ما تعلمته، عليه ينبغي أن يكون هناك جمع بين العلم النظري والعلم التطبيقي والموازنة بينهما، وعدم تغليب أحدهما إلا حسب ما تقتضيه الحاجة، " وباختصار ينبغي أن يكون الإعداد العقلي مناسبا لطبيعة الأعمال المرتقبة في منظومة التنمية، والأصل في الأشياء هو التدريب وليس التعليم، أي أن الناس ينبغي أن يتدربوا على منظومة الأعمال التي أفرزتها خطتنا التنموية، وبالطبع كل تدريب يحتاج إلى تعليم مصاحب "[2]

المطلب السابع: مبدأ الشمولية في النظر والتفكر:-

إن التربية الإسلامية وهي إذ تربي المسلم على العقيدة الصحيحة فإنها تمده بمنهج شمولي يدعوه إلى النظر في ملكوت السماوات والأرض، والإيمان عن علم ويقين، بعد أن أمدته بكل التصورات عن الكون الحياة والمبدأ والمصير، مما بسط له مجالا عريضا للنظر والبحث

1- ينظر النجار، فقه التحضر الإسلامي، ص56 .

2 – سيد دسوقي، دراسة قرآنية، ص 51 .

والتقصي، يجعل كل مظاهر الوجود والحياة موضوعا عليه أن يتجه إليه بالنظر، وهـذا مـا دل عليـه قولـه تعـالى: ﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾(يونس:101)، فهو أمر يبسط البحث والتقصي في عالم الشهادة المادي أرضا وسماء، ثـم التأدي منه إلى النظر في دلالته على عالم الغيب للإيمان بحقيقته، وهو أمر بـالنظر فـي آثـار الحياة السابقة وما شهدته من النذر للاسترشاد بذلك في تسديد الحياة الراهنـة والمقبلـة، وهكـذا يتسع مجال النظر الإنساني ليشمل كل شيء مرئي وغيبي وينفسح بذلك لعقل المسلم سعة غيـر متناهية في مادة المعرفة، وغاية هذا المنهج هي أن يستمد المسلم من نظره ما يعينه على القيـام بمهمة الخلافة الموصولة على نحو أو آخر بتلك المظاهر كلها، فعالم الغيب مبسوط للنظر بغايـة التمثل الاعتقادي لوجود الله وصفاته، ولحياة المآل وأحكامها، والإيمان بهذه المعتقدات في جملتها لا يكون إيمانا كاملا في الاعتبار الإسلامي إلا حينما يستقر في النفس بناء على النظر المـؤدي إلى الاقتناع الذاتي، وعالم الشهادة المادي مبسوط للنظر لتكون فيه الدلالة على عالم الغيب ليعلم به، ولتتم باكتشاف قوانينه السلطنة عليه وتسخيره لإنجاز الخلافة، وعالم الحياة الإنسانية مبسوط للنظر اعتبارا بما كان منها ماضيا، وترشيدا وتسديدا لما هو منها حاضر ومستقبل [1].

إن "النظر في وحدة العلوم والمعرفة أساسي في الاتجاهات التي تنمي في تدريس كل مباحـث العلم، الذي هو بناء للمعرفة وطريقة للتفكير والبحث، والـذي يجمـع بـين الجانـب المعرفـي والسلوكي، وفي هذا الإطار تصبح جميع العلوم الكونية والشرعية ميدانا لبناء المعرفة وطريقـة للتفكير والبحث، فيخدم بعضها بعضا وبذلك تزال الازدواجية ويتم تطويع مختلف العلوم لتعزيـز التربية الإيمانية التي تنشدها التربية الإسلامية"[2].

إن من شأن هذا الشمول الذي تقتضيه العقيدة أن يصوغ الفكر على شمولية في النظـر، وأن يصير له ذلك خلقا منهجيا في المعرفة بحيث يتقصى على سبيل الحقيقة جميع مظانها، ويتحـرى

---

1 - ينظر النجار، فقه التحضر الإسلامي، ص 71 .

2 - الفرحان وآخرون، نحو صياغة إسلامية لمناهج التربية، ص 85 .

للظفر بها كل المعطيات المعينة عليها ظاهرة وخفية، وهذا مسلك معرفي يضمن إلى حد بعيد السداد في الوصول إلى الحق، لأن الحقيقة مخفية وراء أسباب وبقدر الإحاطة بتلك الأسباب يكون التوفيق في الكشف عنها[1] .

المنهج الفكري التوحيدي*:-

إن التربية الإسلامية تنظر إلى هذا الكون بأكمله ميدانا لها، بأرضه وسمائه بإنسانه وأحيائه، بنباتاته وجماداته، فالعلوم والمعارف، كلها تكون التربية الإسلامية، وهذا ما يسمى بمبدأ الوحدة [2]، وتعتمد التربية الإسلامية في تحقيق هذا المبدأ على منهج فكري توحيدي يعتمد على عقيدة التوحيد، لما لها من أثر تربوي كبير في ضبط تعامل العقل مع الظواهر والأحداث الكونية تفسيرا وتحليلا بمبدأ موحد ترد فيه الكثرة إلى الوحدة، وتتآلف فيه المعطيات على اختلافها عقلية وحسية وخبرية لتتوحد في دلالتها على الحقيقة الواحدة، وهي وحدة الخالق، وهذا ما يمكن أن نسميه بالمنهج الفكري التوحيدي، الذي منه انطلقت الحضارة الإسلامية في بنائها للمعارف الكونية والإنسانية، مما جعل من المسلمين "يباشرون الحياة الإنسانية بنظر يفسر طبيعتها، ويقدر كل تصاريفها الفردية والاجتماعية على محور موحد يبنيها على مراد الله، ويسوقها في ابتغاء مرضاته، وإذا هم يباشرون المادة الكونية بنظر يفسرها على وحدة من القانون في تكوينها ومنقلباتها اهتداء بوحدة المكون والمدبر بها، ثم يضم العقل الإسلامي حصيلة النظر الثاني إلى الأول لتنشأ منهما حركة العلوم الإسلامية وتتطور منظومة بسلك يوحدها جميعا في سياق الغرض الديني الذي نشأت فيه وتطورت أساسا من أسس الإنجاز الخلافي في الأرض، ويتبين هذا المنهج التوحيدي جليا من خلال كل من العلوم التي أنشأها المسلمون إنشاء والعلوم التي اقتبسوها من الكسب الإنساني السابق وأدخلوها في دائر الثقافة الإسلامية"[3].

---

1 - النجار، فقه التحضر الإسلامي، ص 71 بتصرف.

* - المنهج الفكري التوحيدي مصطلح اقتبسه الباحث من النجار في كتابه فقه التحضر الإسلامي.

2 - الفرحان وآخرون، نحو صياغة إسلامية لمناهج التربية، ص 24 .

3 - النجار، فقه التحضر الإسلامي، ص 66 .

المبحث الخامس: المبادئ التربوية المتضمنة في خاصية حب الخلود

تمهيد:

إن خاصية حب الخلود نافذة يطل بها الإنسان على عنصر الزمان، الذي يعتبر عنصرا مهما لقيام الحضارة، وبذلك يعي معنى وجوده، ويعلم أن هذه الرسالة تستنزف على عمره، مما يجعل للحياته جدوى، وهناك مجموعة من المبادئ التربوية التي يمكن أن تعتبر أسسا تربوية لاستثمار الوقت ومن هذه المبادئ ما يأتي:

المطلب الأول: مبدأ فطرية حب الخلود وتأصلها في النفس الإنسانية:-

إن "حب الخلود والبقاء من أقوى النَّزَعات الَّتي تتملَّك الإنسان وأهمّها"[1]، وهي ليست رغبة عارضة، بل هي سر مقيم فيه ما قامت الحياة واستقامت له الظروف على ما يحب، أي أن اتجاهه إلى حب الخلود اتجاه طبيعي دائم غير منقطع، ولا موقوت بأجل"[2]، أي أنها لا تقف" عند حدود أجله بل تستشرف إلى البقاء بلا نهاية"[3].

إن فطرية حب الخلود وتأصلها في النفس البشرية أمر دل عليه قوله تعالى: ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى﴾(طه: 120)، وقوله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾(الأعراف: 20)، وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (الروم : 23، 24).

1 – غازي صبحي آق بيق، القرآن منهاج حياة (1 / 111) .
2 – الخولي، آدم عليه السلام، فلسفة تقويم الإنسان وخلافته، ص 173 .
3 – عبد الستار نوير، الإنسان ورسالته في الحياة، ص 41 .

أما استمرارية هذه الخاصية فأمر مشاهد محسوس من تصرفات الإنسان في تشبثه بالحياة،وهو مما دل عليه قوله ﷺ: (يهرم ابن آدم، وتشب منه اثنتان، الحرص على المال، والحرص على العمر)[1]، ويقول ﷺ: (قلب الشيخ شاب على حُبّ اثنتين، طول الحياة، وحبّ المال)[2]، ويقول ﷺ: (لا يزال قلب الكبير شابا في اثنتين، في حبّ الدنيا وطول الأمل)[3].

هذا "وقد عبر البيان الإلهي عن السعي اللاهث لدى الإنسان، في سبيل التعلق بالحياة والمحافظة عليها، بعبارة موجزة جامعة، هي قول الله عز وجل: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ (ق :19)"[4].

موافقة الإيمان باليوم الآخر لفطرة حب الخلود:-

إن هناك ارتباطا وثيقا بين الإيمان باليوم الآخر وحب الخلود، وهو ارتباط يدخل في إطار موافقة ما جاء به الشرع مع ما فطر عليه الإنسان، وذلك لأن الله عز وجل "خلق الإنسان وكيف خصائصه وأحوالها لدار الخلود، حتى أن النفس السوية لا تقبل أقل من دار الخلود كآمال وأحلام تصبو إليها، وذلك بمقتضى الخلقة والجبلة والفطرة التي فطر الله الناس عليها، فإذا عاش الفرد وهو يعتقد أن وجوده ليس سوى هذه السنوات القليلة المعدودة، وأن آماله وطموحاته تستوجب زمانا لا متناهيا، وأن رغبته الفطرية في الاستمرار في الوجود لا تتوقف عند حد، بل هي تطالبه وتلح عليه بوجود بلا نهاية وبحياة أبدية، عند ذلك يشعر بشعور يلح عليه بالضيق والتبرم والقلق والاضطراب، ويزداد هذه الشعور كلما تقدم في العمر، وكلما بدأ يقترب من نهاية الشباب وبداية الشيخوخة ثم كلما بدأ يقترب من النهاية"[5]، ومن هنا ندرك أصلا تربويا تقوم عليه التربية الإيمانية فيما يخص الإيمان باليوم الآخر، وذلك لأن "الإيمان بالآخرة ركن من أركان

---

[1] – مسلم، صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب كراهة الحرص على الدنيا، (724/2)، رقم 1047 .
[2] – سبق تخريجه، ص 75.
[3] – سبق تخريجه، ص 75 .
[4] – البوطي، منهج الحضارة الإنسانية في القرآن، ص 57 .
[5] – فاروق الدسوقي، مفاهيم قرآنية حول حقيقة الإنسان، ص 12 .

الإيمان والذي به يعرف الإنسان مصيره ومآله، وهو ما يمنحه دافعا أقوى من الدوافع الخارجية في الحياة الدنيوية كالثواب والعقاب"[1].

إن مخالفة هذه الفطرة المتمثل في عدم الإيمان باليوم الآخر له أثره السلبي على الإنسان ومن ذلك ما يأتي:-

- إن عدم الإيمان باليوم الآخر هو انحطاط للإنسان من مستوى الإنسانية إلى مستوى الحيوانية،مما يؤدي إلى انحطاطه وتسفله، وذلك لأنه " لما كان البعث والخلود أحد المميزات الجوهرية التي يتميز بها الإنسان عن الحيوان ككائن حي، فإن إنكارهما يحط ويتسفل بالإنسان في أفعاله وسلوكه إلى مستوى الحيوان، حيث تصبح الغايات المطروحة أمام الاختبار الإنساني غايات حيوية محضة تدور في نطاق بشريته دون إنسانيته، لأن الخلود خاصة إنسانية لا يشارك الإنسان فيها الأحياء الأرضية الأخرى بينما بشرية الإنسان هي خصائص بيولوجية وفسيولوجية يشاركه فيها الحيوان"[2].

- إن عدم الإيمان باليوم الآخر هو سوء فهم لحقيقة الحياة وجعلها غاية بدل من أن تكون وسيلة،مما يجعل من حياة الإنسان عبثا لا جدوى منها، " لذلك بيّن القرآن لنا أن حياة الإنسان مع إنكار البعث تكون عبثا لا معنى لها، ولابد من وجود حياة أخرى وراء هذه الحياة أكمل وأبقى، يلقى فيها الإنسان الجزاء على ما قدم من أعمال، فحياتنا الدنيوية ليست غاية في ذاتها وإنما هي وسيلة لغاية أبعد، يقول تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ (المؤمنون: 115)، ويقول تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ (القيامة: 36.)، فالإنسان إذا لم ير لحياته معنى أو غاية وقع حتما في التشاؤم الشديد وتحلل من كل القيم وتخلى عن إنسانيته

[1] - المطرودي، الإنسان وجوده وخلافته في الأرض، ص 290 .

[2] - الدسوقي، استخلاف الإنسان، ص 74 .

أو المعنى الذي كرمه الله من أجله، وأصبح لا يعقل شيئا مما حوله ولا يبدو له أي أمر من أمور حياته معقولا"[1]، وهذا مما يجب على التربية الإسلامية تعميقه في تدريسها لباب الإيمان باليوم الآخر في كونه يبيّن لنا جدوى لحياتنا مما يخلق لدى التلميذ التفاؤل والتفاعلية والإقبال على العطاء، لأنه "لا مناص للإنسان لكي يعيش، أن يكون مقتنعا بجدوى الحياة وأهمية وجوده،وذلك لا يكون إلا من خلال عقيدة تفسر له وجوده وتبرره وتحدد له الغاية اللائقة به كإنسان والرسالة التي وجد ليؤديها"[2].

- إن عدم الإيمان باليوم الآخر هو سبب في هلاك الكثير من الأمم، وبالنظر في ذلك من الممكن أن يفسر على أنه سنة كونية مندرجة تحت ارتباط الأسباب بالمسببات، وهي أسباب حسية ومعنوية، أي أنه من الممكن أن نصف عدم الإيمان باليوم الآخر بأنه حكم عملي على الحضارة بالبتر والانقطاع، فليس هناك ما تقدمه الحضارة للمستقبل أو أنها تقدم لمستقبل موهوم غير حقيقي، "فكأنما قدر للإنسان ألا تشرق عليه شمس الحضارة إلا حيث يمتد نظره إلى ما وراء حياته الأرضية أو بعيدا عن حقبته إذ حينما يكتشف حقيقة حياته الكاملة يكتشف معها أسمى معاني الأشياء التي تهمين عليها عبقريته وتتفاعل معها"[3]

إن الخلل في فهم معنى الخلود تجسده قصة صاحب الجنتين، الذي قال الله فيه: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾(الكهف: 35، 36)، فقد وصف بأنه ظالم لنفسه أي "وهو معجب بما أوتي مفتخر به كافر لنعمة ربه، معرّض بذلك نفسه لسخط الله، وهو أفحش الظلم، إخباره عن نفسه بالشك في بيدودة

[1] - التفتازاني، الإنسان والكون، ص 81 .
[2] - فاروق الدسوقي، مفاهيم قرآنية حول حقيقة الإنسان، ص 10
[3] - مالك بن نبي، شروط النهضة، ص 51 .

جنته: لطول أمله واستيلاء الحرص عليه وتمادي غفلته واغتراره بالمهلة وإطراحه النظـر فـي عواقب أمثاله"[1]، فكانت نتيجة هذا الخلل في الاعتقاد انهيار هذه المنجزات كما أخبر عن ذلـك المولى عز وجل بقوله: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ (الكهف: الآية 42)

- إن حصر الوجود الإنساني في الحياة الدنيا يحصر هذه الرغبة في الخلود في مجال ضيق،مما يجعل الفرد الذي لا يؤمن باليوم الآخر تكون حالته النفسية خاضعة للضيق حيث يعيش، وكأنه في قفص ضيق ليس قفصا مكانيا ولكنه قفص زماني [2]، إن هذه الحقيقة هي مبـدأ اعتمدتـه الأمة في مسيرتها وهي تنشر رسالتها الحضارية، وهذا مما يفهم من كلام ربعي بن عامر،في رده عن سؤال رستم، ما جاء بكم؟ فقال: "الله ابتعثنا وجاء بنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله تعالى ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة، ومـن جـور الأديـان إلـى عـدل الإسلام"[3].

ومن هنا يمكن إدراك ما للإيمان باليوم الآخر من دور تربوي فـي تصـحيح وجهـة نظـرة الإنسان للوجود، مما يبث في نفسه التفاؤل وعدم التشاؤم، ويجعله يتفاعل مع الزمن على أنه حيز لفعل الخير، لا أنه أصل للشقاء، وذلك لأن" الإحساس بالزمن بوصفه أصلا للشقاء لا يكـون إلا حيث يقوم القول بضرورة زمانية الوجود فنظن أن لا وجود إلا مع الزمان وبالزمان، وأن كل ما ليس بمتزمن بالزمان فلا يمكن أن يعد وجودا، فأما حين تقـوم فكـرة الوجـود اللازمـاني أي السرمدي مصدرا لكل وجود وأملا في الخلود فإن الوجود المتزمن لا يصبح شرا مطلقا كما فهـم الوجوديون بل يصير كل ما فيه من شقاء وألم في الحس الإنساني نسبيا موقوتا مرتبطـا بالغايـة

---

1 - الزمخشري، الكشاف (2/ 271)
2 - ينظر فاروق الدسوقي، مفاهيم قرآنية حول حقيقة الإنسان، ص 12 .
3 - الكلاعي، الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، (4 / 173).

الكلية التي تتحرك نحوها الأشياء شوقا"[1] " وبتحديد فكرة الزمن يتحدد معنى التـأثير و الإنتـاج وهو معنى الحياة الحاضرة الذي ينقصنا"[2].

المطلب الثاني: مبدأ الوجود كل لا يتجزأ:-

من المبادئ التربوية التي أقرها الإسلام وهو يربي أتباعه على الشمولية في نظرتهم لوجودهم في هذه الحياة، مبدأ أن الوجود كل لا يتجزأ، وهو يعني أن وجودهم متصل إلى ما بعد هذه الحياة، وأن خلف هذه الحياة حياة أخرى أعظم نعيما أو شقاء، وهذا لا يعني أن يتراخي الإنسان في عمارة الكون وإقامة الحق والعدل في الأرض، لأن "ذلك مما يتصل بمعنى التعبد الذي يحقق أمانة الخلافة المنوطة بالإنسان" [3]، فهذه الحياة الدنيا هي المرحلة الثانية من مراحل الوجـود، وهي ليست مبتورة عن سابقتها ولا عما يلحقها، يقول تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾(البقرة: 28)، وهذه النظرة الشمولية للوجود من شأنها أن تربـي المسلم على أن يعرف موقع ما يعيشه من عمر في هذه الدنيا فيستغله بما يتوافق مع ما كان عليه وما سيأتيه، وذلك لأن" الحياة الإنسانية فصل كان من مجموعة فصـول يفسر السـابق منهـا اللاحق، فإذا فصلنا الحياة الدنيا عن سابقها أو عن لاحقها مـن المراحـل الوجوديـة الأخـرى أصبحت بلا معنى وبلا مغزى"[4].

إن هذه النظرة الشمولية يحققها الإيمان باليوم الآخر، الذي يعني أن هذه الحياة إلى فنـاء، وأن الحياة الآخرة هي دار البقاء والخلود، لها بعدها الحضاري في استمرار العمل وعـدم الاغتـرار والتعويل على التسويف.

إن هذه الغائية التي تتجلى في مفهوم الآخرة تتحقق تاريخيا في صورة حضـارة، فبعـد أن تخلق في قلوب المجتمع حكما غائية، و تمنحها هدفا معينا، تصبح الحياة ذات دلالة ومعنى،وهي

---

1 - الشرقاوي، في فلسفة الحضارة الإسلامية، ص 256 .
2 - مالك بن نبي، شروط النهضة، ص 140 .
3 - الشرقاوي، في فلسفة الحضارة الإسلامية، ص 281، 282 .
4 - فاروق الدسوقي، مفاهيم قرآنية حول حقيقة الإنسان، ص 10

حينما تمكن لهذا الهدف من جيل إلى جيل ومن طبقة إلى أخرى فإنها حينئذ تكون قد مكنت لبقاء المجتمع ودوامه وذلك بتثبيتها وضمانها لاستمرار الحضارة [1].

الوجود الإنساني سبقه عدم:-

لقد أقر القرآن حقيقة مهمة متعلقة بالوجود الإنساني في هذا الكون وهو أن هذا الوجود سبقه عدم، وخاطب الإنسان بهذه الحقيقة، لتكون مبدأ يعتمده في نظرته لحياته التي فطر على حبها يقول تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ (الإنسان: 1)، "والمعنى: هل يقر كل إنسان موجود أنه كان معدوما زمانا طويلا، فلم يكن شيئا يذكر، أي لم يكن يسمى ولا يتحدث عنه بذاته"[2]، وعلى هذا ينبغي التفريق بين العدم والموت، فالعدم هو ما يقابل الوجود، بينما الموت هو الذي يقابل الحياة، وهو جزء من الوجود باعتباره مرحلة من مراحله[3].

الحياة مرحلة من مراحل الوجود وليست كل الوجود:-

من المبادئ التي أقرها الإسلام في نظرته للوجود الإنساني مبدأ أن هذه الحياة هي مرحلة من مراحل أربعة للوجود قد سبقها موت ثم يلحقها موت ثم حياة، قال تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾(البقرة: 28)، وقال تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾(غافر: 11)، ومن هنا" يتضح أن المراحل الوجودية التي يمر بها الإنسان وهي موت ثم حياة ثم موت ثم حياة، (كنتم أمواتا) وصف الله فيها الإنسان بأنه كان موجودا في حالة موت، لأن فعل الكينونة بصيغة الماضي (كنتم) يفيد وجودا سابقا للإنسان على وجوده الحالي، ولأن العدم أيضا هو نفي للكون أو الوجود، "[4]، كما

---

1 - ينظر مالك بن نبي، شروط النهضة، ص 72، .

2 -ابن عاشور، التحرير والتنوير، (29 / 372).

3 - ينظر فاروق الدسوقي، مفاهيم قرآنية حول حقيقة الإنسان، ص 6 .

4 - فاروق الدسوقي، مفاهيم قرآنية حول حقيقة الإنسان 8 .

يتضح أن الحياة الدنيا ليست هي كل ما في الكون من وجود، " إنما هي طور من أطوار هذا الوجود، له خصائصه التي تصله بما بعده وهو الدار الآخرة، فهي بالنسبة للآخرة بمكان المقدمة من النتيجة، ومن خصائصها أن أعمالنا التي تتضمن روح الحق إنما هي بذور نبذرها ونجني حقيقة ثمرها في الآخرة، بعد أن يكون المؤمن قد جنى منها في الدنيا عزة التمكين وشرف المنزلة ولذا كانت الدنيا مزرعة الآخرة"[1].

الموت من مراحل الوجود وليس نهاية الوجود:-

لقد وجهت التربية الإسلامية مفهوم الموت حيث فسرته تفسيرا إيجابيا يبعث في النفس التفاؤل ويدفعها إلى العطاء، وذلك عندما قررت أن الموت هو من مراحل الوجود الإنساني تسبق مرحلة الحياة، ومن هنا كان الموت في المنظور التربوي الإسلامي هو انتقال الإنسان بأعماله من عالم الوجود الناقص إلى عالم الوجود التام (الكامل)، وهذا البعد التربوي تنبه له الأصفهاني عندما سلط الضوء على الجانب الإيجابي لمفهوم الموت فقال: "اعلم أن الموت المتعارف الذي هو مفارقة الروح للبدن، هو أحد الأسباب الموصلة للإنسان إلى النعيم الأبدي،وهو انتقال من دار إلى دار كما روي: (إنكم خلقتم للأبد لكنكم تنقلون من دار إلى دار حتى يستقر بكم القرار) فهو وإن كان في الظاهر فناءً واضمحلالاً فهو في الحقيقة ولادة ثانية"[2]، وهذا ما يجعل المؤمن" ينظر إلى الموت باطمئنان لأنه انتقال من دار فانية إلى دار باقية فلا يرهبه ولا يخيفه هذا الانتقال، إن كان محسنا مطمئنا إلى رحمة الله تعالى"[3]، وبهذا استطاعت التربية أن تعالج مشكلة من أكبر المشاكل التي قد تنتج عن انحراف خاصية حب

---

[1] – الخولي، آدم عليه السلام، فلسفة تقويم الإنسان وخلافته، ص 156 .

[2] – الأصفهاني، تفصيل النشأتين، ص 200 .

[3] – المطرودي، الإنسان وجوده وخلافته في الأرض، ص 291، أبو السعود، تفسير أبي السعود (9 / 159)

الخلود وهي مشكلة الخوف الذي لا مسوغ له، والجبن الذي قد يعيق الإنسان عن ركوب المخاطر وطلب معالي الأمور.

وبهذه النظرة يتعامل المسلم مع الموت على أنه نعمة، وذلك لأن الله جعل الله تعالى" الموت إنعاماً كما جعل الحياة إنعاما، لأنه لما كانت الحياة الأخروية نعمة لا وصول إليها إلا بالموت، فالموت نعمة لأن السبب الذي يتوصل به إلى النعمة نعمة، ولكون الموت ذريعة إلى السعادة الكبرى لم يكن الأنبياء والحكماء يخافونه"[1]، وهذا مما يفهم من قوله تعالى امتنانا على الناس: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾(البقرة: 28)، ومع هذا ينبغي أن نضع في الاعتبار نهيه ﷺ عن تمني الموت، عندما قال: (لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به، فإن كان لا بد متمنيا فليقل اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرا لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيرا لي)[2]، ويقول ﷺ: (لا يتمنى أحدكم الموت، ولا يدع به من قبل أن يأتيه، إنه إذا مات أحدكم انقطع عمله، وإنه لا يزيد المؤمن عمره إلا خيرا)[3]، وكان رسول الله ﷺ يعلمنا ذلك الدعاء: (اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادى، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير، واجعل الموت راحة لي من كل شر)[4].

البعد التربوي لعدم العلم بالأجل:-

إن عدم علم الإنسان مقدار عمره له حكمة عظيمة ذات بعد تربوي يسهم في العمارة وهذا ما بيّنه ابن القيم عندما قال: " ومن حكمته سبحانه ما منعهم من العلم علم الساعة ومعرفة آجالهم

---

1 - الأصفهاني، تفصيل النشأتين، ص 201 .
2 - مسلم، صحيح مسلم، كتاب العلم، باب كراهة تمني الموت لضر نزل به، (2064/4)، رقم 2680 .
3 - مسلم، صحيح مسلم، كتاب العلم، باب كراهة تمني الموت لضر نزل به، (2065/4)، رقم 2682 .
4 - مسلم، صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، (2087/4)، رقم 2720 .

وفي ذلك من الحكمة البالغة مالا يحتاج إلى نظر فلو عرف الإنسان مقدار عمره فإن كان قصير العمر لم يتهنأ بالعيش، وكيف يتهنأ به وهو يترقب الموت في ذلك الوقت فلـولا طـول الأمـل لخربت الدنيا وإنما عمارتها بالآمال، وإن كان طويل العمر وقد تحقق ذلك فهو واثق بالبقاء فـلا يبالي بالانهماك في الشهوات والمعاصي وأنواع الفساد ويقول إذا قرب الوقت أحدثت توبة، وهذا مذهب لا يرتضيه الله عز وجل من عباده ولا يقبله منهم ولا تصلح عليه أحوال العالم ولا يصلح العالم إلا على هذا الذي اقتضته حكمته وسبق في علمه"[1].

المطلب الثالث:مبدأ الحياة الدنيا رحلة نحو الكمال الإنساني:-

إن هذه الحياة الدنيا ما هي إلا دار عمل يرتقي الإنسان به ويكتمل سموه حتى يصلح للعـيش في دار البقاء والخلود، وبحسب وقدر العمل في الدنيا يكون الجزاء في الآخرة، إن هذا المبدأ هو ما يفسره كون تسمية الموت الذي هو المرحلة الثانية من مراحل الوجود وفاة، في قوله تعـالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الزمر:42). يقول الأصفهاني مبينا هذا الجانب لمفهوم المـوت :" إن من شرط كمال الإنسان مفارقة هيكله ولولا هذا الموت لم يكمل الإنسان، فالموت إذن ضـروري في كمال الإنسان، ولكون الموت سبباً للانتقال من حال أوضع إلى حال أشرف وأرفع سـماه الله تعالى توفياً وإمساكاً عنده"[2]، إن مثل هذا المفهوم للحياة هو الذي يخلق التفاعلية مـع عنصـر الزمان باعتباره وعاء للعمل وباعتباره بداية للمرحلة التي لا فناء فيها.

مبدأ الحياة نعمة:-

إن نعمة الحياة من أعظم النعم التي امتن الله بها على الإنسان، وهي من أولى النعم، "بل هـي أصل لجميع النعم"[3]، يقول تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ

---

1 - ابن القيم، مفتاح السعادة، (1 / 324).

2 - الأصفهاني، تفصيل النشأتين، ص 200 .

3 - الرازي، التفسير الكبير، (29 / 203).

تُرْجَعُونَ ﴾(البقرة: 28)، لكن علينا أن ندرك أن النعمة لا تنحصر في مجرد الاستمتاع الحسي بل هو إحساس أرقى من ذلك، إنه الإحساس بعنصر الجمال وهو إحساس وجداني يرتقي بالإنسان فيدفعه إلى شكر المنعم، إذ" ليست النعمة هي مجرد تلبية الضرورات من طعام وشراب وركوب، بل هي تلبية لحاسة الجمال ووجدان الفرح والشعور الإنساني المرتفع على ميل الحيوان"[1].

وهنا ينبغي التفريق بين تلبية حاسة الجمال وبين مجرد المتعة الزائلة التي لا غاية لها، المتعة الآنية المفصولة عن بعدها الوجودي اللامتزمن، وهذا أمر في غاية الأهمية لقيام الحضارة،ومبدأ تربوي يقوم عليه الفعل الحضاري للإنسان، فقد" أكدت النصوص القرآنية ما في هذه الحياة الدنيا من متاع وغرور، إذا تناسى الإنسان حقيقته وعجز عن حمل أمانة الخلافة، وجهل نفسه وفصل بين هذا العالم وبين حقيقته الكبرى وهي أنه من خلق الله، وأن رحلة الإنسانية فيه ليست إلا رحلة نحو لا نهائي من السعادة أو الشقاء، وفي تاريخ الإنسانية أمم نسيت هذه الحقيقة واقتصرت فلسفتها للحياة على هذا الوجود الموقوت ففقدت بذلك المبدأ الأخلاقي والغائي الذي يقف وراء كل فعل تاريخي ناجح، ولقد قضى الله بسعادة بعض الأمم وشقاء بعضها وفقا لما قدم أبناؤها من عمل يلتزم أو لا يلتزم بهذا المعنى، فالفعل الإنساني في التاريخ سبب له نتائجه التي يتحدد بها مصير البشرية والإنسان بذلك المعنى القرآني هو صانع لتاريخه"[2].

إن حصر مفهوم الحياة في مجرد الاستمتاع دون الالتفات إلى عنصر الجمال فيها، هو ما اقتصر عليه من لا يدرك هذه النعمة ولا يدرك جدوى الحياة وهو المذموم، فالحياة الدنيا في حد ذاتها غير مذمومة، لأن "الله تعالى هو الذي خلق الحياة لحكمة وصواب، وإنما المذموم ما يعرض لهذه الحياة من عبثية، فالمراد مما ورد من ذم لها في القرآن الكريم، هو من صرف هذه الحياة الدنيا لا إلى طاعة الله بل إلى طاعة الشيطان ومتابعة الهوى، فذاك هو المذموم"[3].

[1] -حامد قبيلي، الكون والإنسان، ص 107 .

[2] – الشرقاوي، في فلسفة الحضارة الإسلامية، ص 282 .

[3] – الرازي، التفسير الكبير، (29 / 203).

إن "أهم ميزة للحضارة في نظر الإسلام هي تقدم المجتمع من الناحية المادية والمعنوية في جميع مناحي الحياة الإنسانية، بروح خيّرة ونحو غاية خيّرة"[1].

وهنا ينبغي تربويا الربط بين نعمة الحياة وبين الانتفاع الحقيقي بهذه النعمة، وهذا منطلق مهم لبيان جدوى الحياة والإفادة منها، وقد تنبه الرازي إلى هذا الربط فقال:" إن أول نعم الله على العبيد هو أن خلقهم أحياء، ويدل عليه العقل والنقل أما العقل فهو أن الشيء لا يكون نعمة إلا إذا كان بحيث يمكن الانتفاع به، ولا يمكن الانتفاع به إلا عند حصول الحياة، فإن الجماد والميت لا يمكنه أن ينتفع بشيء، فثبت أن أصل جميع النعم هو الحياة، وأما النقل فهو أنه تعالى قال: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾(البقرة: 28)، ثم قال عقيبه: ﴿هُوَ الذي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا﴾(البقرة: 29)، فبدأ بذكر الحياة، وثنى بذكر الأشياء التي ينتفع بها، وذلك يدل على أن أصل جميع النعم هو الحياة"[2].

المطلب الرابع:اتصال الوجود الدنيوي باتصال الأجيال:-

إن من حقيقة معنى العمران أن يتأمل المرء فعل الإنسان على الأرض، أو تاريخه، فذلك أدعى إلى توفيق أكبر في بناء حياته الروحية والأخلاقية والاجتماعية والحضارية، من أجل ذلك كان التاريخ في القرآن الكريم مصدرا للعظة والعبرة التي يجب أن يتلمسها الإنسان في أخبار الأمم الماضية [3]، إن هذا التواصل مرده إلى وجود النسب، الذي يسعى الإنسان إلى أن يحافظ عليه ليدوم بقاء اسمه وأثره.

إن حب الخلود هو الذي يدفع بالإنسان إلى التناسل، وهذا ما انبنى عليه نظام الميراث في الإسلام، فالوارث تعني الباقي، ومن هنا ندرك كم أن لنظام التناسل أثر كبير في دوام العمارة وعدم توقفها، وهذا ما بيّنه الرازي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا

---

1 – يالجن، دور التربية الأخلاقية الإسلامية في بناء الفرد والمجتمع والحضارة الإنسانية، ص86 .

2 – الرازي، التفسير الكبير (1 / 208)

3 – ينظر الشرقاوي، في فلسفة الحضارة الإسلامية، ص 281، 282 .

﴿لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم: 21)، " لما بيّن الله خلق الإنسان بيّن أنه لما خلق الإنسان، ولم يكن من الأشياء التي تبقى وتدوم سنين متطاولة، أبقى نوعه بالأشخاص، وجعله بحيث يتوالد فإذا مات الأب يقوم الابن مقامه لئلا يوجب فقد الواحد ثلمة في العمارة لا تنسد"[1]، وقال في موضع آخر في تفسير قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ﴾ (الطور: 39)،" كيف تجعلون لله البنات وخلق البنات والبنين إنما كان لجواز الفناء على الشخص ولولا التوالد لانقطع النسل وارتفع الأصل من غير أن يقوم مقامه الفصل فقدر الله التوالد ولهذا لا يكون في الجنة ولادة لأن الدار دار البقاء لا موت فيها للآباء حتى تقام العمارة بحدوث الأبناء إذا ثبت هذا فالولد إنما يكون في صورة إمكان فناء الأب"[2]

إن نشوء العلاقة بين الآباء والأبناء ودوامها، مرتبط بمجموعة من المشاعر الفطرية والمكتسبة،تدفع كل منهما إلى التواصل والعطاء ويخدم حب الخلود والبقاء، وقد حصر الماوردي هذه الدوافع في أربعة: اثنان في الوالدين، الأول منهما طبيعي وهو الحذر والإشفاق على الأبناء،والثاني حادث بالاكتساب وهو المحبة التي تنمى مع الأوقات وتتغير بتغير الحالات، فإذا ذهب الحب أو انقطع، بقي الحذر والإشفاق، واثنان في الأبناء، الأول منهما طبيعي يقابل الإشفاق لدى الآباء وهو الأنفة للآباء، والثاني حادث يقابل المحبة لدى الآباء وهو الإذلال، الذي ينتقل مع الكبر إلى أحد أمرين، إما البر والإعظام إذا كان الولد رشيدا، وإما إلى الجفاء والعقوق إذا كان الولد غاويا [3]، ومن هنا ندرك مبدأ تربويا مهما يحدد لنا طبيعة العلاقة الوالدية وما يدعو الوالدين إلى الاهتمام بالأبناء والعطف عليهم، وما يدعو الأبناء إلى البر والإحسان، مما يدعو إلى دوام العطاء وحب الخلود، ومن ثم بقاء العمارة وذلك لأن"امتناع الأولاد من البر بالآباء يوجب خراب العالم لأن الآباء إذا علموا ذلك قلت رغبتهم في تربية الأولاد فيلزم خراب العالم، فثبت أن عمارة العالم إنما تحصل إذا حصلت المبرة بين الآباء والأولاد من الجانبين" [4].

1 – الرازي، التفسير الكبير (25 / 9).
2 – الرازي، التفسير الكبير (28 / 226)
3 – يراجع الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص 126، 127.
4 – الرازي، التفسير الكبير، (20 / 157)

المبحث السادس: المبادئ التربية المتضمنة في خاصية حب التملك

تمهيد:

إن نظم الاقتصاد والإنتاج المادي والتنظيمات الأرضية البحتة، لا يعالجها الإسلام منفصلة عن الكيان النفسي في مجموعه، فلا يعترف بأن هناك قوانين اقتصادية منقطعة عن الصلات النفسية والروحية، أو أن هناك قوانين مادية لا تتصل بالروح، ويقيم تنظيماته كلها على أساس هذه الحقيقة، على أساس الفطرة البشرية الممتزجة المترابطة التي لا ينفصل فيها كيان عن كيان،ولو غلب جانب من الجوانب في بعض الأحيان[1].

إن خاصية حب التملك نافذة يطل بها الإنسان على الأشياء فيسعى إلى ارتفاقها، والعناية بها،وتقوم هذه الخاصية على مجموعة من المبادئ التربوية تضبطها، وتعمل على توجيهها التوجيه الأمثل، ومن أهم هذه المبادئ ما يأتي:-

المطلب الأول: مبدأ الملك لله وحده:

إن التصور الاقتصادي الإسلامي قائم على إسناد ملكية كل شيء لله تعالى، وهو أساس عقدي ينبني عليه الفرق بين ملكية المال والانتفاع به[2]، وهذا ما دلت عليه آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(آل عمران: 189)، فالملكية الحقيقية لله تعالى، أما ملكية الإنسان فملكية مجازية وهي ملكية تصرف وانتفاع بموجب الاستخلاف.

إن هذا المبدأ العقدي في نظرة التربية الإسلامية للتملك كان له دور كبير في دفع المسلم إلى بذل المال في سبيل الله، وهذا ما يمكن ملاحظته في الخطاب التربوي القرآني، " فهو حين يريد التوجيه إلى البذل والإنفاق في سبيل الله يكون مدخله إلى مراده من باب ملكية الأزل"[3]، وذلك

[1] - قطب، منهج التربية الإسلامية، (1 / 25) بتصرف.
[2] - ينظر صبري خليل، الأبعاد المعرفية لمفهوم الاستخلاف، ص 30 .
[3] - الخولي، الثروة في ظل الإسلام، ص 57 .

من أمثال قوله تعالى: ﴿وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾(النور: 33)، " فإضافة المـال إليـه تعـالى ووصفه بإيتائه تعالى إياهم للحث على الامتثال بالأمر بتحقيق المأمور به، فإن ملاحظة وصـول المال إليهم من جهته سبحانه مع كونه عز وجل هو المالك الحقيقي له من أقوى الـدواعي إلـى صرفه إلى الجهة المأمور بها" [1]، وفيه "إيماء إلى أن الإعطاء من ذلك المال شـكر والإمسـاك جحد للنعمة قد يتعرض به الممسك لتسلب النعمة عنه"[2]، مما يشكل دافعا قويا في تفعيل المـال في صروف الخير المتعددة .

ويندرج تحت هذا المبدأ مجموعة من المبادئ منها:

1- الإنسان متملك وليس مالكا:-

وهذا يعني أن ملكية الإنسان هي ملكية مجازية وليست حقيقية، ووصف هذه الملكية هي أنهـا ملكية تصرف وانتفاع، وذلك لأن "ملك العبد لما بيده من أعراض الدنيا غير متحقق له، بل إنمـا هو خازن فيه لقصره عليه تصرفا وانتفاعا دون غيره؛ ومن ثم حرم الله الإقتار والإسراف حتى عد رسول الله ﷺ في المنجيات: القصد في الغنى والفقر. ونهى عليه السلام عن إضـاعة المـال إلى غير ذلك"[3]

إن التملك الحقيقي الذي ينبغي للمسلم أن يسعى إلى تحقيقه هو أن يتحرر من قيـود عبوديـة المال، تلك العبودية التي ذمها رسول الله ﷺ في قوله: (تعس عبد الـدينار والـدرهم والقطيفـة والخميصة إن أعطي رضي وإن لم يعط لم يرض) [4]، وأن تكون الدنيا في يده لا في قلبه، وهذه هي القاعدة التي بني عليها مفهوم الزهد في الفكر التربوي الإسلام، وهـذا يعنـي أن المفهـوم الحقيقي للزهد لا يتنافى مع التملك بل يعني أن يتملك المسلم المال لا أن يتملكه المال، وذلك لأن

---

1 - الألوسي، روح المعاني، (18 / 156).
2 - ابن عاشور، التحرير والتنوير، (18 / 221).
3 -.زروق، قواعد التصوف، ص 111 .
4 - البخاري، صحيح البخاري ، كتاب الرقاق، باب ما يتقى من فتنة المال ، (5 / 2364)، رقم 6071.

الزهد لا يعني" التنكب عن كسب المال بالوجوه الحلال بل ذلك مطلوب لأنه من وجوه العمارة،ولكن الزهد أن يكون المالك للمال مالكا له حقا، بحيث يكون قادرا على التخلي عنه إذا لزم الأمر، كما تخلى عثمان بن عفان رضي الله عنه عن ماله في سبيل الله، كما يكون متحررا من الشهوات التي تقوم بالمال أما إذا أصبح المال هو المسيطر على نفس الإنسان أمرا ونهيا فإنه يصبح متبطا له عن القصد"[1].

إن هذا المبدأ التربوي في تقرير هذه الملكية للإنسان كان له دور كبير في حث العوامل الخاصة في النفوس للتوجه إلى التثمير والتنظيم والحرص على المال[2]، وهذا ما يمكن أن نلاحظه في الخطاب التربوي القرآني في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾(النساء: 5).

2- الفضل في التملك لله وحده:-

إن تملك الأشياء هو بفضل الله سبحانه وتعالى وكرمه، وهو آية من آيات قدرته وعظيم كرمه وفضله، دليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى﴾(النجم: 48)، "قال أبو صالح: أغنى خلقه بالمال، وأقنى جعل لهم قنية وهي أصول الأموال"[3]، وهنا ينبغي الالتفات إلى مبدأ تربوي مهم في التعامل مع هذه الخاصية، وهو مبدأ رد الفضل لله سبحانه وتعالى، وهذا ما يدعو إلى حمده وشكره على نعمه، والالتزام بأمره ونهيه، وإعمال التملك فيما يرضي الله سبحانه وتعالى، وهو منهج تربوي قرآني جاء في قوله تعالى: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾(يونس: 58)، "وهذا الفضل أخروي ودنيوي، أما الأخروي فظاهر، وأما الدنيوي فلأن

---

1 - النجار، تفصيل النشأتين، هامش، ص 138 .
2 - ينظر الخولي، الثروة في ظل الإسلام، ص 57 .
3 - الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص 180 .

كمال النفس وصحة الاعتقاد وتطلع النفس إلى الكمالات وإقبالها على الأعمال الصالحة تكسب الراحة في الدنيا وعيشة هنيئة، قال تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾(الفجر: 27، 28)، فجعل رضاها حالا لها وقت رجوعها إلى ربها، قال فخر الدين: " والمقصود من الآية الإشارة إلى أن السعادات الروحانية أفضل من السعادات الجسمانية"[1]،فيجب أن لا يفرح الإنسان بشيء من الأحوال الجسمانية لأن اللذات الجسمانية ليست غير دفع الآلام عند جمع من الحكماء والمعنى العدمي لا يستحق أن يفرح به، وعلى تقدير أن تكون هذه اللذات صفات ثبوتية فإنها لا تكون خالصة البتة بل تكون ممزوجة بأنواع من المكاره وهي لا تكون باقية، فكلما كان الالتذاذ بها أكثر كانت الحسرات الحاصلة من خوف فواتها أكثر وأشد؛ ثم إن عدم دوامها يقتضي قصر مدة التمتع بها بخلاف اللذات الروحانية"[2].

3- الإنسان لا يمتلك شيئا بذاته:-

إن من الحقائق التي يؤكدها المنهج القرآني وهو يربي الإنسان تربية اقتصادية، "أن الإنسان لا يملك شيئا بذاته وطاقاته، فضلا عن أنه لا يملك شيئا لمجرد أنه لا يجد من ينافسه على الأرض"[3]، بل التملك تم بفضل الله ورزقه، وهي حقيقة للإيمان بها أثر تربوي كبير في عدم طغيان الإنسان وتجبره وتكبره على الناس، وفي عدم كفرانه لنعمة ربه، وهذا واضح بيّن فيما ضربه القرآن من أمثلة لنماذج بشرية كفرت بهذه الحقيقة، ومنهم قارون الذي قال عنه المولى عز وجل: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ

---

1 -.الرازي، مفاتح الغيب (17 / 95) .

2 -.ابن عاشور، التحرير والتنوير (11 / 207) .

3 - السبهاني، الاستخلاف والتركيب الاجتماعي، ص 57 .

مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾(القصص: 76- 78)،"(قَالَ) مجيباً لمن نصحه (إِنَّمَا أُوتِيتُهُ على عِلْمٍ عِندِي) كأنه يريد الرد على قولهم: (كما أحسن الله إليك)، لإنبائه عن أنه تعالى أنعم عليه بتلك الأموال والذخائر من غير سبب واستحقاق من قبله، وحاصله دعوى استحقاقه لما أوتيه لما هو عليه من العلم"[1].

إن المنهج التربوي القرآني يعالج مشكلة إدعاء الإنسان الفضل في تملكه لنفسه، ونكرانه لفضل ربه، يعالج كل ذلك بتذكيره بافتقاره إلى الله سبحانه وتعالى، معتمدا في ذلك تأصل هذا الشعور في فطرته.

أسلوب الإشعار بالافتقار إلى الله سبحانه وتعالى: -

إن هناك أسلوبا تربويا مهما ينبغي أن تعتمده التربية في توجيهها لخاصية حب التملك، وهي إشعار المسلم بافتقاره إلى الله سبحانه وتعالى، وهذا ما أرشد إليه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾(فاطر: 15)، أي" محتاجون إليه في جميع الحركات والسكنات"[2]، "في جميع أمور الدين والدنيا، وفي كل حال على الإطلاق" [3]، فهذه الآية" تقرر أصلا من أصول فطرة الله التي فطر الناس عليها، هو الافتقار إليه جل شأنه، الافتقار الحسي والافتقار الروحي"[4]، وكذلك يرشد إلى افتقار الإنسان قوله تعالى: ﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾(محمد: 38)، وهذا ما يدعو إلى أن لا يغتر الإنسان بنفسه فينسب الفضل إليه، مما يؤدي به إلى الاستغناء والطغيان، ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى﴾(العلق:6،7).

---

1 -الألوسي، روح المعاني (15 / 191)

2 - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (6 / 541).

3 - الزحيلي، التفسير المنير، (22 / 248).

4 - الخولي، الثروة في ظل الإسلام، ص 51 .

الأثر التربوي للإحساس بالافتقار إلى الله تعالى: -

يترتب على إحساس الإنسان بافتقاره إلى ربه آثار تربوية جليلة منها:

1- أن يعرف أن الافتقار على ما تقرره الآية الكريمة أصل من أصول فطرته، والشيء لا يصلحه إلا أن يقوم على ما قدر له من فطرة فيدعوه ذلك إلى تزكية هذا الأصل في نفسه حتى يكون حاكما على حياته كلها _الباطنة والظاهرة_ فلا يرى لنفسه ملكا ما في أي شيء إلا ملك الله[1].

2- إذا تم له شهود السلب واستعلنت له حقيقته في نفسه أبصر نعمة الحياة في بدنه، ونعمة العقل والسمع والبصر والإرادة وسائر مواهب النفس والبدن أبصر ذلك كله نعما وإرادة على هذا السلب من لدن الغني الحميد، وأبصر فضل الله في كل نعمة، وأحس من نفسه العجز عن حقيقة الشكر وأيسر ما يكون منه في نور المعرفة ألا يرى لنفسه فضل في موهبة من المواهب، فلا يتيه بها على غيره ولا يقدر نفسه بغير قدرها [2].

3- إن الإحساس بالافتقار إلى الله هو إحساس بالحاجة إليه تعالى في كل شيء وهو إحساس من شهد عجز الكائنات فصرف عنها رجاءه وأيقن ضرورة الإقبال على الله وحده، والرغبة فيما عنده والاستمداد من فضله لملء خواء النفس وهو إقبال يستجيب له الله ولا يرده وذلك مصدر قوة المرء ونصره وغناه وعزته ونجاحه، أي مصدر حياة ترد على فطرة السلب يكتسب بها الإنسان من صفات الإيجاب ما يعد به ضمن الحياء ويكون له نهجا سويا بين الناس.

المطلب الثاني - مبدأ فطرية حب التملك وتأصلها في النفس البشرية:-

إن حبّ التملّك" من أقوى النّزَعات الّتي تتملّك الإنسان وأهمّها"[3]، وهذا مما دل عليه قوله تعالى: ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى﴾(طه: 120)، و"هذا مما يرجح أن يكون هذا الدافع من الدوافع الفطرية، لأن الإيحاء والإثارة لهذا الدافع من إبليس

---

1 - ينظر الخولي، الثروة في ظل الإسلام، ص 53 .

2 - ينظر الخولي، الثروة في ظل الإسلام، ص 53 .

3 - غازي صبحي آق بيق، القرآن منهاج حياة (1 / 111) .

والاستجابة له يعني أن لآدم وزوجه الاستعدادات والقدرات الكامنة في الذات، لأنهما ليس لهما بيئة اجتماعية يمكن أن يتعلما منها هذا الدافع، كما أن لهذا الدافع أساسا وعلاقة بدوافع فطرية أخرى كالجوع والعطش وحب الخلود، فهو يحقق نوعا من الأمن والطمأنينة والاستقرار في عملية إشباعها، وإن الله علم آدم الأسماء كلها، والعلم يحتاج إلى القدرات والإمكانيات الكامنة في الذات كحب الاطلاع وامتلاك وسائله، ولعل أهمها حب التملك والسيطرة والظهور، ولذلك من الأولى أن يكون هذا الدافع فطريا نفسيا جعل آدم يستجيب للوسوسة الشيطانية"[1].

ولشدة تأصل هذه الفطرة في النفس قيل عن المال بأنه شقيق الروح، وذلك لأن"النفس لشدة تعلقها بالمال كأنه بعض منها"[2]، وهذا ما دل عليه قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾(البقرة:265)، فقد جعل المال بعضا من النفس فقال (من أنفسهم)، على اعتبار القول بأن (من) تبعيضية وهناك من اعتبر أنها ابتدائية، أي من أصل أنفسكم[3] .

لقد تجاوب الدِّين مع هذه الفطرة، فأباح الكسب الحلال وأطلق الأيدي المنتجة تبدع في إنتاجها فتقدِّم لعباد الله حاجاتهم وتستثمر جهودها، وصان الملكية الفردية المشروعة انسجاماً مع متطلِّبات الفطرة في حبِّ التملُّك، وهذا كلُّه في دائرة الاتجاه الأوَّل لتحقيق تلك الضرورات وإيجادها [4]، وفي جانب المحافظة عليه من العدم حرم الإسلام الظلم وأكل مال اليتيم والإسراف والبغي ونقص المكيال أو الميزان والفساد في الأرض وما دار بهذا المعنى [5].

---

1 - المطرودي، الإنسان وجوده وخلافته، ص 295 .

2 - حقي، تفسير روح البيان، (1 / 346) .

3 - يراجع أبو السعود، تفسير أبي السعود (1 / 259).

4 - غازي صبحي آق بيق، القرآن منهاج حياة (2 / 281) .

5 - يراجع الشاطبي، الموافقات (3/ 48) .

المال ضرورة من ضروريات الحياة:-

المال من الضروريات الخمس التي بنيت على المحافظة عليها مصالح الدنيا والآخرة، و التي لو عدمت عدم البقاء معهن، وهي الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال، وذلك لأنه" لو عدم الدين عدم ترتب الجزاء المرتجى، ولو عدم المكلف لعدم من يتدين، ولو عدم العقل لارتفع التدين، ولو عدم النسل لم يكن في العادة بقاء، ولو عدم المال لم يبق عيش، وأعني بالمال ما يقع عليه الملك واستبد به المالك عن غيره، إذا أخذه من وجهه ويستوي في ذلك الطعام والشراب واللباس على اختلافها، وما يؤدي إليها من جميع المتمولات، فلو ارتفع ذلك لم يكن بقاء، وهذا كله معلوم لا يرتاب فيه من عرف ترتيب أحوال الدنيا وأنها زاد للآخرة"[1]، ومن هنا تتحدد قيمة التملك، فينبغي ألا يكون مقصودا لذاته بل المقصود هو جلب المنفعة أو دفع المضرة وإلا صار كالمعدوم، وهذا ما بيّنه شيخ الإسلام عندما قال: " أن كل ما سوى الله فإما أن يقصد لنفسه وإما أن يقصد لغيره، فالمقصود لغيره مثل ما يقصد الخبز للأكل والثوب للبس والسلاح للدفع ونحو ذلك، وهو ما خلقه الله لنفع بني آدم من الأعيان فإن هذه إنما تقصد لغيرها لا لذاتها، وكذلك المال الذي يقصد به جلب منفعة أو دفع مضرة، إنما يقصد لغيره لا لنفسه وكل ما قصد لغيره فإنما المقصود في الحقيقة ذلك الغير، وهذا مراد له بحيث إن حصل ذلك الغير المقصود لنفسه، وإلا كان هذا مما لا فائدة فيه ولا منفعة، فيكون من باب الباطل الذي ينفى ويقال فيه ليس بشيء وهو باطل ويلحق بالمعدوم"[2].

وجوه التملك متنوعة ومتناسبة مع ما في النفس من ميول وقدرات:-

إن حكمة الله سبحانه وتعالى اقتضت أن تتنوع وجوه المنافع والمكتسبات بتنوع الميول والقدرات، وجعل هذا متأصلا في النفس الإنسانية، يقول تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ

---

[1] – الشاطبي، الموافقات (2/ 17) .

[2] – ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (2 / 424).

وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾(آل عمران: 14)، فهذه الأصناف التي ذكرت جاءت موافقة لصنوف الميول والرغبات النفسية مع مراعاة الفروق بين البشر، مما يبيّن لنا تنوع وجوه المكاسب مع تنوع الميول والقدرات، وها ما يوضحه كلام القرطبي إذ قال: " قال العلماء: ذكر الله تعالى أربعة أصناف من المال، كل نوع من المال يتموّل به صنف من الناس؛ أمّا الذهب والفضة فيتموّل بها التجار،وأمّا الخيل المسوّمة فيتموّل بها الملوك، وأمّا الأنعام فيتموّل بها أهل البوادي، وأمّا الحرث فيتموّل بها أهل الرساتيق، فتكون فتنة كل صنف في النوع الذي يتموّل، فأمّا النساء والبنون ففتنة للجميع"[1].

وهناك تنوع آخر يدخل في نفس الإطار التملكي وهو التنوع في الرغبات النفسية الداعية إلى تفضيل صنف على صنف آخر مما يدعو إلى ارتفاق الصنف والعناية به وتملكه وهذا مما يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (الرعد: 4).

إن هذا التناسب بين وجوه التكسب وبين الميول والرغبات هو من رحمة الله تعالى بخلقه، فبه يحصل التسخير التعاوني والتكافلي، الذي يرعى الناس فيه بعضهم بعضا، ومنه يحصل العمران، يقول تبارك وتعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾(الزخرف:32)، أي "قسمنا بين الناس معيشتهم فكانوا مسيرين في أمورهم على نحو ما هيأنا لهم من نظام الحياة،وكان تدبير ذلك لله تعالى ببالغ حكمته، فجعل منهم أقوياء وضعفاء، وأغنياء ومحاويج،فسخر بعضهم لبعض في أشغالهم على حساب دواعي حاجة الحياة، ورفع بذلك بعضهم فوق بعض، وجعل بعضهم محتاجا إلى بعض ومسخرا به"[2].

[1] -.القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (4 / 36).
[2] -.ابن عاشور، التحرير والتنوير، (25 / 201).

المطلب الثالث – مبدأ الإنسان مستخلف في مال الله:-

لقد خلق الله المال وجعل الإنسان مستخلفا فيه بتمليكه له يقول تعالى: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾(الحديد: 7)، وهذا مما يقرر "الوضع العملي للبشر في المال"[1]، وذلك لأن مفهوم الاستخلاف في هذه الآية يتسع لمعنيين بيّنهما الرازي فقال: " في الآية وجهان الأول: أن الأموال التي في أيديكم إنما هي أموال الله بخلقه وإنشائه لها، ثم إنه تعالى جعلها تحت يد المكلف، وتحت تصرفه لينتفع بها على وفق إذن الشرع، فالمكلف في تصرفه في هذه الأموال بمنزلة الوكيل والنائب والخليفة، فوجب أن يسهل عليكم الإنفاق من تلك الأموال، كما يسهل على الرجل النفقة من مال غيره إذا أذن له فيه؛ الثاني: أنه جعلكم مستخلفين ممن كان قبلكم، لأجل أنه نقل أموالهم إليكم على سبيل الإرث، فاعتبروا بحالهم، فإنها كما انتقلت منهم إليكم فستنتقل منكم إلى غيركم فلا تبخلوا بها"[2]، وكلا المعنيين له أثره التربوي الكبير في التربية الاقتصادية للمسلم، فمن" أبرز آثار الإيمان بمبدأ الاستخلاف أنه ينقل الإنسان من مركز المالك المتصرف بما يملك على مداركه وهواه إلى مستخلف ملزم بدليل الخلافة وضوابطها، وهي نقلة لها ثمارها سواء على صعيد إدارة الثروة أو على صعيد توزيعها واستهلاكها"[3].

مسئولية الإنسان عما استخلف فيه:-

الإنسان مسئول عما استخلف فيه وذلك لأن" ملكية الإنسان ليست ذاتية وإنما هي اكتسابية، وهذا الاكتساب لا يتم إلا بتقدير من الله سبحانه وتعالى الذي يسر له هذا التملك، وعلى هذا تكون ملكية الإنسان بتمليك الله له أي أنها أتته ممن يملكها فملكه إياها، وهذا التمليك ليس تمليكا

---

1 – الخولي، الثروة في ظل الإسلام، ص 57 .

2 –.الرازي، التفسير الكبير، (29 / 188).

3 – السبهاني، الاستخلاف والتركيب الاجتماعي، ص 55 .

مطلقا، وإنما هو تمليك محدود بما يسره الله له، كما أن هذا التمليك لا يقطع الصلة بين المتملك والمالك الحقيقي، لأن الذي أعطي فرض على الذي أخذ شروط التمليك وبذلك تكون ملكية الإنسان مقيدة بهذه الشروط التي لا تصح بدونها، ولهذا فإن المالك ملكا ذاتيا لا يسأله أحد عن تصرفه فيما يملك، أما المتملك من غيره ملكا مشروط فإنه مسئول عن تنفيذ هذه الشروط وعن نتيجة تصرفه فيما يملكه"[1].

إن المسئولية عن المال تكون من ناحيتين ناحية وجوه الاكتساب وناحية وجوه التصرف وهذا ما دل عليه قوله ﷺ: (لا تزول قدما عبد يوم القيامة، حتى يسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيما فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن جسمه فيما أبلاه) [2]، وفي رواية (لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه، حتى يسأل عن خمس، عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وماذا عمل فيما علم) [3].

الإنسان مبتلى بما استخلف فيه :-

الإنسان مبتلى بموجب الاستخلاف حسب درجته فيه يقول تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(الأنعام:165)،والمال فتنة عظيمة يقول تعالى :﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ

---

[1] - بابللي، إعمار الأرض، ص 75 .

[2] - الترمذي، سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب في القيامة، (612/4)، رقم 2417 . وقال: حديث حسن صحيح، وصحّحه الألباني في الحاشية.

[3] - الترمذي، سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب في القيامة، / (612/4)، رقم 2416 . وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ إلا من حديث الحسين بن قيس وحسين بن قيس يضعف في الحديث من قبل حفظه، وحسّنه الألباني في الحاشية.

﴿الْمُفْلِحُونَ﴾(التغابن:15، 16)، ويقول ﷺ: (إن لكل أمة فتنة وفتنة أمتي المال)[1]، وهذا مما يدل على أن الإنسان مبتلى بالمال، ولهذا الابتلاء حالان، فهو مبتلى بالغنى كما أنه مبتلى بالفقر وهو أمام هذا الابتلاء إما أن يكون شاكرا لله برد الفضل إليه، وإما أن يتكبر بنعمته ويغتر بنفسه، ويظن أن قد بلغ من المقامات أعلاها، وهذا ما جاء به أمثال قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾(الفجر:15، 16)، ولهذه الحقيقة أثرها التربوي الكبير في تغيير الكثير من المفهومات التي تنبني عليها نظرة الإنسان للحياة، فينبغي للتربية أن تجعلها أساسا إيمانيا ترتكز عليه في تربيتها للمسلم على الموضوعية والإيجابية، فتتوجه طاقاته وإمكاناته للخير والعطاء، يقول السيد قطب: "هذا هو تصور الإنسان لما يبتليه الله به من أحوال، ومن بسط وقبض، ومن توسعة وتقدير ؛ يبتليه بالنعمة والإكرام،بالمال أو المقام، فلا يدرك أنه الابتلاء، تمهيداً للجزاء، إنما يحسب هذا الرزق وهذه المكانة دليلاً على استحقاقه عند الله للإكرام، وعلامة على اصطفاء الله له واختياره، فيعتبر البلاء جزاء والامتحان نتيجة، ويقيس الكرامة عند الله بعرض هذه الحياة! ويبتليه بالتضييق عليه في الرزق، فيحسب الابتلاء جزاء كذلك، ويحسب الاختبار عقوبة، ويرى في ضيق الرزق مهانة عند الله، فلو لم يرد مهانته ما ضيق عليه رزقه، وهو في كلتا الحالتين مخطئ في التصور ومخطئ في التقدير، فبسط الرزق أو قبضه ابتلاء من الله لعبده، ليظهر منه الشكر على النعمة أو البطر، ويظهر منه الصبر على المحنة أو الضجر، والجزاء على ما يظهر منه بعد، وليس ما أعطي من عرض الدنيا أو منع هو الجزاء، وقيمة العبد عند الله لا تتعلق بما عنده من عرض الدنيا، ورضا الله أو سخطه لا يستدل عليه بالمنح والمنع في هذه الأرض، فهو يعطي الصالح والطالح، ويمنع الصالح والطالح . ولكن ما وراء هذا وذلك هو الذي عليه المعول . إنه يعطي

---

1 – الترمذي، سنن الترمذي، كتاب الزهد، باب أن فتنة هذه الأمة في المال، (569/4)، رقم 2336، وقال: حديث صحيح غريب إنما نعرفه من حديث معاوية بن صالح، وصححه الألباني في الحاشية.

ليبتلي ويمنع ليبتلي . والمعول عليه هو نتيجة الابتلاء، غير أن الإنسان حين يخلو قلبه من الإيمان لا يدرك حكمة المنع والعطاء، ولا حقيقة القيم في ميزان الله، فإذا عمر قلبه بالإيمان اتصل وعرف ما هنالك، وخفت في ميزانه الأعراض الزهيدة، وتيقظ لما وراء الابتلاء من الجزاء، فعمل له في البسط والقبض سواء، واطمأن إلى قدر الله به في الحالين؛ وعرف قدره في ميزان الله بغير هذه القيم الظاهرة الجوفاء"[1].

المطلب الرابع -مبدأ التملك وسيلة وليس غاية:-

إن الهدف من التملك ينبغي أن يكون مرتبطا ارتباطا وثيقا بالحكمة من خلق الإنسان ألا وهي العبادة، وإقامة معالم الدين وإظهار الحق في هذا الكون، وفي هذا يقول الإمام ابن تيمية: "إن الأصل أن الله تعالى إنما خلق الأموال إعانة على عبادته لأنه إنما خلق الخلق لعبادته"[2]،وهذا ما جاء في الحديث عنه ﷺ أنه قال: (إن الله عز وجل قال: إنا أنزلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، ولو كان لابن آدم واد لأحب أن يكون إليه ثان، ولو كان له واديان لأحب أن يكون إليهما ثالث، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ثم يتوب الله على من تاب) [3] ، فهذا الحديث يبيّن لنا الإطار الكبير الذي يدور في نطاقه الهدف من تملك المال، وهو "إقامة معالم الدين المعبر عنه بالصلاة باعتبارها عماد هذا الدين، من أقامها فقد أقام الدين ومن أضاعها أضاع الدين، وهذا يستلزم إعدادا قويا للأمة حتى تستطيع الدفاع عن نفسها ويتحقق أمنها وسلامها، وتحفظ نفسها بحفظ أفرادها من مثيرات الغرائز والفتن"[4]، ولعل مما يؤيد هذا الفهم هو جعل إقامة الصلاة مقصدا من مقاصد مشروعية الجهاد في قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ

---

1 - السيد قطب، في ظلال القرآن (8 / 35) .

2 - ابن تيمية، السياسة الشرعية، ص 36.

3 - أحمد، المسند، حديث أبي واقد الليثي ﷺ، (218/5)، رقم 21956 . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (295/7) وقال: رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح .

4 - الخولي، الثروة في ظل الإسلام، ص 43 .

بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾(الحج:39-41)، وهذا "يستوجب أن يكون مكان المال وما إليه من عرض الدنيا في حياة المؤمنين هو مكان العدة التي ينجزون بها ما استطاعوا لنفع عباد الله ونصر دينه، لا للترف والمكاثرة في الجمع وشهوات الظهور والغرور" [1].

إن المقصد من إقرار التملك هو أسمى من أن يكون غاية في ذاته، وهذا ما بيّنه الشاطبي في قوله: " الذوات لا يملكها إلا الله تعالى، وإنما المقصود في التملك شرعا منافع الرقاب، لأن المنافع هي التي تعود على العباد بالمصالح، لا أنفس الذوات فذات الأرض أو الدار أو الثوب أو الدرهم مثلا لا نفع فيها ولا ضر من حيث هي ذوات، وإنما يحصل المقصود بها من حيث إن الأرض تزدرع مثلا، والدار تسكن، والثوب يلبس، والدرهم يشترى به، ما يعود عليه بالمنفعة فهذا ظاهر حسبما نصوا عليه"[2]، وعليه فإن"حب التملك ليس هدفا في ذاته ولكنه وسيلة لهدف أسمى وأعظم، وهو عمارة الأرض، فتكون هادفة إلى الخير وداعية له، وباذلة الجد في العمل الصالح لامتلاك الخيرات والطيبات ومنافعها وقوانينها في التغيير والتبديل حتى تتلاءم معه، وإن لم يقدر على ذلك عمد إلى مجاراتها"[3].

هذا وقد دأبت التربية النبوية في توجيهاتها على التحذير من أن ينحرف حب التملك عن هذا المقصد فيصبح السعي في الأرض والضرب فيها لأجل التكاثر، الذي سيؤدي إلى أن يلهي الإنسان عن رسالته وينشغل بالوسيلة عن الغاية، يقول ﷺ: (من طلب الدنيا حلالا استعفافا عن مسألة، وسعيا على أهله، و تعطفا على جاره، جاء يوم القيامة و وجهه كالقمر ليلة البدر، ومن

---

1 – الشيباني، كتاب الكسب، ص 34.
2 – الشاطبي، الموافقات (3/ 166) .
3 – الخولي، الثروة في ظل الإسلام، ص 62، 63 .

طلب الدنيا مفاخرا مكاثرا مرائيا لقي الله و هو عليه غضبان) [1]، "قال بعض الحكماء: ليس من الرغبة في الدنيا اكتساب ما يصون العرض فيها، وقال بعض الأدباء: ليس من الحرص اجتلاب ما يقوت البدن"[2]. لذلك ينبغي توجيه التملك نحو هدف سام ونبيل يتعلق به، حتى يكون عنصر خير وبر، يدفع إلى عمارة الأرض وإصلاحها، وينبغي الحذر من أن يتعلق حب التملك بأهداف دونية تعبر عن الأنانية وحب الذات وعدم الإيثار، وبذلك يكون سببا في طغيان الإنسان وفساده في الأرض، والشواهد في القرآن الكريم على كلتا الحالتين كثيرة، وفي العموم يخبرنا" تعالى عن الإنسان أنه ذو فرح وأشر وبطر وطغيان، إذا رأى نفسه قد استغنى وكثر ماله"[3] فيقول: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى﴾(العلق: 6، 7).

هذا وقد بيّن الماوردي ما يؤول إليه انحراف التملك عن مقصده التعميري التعبدي، وحقيقته في كونه وسيلة ليصبح غاية، فقال: " وآفة من بلي بالجمع والاستكثار، ومني بالإمساك والادخار، حتى انصرف عن رشده فغوى، وانحرف عن سنن قصده فهوى، أن يستولي عليه حب المال وبعد الأمل فيبعثه حب المال على الحرص في طلبه، ويدعوه بعد الأمل على الشح به؛ والحرص والشح أصل لكل ذم، وسبب لكل لؤم ؛ لأن الشح يمنع من أداء الحقوق، ويبعث على القطيعة والعقوق، ولذلك قال النبي ﷺ: (شر ما أعطى العبد شح هالع وجبن خالع)[4]"[5].

إن التوجيهات التربوية النبوية قد وجهت هذه الخاصية حتى لا تنحرف عن مسارها، عندما وجهت الغايات من التملك من التكاثر الداعي إلى الحرص على المال، إلى مدى الاستفادة، ومن

---

1 – البيهقي، شعب الإيمان، الحادي والسبعون من شعب الإيمان وهو باب في فضل الأذان، (298/7)، رقم 9889 . وقال العراقي في المغني عن حمل الأسفار (884/2)، رقم 3237 : رواه البيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة بسند ضعيف.

2 – الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص 109 .

3 – ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (8 / 437).

4 – أبو داوود، سنن أبي داوود، – بلفظ شر ما في الرجل – باب في الجرأة والجبن– (15/2)– رقم 2511 قال الألباني في الحاشية صحيح.

5 – الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص 278 .

ذلك ما جاء في تفسيره ﷺ لقوله تعالى: ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾(التكاثر: 1، 2)، روى مسلم عن مطرف عن أبيه قال: (أتيت النبي ﷺ وهو يقرأ (ألهاكم التكاثر)، قال: يقول ابن آدم مالي مالي، وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت) [1].

" إن من المهم للمربين في البيوت والمدارس ان يشرحوا بطرق مختلفة لأولئك الذين يقومون بتربيتهم أن الثروة الحقيقية والمتجددة في حياة الأفراد لا تقوّم من خلال الأرقام والأرصدة والعقارات والممتلكات، ولكن من خلال نوعية الدوافع التي يمتلكونها، ونوعية الاهتمامات التي تسيطر عليهم، فالذي يملك الدوافع القوية والمستمرة لعمل الخير والارتقاء بذاته، وإحراز التفوق والنجاح، يملك مفاتيح الحياة الطيبة التي تستخدم المال في تحقيق ذاتها"[2].

من أبعاد التكسب التعبدية:-

إن للتكسب أهمية كبيرة في تحقيق العبادة وعدم انشغال الإنسان عنها أو فيها، لما يحققها التكسب للإنسان من ضروريات الحياة يجعله يستقل بعبادته، كما أن التكسب يعينه على التقوى لأداء العبادة، كما أن التكسب يحقق العبادة من نواح أخرى، وذلك لأن العبادات لإقامتها تحتاج إلى حركة تعميرية في توفير ما تحتاجه من أمور لإقامتها [3].

كما أن العبادة بمعناها الضيق تحتاج إلى أن يسعى الإنسان إلى تملك ما يعينه عليها، وذلك لأنه لن يستطيع أداءها إلا "بقوة بدنه التي تحتاج إلى قوت يغذيه، كما أن العبادات يشترط فيه بعض الشروط من طهارة وستر للعورة وغيرها وكل ذلك يحتاج إلى أن يتملك الإنسان ما تقوم به عبادته وعلى هذا الأساس كان السعي واجبا وجوب الفرائض فما لا يقوم الواجب إلا به فهو واجب" [4].

---

1 – مسلم، صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، (2273/4)، رقم 2958.

2 – بكار، بناء الأجيال، ص 46 .

3 – يراجع الشيباني، كتاب الكسب، ص 34، ويراجع الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص 266 .

4 – الخولي، آدم عليه السلام، فلسفة تقويم الإنسان وخلافته، ص 148 .

كما أن التملك يعين الإنسان على عدم الانشغال عن العبادة أو فيها، وذلك"لأن الإنسان ما لم يكن فارغ البال لا يمكنه القيام بتحصيل مصالح الدنيا والآخرة، ولا يكون فارغ البال إلا بواسطة المال لأن به يتمكن من جلب المنافع ودفع المضار، فمن أراد الدنيا بهذا الغرض كانت الدنيا في حقه من أعظم الأسباب المعينة له على اكتساب سعادة الآخرة، أما من أرادها لنفسها ولعينها كانت من أعظم المعوقات عن كسب سعادة الآخرة"[1]، فالفراغ للعبادة لا يكون إلا بتوفير ضرورات الحياة، وهذا لا يكون إلا بالسعي في امتلاكها، ولعل هذا من معاني قوله تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ (الشرح: الآية 7)، فقد جاء في تفسيره قول مجاهد: "إذا فرغت من أمر دنياك فانصب وصل"[2]، لذلك كان من توجيهاته التربوية ﷺ أن لا يأتي المسلم الصلاة وهو منشغل بحاجة الطعام، حتى يحدث له الخشوع فيها، يقول ﷺ: (إذا حضر العشاء وأقيمت الصلاة فابدءوا بالعشاء) [3]، "لما فيه من اشتغال القلب به وذهاب كمال الخشوع"[4].

قيمة المال ليست في ذاته:-

إن قيمة المال ليست في ذاته وإنما لكونه متقوما يقوم به الناس، ويتخذونه معيارا يحتكمون إليه في وضع قيمة لأعمالهم، وهذا ما يدل عليه وصف الله سبحانه وتعالى للمال بأنه قيما وقياما وقواما، في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾(النساء: 5)، وهذا الوصف يبين لنا المكانة التعميرية للمال في كونه متقوما يقوم عليه صلاح حياة الناس وتنتظم بها تعاملاتهم، وقد ورد في تفسير في هذه الآية ما يفيد هذا البعد

---

1 - الرازي، التفسير الكبير (5 / 59) .

2 -الطبري، جامع البيان، (24 / 497)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (20 / 109)، الرازي، التفسير الكبير (32 / 8) .

3 - مسلم، صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب كراهة الصلاة بحضرة الطعام الذي يريد أكله في الحال وكراهة الصلاة مع مدافعة الأخبثين، (392/1)، رقم 557 .

4 - النووي، شرح صحيح مسلم، (5 / 46) .

الاجتماعي، ومن ذلك قول ابن عطية: "معناها: ثباتاً في صلاح الحال، ودواماً في ذلك"[1]، وقول البقاعي: "أي ملاكاً وعماداً تقوم بها أحوالكم، فيكون ذلك سبباً لضياعها، فضياعها سبب لضياعكم، فهو من تسمية السبب باسم المسبب للمبالغة"[2]، وقول الرازي: "معناه أنه لا يحصل قيامكم ولا معاشكم إلا بهذا المال، فلما كان المال سببا للقيام والاستقلال سماه بالقيام، إطلاقا لاسم المسبب على السبب على سبيل المبالغة، يعني كان هذا المال نفس قيامكم وابتغاء معاشكم"[3].

قاعدة تربوية في مدح المال وذمه:-

إننا نطالع في فكرنا التربوي الكثير من الآراء حول ذم الدنيا أو مدحها، وذم الفقر ومدح الغنى، أو ذم الغنى ومدح الفقر، وكل هذه الآراء ذات صلة وثيقة بالتملك، ولسنا بصدد عرض هذه الآراء وما اعتمدته من أدلة، إلا أننا بحاجة إلى منهج تربوي يحدد لنا كيفية التعامل مع ما ورد من نصوص قد يفيد ظاهرها التعارض في الحكم على هذه الخاصية، إن الركيزة في هذا المنهج هو المبدأ التربوي الذي ينبغي للتربية أن تعتمده في النظر إلى التملك وفي غيرها من الخصائص، وهو مناقشتها في إطارها التعميري التي وجدت من أجله، في كونها وسيلة لا غاية، وسيلة للعمارة التي هي العبادة التي خلق الإنسان لها، وعليه يكون الذم والمدح لا لذات الشيء،وإنما لما يعرض له، وهي قاعدة تربوية مهمة قعد لها الشيخ زروق في قواعده وضرب لها مثلا بما ورد في الدنيا، وبنى عليها الحكم الذي ينبغي أن نتبعه في التطبيق فقال: " ما مدح أو ذم لا لذاته قد ينعكس حكمه لموجب يقتضي نقيضه، فقد صح (الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه) [4]، ومدحت الرياسة لما تؤدي إليه من حفظ النظام، حتى أثنى الله على من

---

[1] – ابن عطية، المحرر الوجيز (2 / 12) .

[2] – البقاعي، نظم الدرر (2/ 342) .

[3] – الرازي، التفسير الكبير (5 / 59) .

[4] – الترمذي، سنن الترمذي، كتاب الزهد، باب الدنيا ملعونة، (561/4)، رقم 2322، وقال: هذا حديث حسن غريب، وحسَّنه الألباني في الحاشية.

طلب الرياسة الدينية إذ قال: ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾(الفرقان: 74)، وذمت لما تؤدي إليه من الكبر والخروج عن الحق، ومدح الصمت للسلامة، وذم عن الواجب الذي لا بد منه، ومدح الجوع لتصفية الباطن وذم لإخلاله بالفكر، فلزم التوسط وهو في الجوع ما يشتهى إليه الخبز وحده، والمفرط ما يشتهى معه كل خبز، والكاذب ما ينضاف إليه كل شهوة غير معتادة له" [1]، وبيّن في موضع آخر، أن العبرة في المقاصد والنيات التي من أجلها يسعى الإنسان في تملكه، فقال: " ما ذم لا لذاته، قد يمدح لا لذاته، ومنه وجود المال والجاه والرياسة ونحو ذلك مما ليس بمذموم لذاته، ولا محمود في ذاته، بل يحمد ويذم لما يعرضه له"[2]، ومن هنا يمكن إدراك أن" ذم الدنيا إنما هو لأجل أنها تصير ذريعة إلى تعطيل التكاليف"[3].

المطلب الخامس – مبدأ المال ينبغي أن يكون متداولا بين الناس:-

إن التعادل بين طبقات المجتمع لن يتم إلا إذا انسجمت مصلحة الجماعة مع مصلحة الفرد، وهذا يحتاج من التربية أن تضع منهاجا يحدد تخطيطا مناسبا تبنى عليه الحياة الاقتصادية، بحيث لا يكون فيه تركيز رؤوس الأموال في أيدي فئة قليلة تحتكره، بل يجب أن يتوفر فيه إسهام كل المجتمع مهما كان فقيرا[4]، وهذا مما جاء به قوله تعالى: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾(الحشر: 7)، فالدولة تعني "تداول المال وتعاقبه"[5]، "أي: "جعلنا هذه المصارف لمال الفيء لئلا يبقى مأكلة يتغلب

---

1 – زروق، قواعد التصوف، ص 73

2 – زروق، قواعد التصوف، ص 113 .

3 – الشاطبي، الموافقات (1 / 114).

4 – ينظر مالك بن نبي، شروط النهضة، ص 113 .

5 – ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، ص 466 .

عليها الأغنياء ويتصرفون فيها، بمحض الشهوات والآراء، ولا يصرفون منه شيئًا إلى الفقراء"[1]، وهذا ما يمثل أصلا تربويا تُبنى عليه قاعدة التنظيم الاقتصادي، وهذه القاعدة" تمثل جانباً كبيراً من أسس النظرية الاقتصادية في الإسلام، فالملكية الفردية معترف بها في هذه النظرية، ولكنها محددة بهذه القاعدة، قاعدة ألا يكون المال دولة بين الأغنياء، ممنوعاً من التداول بين الفقراء، فكل وضع ينتهي إلى أن يكون المال دولة بين الأغنياء وحدهم هو وضع يخالف النظرية الاقتصادية الإسلامية، كما يخالف هدفاً من أهداف التنظيم الاجتماعي كله، وجميع الارتباطات والمعاملات في المجتمع الإسلامي يجب أن تنظم بحيث لا تخلق مثل هذا الوضع أو تبقي عليه إن وجد.

ولقد "أقام الإسلام بالفعل نظامه على أساس هذه القاعدة، ففرض الزكاة، وجعل حصيلتها في العام اثنين ونصفاً في المئة من أصل رؤوس الأموال النقدية، وعشرة أو خمسة في المئة من جميع الحاصلات، وما يعادل ذلك في الأنعام، وجعل الحصيلة في الركاز وهو كنوز الأرض مثلها في المال النقدي، وهي نسب كبيرة، ثم جعل أربعة أخماس الغنيمة للمجاهدين فقراء وأغنياء بينما جعل الفيء كله للفقراء، وجعل نظامه المختار في إيجار الأرض هو المزارعة أي المشاركة في المحصول الناتج بين صاحب الأرض وزارعها، وجعل للإمام الحق في أن يأخذ فضول أموال الأغنياء فيردها على الفقراء، وأن يوظف في أموال الأغنياء عند خلو بيت المال، وحرم الاحتكار، وحظر الربا، وهما الوسيلتان الرئيسيتان لجعل المال دولة بين الأغنياء، وعلى الجملة أقام نظامه الاقتصادي كله بحيث يحقق تلك القاعدة الكبرى التي تعد قيداً أصيلاً على حق الملكية الفردية بجانب القيود الأخرى"[2].

---

1 – ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (8 / 67).
2 – سيد قطب، في ظلال القرآن (7 / 163).

إن "دوران المال بين أيدي أكثر من يمكن من الناس بوجه حق هو مقصد شرعي عظيم، دل عليه الترغيب في المعاملة بالمال، ومشروعية التوثيق في انتقال الأموال من يد إلى أخرى"[1].

إن "النظام الإسلامي نظام يبيح الملكية الفردية، ولكنه ليس هو النظام الرأسمالي، كما أن النظام الرأسمالي ليس منقولاً عنه، فما يقوم النظام الرأسمالي إطلاقاً بدون ربا وبدون احتكار،إنما هو نظام خاص من لدن حكيم خبير، نشأ وحده، وسار وحده، وبقي حتى اليوم وحده، نظاماً فريداً متوازن الجوانب، متعادل الحقوق والواجبات، متناسقاً تناسق الكون كله، منذ كان صدوره عن خالق الكون، والكون متناسق موزون"[2].

وعليه ينبغي النظر إلى رأس المال على أنه آلة اجتماعية تنهض بالتقدم المادي لا آلة سياسية في يد فئة رأسمالية [3]، وهذا مبدأ تربوي مهم تقوم عليه نظرة التربية الاقتصادية الإسلامية. وعلى هذا الأساس فإن التفريق بين الثروة ورأس المال، يقوم على ما يلعبه كل واحد منهما من دور اجتماعي .

قاعدة في الفرق بين الثروة ورأس المال:-

هناك فرق بين الثروة ورأس المال قائم على مدى الدور التعميري لكل منهما، ومكانة في الاجتماع البشري، وقد أوضح هذا الفرق مالك بن نبي عندما قال: " الثروة هي مكاسب الشخص غير المتحركة غير الداخلة في الدورة الاقتصادية، فهي شيء محلي مستقر في حقل صاحبه أو داره أو حول خيمته وليس لها عمل مستقل كقوة تدخل في بناء الصناعات وتحويلها؛ رأس المال: هو المال المتحرك الذي يتسع مجاله الاجتماعي بمقتضى حركته ونموه في محيط أكبر من محيط الفرد وأقصى من المقدار الذي تحدده حاجاته الخاصة"[4].

---

1 – ابن عاشور، مقاصد الشرعية الإسلامية، ص 464 .
2 – سيد قطب، في ظلال القرآن (7 / 163).
3 – ينظر مالك بن نبي، شروط النهضة، ص 110 .
4 – مالك بن نبي، شروط النهضة، ص 110، 111 .

الفصل الرابع: أبعاد خصائص الإنسان في عمارة الكون في الذات الإنسانية

المبحث الأول: خصائص الإنسان في عمارة الكون والكيان النفسي للإنسان

المبحث الثاني: خصائص الإنسان في عمارة الكون ومقومات الشخصية التعميرية

الفصل الرابع: أبعاد خصائص الإنسان في عمارة الكون في الذات الإنسانية

تمهيد:-

تعددت آراء العلماء والمفكرين في تحديد حقيقة النفس الإنسانية، هل هي الروح التي داخل الجسد، أم أنها غير هذه الروح؟، ومع تعدد آرائهم تعددت فلسفاتهم التربوية إلى ما يصعب مناقشته في هذا المقام؛ إلا أنه ينبغي لنا في هذا المقام أن نأخذ في عين الاعتبار تلك النظرة الإسلامية التكاملية للذات الإنسانية التي لا تفصل بين الروح والجسد، وترى أن ذات الإنسان وشخصيته متكونة منهما معا دون تفريق بينهما، ومن هنا ندرك أن "النفس تعني الذات بعامة أي بعنصريها المادي والمعنوي، وبهذا لا تكون النفس مرادفة للروح، كما أنها ليست مرادفة للجسد، أي أن النفس تعني ذات الإنسان بأكملها، وتعني الإنسان بجزأيه المادي والروحي، وأن الروح والجسم مظهران لشيء واحد متكامل وهو الإنسان، وأن الإنسان كل يمثل الذاتية الإنسانية بعنصريها المادي والمعنوي"[1]، ولن نستطيع أن نفهم شخصية الإنسان فهما دقيقا إلا بالنظر إلى هذا الكيان الإنساني بأكمله[2].

إن هذه الحقيقة مرتبطة تمام الارتباط بالحكمة من خلق الإنسان، وهي عبادة الله بإقامة العمارة الكاملة، وبهذا يتم بيان وظيفة الإنسان، وظيفة يعجز من يدرس الإنسان دراسة جزئية، يحددها، مع أنهم استطاعوا أن يحددوا وظائف أعضاء الإنسان وتفسير سلوكه، ولكنهم عند سؤالهم عن الوظيفة الكلية للإنسان ذي الكيان المتكامل يقفوا عاجزين، ويعتبرونه سؤالا منطقيا.

---

[1] – الراوي، قضايا تربوية عربية في رؤى إسلامية، ص 247، حسن عبد العال، مقدمة في فلسفة التربية الإسلامية، ص 251 .

[2] – نجاتي، القرآن وعلم النفس، ص 210 .

المبحث الأول: خصائص الإنسان في عمارة الكون والكيان النفسي للإنسان

إن النفس شيء لا يمكن إدراك كنهه ولكن يمكن إدراك خصائصه والاستدلال عليه بآثارها، وفي هذا المبحث بيان للطبيعة التكوينية للخصائص ولتلك النظرية التربوية التكاملية للنفس الإنسانية، وفيه سيتضح أن معنى الإنسانية تكون من امتزاج خصائص الروح بخصائص الجسد، التي تولد منهما خصائص الإنسان الموافقة تماما للعبادة التي اختصه الله بها عن غيره من المخلوقات وهي عبادة العمارة، كما سيتضح البعد النفسي للخصائص في كونها معاني تعبر عن حقيقة النفس البشرية، كما أنها تشكل القوة النفسية للإنسان .

المطلب الأول: الطبيعة التكوينية لخصائص الإنسان في عمارة الكون:-

خلق الله ﷻ الإنسان من عنصرين مختلفين مادي ومعنوي "وهما عنصران متوازيان في التركيب والمطالب وتتألف حقيقة الإنسان منهما على أساس هذا التوازن "[1]، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾(الحجر: 28، 29)، وقال أيضا ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾(ص: 71، 72)، فقد امتزج في البنية الإنسانية الجانب المادي بالجانب الروحي فتكون من هذا المزج الإنسان بخصائصه التي تفرد بها ليكون محلا للصراع بين الجانب المادي وأوامره والجانب الروحي وأوامره وهذا هو سر الابتلاء[2]، وهذا الامتزاج دل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾(الإنسان:2)' فالأمشاج "هي الأخلاط جمع خلط بمعنى مختلط يقال مشجت الشيء إذا خلطته ومزجته"[3]، وهي "ممتزجة

---

1 - النجار، فقه التحضر الإسلامي، ص 114 .
2 - ينظر الجليند، خلل في مسيرة الأمة، ص 163 - 164 .
3 - الألوسي، روح المعاني (15 / 168)

من أنواع فخلق الإنسان منها ذا طبائع مختلفة"[1]، وكما كان كل مركب من أشياء مختلفة يحصل باجتماعهن معنى ليس بموجود فيهن على انفرادهن كالمركبات من الأدوية، والأطعمة، كذا الإنسان حصل منه معنى ليس في شيء من موجودات العالم، وذلك المعنى هو ما تخصص به من خصائصه التي بها تميز عن غيره من هيئات له[2]، مما جعله يتفرد عن بقية المخلوقات بالخلافة التي من مهامها عمارة الأرض، وهذا مما يفهم من قوله: (نبتليه) أي نبتليه بالإيجاد والكون في الدنيا[3]، وحقيقة الابتلاء "هو الاختبار لتعرف حال الشيء، وهنا هو كناية عن التكليف بأمر عظيم لأن الأمر العظيم يظهر تفاوت المكلفين به في الوفاء بإقامته"[4]، ومن هنا ندرك قيمة هذا التركيب، فالله ﷻ ذكر للملائكة المادة التي منها خلق البشر ليعلموا أن شرف الموجودات بمزاياها لا بمادة تركيبها كما أومأ إلى ذلك قوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾[5].

أولا: العنصر المادي وخصائصه:-

إن أصل العنصر المادي هو التراب الذي هو المادة الأولى التي تكوّن منها الجسد، ومن طبعه الرزانة والسكون والثبات، والتراب يكمن فيه الخير والبر والبركة كلما أثير وقلب ظهرت بركته وخيره وثمره، و منه طبعه أنه قوي لا يذهب مع الهوى أينما ذهب قهر هواه وأسره ورجع إلى ربه فكان الهوى الذي مع المادة الآدمية عارضا سريع الزوال فزال، وكان الثبات والرزانة أصليا له فعاد إليه [6]، مع ما يضاف إلى هذه المزايا من مزايا للعناصر الأخرى التي امتزجت بالتراب، وهي الماء والهواء والنار، والتي ذكرها الله ﷻ في معرض كلامه عن خلق آدم عليه السلام "فقد نبه على أنه جعله إنسانا في سبع درجات وأشار إلى ذلك في مواضع

---

[1] – القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (19 / 107) .
[2] – ينظر الأصفهاني، تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، ص 78 .
[3] – ينظر ابن عطية، المحرر الوجيز (5 / 409).
[4] –. ابن عاشور، التحرير والتنوير (29 / 374)
[5] – ابن عاشور، التحرير والتنوير (13 / 35)
[6] – ينظر يسري السيد محمد، بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن القيم (3 / 303)

مختلفة حسب ما اقتضته الحكمة، فقال في موضع: خلقه من تراب إشارة إلى المبدأ الأول، وفي آخر من طين إشارة إلى الجمع بين التراب والماء، وفي آخر من حمإ مسنون إشارة إلى الطين المتغير بالهواء أدنى تغير، وفي آخر من طين لازب إشارة إلى الطين المستقر على حالة من الاعتدال تصلح لقبول الصورة، وفي آخر من صلصال كالفخار وهو الذي قد أصلح بأثر من النار فصار كالخزف، ثم نبه الله على تكميل الإنسان بنفخ الروح فيه فقال تعالى: ﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ فهذه سبع درجات نبه عليهما الله تعالى"[1]،فمعنى " كونه مخلوقا من الطين أن ابتداء تكوّنِ ذرات جثمانه من عنصر التراب وأدخل على تلك الذرات ما امتزجت به من عناصر الهواء والماء والنار، وما يتولد على ذلك التركيب من عناصر كيماوية وقوة كهربائية تتقوم بمجموعها ماهية الإنسان"[2].

إنه علينا ألا نهمل هذا العنصر أو نغفل عنه في تربيتنا للإنسان الذي يقوم بعمارة الكون، فهذا العنصر هو السر في صلاحية الإنسان للاشتغال بالماديات التي لا تقوم الدنيا إلا بها، وذلك لأن المادة جزء من أجزاء تركيبه الخلقي، كما أن هذا العنصر سر من أسرار التميز، فقد خلق آدم عليه السلام من تراب فاختلف بهذه النشأة هو وذريته عن الملائكة وعلى أساس هذا الاختلاف اختلفت الحكمة في خلق كل منهما [3] .

البعد المعنوي للعنصر المادي:-

إن هذا العنصر المادي ليس مجرد مادة تخلو من أي بعد معنوي، وإنما هي مادة تحوي على طاقة، فتحول التراب إلى طاقة أمر بين ومتحقق عن طريق تلك السلسلة الغذائية، فمنه انتقلت إلى النبات ومن النبات انتقلت إلى الإنسان بطريق مباشر أو غير مباشر، وفي الإنسان يتحول هذا الغذاء إلى طاقة لها صور متعددة من خلايا حية وحركة وحرارة وإحساس وتفكير ومشاعر

---

[1] – الأصفهاني، تفصيل النشأتين، ص 72 .

[2] – ابن عاشور، التحرير والتنوير (23 / 192)

[3] – ينظر غازي صبحي آق بيق، آيات قرآنية، (1/ 67).

وكلام وغير ذلك، وفي ضوء هذا التفسير لتحول التراب إلى طاقة، أي تحول ما هو مادي إلى مادي ومعنوي يمكننا أن نفسر ما للذكر والاستغفار والعبادة والدعاء من دور في إمداد الإنسان بالطاقة الإيجابية وتخليصه من الطاقة السلبية فإذا كان للمادي أن يتحول إلى معنوي، فمن باب أولى أن يتحول المعنوي إلى معنوي أو بالأحرى أن تتحول الطاقة إلى طاقة، فالاستغفار والرقية والذكر وغيره كلام والكلمة طاقة، والعبادة البدنية من صلاة وصيام وحج حركة وتفاعل نفسي طاقة، والزكاة والإنفاق وما فيهما من تفاعل نفسي طاقة، فكل ما لهذه العبادات من آثار نفسية هي في حقيقتها إمداد للإنسان بالطاقة الإيجابية وتخليصه من الطاقة السلبية، ونلمس ذلك في تلك المعاني التي ارتبطت بهذه العبادات من الخشوع والبر والتقوى والبركة والشفاء.

مضمون تربوي:-

إن نشأة الجسد محكومة بقانون الانتخاب باعتبار أن الإنسان سلالة من طين، والذي يعتبر في حقيقته تفاعلا بين التراب والماء، ولهذا نجد أن هذين العنصرين اللذين تكون منهما الإنسان يلعبان دورا كبيرا فيه على المستوى الحسي والمعنوي، ومرد هذا الدور هو إمداده بالطاقة الإيجابية وتخليصه من السلبية، لذلك أولى الإسلام عناية كبيرة بأمور كثيرة لها علاقة بهذا الخصوص، ومنها طهارة البدن ففي الوضوء مثلا يقول ﷺ: (مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ خَرَجَتْ خَطَايَاهُ مِنْ جَسَدِهِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِهِ)[1]، و يقول ﷺ: (إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ – أَوِ الْمُؤْمِنُ – فَغَسَلَ وَجْهَهُ خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنَيْهِ مَعَ الْمَاء – أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاء – فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَ مِنْ يَدَيْهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ كَانَ بَطَشَتْهَا يَدَاهُ مَعَ الْمَاء – أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاء – فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتْ كُلُّ خَطِيئَةٍ مَشَتْهَا رِجْلاَهُ مَعَ الْمَاء – أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاء – حَتَّى يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ)[2]، فهذه الذنوب والخطايا هي طاقة سلبية تخلص منها الجسد بالطهارة، فالطهارة وإن كانت في بعض صورها حسية إلا أنها في حقيقتها معنوية، وهي أيضا

[1] – مسلم / كتاب الطهارة / باب خروج الخطايا مع ماء الوضوء / (1 / 149) حديث رقم 601 .
[2] – مسلم، صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب خروج الخطايا مع ماء الوضوء، (215/1)، رقم 244 .

قد تكون معنوية مع أننا بمقاييس الحس قد نحكم عليها بأنها ليست طهارة بمعنى النظافة، كما في التيمم الذي قد ينتج عنه بعض ما لا يعد نظافة، لذلك قسم الفقهاء الطهارة من حيث إنها نظافة إلى قسمين حسية ومعنوية، إلا أن الأصل فيهما هو النظافة المعنوية، ولعلنا نلمس ذلك في التعريف الاصطلاحي للطهارة حيث عرفت بأنها "صفة حكمية بها ما متعه الحدث أو حكم الخبث"[1] فالإباحة شيء معنوي تجسد في شيء حسي وهو الطهارة، والحدث في حقيقته قد يكون أمرا معنويا، لأنه ما خرج من أحد المخرجين إثر تفاعل حسي ومعنوي، لذا فهو قد يستنفد الكثير من الطاقة، ثم إن البعض منه (كالبول والغائط) كان نتيجة لتلك العملية التي ولدت الطاقة، واستخلصت ما ينفع وكان هذا الخارج مما لا ينفع، لذلك فهو في عرف الشرع نجاسة وهو مسمى له دلالته المعنوية كما أن له دلالته الحسية، والدلالة المعنوية هي أصل كل دلالة حسية، فما الحسي إلا تجسيد للمعنوي، فالحدث هو حدوث تفاعل وهو شيء معنوي تجسد في شيء مادي وهو النجاسة أو أسبابها مما استوجب الطهارة في وقت يحتاج فيه الإنسان إلى الطاقة التي استنزف الكثير منها، وهو وقت مخصوص نتج عن حركة كونية تمثلت في دوران الأرض التي هي أصل نشأته.

كما أن أصل نشأة الجسد لعب دورا كبيرا في علاج الكثير من الأمراض النفسية التي تستنفد الطاقة، ومن ذلك الغضب ففي دور التراب في امتصاص هذه الطاقة السلبية يقول ﷺ: (إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ قَائِمٌ فَلْيَجْلِسْ فَإِنْ ذَهَبَ عَنْهُ الْغَضَبُ وَإِلاَّ فَلْيَضْطَجِعْ)[2]، وفي دور الماء في ذهابه يقول ﷺ: (إِنَّ الْغَضَبَ مِنَ الشَّيْطَانِ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ خُلِقَ مِنَ النَّارِ وَإِنَّمَا تُطْفَأُ النَّارُ بِالْمَاءِ فَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَوَضَّأْ) [3].

---

1 – الصاوي، حاشية الصاوي على الشرح الصغير، (1 / 34).

2 – أبو داوود، سنن أبي داوود، كتاب الأدب، باب ما يقال عند الغضب، (664/2)، رقم 4782 . قال الألباني في الحاشية ، صحيح.

3 – أبو داوود، سنن أبي داوود، كتاب الأدب باب ما يقال عند الغضب، (664/2)، رقم 4784 . قال الألباني في الحاشية، ضعيف.

ثانيا: العنصر المعنوي وخصائصه:-

العنصر المعنوي هو الروح وهي لطيفة نورانية تفوّق بها الإنسان على جميع المركبات بأن كان فيه جزء ملكي شارك به الملائكة، ولذلك طلب منه خالقه تعالى وتقدس أن يلحق نفسه بالملائكة [1]، وهي "حقيقة علوية تتضمن من الخصائص ما يرشح الإنسان لإظهار صفات الحق،والخير، والحكمة، والكرم، والود، والرحمة والبر ونحوها" [2]، وهي صفات جعلها الله في الإنسان [3]، مما يتيح للإنسان "أن يبدع ثمارا ليست من ثمار هذه الأرض، إذا هو شغل نفسه بآيات الله في الكون أو ما تتضمن من معاني صفاته عز وجل، فإن تلك المعاني وحدها هي التي تتفاعل مع الروح وينشأ من تفاعلها ما شاء الله من ثمر"[4] فيتدرج الإنسان في مراقي الكمال والرفعة[5]، ومن طبعها أنها "طلقة غير خاضعة لقوانين المادة من أرقام وأحجام، وهي سر عجيب لا يمكن إدراك كنهه ولكن من الممكن إدراك آثاره؛ ومن ذلك ما لها من خصائص الإمداد والمعونة" [6]، و"بها أُودع الإنسان الاستعداد للاتصال بالملأ الأعلى"[7]، الذي يقرر له أهدافه وغايته العليا في الحياة، ويرسم له خطوط منهاجه، ويضيف إلى بشريته النزوع إلى مصدر القيم والمعارف التي تجعل له حقيقة الإنسان، ليحقق معالي الأمور وأقدس الصفات،وموالاة الحق، فكانت بذلك المعدن الخصب الذي تترعرع فيه القيم والمبادئ والفضائل التي يرتضيها الله [8].

---

[1] – ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير (23 / 192)

[2] – الخولي، آدم عليه السلام، فلسفة تقويم الإنسان وخلافته، ص 138 .

[3] – ينظر ابن العربي، الجامع لأحكام القرآن (4 / 1941)

[4] – الخولي، آدم عليه السلام، فلسفة تقويم الإنسان وخلافته، ص 38 .

[5] – ينظر الزحيلي، موسوعة قضايا إسلامية معاصرة (6 / 606)

[6] – الخولي، آدم عليه السلام، فلسفة تقويم الإنسان وخلافته، ص 129 .

[7] – مجموعة من العلماء، التفسير الموضوعي الميسر (5 / 279)

[8] – الخولي، آدم عليه السلام فلسفة تقويم الإنسان وخلافته، ص 33 .

المطلب الثاني: الطبيعة التكوينية وحكمة الخلق:-

إن وجود هذه الخصائص على هذا النحو من الطبيعة التكوينية أمر اقتضته الحكمة الإلهية لعمارة الأرض واستمرار الحياة وازدهارها ثم هو من مقتضيات الابتلاء "الذي بني عليه تكليف الإنسان واستخلافه في هذه الأرض"[1]، فحكمة الله اقتضت أن يخلقنا بهذه الخصائص التي منحنا إياها ليمتحننا ويبلو إراداتنا في ظروف هذه الحياة، وقدم لنا الأدلة المنطقية على ذلك وهي الأدلة المستندة إلى حكمة الخالق وعلمه وقدرته[2]، والابتلاء "هو اختبار الشيء لتُعرف حاله"[3]،وتحقق الابتلاء مرتبط بوجود هذه الخصائص، فقد جاء ذكره مقترنا بخلق الإنسان على هذا النحو من التكوين، وذلك في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً ﴾(الإنسان:2)، وفي هذا "بيان كاف للغاية من خلقه بصفاته وخصائصه الفكرية والإرادية والنفسية والجسدية"[4]، فالله سبحانه وتعالى خلق الإنسان على نحو معين يتناسب مع حكمة الابتلاء، ذلك الهدف الذي خلق من أجله، كما جعله على أفضل نحو من الوجود المناسب لتحقيق هذا الهدف، فلم يشأ أن يجعله ملكا لا علاقة له بالمادة، كما لم يشأ أن يجعله مادة خالصة لا روح فيها، بل قضى الله سبحانه وتعالى أن يجعله مزيجا من العالمين الروحي والمادي، وزاوج بينهما في وجوده الحسي لأن هذا هو أفضل نحو من الوجود المناسب لتحقيق معنى الابتلاء،فامتزاج المادة والروح في الإنسان جعل حياة الإنسان صالحة للابتلاء بما يشاء الله،حيث جعلت من حياة الإنسان نوعا من التفاعل والصراع بين مطالب المادة ومطالب الروح، مما ينعكس على سلوك الإنسان الفرد وعلى علاقته بالله والناس، وفي كل هذا يتحقق نوع معين من أنواع الابتلاء، حيث يسعى كل جانب من المادة أو الروح إلى تحقيق سيطرته على اتجاهات

1- القرضاوي، الإيمان والحياة، ص 253 .
2 – ينظر الميداني، العقيدة الإسلامية وأسسها، ص 63 .
3- ابن عاشور، التحرير والتنوير (29 / 375) .
4 – الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها، ص 342 .

الإنسان في سلوكه وعلاقته بغيره، والإنسان مطالب بأن يعدل بين الجانبين ومتطلباتهما ليكـون إنسانا سويا ليحقق التوازن بين الأوامر والرغبات، وهذا هو مقصد الابتلاء [1].

إن الابتلاء لا يكون إلا بدخول معترك الحياة والتفاعل مع عناصر الكون، وكل ذلك يحتاج من الإنسان مجاهدة ومكابدة وكدح، وهي أمور متأصلة في الطبيعة الإنسانية يقـول تعـالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلَاقِيهِ﴾(الانشـقاق: 6)، وقـال تعـالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾(البلد:4)، وهذا كله لا يتأتى إلا إذا تفاعل الإنسان بخصائصه مع عناصر الكـون اسـتثمار وتنمية وتعميرا، يقول ﷺ: (ليس الجهاد أن يضرب الرجل بسيفه في سبيل الله تعالى إنما الجهـاد من عال والديه وعال ولده، فهو في جهاد، ومن عال نفسه فكفها عن الناس فهو في جهاد) [2].

إن نكوص الإنسان عن العمارة وعدم قيامه بها لا ينفي وجود الخصائص، أو أنه غير مؤهـل للعمارة، بل السبب في ذلك هو أن الإنسان قد جهل قدر نفسه وشرف تكليفه ومسـئوليته [3]، أو أنه لم يدرك الحكمة من وجود ما أوتي من إمكانيات ومواهب ومؤهلات، فاكتفى بالحد الأدنـى من متطلباتها مما يلزمه به الجانب المادي من تكوينه، ولمثل هذا ضرب الله مثلا للنكوص عـن تفعيل ما أوتي الإنسان من إمكانات في قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(الأعـراف: 175، 176) "فالآية تضرب المثل للناس كافة إنما تدعوهم إلى ما في أنفسهم من آيات الكرامـة والمواهـب، حتى لا يكون حالهم من الهوان حال من انسلخ منها، وعموم المثل يدل على عموم المواهب فـي كافة البشر" [4].

---

[1] – الجليند، خلل في مسيرة الأمة، ص 167– 168 .

[2]- سبق تخريجه، ص 29 .

[3] – ينظر الخولي، آدم عليه السلام، ص 131 .

[4] – الخولي، آدم عليه السلام، فلسفة تقويم الإنسان وخلافته، ص 132 .

التوافق بين الطبيعة التكوينية للخصائص وبين طبيعة عملها:-

إن طبيعة عمل الخصائص تتوافق تماما مع طبيعة تكوينها، وذلك لأن الخصائص وجدت لحكمة قيام الإنسان بعمارة الكون والانتفاع بما سخر الله فيه من منافع متعددة ومتنوعة بين ما هو حسي وبين ما هو مادي، والترقي بهذين الجانبين ترقيا متكاملا ومتوازنا وهذا هو مجال عمل الخصائص في هذا الكون، وذلك لأن الله ﷻ ما خلق العالم على هذا النحو المملوء بالأسرار والسنن والمنافع وهيأ الإنسان للوصول إليها إلا لينتفع الإنسان به، يقول تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾(البقرة:29)، وهذا الانتفاع ذو معنى شامل يتسع لكل نفع مادي وروحي، ومن ذلك "الانتفاع بأعيانها في الحياة المادية، وبإدراكها في الحياة العقلية وبدلالتها في الحياة الروحية،وفي هذا إرشاد إلى خوض غمار الكون والبحث فيه، وتقصي نفعه ظاهره وباطنه"[1]، وهذا ما يتوافق مع طبيعة الخصائص المتمثلة في أن لها جانبين روحي وحسي، ولكل منهما رزق يناسبه يقوم به شأنه، للحسي زاد الحس، وللروحي زاده الروحي، ومن البديهي أن زاد الوجود الحسي هو ما قدر الله تعالى لنا من أقوات الأرض، وأما الوجود الروحي فزاده ورزقه هو معرفة الله عز وجل[2]، فالله تعالى جعل للناس في الكون أرزاقا كثيرة معنوية لا حصر لها، وراء أرزاقهم الحسية، منها أرزاق للقلب كالسعادة والطمأنينة وأرزاق للعقل كالعلم والحكمة، وأرزاق واقية من السوء منجية منه كالرحمة، وأرزاق في الصلات الاجتماعية كالود والكرم والبر، وأرزاق إيجابية ترشح لمعالي الأمور والنصر على العدو كالصبر والتقوى، وأرزاق يتضاعف بها التمر الحسي نفسه كالبركة ولهذه الأرزاق المعنوية سننها الروحية [3].

---

[1] – شلتوت، من توجيهات الإسلام، ص 119 .

[2] – يراجع الخولي، آدم عليه السلام فلسفة تقويم الإنسان وخلافته، ص 57، 58 .

[3] – ينظر الخولي، الثروة في ظل الإسلام، ص 36 .

المطلب الثالث: البعد النفسي لخصائص الإنسان في عمارة الكون:-

إن النفس في جانبها المعنوي شيء لا يمكن إدراكه بالحس، وإنما شيء نشعر به وندرك آثاره، وهي في أبسط معانيها ارتبطت بالطاقة الكامنة فينا، دل على ذلك قوله تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾(البقرة: 286)، وهذه الطاقة لابد أن يكون لها من مصدر تنشأ منه، وهما العنصر المادي والعنصر المعنوي، وهذه الطاقة تمثلت في القوتين المدركة والمتحركة، عليه ينبغي للتربية الإسلامية أن تناقش وتبحث في كيفية تحويل ما هو موجود بالقوة إلى موجود بالفعل وكيفية السيطرة عليه وتهذيبه، وأن تناقش مبدأ القابلية للخير وللشر ومرد كل منهما إلى الطاقة سواء كانت إيجابية أو سلبية .

الخصائص والقوى النفسية:-

إن هناك ثلاث قوى في الإنسان اختص بها دون غيره من المخلوقات وهي القوة الفكرية والقوة الشهوية والقوة الغضبية، وهي قوى شكلت جوانب الشخصية الإنسانية وإليها تعود جماع الفضائل أو الرذائل، ففضيلة القوة الفكرية الحكمة والعلم وفضيلة القوة الشهوية العفة والجود وفضيلة القوة الغضبية الحلم والشجاعة، أما عن دور التربية في هذا كله هو تطهير هذه القوى الثلاث حتى يتحقق للإنسان الكمال، وذلك بأن يحصل للنفس العدالة والإحسان ويحصل منها الخير [1]، ولعل هذا من معاني قولهﷺ: (أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا، وخياركم خياركم لنسائهم خلقا) [2].

[1] – يراجع الغزالي، ميزان العمل، ص 46، الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص 39 .

[2]– الترمذي، سنن الترمذي، كتاب الرضاع، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها، (466/3)، رقم 1162، وقال: حديث أبي هريرة هذا حديث حسن صحيح.

إن هذه القوى ذات علاقة قوية بالخصائص؛ لأنها تولدت عنها، فالقوى الفكرية لها علاقة بخاصية التعقل، والقوة الغضبية لها علاقة بخاصية حب الخلود مما يدفع بالإنسان إلى التدافع للمحافظة على بقائه، وبخاصية الانتماء التي تقتضي الدفاع عن الوطن، وكذلك النزعة الاجتماعية التي تقتضي الحمية والعصبية، والقوة الشهوية لها علاقة بخاصية التملك وكذلك خاصية الانتماء إلى الأرض وكذلك النزعة الاجتماعية.

إن هذه القوى ذات علاقة كبيرة بالمهمة التي أوكلت للإنسان بموجب الاستخلاف، " فالقوة الجاذبة الجالبة للملائم هي الشهوة، وجنسها من المحبة والإرادة، ونحو ذلك، والقوة الدافعة المانعة للمنافي هي الغضب وجنسها من البغض والكراهة، وهذه القوة باعتبار القدر المشترك بين الإنسان والبهائم هي مطلق الشهوة والغضب، وباعتبار ما يختص به الإنسان العقل والإيمان والقوى الروحانية المعترضة"[1]، و" الإنسان يحتاج أن يستعمل هذه القوى في الدنيا كما يجب،وفي وقت ما يجب وبقدر ما يجب وأن يميط فضولاتها قبل خروجه من الدنيا حسب ما وردت به الشريعة " [2]، كما أن "الله سبحانه وتعالى ركب هذه القوى في الإنسان لمصالح اقتضتها حكمته ولا يطلب تعطيلها، وإنما تصرف مجاريها من محل إلى محل، ومن موضع إلى موضع، ومن تأمل هذا الموضع وتفقه فيه علم شدة الحاجة إليه وعظم الانتفاع به"[3].

تكامل القوى في مجال التعمير:-

إن هذه القوى الثلاثة تتكامل فيما بينها في قيام الإنسان بالعمارة، فالقوة الفكرية تعتبر أساسا مهما لقيام العمارة لذلك انطلقت كل الحضارات في قيامها من عالم غيبي، وكان للفكرة الدينية دورها في قيام الحضارة، كما أن الإيمان هو أساس العمل وشرط من شرائطه، علاوة على أن القوة الفكرية تمثل العقل الذي يعني التعلم، أما القوة الشهوية فهي قوة تدفع بالإنسان إلى السعي

---

1 – ابن تيمية، التفسير الكبير (6 / 4، 5)

2 – الأصفهاني، تفصيل النشأتين، ص 169 .

3 – ابن القيم، جامع الآداب (3 / 9)

في العمارة والكسب وتأمين متطلباته الحسية والمعنوية أيضا، أما القوة الغضبية فهي قوة بها تحمي المنجزات ويدافع عنها وهذا مما يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾(الفرقان: 68)، فهذه الأمور الثلاثة التي ذكرتها الآية بينت لنا ما يتعلق بهذه القوى، " فالكفر متعلق بالقوة العقلية الناطقة الإيمانية،ولهذا لا يوصف به من لا تمييز له، والقتل ناشئ عن القوة الغضبية وعدوان فيها،والزنا عن القوة الشهوانية، فالكفر اعتداء وفساد في القوة العقلية الإنسانية، وقتل النفس اعتداء وفساد في القوة الغضبية، والزنا اعتداء وفساد في القوة الشهوانية"[1].

المطلب الرابع: طبيعة التكوين والنظرية التكاملية في التربية الإسلامية:-

تقوم النظرية التكاملية على مبدأ مهم مرتكز على الطبيعة التكوينية التي مثلتها هذه الخصائص، وهو أن الروح والمادة في الإنسان ليستا " منفصلتين أو مستقلتين إحداهما عن الأخرى، وإنما هما ممتزجتان معا في وحدة متكاملة متناسقة تتكون من هذا المزيج المتكامل المتناسق ذات الإنسان وشخصيته" [2]، إن تحقيق التكامل بين الروح والجسد فيما يصدر عن الإنسان من سلوك هو أمر ضروري لتحقيق سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة، وهو من الخصائص التي امتازت بها العقيدة الإسلامية[3]، لذلك ينبغي أن يكون مبدأ تربويا تعتمده التربية نظرية وتطبيقا، ذلك لأن" طريقة الإسلام في التربية هي معالجة الكائن البشري كله معالجة شاملة لا تترك منه شيئا ولا تغفل عن شيء، جسمه وعقله وروحه، حياته المادية والمعنوية وكل نشاطه في الأرض"[4]، وقد "تضمنت مناهجها لخدمة هذه الجوانب وحدات أساسية من القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، والعقائد والعبادات، والقصص

---

1 – ابن تيمية، التفسير الكبير، (6 / 5).

2 – الراوي، قضايا تربوية عربية في رؤى إسلامية، ص 247.

3 – ينظر خطاطبة، المضامين التربوية في العقيدة الإسلامية، ص26، 27 .

4 – قطب، منهج التربية الإسلامية، (1/ 18).

والسيرة،والتهذيب،والمعاملات،ليكمل كل فرع منها، جانبا أو أكثر من جوانب هذه الشخصية، أو ينمي استعدادا من استعداداتها"[1].

ومن الممكن بيان ما يتعلق بالنظرية التكاملية فيما يأتي:

1- بيان الخلل الذي أصاب الفكر الإنساني:-

إن هناك خللا كبيرا أصاب التفكير الإنساني عندما اعتمد في نظرته للإنسان على مبدأ التفاضل بين هذين العنصرين (الروح والجسد)، وغض الطرف عما نتج على تكاملهما من خصائص، الأمر الذي أدى إلى وجود فلسفات تربوية أخطأت في أحكامها وتقييمها للذات الإنسانية وما يتعلق بها من أمور وعلوم ومن ذلك ما نتج من نظريات في الفصل بين الدين والعلم وبين العقل والمادة وبين الروح والجسد، كما أن هذا الفصل أدى إلى تعطيل العقل البشري زمنا طويلا عن فهم حقائق الحس كما عطله ولا يزال يعطله عن فهم حقائق الأديان،ولمعالجة هذا الخلل ينبغي للتربية في مناهجها وتطبيقاتها وأبحاثها، أن توجه العقل إلى التفكير في آثار هذا الازدواج بين المعنوي والحسي وذلك في شتى العلوم التي تخدم الإنسان في رسالته، وهذا أمر من الممكن الاستدلال عليه بما هو ملموس، وبخاصة "أن العلم أثبت أن ذرات التراب وذرات الضياء من معدن واحد وأنه من الممكن أن يتحول الحجر إلى شعاع كما يتحول الشعاع إلى حجر"[2]، أي أن تتحول المادة إلى طاقة وتتحول الطاقة إلى مادة.

2- بيان النظرية التكاملية:

هناك حقيقة مفادها أن "الإنسان غير قابل إلى التقسيم إلى أجزاء، فلو فصلت أجزاؤه بعضها عن بعض لكف عن الوجود، وعلى الرغم من عدم قابليته للتجزئة فإن له جوانب

---

[1] - إبراهيم، التربية الإسلامية وأساليب تدريسها، ص 47.
[2] - العقاد، الإنسان في القرآن، ص 26 .

منوعة"[1]،والإسلام لا ينظر إلى الإنسان نظرة ثنائية تنفصل فيها الروح عن الجسد، بـل ينظـر الإسلام إليهما نظرة عضوية متكاملة، ويعتبر كلا منهما ضروري للآخر، ولكل منهما حقه على صاحبه، بل إن الجسد هو مطية الروح، وأداتها ووسيلتها في تأدية الواجبات الدينية [2]، أي أنـه ينظر إليه على أنه كيان ممتزج متكامل مترابط الأجزاء، لا ينفصل فيه الروح عـن الجسـد ولا الجسد عن الروح[3]، وعلى هذا الأساس تنبني النظرية المتكاملة في تربية الإنسان .

إن هذه النظرية الكلية الشاملة للإنسان مع مراعاة الأجزاء المكون منها والجوانب المختلفـة المركب منها، كانت محط اهتمام في التربية الإسلامية والنظر بعمق وإدراك ووعـي وتخطـيط وتوجيه وتنفيذ، لتكون من المبادئ التي اعتمدتها التربية الإسلامية في تعاملها مع الإنسان، علـى المستوى النظري والتطبيقي وهذا ما نلاحظه في أحكام الشرع، " فقد شرعت الأحكام الشـرعية أصلا لمعالجة هذا الإنسان الكامل، ولتشمل جميع جوانبه وتلبي لـه احتياجاتـه، وتـروي لـه متطلباته، وجاءت الشريعة الغراء لتأمين مصالح الإنسان فنصت على كل منها، وبينت أهميتهـا وخطورتها ومكانتها في تحقيق السعادة للإنسان، ثم أنزلت الأحكام لتحقيقها وكان منهج التشـريع في ذلك يسير على خطين متوازيين، أحدهما: ينص على الأحكام الشرعية التي تـؤمن وجـود الإنسان، وإيجاد مصالحه وتكوينها، والثاني يبين الأحكام الشرعية لحفظ الإنسان وحفظ مصالحه وصيانتها ورعايتها ومنع الاعتداء عليها، أو الإخلال بها، مع النص على ضـمانها والتعـويض عنها"[4]، لدى فإن" غرض التشريع هو أن يتعاون مع التوجيه في التأليف بين الشـكل والحقيقـة وبين الظاهر والباطن ليتم في داخل الإنسان تنسيق جميع قواه الفطرية فلا يكون توجهه إلـى الله بمجرد قلبه ونياته، بل بحواس وجوارح تظهر وتتسامى"[5].

1 – ألكسيس كاريل، الإنسان ذلك المجهول، ص 71 .
2 – ينظر مرسي، فلسفة التربية اتجاهاتها ومدارسها، ص 245 .
3 – ينظر قطب، منهج التربية الإسلامية، (1/ 21).
4 – الزحيلي، موسوعة قضايا إسلامية معاصرة (6 / 446)
5– صبحي الصالح، معالم الشريعة الإسلامية ص115 .

إن الإسلام يجاري هذه الفطرة في تركيبها وفي واقعها، فهو لا يفصل بين الروح والجسم، ولا يفصل في واقع الحياة بين الطاقات، بل يأخذها بفطرتها السوية ممتزجة مترابطة، ويرسم لها دستورها على هذا الأساس، الروح والجسم كيان واحد مترابط اسمه الإنسان، والروح والجسم يعملان ممتزجين مترابطين في واقع الحياة، يجاري الفطرة في تركيبها فهو يسمح ببروز بعض الجوانب أحيانا وانحسار بعضها، فيجعل ساعة للعبادة وساعة للتفكر وساعة للعمل وساعة للاستمتاع، ولكنه يجاريها كذلك في ترابط الجوانب كلها وامتزاجها، فلا يسمح بفصل جانب عن بقية الجوانب، أو إبراز جانب بكبت الجوانب الأخرى في أي وقت من الأوقات، فساعة العبادة ليست تهويمة روح خالصة، وإنما حركة جسم وحركة روح وانطلاقة روح، والصلاة تظهر فيها بوضوح هذه الحقيقة، ثم كل عمل في الإسلام عبادة ما دام يتجه به الإنسان إلى الله، وساعة التفكر_ أيا كان لونه وهدفه_ لا تنقطع عن صلتها بالروح، وساعة الجسد الخالصة لا يفصلها الإسلام عن الروح[1].

3- **الأهمية التربوية للنظرية التكاملية (بين النظرية والتطبيق):-**

إن فكرة كون الإنسان أكبر من مجموع أجزائه لها أهمية كبيرة في ميدان دراسة الإنسان وتصوره بصورة متكاملة، ثم تربيته وفقا لتلك الدراسة والتصور المتكامل لجميع جوانبه المتكاملة[2]، وعليه فإنه من المهم تربويا إبراز أن فطرة الإنسان مركبة من هذين العنصرين تركيبا يخلق لها خصائص معينة، وإن لكل عنصر منهما مطالبه بحيث إذا لم تلب مطالب كل من العنصرين أو أحدهما لن نكون أمام الإنسان السوي الذي خلقه الله [3]، فالتربية لا تنجح في سعيها ولا تكون ذات فائدة إلا إذا أحاطت بالإنسان إحاطة شاملة من جميع الوجوه والنواحي التي يتركب منها، "فهذه التقسيمات هي للدراسة والبحث فلا انفصال فيها ولا حدود بينها وهي

---

[1] - ينظر قطب، منهج التربية الإسلامية، (1/ 24، 25).

[2] - ينظر مطر، التغير الاجتماعي دراسة تحليلية من منظور التربية الإسلامية، ص 74 .

[3] - ينظر دنيا، الإسلام والتنمية، ص 52 .

تتفاعل مع بعضها ويؤثر بعضها في الآخر، ولابد من الرعاية الكاملة والاهتمام الكافي لجميع هذه الجوانب"[1].

إن هذه الوسطية في التعامل مع الخصائص من المبادئ التربوية الإسلامية التي قامت عليها حياة المسلمين فكرا وسلوكا، فإذا بهذه الحياة تقوم على" العدل في التصور الوجودي يتخذ فيه العالم المادي باعتباره حقيقة واقعية مأخوذة بالاعتبار والاحترام منطلقا للتعمير، ومزرعة للاستثمار، ولكنهما تعمير واستثمار لا يبتغيان لذاتهما بل يتجه بهما إلى الوجود الأكمل، وهو وجود الله تعالى ابتغاء لمرضاته، وإذا بصورة الحياة تجري على توازن بين مطالب الجسم المادية ومطالب الروح المعنوية، تمتعا بطيبات الرزق دون حرمان في اتجاه روحي إلى الله تعالى بالعبادة، كما تجري على توازن بين حقوق الفرد وحقوق المجتمع دون إهدار لهذا أو لذاك، وتجلى العدل كله في الحضارة الإسلامية في آثارها المكتوبة والمرسومة، وفيما بقي منها ساريا في حياة الأمة، مثل المدن الإسلامية التي امتزج فيها المعمار المادي مع البعد الروحي المتمثل في صياغتها على أساس التوحيد، بحيث يمكن القول إن هذه الوسطية كانت قاعدة أساسية من قواعد التحضر الإسلامي في جوانبه الفكرية والسلوكية التعميرية على حد سواء" [2].

إن "هذا المزج في النظرة إلى الإنسان يصل إلى نتائج معينة تحدد سمات الإنسان الصالح،وتبرزه حقيقة ملموسة في واقع الحياة، وهو ما يضمن استغلال طاقات الإنسان كلها، فلا تهدر طاقة واحدة يمكن أن ينتفع بها الإنسان في إعمار الأرض والخلافة عن الله، فهذه الثروة المتمثلة في الكيان البشري ثروة ثمينة متفردة من نوعها، عجيبة في النتائج التي يمكن أن تصل إليها"[3].

---

1 – الزحيلي، موسوعة قضايا إسلامية معاصرة (6 / 445)

2 – النجار، فقه التحضر الإسلامي، ص 116 .

3 – قطب، منهج التربية الإسلامية، (1 / 26)

4- منهج التربية الإسلامية في تحقيقها للتكامل بين الجانبين:-

إن نظرة الإسلام التكاملية للإنسان تعترف بهذه الطبيعية التكاملية وتضع لها المنهاج الذي يسايرها ويحل مشكلاتها، ويجيب عن التساؤلات التي عجزت نظم التربية الأرضية عن الإجابة عليها، فالإسلام يعرف الإنسان بنفسه، ويبصره بمقوماته وتطلعاته، بحقيقته المادية وحقيقته الروحية، كما يعرف الإنسان بإمكانات الخير والشر الكامنة فيه ومعايير التمييز بينهما ويعرف الإنسان بحدود إرادته ومدى ما تتمتع به هذه الإرادة من تخيير وتسيير[1]، كما أن الإسلام يؤمن بالكيان المحسوس وبما له من مطالب وما فيه من طاقات، فيستجيب لحاجاته وطاقاته، فيوفر له المأكل والملبس والمسكن والجنس، ونصيبه من المتاع، ويجند طاقاته لتعمل في تعمير الأرض،وإنشاء النظم وتشييد الحضارات؛ وفي الوقت ذاته يؤمن بالكيان الروحي للإنسان وبما له من مطالب وما فيه من طاقات، فيعطيه ما يطلبه من عقيدة وصعود وترفع، ويجند طاقاته في إصلاح كيان النفس وإصلاح شرور المجتمع، وإقامة الحق والعدل[2].

إن منهج التكامل بين هذين الجانبين اللذين يشكلان القوة العلمية، والقوة العملية في الإنسان،مبني على ما يكمل به كل منهما، فالقوة العلمية تكمل بالإيمان، والقوة العملية تكمل بالعمل الصالح، وبارتباط الإيمان والعمل الصالح بعضهما ببعض، ولا يكون ذلك إلا بالتزام الحق والصبر عليه، ليحدث التكامل والكمال الإنساني ويحصل الفلاح له في الدنيا والآخرة(3)،يقول تعالى: ﴿ وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾(العصر: 1 – 3)، يقول ابن القيم :" أقسم سبحانه وتعالى بالدهر الذي هو زمن الأعمال الرابحة والخاسرة على أن كل واحد في خسر إلا من كمل قوته العلمية بالإيمان بالله

---

[1] – ينظر الفرحان وآخرون، نحو صياغة إسلامية لمناهج التربية، ص 68 .
[2] – ينظر قطب، منهج التربية الإسلامية، (1/ 20، 21).
[3] – ابن القيم، جامع الآداب (3 / 9– 10)

وقوته العملية بالعمل بطاعته فهذا كماله في نفسه، ثم كمّل غيره بوصيته له بذلك، وأمره إياه به وبملاك ذلك وهو الصبر، فكمّل نفسه بالعلم النافع والعمل الصالح وكمّل غيره بتعليمه إياه ذلك ووصيته له بالصبر عليه"[1].

أما عن كيفية تحقيق هذا التكامل بين الجانبين فهو يتم عبر مرحلتين، الأولى يتم فيها تشبع النفوس وتشرب القلوب بالمعاني السامية والقيم النبيلة وهذا ما يعنيه الإيمان وهي ليست معان مجردة بل هي معان وقيم يمكن تطبيقها وتجسيدها في الواقع بتأطيرها في أعمال ومؤسسات تخدم الإنسان وهذه هي المرحلة الثانية، وهذا مما أقره علماء الحضارة في كيفية بنائها وتكامل جانبيها، حيث " تتمثل الحضارة في عالم الروح بتجسد الروح في مجموعة من القيم والمبادئ العظيمة تسكن نفوسا كبيرة لقوم كبار، ثم تبدأ التغذية الطبيعية من عالم الروح لعالم المادة حيث يحاول المجتمع الوليد أن يبني مؤسسات يقيم بها أود حياته المادية، مؤسسات سياسية واجتماعية واقتصادية "[2]، ولعلنا نلمس هذا في المرحلتين اللتين مرت بهما الدعوة الإسلامية في عهده ﷺ،ففي العهد المكي كان التركيز على غرس القيم في النفوس وذلك ما حققه الإيمان عن علم وقناعة، وقد كان للفطرة دور تربوي كبير في غرس هذه القيم والمعاني، ثم جاء دور البيئة التربوي في إشرابها في القلوب، فهي قيم قد تجسدت في شخصه ﷺ وذلك عندما طبقها بينهم، وهم قد أحبوه وأمروا بالاقتداء به، وبذلك أحبوا هذه القيم والمعاني، وتمكنت من نفوسهم عندما وضعوا على المحك وتعاملوا مع نقيضها فيما جسده المشركون من قيم نقيضة لها، ولعل هذا هو السر في أن يمكث المسلمون في مكة طيلة هذه السنوات في ظلم واضطهاد، أما في العهد المدني فقد كان التركيز على تجسيد هذه القيم في أعمال تمثلت فيما فرض على المسلمين من عبادات ومعاملات، طبقت على المستوى الفردي والجماعي في كافة جوانب الحياة ومرافقها، وكذلك تجسدت هذه القيم في مؤسسات الدولة المختلفة، وهذا مما يلاحظ في الأسس الثلاث التي قامت

---

[1] – ابن القيم، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، (1 / 30).
[2] – سيد دسوقي حسن، دراسة قرآنية في فقه التجدد الحضاري، ص 7 .

عليها دولة الإسلام في المدينة (المسجد، المؤاخاة، المعاهدات)؛ وهي أسس تقابل في وقتنا الحاضر ما يدعو إليه دعاة الإصلاح السياسي من ضرورة وجود دولة المؤسسات والمجتمع المدني والدستور .

المطلب الخامس: مضامين تربوية لثنائية تكوين الخصائص:-

1- إن مجرد وجود الازدواج في تكوين الإنسان "لا يعطي صورة صحيحة عن الكيان الإنساني المتفرد عن جميع المخلوقات فهناك مظهر آخر لهذا الكائن تنبني عليه في الحقيقة كل حياة الإنسان فهذا الكيان مع ازدواجه ليس مكونا من عنصرين منفصلين يعمل كل منهما وحده في اتجاه، بل هو كيان جسمي روحي فالعنصران مختلطان ممتزجان مترابطان تكون منهما كيان واحد مختلط ومزدوج الصفات متكاملهما"[1]، أي "أن هذا المركب الإنساني ليس مادة فقط وليس روحا فقط، كما أنه ليس مادة وروح وكفى، وإنما مادة وروح وعناصر جديدة نتجت عن مزج الجانب المادي بالجانب الروحي، وهذه العناصر الجديدة لا سبيل للعقل البشري إلى معرفتها، لأنها ليست خاضعة لمقاييس الحواس لكنها تؤثر في حياة الإنسان إيجابا وسلبا،يعيش الإنسان أثرها في حياته، وهي تمثل المناطق المظلمة في النفس البشرية التي هي محل الإعجاز الإلهي، كما قال تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (الذاريات:20،21)، والإنسان مطالب بأن يعدل بين هذه الخصائص ومتطلباتها ليكون إنسانا سويا، فالله قد خلق الإنسان ليبتليه، وليعرف كيف يحقق التوازن بين هذه الأوامر والرغبات التي يتصل بعضها بالمادة، ويتصل بعضها الآخر بالروح، كما يتصل البعض ثالثا بالخصائص الجديدة عن مزج الجانب المادي بالجانب الروحي ليتكون منها هذا الكائن العجيب الإنسان"[2]، وينبني على هذه الحقيقة "أن الإنسان في حالته السوية يؤدي نشاطه الجثماني على طريق الإنسان لا على طريقة الحيوان، ويؤدي نشاطه الروحاني على طريق الإنسان كذلك لا

1- ، قطب، دراسات في النفس البشرية، ص 47 .

2 - الجليند، خلل في مسيرة الأمة، ص 164 – 165 .

على طريقة الملائكة أي أنه يؤدي كلا نشاطيه بكيانه الموحد لا بأي من عنصريه منفصلا عن الآخر"[1]

2- إن هذه الثنائية في تكوين الإنسان وما تولد عنها من خصائص هي التي ميزت الإنسان عن بقية المخلوقات، فبها "قد جمع الله فيه قوى بسائط العالم ومركباته وروحانياته وجسمانياته ومبدعاته ومكوناته، لذلك وُصف بأنه العالم الصغير وأنه صفوة العالم ولبابه وخلاصته،ولكون العالم والإنسان متشابهين إذا اعتبر قيل: الإنسان هو عالم صغير، والعالم إنسان كبير،ولذلك قال تعالى: ﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (لقمان:28) فأشار بالنفس الواحدة إلى ذات العالم "[2].

هذا من جهة ومن جهة أخرى قد جعلت منه كائنا متفردا لكون غيره من المخلوقات ذا طبيعة واحدة ذات وجهة واحدة، فالحيوان مخلوق ذو طبيعة واحدة تتحدد بحدود الجسد القوي والتصرفات الفطرية _ جسمه هو مصدر طاقته وتصرفاته الفطرية هي عالمه بأكمله يأكل ويشرب ويؤدي عملية الجنس بدافع جسدي بحث لا إدراك فيه لهدف أو لا تصرف فيه في وسيلة_ والملك مخلوق ذو طبيعة واحدة كذلك وذو اتجاه واحد، مخلوق يعيش في نطاق روحي ومطيع توجيهاته بلا إرادة ذاتية ولا تصرف ذاتي، وهو وإن لم يكن له قوى جسمية لأنه ليس جسما ماديا إلا أن له قوى روحية تعمل بوحيها في كل أمر دون تفكير أو تصرف أو اختيار أي ذا طبيعة واحدة تعمل في اتجاه الروح [3]، وبهذا تميز الإنسان في كونه "المخلوق الوحيد المزدوج الطبيعة، القادر على أكثر من اتجاه وهذا الازدواج هو طابع كيانه كله وهو متغلغل في كل أعماقه فلا يوجد عمل ولا شعور ولا فكر ولا تصرف لا تبدو فيه هذه الظاهرة الفذة المتميزة"[4].

1- سعيد إسماعيل علي، القرآن الكريم رؤية تربوية، ص 95 .

2 - الأصفهاني، تفصيل النشأتين، ص 78 .

3- ينظر قطب، دراسات في النفس البشرية، 41 – 42 .

4- سعيد إسماعيل علي، القرآن الكريم رؤية تربوية، ص 92 .

3 – إن عملية التكامل بين الجسد الذي أصله التراب وبين الروح ليست مجرد تركيب وتآلف بينهما فقط، بل هو تفاعل بين ما لكل منهما من صفات أدى إلى وجود هذه المواهب والقوى،حيث "تمثل الروح في النفس الإنسانية القوة النظرية العالمة التي من شأنها أن تتلقى المعاني الكلية المجردة عن العوارض التي تجعلها محسوسة جزئية، وهي جانب دائم القبول عما فوقه من عالم، ويمثل الجسد القوة العملية التي لها عملها فيمن دونها من عالم" [1]، ولعل هذا ما يوحي به التعبير القرآني﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾(الروم:20)،فالبشرية هي القوة المدركة، والانتشار هو القوة المتحركة المتصرفة،وهما صفتان أبعد ما تكونان من التراب[2]، ووجه الحكمة في ذلك هو "أنه تعالى رشحه لعبادته وخلافته وعمارة أرضه، وهيأه مع ذلك لمجاورته في جنته، اقتضت الحكمة أن تجمع له القوتان (المعقول والمحسوس) فإنه لو خلق كالبهيمة معرى من العقل لما صلح لخلافة الله وعبادته كما لم يصلح لذلك البهائم، ولا لمجاورته ودخول جنته، ولو خلق كالملائكة معرى من الحاجة البدنية لم يصلح لعمارة أرضه كما لا تصلح لذلك الملائكة حيث قال تعالى في جوابهم (إني أعلم ما لا تعلمون) فاقتضت الحكمة الإلهية أن تجمع له القوتان وفي اعتبار هذه الجملة تنبيه على أن الإنسان دنيوي أخروي، وأنه لم يخلق عبثا"[3]، كما نبه عليه قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾(المؤمنون: 115)، كما أن كمال الإنسان لا يكون إلا بكمال وتكامل كل من القوتين: العلمية التي تكمل وترتقي بالإيمان، والقوة العملية التي ترتقي وتكمل بالعمل الصالح[4]، يقول تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾(العصر: 1 – 3) .

1 – الغزالي، ميزان العمل، ص 27 – 28 .
2 – يراجع الرازي، التفسير الكبير (12 / 222)
3 – الأصفهاني، تفصيل النشأتين، ص 90، 91 .
4 – ينظر ابن القيم،جامع الآداب (3 / 9)

4- بامتزاج هذين العنصرين وتكاملهما وما نتج عنه من خصائص ذات معان سامية قابلة للتجسد، أصبح الإنسان حلقة وصل بين عالمين، عالم الملك وعالم الملكوت، "فبالروح يستنزل الإنسان القيم والمبادئ من عالم السماء، وبها أمكنه تلقي وحي ربه وفهمه، و بها يتاح للإنسان أن يبدع ثمارا ليست من ثمار هذه الأرض، إذا هو شغل نفسه بآيات الله في الكون أو ما تتضمن من معاني صفاته عز وجل، فإن تلك المعاني وحدها هي التي تتفاعل مع الروح وينشأ من تفاعلها ما شاء الله من ثمر" [1]، وبالجسد استطاع أن يطبق ما جاءه من أوامر إلهية ليجسد هذه المعاني والقيم واقعا ملموسا في أفعال وأقوال ومؤسسات نافعة يعمر به الكون ويقيم فيه حضارته الخيرة، وبهذا "اجتمع مقوما العمل فما على الإنسان إلا أن يستحضر نية ابتغاء وجه الله ليكون هذا العمل مكتملا في لبه الباطن المتمثل في مادة الحق التي يستنزلها الإنسان من أفقه الأعلى وفي صورته الظاهرة المتمثلة فيما يؤديه من حركة ظاهرة" [2].

5- إن التركيب قد يدخل على المادة الأولى شرفا وقد يدخل عليها حقارة والتفاضل إنما يتقوم من الكمال في الذات والآثار[3]، لذلك أخطأ إبليس عليه اللعنة في حكمه على آدم في قياسه الباطل في قوله تعالى:﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ (ص: 76)، فهو لم ينظر إلى آدم عليه السلام ككيان متكامل بل اكتفى بالنظر إلى الجسد المخلوق من الطين، "وهذا ضلال نشأ عن تحكيم الأوهام وإعطاء الشيء حكم وقعه في الحاسة الوهمية دون وقعه في الحاسة العقلية وإعطاء حكم ما منه التكوين للشيء الكائن"[4] ومن هنا يمكن تقرير قاعدة ذات بعد تربوي في تقدير قيمة الأشياء وأفضليتها، وهي "أن حقائق العناصر عند الله تعالى لا تتفاضل إلا بتفاضل آثارها وأعمالها وأن كراهة الذات أو الرائحة إلى حالة يكرهها بعض الناس أو كلهم إنما هو تابع لما يلائم الإدراك الحسي أو ينافره تبعا لطباع الأمزجة أو لإلف

[1] – الخولي، آدم عليه السلام، فلسفة تقويم الإنسان وخلافته، ص 38 .
[2] – الخولي، آدم عليه السلام، ص 154، 155 .
[3] – ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير (23 / 192)
[4] – ابن عاشور، التحرير والتنوير (13 / 37)

العادة، وهذا هو ضابط وصف القذارة والنزاهة عند البشر، وهو تأصيل لكون علم الحقائق غير خاضع لعلم الأوهام[1]، كما "أن أفضلية العناصر لا تقتضي أفضلية الكائنات المنشأة منها، لأن العناصر أجرام بسيطة لا تتكون المخلوقات من مجردها بل المخلوقات تتكون بالتركيب بين العناصر، والأجسام الإنسانية مركبة من العناصر كلها "[2].

كما ينبغي أن ننظر إلى أن هذه الأفضلية لتميز الإنسان وتأهيله لواجب العمارة قد تأسست من هذين العنصرين معا لا من وجود الروح فقط، "فمواهب الروح التي نفخها الله فيه _ وهي مواهب وصفية محضة، تتعلق بالمعنويات لا بالمحسات_ لا ترشحه وحدها لمزاولة أي غرض جليل في هذه الأرض، وهذا الخليفة الممتاز يجب أن يهبط إلى أرضه وهو مجهز بالملكات التي تمكنه من الهيمنة عليها واستخراج ما في كنوزها من خير وثروة، أو يهبط إليها وهو يحمل معه بأمر الله مفاتيح كل شيء فيها، وذلك هو بعض مقتضيات الخلافة وأيسر شرائطها التي لابد منها، إن الله لم يرد للخليفة أن يكون ملكا محضا ولا حيوانا محضا، وإنما أراده بشرا مسيطرا في هذه الأرض، يفعل فيها ما لا يستطيع الملائكة، وما لا يستطيع الحيوان، وذلك يقتضي تجهيزه بسر ليس للملك ولا للحيوان، سر يفتح له كل ما في الأرض من خزائن وكنوز، ويذلل له كل ما فيها من عقبات"[3].

6- إن الخصائص الناتجة عن هذه الطبيعة المزدوجة تستجيب إلى التعادلية في تعاملها مع عناصر الكون فينتج عن ذلك العمارة الكاملة باستثمار كل مرافق الكون الروحية والمادية والانتفاع منها، كما أنها تستجيب لخرقها فتنحرف العمارة عن مقصدها [4] إن هذه التعادلية ينبغي أن تكون في كل خاصية بحيث تكون كل خاصية في حدها الوسط فلا ميول فيها إلى جانب دون جانب، ولا إفراط ولا تفريط في تعاملها مع جانب معين دون جانب في عناصر

---

1 - ابن عاشور، التحرير والتنوير (13 / 36)

2 - ابن عاشور، التحرير والتنوير (23 / 192)

3 - الخولي، آدم عليه السلام، فلسفة تقويم الإنسان وخلافته، ص 111 - 112 .

4- ينظر المطرودي، الإنسان وجوده وخلافته في الأرض، ص 416 .

الكون، كما ينبغي أن تكون هذه التعادلية فيما بين الخصائص كلها بحيث تكون متزنة على خط واحد يوجهها غاية واحدة وهي عبادة الله تعالى، والضامن في كل ذلك هو ضبطها بضوابط الشرع، ونظمها في سلك العبودية لله تعالى .

إن الإخلال بهذه التعادلية في ذات الخصائص أو في تكاملها فيما بينها، من الأسباب الرئيسة في عدم فاعلية الإنسان وخروج عمله عن القصد في أدائه لرسالته، فهو في مفهوم القرآن إخلاد إلى الأرض إذا كان سبب الإخلال تغليب الجانب المادي على الروحي، كمن شبه الله حاله بحال الكلب، في قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾(الأعراف: 175، 176)، كما أنه في مفهوم القرآن رهبانية مبتدعة، إذا كان سببه تغليب الجانب الروحي على المادي، كمن قال الله فيهم: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴾(الحديد:27)، وكلاهما أمر مناف للفطرة التي فطر الناس عليها ومخرج للإنسان عن الصورة التي خلقه الله عليها، وذلك " لأن إنسانية الإنسان لا تتحقق إلا بالتعادل والتوازن بين الجسد والروح فلا يغلو الإنسان في المادية ليصبح بالحيوان أشبه، ولا يتسامى بمجرد الروح ويهمل الجسد ليتشبه بالملائكة ويصبح روحا غيبيا، وهذا يؤكد حاجة الإنسان للتربية والتعليم أولا وحاجته للمنهج الإسلامي في التربية ثانيا،لتأمين الاستقرار النفسي والروحي للفرد والمجتمع والأمة وتحقيق الحياة الإنسانية الكريمة وتأمين الحياة السعيدة في الدنيا والآخرة مع التقدم والمدنية والحضارة لتربية الإنسان الصالح"[1]،وهذا ما يتم بتزكية النفس الإنسانية عن طريق تنمية خصائصها وتفعيلها فيما خلقت

[1] – الزحيلي، موسوعة قضايا إسلامية معاصرة (6 / 608)

لــــه،يقول تعـــالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾(الشمس:7– 10).

إن الكيان النفسي للإنسان كيان مرن متحرك لا يجمد على صورة واحدة، إنــه دائــم البــروز والانحسار، يبرز منه جانب ويختفي وراءه جانب، في حركة دائمة لا تهدأ، ولكن مزيتــه هــي مرونته، المرونة تسمح له بالتحول الدائم والتشكل المستمر دون أن يفقد ترابطه أو تفكــك، إنــه دائم التشكل ولكنه هو هو في المجموع، وحين يحسب الإنسان أن بروز أحد جوانبه في لحظــة من اللحظات معناه انقطاعه عن بقية الكيان الداخلي، أو حين تريد له عقيدة من العقائد أو نظــام من النظم أن يحسب كذلك، فالذي يحدث أن الجوانب الأخرى تكبت فــي الــداخل، تكبــت ولا تنفصل عن الكيان[1].

[1] – ينظر قطب، منهج التربية الإسلامية، (1/ 23).

المبحث الثاني: خصائص الإنسان في عمارة الكون ومقومات الشخصية التعميرية

تمهيد:-

إن هذه الخصائص الناتجة عن هذا الامتزاج التكاملي التفاعلي بين صفات الجسد، وصفات الروح هي التي صقلت الشخصية الإنسانية وصبغتها بالفعالية التعميرية، فبها اتصف الإنسان بصفتين يمثلان جانبين يقوم عليهما أي فعل تعميري ألا وهما الإرادة التي تقابل الجانب المعنوي في كيان الإنسان، والقدرة على مباشرة الفعل، التي تقابل الجانب الحسي في كيان الإنسان،فصدق عليه ذلك الوصف الذي أشار إليه ﷺ في قوله أثناء حديثه عن الأسماء: (تسمُّوا بأسماء الأنبياء ، أحب الأسماء إلى الله تعالى عبد الله وعبد الرحمن وأصدقها حارث وهمام،وأقبحها حرب ومرة) [1]، "فالحارث بمعنى الكاسب، وهمّام فعّال من همّ بالشيء إذا أراده فلا يخلو إنسان عن كسب وهمّ بل عن هموم، وهو معنى الصدق الذي وصف به هذان الاسمان" [2]، وذلك لأنه "لما كان كل عبد متحركا بالإرادة، والهم مبدأ الإرادة، ويترتب على إرادته حركته وكسبه كان أصدق الأسماء اسم همام واسم حارث"[3] "فمسماهما لا ينفك عن حقيقة معناهما"[4]، وذلك "لأن الإنسان إما أن يكون في حرث الدنيا أو حرث الآخرة، ولأنه لا يزال يهم بالشيء بعد الشيء"[5]، وهذا ما صدقته آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ (الشورى:20)، أما عن منهج الإسلام في تفعيله للخصائص فهو أنه أوجب على الإنسان العلم والعمل وأسبابهما ليتمكن من استثمار خصائصه فيما سخر له، للكشف عن أسرار الكون والاستفادة منه [6]، بعد أن يضع له التصورات يقول ابن القيم: " فالحارث الكاسب العامل والهمام المريد فإن النفس متحركة

1- سبق تخريجه، ص 93 .

2 – العظيم آبادي، عون المعبود (13 /293)، والخطابي، معالم السنن(شرح سنن أبي داوود)، (4 / 126)

3 – ابن القيم، جامع الآداب، (4 / 157).

4 – المناوي، فيض القدير (3 / 334)

5 – ابن حجر العسقلاني، فتح الباري (10 / 578)

6 – المطرودي، الإنسان وجوده وخلافته في الأرض، ص 418 .

بالإرادة وحركتها الإرادية لها من لوازم ذاتها والإرادة تستلزم مرادا يكون متصورا لها متميزا عندها فإن لم تتصور الحق وتطلبه وتريده تصورت الباطل وطلبته وأرادته"[1]، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن "العمل هو نتاج للتزاوج بين الإرادة والقدرة "[2].

المطلب الأول: خصائص الإنسان في عمارة الكون وصفة الإرادة:-

إن للخصائص صلة وثيقة بالإرادة تتمثل فيما بينهما من علاقة توافقية، كما أن للخصائص دورا كبيرا في توليد الإرادة، وفي هذا المطلب سيتم بيان ذلك فيما يأتي:

أولا: تعريف الإرادة وعلاقتها بخصائص الإنسان في عمارة الكون:-

الإرادة "اسم لنزوع النفس إلى الشيء مع الحكم فيه بأنه ينبغي أن يفعل، أو لا يفعل، وهي في الأصل قوة مركبة من شهوة وحاجة وأمل" [3].

العلاقة التوافقية بين خصائص الإنسان في عمارة الكون والإرادة:-

إن هذا المفهوم للإرادة ذو بعد نفسي يبين لنا علاقة توافقية وثيقة بين الخصائص والإرادة تظهر في وجهين:

الوجه الأول: الإرادة من حيث إنها نزعة نفسية فإنها شديدة الصلة بخصائص الإنسان في عمارة الكون، فهي شديدة الصلة بخاصية الانتماء إلى الأرض الذي هو نزعة نفسية تولد إرادة الارتباط بالأرض بالاستيطان والاستقرار والتعمير، وهي شديدة الصلة بالنزعة الداعية إلى الأجتماع التي تدفع بالإنسان إلى إقامة العلاقات الاجتماعية، وإشباع حاجة الانتماء، وإقامة العمارة بدافع ما عليه من واجبات تجاه مجتمعه، كما أنها شديدة الصلة بخاصية الاختلاف التي تنزع به إلى التميز وإشباع الحاجة إلى تحقيق الذات، كما أنها شديدة الصلة بخاصية حب التملك التي تنزع

---

1 - ابن القيم، إغاثة اللهفان، (1 / 30).
2 - الكيلاني، أهداف التربية الإسلامية، ص 54 .
3 - الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، (1 / 424)

بالإنسان إلى تملك الأشياء وارتفاقها والانتفاع بها، وإشباع حاجاته الأساسية، كما أنهـا شـديدة الصلة بخاصية حب الخلود التي تنزع بالإنسان إلى المحافظة على بقائـه، أمـا علاقـة الإرادة بخاصية العقل، فتتضح بما يلازم هذا النزوع وهو الحكم بالفعل أو الترك.

الوجه الثاني: من حيث كونها مركبة من شهوة وحاجة وأمل، فهذه الأمور التي تركبـت منهـا الإرادة، للخصائص دور كبير فـي إيجادهـا، فـوق كونهـا لهـا ارتبـاط بـبعض معـاني الخصائص،فالشهوة لها علاقة بحب التملك، والحاجة التي تعني الافتقار لهـا علاقـة بخاصـية النزعة الاجتماعية، ولها علاقة بخاصية الاختلاف، أما الأمل فله علاقة بحب الخلود.

النية والرقي بالإرادة:-

إن "القرآن الكريم يبين لنا أكثر من مرة أن علاقة الإنسان بالحاجات المادية الجسدية علاقـة صميمة، وأن حبه لإشباعها مركوز في جبلته التي يشكلها الجسد كم تحركهـا الـروح والإرادة والقدرات العقلية، إلا أن الخطوة الحاسمة التي يخطوها الإسلام متميزا بها عن سـائر المـذاهب والنظريات أن يضع أهدافا أعلى، وقيما أوسع وأكثر شمولا من مجرد تضـييق نطـاق الحيـاة البشرية في البحث عن إشباع الحاجات الجسدية على ثقلها، لأن تركيز الهدف النهائي للإنسـان في الإشباع وحده يشده إلى الأرض ويلصقه بترابها ويبعده عن مواقـع الاستشـراف الإيمـاني الشاملة الرحبة"[1]، ومن هنا ندرك دور النية في الرقي بالإرادة وتوجيهها، ونضـج الانفعـالات النفسية، ذلك النضج الذي له دور كبير في كمال العمل، ذلك لأن" العبـد لا يثـاب علـى فعـل الحسنات إلا إذا كان ذلك لمعنى وجودي قائم بالنفس يحمله على فعلها حبا فيها وطلبا لها،وامتثالا للأمر الإلهي بها، أما لو فعلها بدون هذه القصود وتلك المعاني فإنه لا يثاب عليها، وهذا ما يؤكد

[1] خليل، مفهوم الإعمار وعلاقته بالنهضة في ضوء القرآن الكريم، ص 20 .

لنا دور النية وأهميتها في إحداث الفعل"[1]، كما قال ﷺ (إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى)، "فالنية في الشرع مصلحتها التمييز"[2]، واشتراطها فيما يقوم به الإنسان من عمل "يقتضي التنبيه للشيء والتفكير فيه قبل القيام به، لتحقيق النضج في الانفعالات، وقد يكون هنالك استجابات مرجئة لا ينفذها الشخص في الحال، وإنما يحتاج إلى بعض الوقت للتروي والتفكير،والشعور بالحرية في القيام بالعمل والعزم على التنفيذ "[3]، كما أن النية فيها تقويم وترشيد أفضل لما يتصف به الإنسان، لأن فيها مجاهدة للنفس ولكل قدرة وطاقة ولكل أجر وهنا يتحقق الابتلاء والامتحان [4].

ثانيا: دور خصائص الإنسان في عمارة الكون في توليد الإرادة:-

من الممكن بيان دور الخصائص في توليد هذه الإرادة من خلال بيان الأثر الذي تحدثه كل خاصية من دافعية في النفس نحو التعمير، مع الأخذ في الاعتبار تكامل الخصائص فيما بينها في القيام بهذا الدور، ومن ذلك ما يأتي:

1- خاصية الانتماء والدافعية:-

إن رد الإنسان إلى منشئه من تراب الأرض يربط وشائج القربى بين النفس والكون، ويعمق الإحساس بالذي بينهما من اتصال[5]، وهذا مبدأ تربوي مهم اعتمدته التربية الإسلامية في دفعها بالإنسان إلى التفاعل مع الكون وتعميره، وهذا ما نجده كثيرا في القرآن الكريم، من أمثال قوله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾(طه: 55)، وقوله تعالى: ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾(الأعراف: 25)، ففي إشارة القرآن الكريم إلى أن "خلق الإنسان من

1- الجليند، خلل في مسيرة الأمة، ص 191 .

2 - القرافي، الفروق (1 / 306)

3 - المطرودي، الإنسان وجوده وخلافته في الأرض، ص 220، نقلا عن عبد المجيد، علم النفس التربوي، ص 159 .

4 - ينظر المطرودي، الإنسان وجوده وخلافته في الأرض، ص 107 – 108 .

5 - ينظر قطب، منهج التربية الإسلامية، (1 / 69)

تراب الأرض وطينها وعودته إليها بعد مماته وإخراجه منها ثانية عند بعثه وحشره يوم القيامة، ما يدل على العلاقة الوثيقة التي تربط الإنسان ببيئته والكون المحيط به، وما يوجه الإنسان منذ البداية إلى أنه جزء لا يتجزأ من الكون المحيط به وإلى ضرورة تفاعله المثمر مع العالم المحيط به بجسمه وعقله وروحه، بحيث يؤثر فيه ويتأثر به، وينتفع بما أودعه الله فيه من أسرار ومنافع، ويحافظ على ثروته وموارده، ويعمل على تنميتها وتطويرها وتحسينها بما منحه الله من عقل وعلم وقوة عضلية" [1]، فالأرض بالنسبة للإنسان هي أصل الخلق والعلاقة بينهما هي علاقة الأم بولدها، وهذا كله دافع للعناية بها والقيام بتعميرها والاستقرار عليها والارتباط بها.

2- الاختلاف وإرادة التميز وإثبات الذات:-

إن معرفة الفرد لما يتميز به من قدرات، وما تميل إليه نفسه من مهن لها أثر كبير في إثارة الدافعية و توجيه الإرادة نحو ما توافق إرادة الله الكونية، وذلك وفق مبدأ تربوي مفاده: " إذا أردت أن تثير إرادة إنسان فعليك أن تريه الجانب الذي يستطيع أن يؤثر فيه ويكون له دخل في قدرته أما الجانب الذي لا دخل له فيه ولا يمكن أن يكون جهده مؤثرا فيه فإنه لا يستطيع أن ينشط إليه ولا أن يوجه إرادته نحوه "[2].

تربية الفرد على الاستقلالية:-

إن على الإنسان أن يوطن نفسه على الاستقلالية وبخاصة في اتخاذ القرار، فيبتعد كل البعد عن التقليد الأعمى، يقول ﷺ: (لا يكن أحدكم إمعة، يقول: أنا مع الناس، إن أحسن الناس أحسنت، وإن أساءوا أسأت، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساءوا أن لا تظلموا)[3].

1- الشيباني، عمر، مفهوم الإنسان في الفكر الإسلامي، ص146، 147 .

2 - جودت سعيد، العمل قدرة وإرادة، ص 97، 98 .

3 - د ابن الأثير ،جامع الأصول في أحاديث الرسول، (699/11)، رقم 9349، واللفظ له. الترمذي، سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، باب الإحسان والعفو، (364/4)، رقم 2007، قال: حدثنا أبو هاشم الرفاعي محمد بن يزيد حدثنا محمد بن فضيل عن الوليد بن عبد الله بن جميع عن أبي الطفيل عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ ، (لا تكونوا إمعة تقولون إن أحسن الناس أحسنا، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساءوا فلا تظلموا)، وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وقال الألباني في الحاشية، ضعيف.

ومن هذا المفهوم يبرز مفهوم آخر قد يساء استعماله، مما يحتم على التربية بيانه وهو مفهوم ذات بعد اجتماعي له علاقة بالتميز الذاتي والاستقلالية، ألا وهو مفهوم الحرية الشخصية،فالحرية " لابد لها من القواعد التي ترعاها بمبررات منها، وإلا صارت ظلما وجورا،وهي لكل إنسان في المجتمع وإلا ذهبت الحرية والإنسان معا، ولذلك لابد من السيطرة على النفس للمحافظة على حرية الجميع والحرية شُعَب ولكل حرية حدودها، التي ينبغي أن يكون احترامها مبنيا على أساس من الدوافع الذاتية الصحية وأن لا تكون عن نزوات ورغبات وشهوات"[1].

ومن أساليب تربية الاستقلالية في الرأي حوار الطفل ومشورته ومراجعته لتدريبه على اتخاذ قراره، مع إبداء النصح له، وبيان صواب تفكيره أو خطأه، فقد جاء في فضل يحيى عليه السلام قوله تعالى: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾(مريم: 12)، مما جاء في تفسير الحكم أنه اللب، أو الفهم، أو العلم أو الحكمة، والأحكام والمعرفة بها[2]، وكل هذه المعاني تدل على القدرة على اتخاذ القرار والاستقلالية فيه.

إن من المميزات التربوية للحوار"احترام الذات الإنسانية واستقلالها، فلا تفرض عليها الأفكار فرضا، وإنما تنمو مع الذات عن طريق اكتسابها شخصيا عن طريق المناقشة، وهذا أساس جوهري، من أساس نجاح العملية التربوية"[3].

إن لأسلوب الحوار" عدة فوائد تربوية كجذب الانتباه وشحذ الذهن وإعماله، وإبعاد المتعلمين والمتربين عن الانقياد الأعمى، وتحقيق الإقناع والاقتناع العقلي، ثم تحقيق المغزى التربوي

---

[1] – المطرودي، الإنسان وجوده وخلافته في الأرض، ص 377 .
[2] – يراجع ابن عبد السلام، تفسير ابن عبد السلام، (1 / 641)، الماوردي، النكت والعيون، (3 / 360).
[3] – الطحان، التربية ودورها في تشكيل السلوك، ص197 .

المراد تحقيقه من الموقف"[1].ومنها أيضا تنمية روح العمل الجماعي، وتعويد المتعلمين على التفكير والاستكشاف بإثارة قدراتهم العقلية، ووتشجيع المتعلمين على مواجهة المواقف، كما أن الحوار يساعد الطلبة على الشجاعة وعدم الخوف أو التحرج[2].

ومن أساليب تربية الطفل على الاستقلالية احترام خصوصيته، وعدم التعدي على استحقاقاته،وعدم التصرف بها إلا بعد مشورته وأخذ إذنه، وهذا مما يفهم من الحديث الذي رواه البخاري عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: أتي النبي ﷺ بقدح فشرب منه، وعن يمينه غلام أصغر القوم والأشياخ عن يساره، فقال يا غلام أتأذن لي أن أعطيه الأشياخ، قال ما كنت لأوثر بفضلي منك أحدا يا رسول الله فأعطاه إياه) [3].

3- دور النزعة الاجتماعية في توليد الإرادة:-

إن للنزعة الاجتماعية وحياة الإنسان في جماعة دورا كبيرا في توليد إرادة التعمير في نفس الإنسان؛ لأن هذا الانتماء يدعوه إلى أن يعطي لمجتمعه ويعمل من أجل رقيه باعتباره جزءا منه، كما أن المشاركة المبنية على الافتقار إلى غيره تدفعه إلى أن يعمل، مع ما تدعو إليه الحاجة إلى إثبات الذات، والحاجة إلى الاحترام من سعي إلى تحقيقهما في المجتمع إلا أنه علينا أن ندرك مبدأ تربويا مهما ينبغي للتربية أن تحققه، وهو مبدأ الرضا الاجتماعي، وذلك لأنه "لا نستطيع أن نطلق طاقات الإنسان في خدمة الجماعة والأرض التي يعيش عليها ما لم نجعله

---

1 – القاصي، أصول التربية الإسلامية، ص 180.

2 – يراجع الساموك، الأساليب التعليمية للتربية الإسلامية، ص 186، 187 .

3 – البخاري، صحيح البخاري، كتاب المساقاة، باب في الشرب ومن رأى صدقة الماء وهبته ووصيته جائزة مقسوما كان أو غير مقسوم، (829/2)، رقم 2224 . وفي باب من رأى أن صاحب الحوض والقربة أحق بمائه، (834/2)، رقم 2237 . وفي كتاب المظالم، باب إذا أذن له وأحله ولم يبين كم هو، (865/2)، رقم 2319 . وفي كتاب الهبة وفضلها، باب هبة الواحد للجماعة، (919/2)، رقم 2462، و(920/2)، رقم 2464 . وفي كتاب الأشربة، باب هل يستأذن الرجل من عن يمينه في الشرب ليعطي الأكبر، (2130/5)، رقم 5297 .

يشعر بدرجة مقبولة من الرضا الاجتماعي، وكيف سيدافع المرء عن جماعة لم تمسح له دمعة ؟ وكيف سيذود عن حي من وطن لم يؤمنه من خوف ولا أشبعه من جوع ؟"[1].

المشاركة الإرادية:-

إن هناك مسلكا سلكه الإسلام، لتوليد الإرادة في الأفراد، وهو مسلك مرتبط بالنزعة الاجتماعية، حيث جعله الله تعالى من صفات الجماعة المسلمة، ألا وهو الشورى يقول تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾(الشورى: 38)، وهذا البعد التربوي للشورى _ذات الصفة الاجتماعية_ في توليد الإرادة، راجع إلى أن" شراكة الأفراد في المداولة وإبداء الرأي في أمور الحياة، ثم الانتهاء إلى وجه يكون عليه العزم، من شأنه أن يشعر الجميع بأنهم من ذوي الشأن والمسئولية في تصريف الحياة، وأن الوجه الذي وقع الانتهاء إليه هو وجه شاركوا هم في صناعته بصفة مباشرة أو غير مباشرة، فتنشأ في النفوس الهمة لتنفيذه بإحسان، ورعايته حال التنفيذ بوجوه الملاحظة والرصد لتعديله وتجويده بحيث يحقق المصلحة في أعلى درجاتها، ولا يصد النفوس عن ذلك صاد من الاستهتار واللامبالاة حينما تكون الآراء التي تعالجها الجماعة بالتطبيق مسقطة عليهم بالاستبداد، فتول في الواقع إلى البوار حتى وإن كانت في ذاتها حقا، وهل بوار المسلمين منذ عهود في مشاريع نهضتهم في شطر كبير منه إلا نتيجة لاستهتار الشعوب بها بسبب من الاستبداد المسلط عليهم"[2].

الوحدة الفكرية:-

إن النزعة إلى الاجتماع مرتبطة بمفهوم تربوي له أهميته التعميرية وهو مفهوم الوحدة الفكرية، التي تعني أن الناس كي يتعاونوا لا بد لهم أن يتعارفوا، فالتعاون لا يتحقق إلا عن

[1] - بكار، من أجل انطلاقة حضارية، ص 22 .

[2] - النجار، فقه التحضر الإسلامي، ص 61 .

طريق الوحدة الفكرية بينهم جماعات وأمما، وفي دوائر الاجتماع الإنساني[1]، أي أن "الوحدة الفكرية بين مجموعة من الناس، تعني اشتراكهم في طريقة النظر العقلي، بحيث تجمع بينهم خصائص وصفات موحدة في ذلك، وبقدر ما يكون أفراد مجموعة ما أكثر اشتراكا في خصالهم المنهجية في التفكير، بقدر ما يترابطون في وحدة فكرية، فإذا ما اتخذ كل منهم منهجا في النظر بمواصفات خاصة به، انفرطت وحدتهم الفكرية، وأصبحوا أشتاتا فكريا"[2]، ومن هنا يبرز أسلوب تربوي مهم للتربية الفكرية للفرد والجماعة، وهو من المبادئ الإسلامية التي يقوم عليها المجتمع المسلم في كل مجالات حياته، ألا وهو مبدأ الشورى كما قال تعالى واصفا المؤمنين: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾(الشورى: 38)، ويبرز هذا البعد التربوي للشورى فوق ما تحققه من تعاون وتكامل في كونها" تحقق غالبا من كبير القدر الممكن من الصواب وهذه ميزة قد لا تتوفر في الرأي الانفرادي"[3]، كما أن فيها تبادل للمعرفة والخبرات والتجارب الفردية، وفي إثراء للمسائل المطروحة بالنقاش .

عقيدة التوحيد أساس الوحدة الفكرية:-

إن الأساس الذي تقوم عليه الوحدة الفكرية للجماعة المسلمة هو إيمانها بالله سبحانه وتعالى واهتداؤهم بهديه، وذلك لأن" الجماعة المسلمة إنما تتكافل وتتعاون بميثاق غليظ وعروة وثقى لا انفصام لها يسعون إليها بقصدهم وإرادتهم ويهتدون في إقامتها بهدى ربهم، ويجتهدون في توثيقها وتدعيمها بكل ما تثمره عقولهم التي أنعم الله بها عليهم من أفكار ونظم، استجابة لأمر الله"[4] في قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ

---

1 – ينظر الدجاني، عمران لا طغيان، ص 12.

2 – النجار، دور حرية الرأي في الوحدة الفكرية بين المسلمين، ص 29 .

3 – المطرودي، الإنسان وجوده وخلافته في الأرض، ص 404 .

4 – محمد السميح، ملكية الأرض في الشريعة الإسلامية، ص 31 .

قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾(آلعمران: 103)،وقوله تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(التوبة : 71).

إن الوحدة الفكرية للمسلمين هي" اشتراك المسلمين في الأسس المنهجية الكبرى للنظر العقلي في شؤون الكون والحياة، وكل ذلك في إطار من تعاليم الدين الذي جمعهم في أمة واحدة"[1]،ومن هنا ندرك كم لعقيدة التوحيد من أثر كبير في حدوث هذه الوحدة، فهي "وحدها الكفيلة لتحقيق هذه الوحدة على مستوى الفكر والسلوك؛ لأنها تطبع معتنقيها في ممارستهم للحياة كلها، فكرا، ووجدانا ،وسلوكا، بطابع الوحدة، بحيث يصير كل نشاط ذهني أو عملي دائرا في بنيته وغايته على قانون من الوحدة التي تتآلف بها المختلفات، وتتوحد بها المقاييس وتلتقي بها المشارب على هدف مشترك، وذلك ما يبدو أيضا نظريا ومنطقيا في انطباع الحياة بطابع المعتقد الأساسي، كما تبدو أيضا عمليا في تجربة التحضر الإسلامي في كل من الفكر والعمل" [2].

أسلوب القدوة لتوليد الإرادة:-

إن أسلوب" القدوة من أنجح أساليب التربية، ومن أوقعها تأثيرا وذلك لاتفاقها مع طبيعة النفس البشرية، مع فطرة الإنسان، مع حاجته وميله للتقليد والمحاكاة، ولسهولة اكتساب الخبرات من خلالها، ولكونها متجسدة وماثلة أمام المتأثرين بها"[3].

إن لهذا الأسلوب علاقة وثيقة بالنزعة الاجتماعية، وذلك "لأن الحياة الاجتماعية تخضع لقانون رد الفعل الذي يعني اتجاه الفرد ونزوعه إلى التكيف مع الوسط الذي يعيش فيه، ومن قوانين

---

1 - النجار، دور حرية الرأي في الوحدة الفكرية بين المسلمين، ص 31 .

2 - النجار، فقه التحضر الإسلامي، ص 64- 65 .

3 - القاصي، أصول التربية الإسلامية، ص 174 .

التكيف التشبه والاقتداء"[1]، "والاقتداء لا يصح إلا بذي علم كامل، أو دين" [2]، ومن هنا نـدرك أن مفهوم القدوة لا يتوقف في علاقته بالنزعة الاجتماعية عند مجرد التكيف، بل ينبغي أن يكون هناك تجسيد للقيم التي تحقق هذا التكيف، وهذا ما يُظهر رابطـا آخـر بـين القـدوة والنزعـة الاجتماعية وهو رابط القيم الاجتماعية التي تعني: " الضوابط الأخلاقيـة النابعـة مـن العقيـدة والموجهة نحو سلوك الفرد لتكيفه وفق وظيفته الحضارية في الحياة، وتقيم التوازن بين غرائـزه وميوله وبين مصالح الجماعة التي يعيش فيها"[3]

4- العقل وتوليد الإرادة: -

إن "توجيه الإنسان نحو سلوك معين لا يتم آليا، وإنما عن إرادة واختيار، ومـن هنـا يمكـن إدراك ما للعمليات العقلية من دور كبير في توجيه السلوك وتقييمه عن طريـق إدراك المشـكلة وجمع البيانات حولها وفرض الفروض لحلها ومناقشتها والأخذ بالحل الأسـلم"[4]، فـالإرادة إذاً "هي اختيار العقل، وقد يتدخل في سلامة الإرادة الشعور واللاشعور ومؤثرات الطفولة والبيئـة، ومع ذلك فإن العقل قادر حين يستخدم استخداما سليما أن يميز بين الخطأ والصواب ويعرف أدلة الخطأ والصواب وبذلك تستمر سلامة الإرادة في المحافظة على سلامة جهـاز المعرفـة فـي الإنسان"[5].

التصور ورسم الغايات:-

إن من وظائف العقل أن يضع أهدافا يسعى الإنسـان إلـى تحقيقهـا، وذلـك عـن طريـق التصور،الذي هو" إعادة تشكيل عناصر الواقع في صورة جديدة هي الغاية أو المثل الأعلى،ومن

1 - مالك بن نبي، شروط النهضة، ص 156 .

2 -.زروق، قواعد التصوف، ص 99 .

3 - زرمان، الفعل الحضاري، ص 64 .

4 - المطرودي، الإنسان وجوده وخلافته في الأرض، ص 252 .

5 - جودت سعيد، العمل قدرة وإرادة، ص 97 .

هنا ندرك أن ما تدركه الحواس هو مقدمات ترسم تصورات توجه الإنسان إلى القيام بالدراسة والمقارنة لاستخلاص نتائج كمعاني مجردة كالخير والشر والحسن والقبح والفضيلة والرذيلة فيعلو الإنسان بعقله على المحسوسات"[1]، ليرسم لنا الغايات العليا، فتتولد الإرادة من هذين الزوجين، "المثل الأعلى وعقل الإنسان أو جهاز تمييزه، فإذا التقى المثل الأعلى بجهاز التمييز مع استيفاء شروطه وانتفاء موانعه تولدت الإرادة بإذن الله" [2].

وهنا ينبغي التنبيه إلى أن القرآن ميز بين مصطلحين الرجاء وهو تصور غاية مع السعي لتحقيقها، يقول تعالى: ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ (الكهف:110)، "فالرجاء يكون مع بذل الجهد واستفراغ الطاقة في الإتيان بأسباب الظفر والفوز،أما التمني فهو حديث النفس بحصول ذلك مع تعطيل الأسباب الموصلة إليه"[3]، أي هو تصور غاية دون السعي لتحقيقها، يقول تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾(النساء: 123).

آفة استعجال التصورات:-

الاستعجال صفة من صفات الإنسان، يقول تعالى: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾(الأنبياء: 37)، و"خلق الإنسان منه استعارة لتمكن هذا الوصف من جبلة الإنسانية، شبهت شدة ملازمة الوصف بكونه مادة التكوين موصوفة به" [4]، ويقول تعالى: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾(الإسراء: 11)، يعني أنه "خلق على حُب العجلة، والعجلة

---

1 – المطرودي، الإنسان وجوده وخلافته في الأرض، ص 243.
2 – جودت سعيد، العمل قدرة وإرادة، ص 101 .
3 – ابن القيم، جامع الآداب، (4 / 285).
4 – ابن عاشور، التحرير والتنوير، (17/ 68).

تقديم الشيء قبل وقته[1]، وهذا الطبع قد يعرضه لتعجل المراحل في النظر العقلي"[2]، واستعجال النتائج؛ وذلك "لأن ضعف صفة الصبر في الإنسان من مقتضى التفكير في المحبة والكراهية،فإذا فكر العقل في شيء محبوب استعجل حصوله بداعي المحبة، وإذا فكر في شيء مكروه استعجل إزالته بداعي الكراهية، ولا تخلو أحوال الإنسان عن هذين، فلا جرم كان الإنسان عجولا بالطبع فكأنه مخلوق من العجلة" [3].

إلا أنه علينا أن ندرك تربويا أن أصل فطرة العجلة ليس "من النقائص في تكـوين الإنسـان الفطري، لأنها تمثل في الإنسان عنصرا مهما من حوافز الجد والعمل، ولكنها تغدو من النقائص حين يسيء الإنسان إدارتها، إذ المفروض فيها أن تكون خاضعة لعقل الإنسان وإرادتـه، فـإذا انعكس الأمر وصارت هي المسيطرة على العقل والإرادة، اختل توازن الإنسان وجانـب سـبيل الحكمة في الأمور" [4]

دافع حب الاستطلاع:-

إن "دافع حب الاستطلاع في الإنسان هو الـذي يدفعـه إلـى تحصـيل المعـارف وكأنهـا هدفه"[5]،ويبدو أن هذا الدافع يتولد بعلاقة متعددة الجوانب بـين الإنسـان والأشـياء المحيطـة به،وهذه العلاقة مبنية على ما في عناصر الكون من جاذبية ومن في الإنسان من انجذاب لها،مما يحدث نوعا من الإقبال عليها، وهنا يبرز دور الخصائص الأخرى وتكاملها مع خاصية التعقل.

إن هذا الميل نحو عنصر من عناصر الوجود لا يكفي ليقبل الإنسان عليه، لأن الإقبال يحتاج إلى التحبيب، كما يحتاج إلى التزيين، إلا أنه علينا أن نحذر في التعامل مع الأشياء والأفكـار أن يتأثر العقل بالهوى والشهوة، "والفرق ما بين الهـوى والشـهوة مـع اجتماعهمـا فـي العلـة

---

1 – الماوردي، النكت والعيون، (3/ 448) .
2 – النجار، خلافة الإنسان، ص 74 .
3 – ابن عاشور، التحرير والتنوير، (17/ 68).
4 – الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها، ص 390 .
5 – قطب، الإنسان بين المادية والإسلام، ص 83 .

والمعلول،واتفاقهما في الدلالة والمدلول، فهو أن الهوى مختص بالآراء والاعتقادات، والشهوة مختصة بنيل اللذة، فصارت الشهوة من نتائج الهوى وهي أخص، والهوى أصل هو أعم"[1].

كما أن على التربية أن توجه حب الاستطلاع المتأصل في نفس الإنسان، إلى ما فيه خير له،فلا يستنزف قواته وقدراته فيما لا طائل له، لذلك جاءت التربية الإسلامية لتوجه "حب الإطلاع إلى التحصيل والاستكشاف لتحقيق التفوق العلمي فيما ينفعه وينفع الناس وتجنبه الانحراف به كالتجسس والغيبة والنميمة أو فيما يضره ويضر المجتمع "[2].

5- حب الخلود واستمرارية الإرادة:-

إن حب الخلود يولد في الإنسان الإرادة، وذلك لأنه شديد الارتباط بالأمل ذي العلاقة الوثيقة بالإرادة، وذلك لأن الأمل في مضمونه يعني الإرادة، فقد عرف بأنه "رجاء ما تحبه النفس من طول عمر وزيادة غنى؛ ويقال الأمل إرادة الشخص تحصيل شيء يمكن حصوله فإذا فاته تمناه"[3]، وهذا البعد التربوي بينه أبو العباس بن عطاء بقوله: " أصل كل تدبير الرغبة، وأصل كل رغبة طول الأمل"[4]، وهذه الإرادة هي التي تربي الطموح في نفس الإنسان، الطموح الذي يدفع " الإنسان إلى مزيد من التحسين والتفوق في الاستثمار، ودوره ينتهي بنقطة بداية الطموح الآخر وهكذا إلى أن لا ينتهي دور العمارة "[5].

إلا أنه ينبغي التفريق بين الأمل الذي يولد الإرادة ويدفع إلى العمل، وبين التمني الذي يسبب التسويف ويؤدي إلى التعطيل، وهو فرق قائم على ما لكل واحد منهما من علاقة بالعمل، وهذا ما بيّنه الماوردي بقوله: "وفرق ما بين الآمال والأماني، أن الآمال ما تقيدت بأسباب، والأماني ما تجردت عنها"[6].

---

1 - الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص 21، 22 .
2 - المطرودي، الإنسان وجوده وخلافته، ص 302 .
3 -ابن حجر، فتح الباري (11 / 236).
4 - البيهقي، كتاب الزهد الكبير، ص 231 .
5 - المطرودي، الإنسان وجوده وخلافته في الأرض، ص 369 .
6 - الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص 122 .

إن مجرد التمني المنقطع عن العمل هو آفة نفسية خطيرة، وهو منهج تربوي منحرف يعتمده الشيطان ليثبط من عزيمة الإنسان، يقول تعالى: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾(النساء:120)، فهو منهج باطل لا يعوّل عليه، "وإذ أبطل الله الأماني أثبت أن الأمر كله معقود بالعمل، وأن من أصلح عمله فهو الفائز، ومن أساء فهو الهالك، تبين الأمر، ووضح وجوب قطع الأماني وحسم المطامع والإقبال على العمل الصالح"[1]، أما المنهج التربوي الصحيح فهو الذي يعتمد التفاعلية بين الداخل والخارج، فعلى التربية أن تحذر من تعويل الإنسان على التمني الذي قد يلجأ إليه لتلبية هذه الحاجة الملحة ولقرب الأمل من التمني في المعنى يقول ابن حجر: " وهو قريب المعنى من التمني، وقيل: الفرق بينهما أن الأمل ما تقدم له سبب، والتمني بخلافه، وقيل: لا ينفك الإنسان من أمل فإن فاته ما أمله عول على التمني"[2]، أما عن القاعدة التي يعتمدها هذا المنهج التربوي هي ارتباط حصول الرجاء بالسعي في تحقيقه،وهذا ما بينه قوله تعالى الرابط بين العمل والرجاء: ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾(الكهف: 110)، و"الرجاء طمع حصول ما فيه مسرة في المستقبل ويستعمل بمعنى الخوف"[3].

التطبيق العملي:-

إن هذه الخاصية لها دور كبير في تحفيز طلبة العلم على المواصلة والمثابرة والجد وعدم الكسل، يقول ابن الجوزي: " تأملت العلم والميل إليه والتشاغل به، فإذا هو يقوي القلب قوة تميل

---

1 – الزمخشري، الكشاف، (1 / 601) .

2 –ابن حجر، فتح الباري (11 / 236).

3 –ابن حجر، فتح الباري (11 / 240).

به إلى نوع قساوة، ولولا قوة القلب وطول الأمل لم يقع التشاغل به"[1]، ويقول: " ولو عمل العامل بمقتضى قصر الأمل ما كتب العلم ولا صنف"[2] ويقول: "الأمل مذموم للناس إلا للعلماء فلولا أملهم لما صنفوا ولا ألفوا"[3]، لذلك ينبغي أن تستغل في رفعة همم الطلبة، ودفعهم إلى المثابرة وتوليد العزم فيهم، بأن يفسح المعلم لهم في الأمل، ويدعوهم إلى أن يشقوا طريقهم إلى المستقبل، ويسألهم عن أهدافهم، ويشجعهم على تحقيقها.

حب الخلود واستمرارية الإرادة:-

لقد عد الماوردي خاصية حب الخلود من القواعد التي تصلح بها الدنيا، مبينا بُعدَها التعميري في كونها دافعا إلى الاقتناء والعمل، كما أنها مدعاة إلى أن يرتفق اللاحق ما أبقاه السابق ويهتم به ويرعاه، فقال: " أما القاعدة السادسة: فهي أمل فسيح يبعث على اقتناء ما يقصر العمر عن استيعابه، ويبعث على اقتناء ما ليس يؤمل في دركه بحياة أربابه؛ ولولا أن الثاني يرتفق بما أنشأه الأول حتى يصير به مستغنيا، لافتقر أهل كل عصر إلى إنشاء ما يحتاجون إليه من منازل السكنى وأراضي الحرث، وفي ذلك من الإعواز وتعذر الإمكان ما لا خفاء به؛ فلذلك ما أرفق الله تعالى خلقه باتساع الآمال إلا حتى عمر به الدنيا فعم صلاحها، وصارت تنتقل بعمرانها إلى قرن بعد قرن، فيتم الثاني ما أبقاه الأول من عمارتها، ويرمم الثالث ما أحدثه الثاني من شعثها لتكون أحوالها على الأعصار ملتئمة، وأمورها على ممر الدهور منتظمة؛ ولو قصرت الآمال ما تجاوز الواحد حاجة يومه، ولا تعدى ضرورة وقته، ولكانت تنتقل إلى من بعده خرابا لا يجد فيها بلغة، ولا يدرك منها حاجة، ثم تنتقل إلى من بعد بأسوأ من ذلك حالا حتى لا ينمى بها نبت،ولا يمكن فيها لبث، وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: (الأمل رحمة من الله لأمتي، ولولاه

---

[1] – ابن الجوزي، صيد الخاطر، ص139 .

[2] – ابن الجوزي، صيد الخاطر، ص 222

[3] –ابن حجر، فتح الباري (11 /237).

لما غرس غارس شجرا ولا أرضعت أم ولدا) [1]" [2]، ففي " الأمل سر لطيف لأنه لولا الأمل ما تهنى أحد بعيش، ولا طابت نفسه أن يشرع في عمل من أعمال الدنيا، وإنما المذموم منه الاسترسال فيه، وعدم الاستعداد لأمر الآخرة، فمن سلم من ذلك لم يكلف بإزالته"[3].

ومن هنا ندرك العلاقة الوثيقة بين حب الخلود وبين سعي الإنسان الحثيث إلى العمل، وهذا ما يؤكده علم الاقتصاد الحديث، حيث يقول: "إن العمل سلوك ظاهري يجد جذوته المتقدة في حرص الإنسان على الحياة، ومن ثم كان دافع العمل من أقوى الدوافع النفسية وأولاها بالرعاية لأنه من الفطرة، والإسلام يعتبر العمل ليس حرصا على الحياة فحسب، بل هو أساس كل شيء فهو أساس التقرب إلى الله ولذلك قرنه القرآن دائما بالإيمان[4]، فحب الخلود يعتبر دافعا " يقوي العزيمة للجد في العمل الصالح والإخلاص به ابتغاء لمرضاة الله تعالى، والذي يحقق الربح العظيم في ميزان الآخرة، فتتآزر المصالح الذاتية والاجتماعية مع الدوافع الذاتية"[5].

دافعية إشباع الخاصية:-

إن الحاجة إلى الخلود هي حاجة أساسية في نفس الإنسان، والإنسان يعمل على تلبية هذه الحاجة بوسائل عديدة منها، محاولة إطالة عمره بالرعاية الغذائية والصحية، والمحافظة على النسل والذرية، وإنجاز الأعمال الفكرية والتعميرية التي تبقي ذكراه عبر الأجيال، وقد يأتي من الأعمال الخاطئة التي قد تؤدي إلى عكس الحاجة إلى الخلود كالصراع من أجل البقاء والاحتكارات المادية [6]، لذلك عُدَّ حب الخلود " من الدوافع النفسية الفطرية التي يجدها كل

---

[1] - حكم الألباني بوضعه الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (7 / 202) .
[2] - الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص 121، 122 .
[3] -ابن حجر، فتح الباري (11 / 237).
[4] - عبد السميع المصري، مقومات الاقتصاد الإسلامي، ص 22 .
[5] - المطرودي، الإنسان وجوده وخلافته، ص 293 .
[6] - ينظر الكيلاني، فلسفة التربية الإسلامية، ص 119 .

إنسان في أعماق ذاته، فهو اتجاه طبيعي غير منقطع والأمل يسير به دائما إلى الأمام في طلب المزيد من الحياة "[1].

سن الشعور بإرادة الحياة:-

إن كل ما يتعلق بالحياة من معان وقيم ينبغي أن يدرس في سن يدرك فيها الطفل معنى الحياة في حد ذاتها وكذلك قيمتها، وهي السن التي يتحول فيها التعامل مع كل ما من شأنه أن يحفظ الحياة من مجرد ردات فعل تمليها الفطرة وتتطلبها خاصية حب الخلود، إلى ردات فعل ناتجة عن إرادة حقيقية للحياة وتشبث بها، ومن الممكن التأصيل للسن التي يبدأ فيها الإدراك الحقيقي لمعنى الحياة وقيمتها من قوله تعالى في حق إسماعيل عليه السلام:﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾(الصافات:102)، ففي هذه الآية بيان للسن التي ظهرت فيها علامات صفة حلم إسماعيل عليه السلام، والحلم "اسم يجمع أصالة الرأي ومكارم الأخلاق والرحمة بالمخلوق"[2]،ومن ذلك إدراكه لمعنى الحياة وقيمتها؛ لأن المشورة تعلقت باتخاذ قرار يخص نهاية حياته، وقد ورد في تحديد هذه السن ما جاء عن الفراء والكلبي قولهما: "وكان يومئذ ابن ثلاث عشرة سنة"[3]، إلا أن العدد ليس معيارا لتحديد هذه السن، وإنما المعيار هو تلك الموصفات التي يتحقق بها بلوغ السعي، لأن معنى الآية "فلما أدرك وبلغ الحد الذي يقدر فيه على السعي"[4]، أي أن سن بلوغ السعي هي سن اكتمال الإمكانات والقدرات الذهنية والجسمية والنفسية المتعلقة بالعمل، وسنفترض أنها تبدأ بسن الثالثة عشرة على اعتبار أن الأنبياء هم أكمل

---

1 – المطرودي، الإنسان وجوده وخلافته،، ص 288 ..
2 – ابن عاشور، التحرير والتنوير، (23 / 149)
3 – الماوردي، النكت والعيون، (5/ 60)
4 – الرازي، التفسير الكبير، (26/ 133)

الناس، وعليه ينبغي أن نرقب بداية بلوغ السعي في هذه السن، وهذا يستلزم وضع الدراسات التي تدرس خصائص الطفل ومزاياه وتحديد مؤهلاته، كما ينبغي أن تكون السنوات السابقة لهذه السنة هي سنوات إعداد لبلوغ السعي.

وهنا ينبغي تحديد معنى السعي حتى يتم تحديده معيارا لهذه السن، وبناء على هذا المعنى ينبغي أن نحدد هذه السن كمرحلة انتقالية من طور عدم إدراك معاني الأشياء وقيمتها إلى طور الإدراك، وقد ورد في معنى السعي عدة أقوال لها علاقة بالعمل ومن ذلك قول ابن عباس ومجاهد وابن زيد الذي يبين أن المقصود بالسعي في هذه الآية، هو العمل والعبادة والمعونة[1].

إن سن بلوغ السعي هي سن مغفول عنها تربويا فيما يتعلق بها من أحكام تقتضيها رسالة الإنسان التعبدية في إقامته للعمارة، في المقابل نجد أن كتب التراث أسهبت في الحديث عن سن البلوغ وسن الرشد، وكان ينبغي للتربية الإسلامية أن تولي هذه السن الكثير من الاهتمام في تحديد معنى بلوغ السعي والقيمة التربوية لهذه السن في كونها يظهر فيها الطابع العام للشخصية،وما تتطلبه التربية في هذه السن.

إن أهمية هذه السن تكمن في عمليات التحول التي تطرأ على الإنسان، فمن المهم تربويا تحديد السن التي نبدأ فيها بتربية النشء على إدارة الوقت و المال، ومن الممكن أن نستدل على ذلك بما ورد في قوله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾(الأعراف: 20)، من ربط الرغبة في التملك والخلود بما طرأ على آدم وحواء من تغيرات في تنبههما إلى ما كانا في غفلة عنه من سوءات،إن سن الشعور بالتعلقات الجنسية، قد تكون السن الأنسب لبداية التدريب والتربية على مثل هذا؛ وذلك لأسباب منها ما ذكر من ربط بين استغلال لهاتين الخاصيتين وبين تعليل

---

[1] – يراجع ابن عطية، المحرر الوجيز، (4/ 551)، الماوردي، النكت والعيون، (5/ 60)

الوسوسة، وذلك لأن "الإنسان عندما ينتقل من طور الطفولة التي لا يعرف فيه همـا ولا نصـبا إلى طور التمييز الناقص يكون كثير التعرض لوسوسة الشيطان واتباعهـا، وقـد عللـت هـذه الوسوسة بأن غايتها أو غرضه منها أن يظهر لهما ما غطي وستر عنهما من سـوآتهما يقـال: واري الشيء إذا غطاه وستره، ووري الشيء غطي وستر، والسوءة ما يسوء الإنسان من أمـر شائن وعمل قبيح"[1].

دور التربية في الإشعار بقيمة الزمن:-

للتربية الإسلامية دور كبير في إشعار المسلم بأهمية الوقت يستفاد ذلك من أن الشـرع نظـم الوقت على مدار اليوم والأسبوع والشهر والسنة فالصلوات الخمس مثلا سماها الله سبحانه (كتابا موقوتا) فقال: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾(النسـاء: 103)، "والموقـوت: المحـدود بأوقات، والمنجم عليها"[2]، فهذا التوقيت وهذه الصلوات هي محطات زمنية علـى مـدى اليـوم لإشعار المسلم بأهمية عمره ونزوعه إلى روحانياته التي تريحه من أعباء الماديـات المرهقـة، ومن هنا من الممكن أن ندرك أصلا من أصول التربية الإسلامية في تعليم المسلم علـى قيمـة الوقت، ومنه ندرك السن التي يبدأ فيها بتدريبه على هذا، وذلك مـن خـلال قولـه ﷺ: (مـروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين وفرقوا بينهم فـي المضاجع) [3]، فهذا الحديث يبين لنا السن التي يؤمر بهذا الطفل بالصلاة، ولكن على التربيـة أن توسع حدود بحثها في هذا الحديث، لتدرك أن هذه السن ليست مجرد بداية تدريب على الصـلاة فحسب، بل هي سن تدريب على التعامل مع أفقه الزماني في تعليمه لأوقات الصلاة، وهي أيضا سن تدريب على التعامل مع أفقه المكاني، في تعليمه تحديد الاتجاه، وهي سن تدريب على ذلـك التعامل مع أفقه الروحي، وباختصار شديد أنه ينبغي على التربية أن تجعل من هـذين السـنتين

1 - رشيد رضا، تفسير المنار، (8 / 309).

2 - ابن عاشور، التحرير والتنوير، (5 / 189) .

3 - أبو داوود، سنن أبي داوود، كتاب الصلاة، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة، (187/1)، رقم 495، وسكت عنه . قال الألباني في الحاشية ، حسن صحيح.

السابعة والعاشرة محطات مهمة في حياة الإنسان الخليفة التي ستقوم بتأهيله لأداء رسالة العمارة.

تطبيق عملي لتربية الطفل على قيمة الوقت:-

إن للوقت قيمة يحرص الإسلام على أن يربي أتباعه على عدم التفريط بها ومن ذلك قوله ﷺ الذي يبين لنا حيوية وفعالية الزمان: (يا أيها الناس إن لكم علما فانتهوا إلى علمكم، و إن لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم، فإن المؤمن بين مخافتين بين أجل قد مضى لا يدري كيف صنع الله فيه، و بين أجل قد بقي لا يدري كيف الله بصانع فيه، فليتزود المرء لنفسه، ومن دنياه لآخرته،ومن الشباب قبل الهرم، ومن الصحة قبل السقم، فإنكم خلقتم للآخرة، والدنيا خلقت لكم، والذي نفسي بيده ما بعد الموت من مستعتب، وما بعد الدنيا دار إلا الجنة و النار، و أستغفر الله لي و لكم) [1].

إن "التربية الإسلامية تربي الناشئ على أن ينظر إلى كل ساعات الحياة ولحظاتها على أنها أمانة في عنقه، عليه أن يشغلها في الخير، وتربيته على أن يجد لذة نفسية عظيمة كلما ساهم في عمل الخير أو دفع الشر عن نفسه وأمته" [2].

إنه من الممكن أن نعتمد تربية الطلبة على قيمة الوقت، هدفا سلوكيا من أهداف التكليف بالواجبات البيتية، مع الأهداف المعرفية لأداء الواجبات، وذلك لأن الواجب البيتي له أثره الكبير في تربية الطالب على استشعار قيمة الوقت وحسن اغتنامه، وكيفية إدارته، باعتباره مهمة منتظمة فعالة، ولأي مهمة منتظمة أثرها في انتظام الوقت، ويشبه هذا ما اقترحه مالك ابن نبي تطبيقا لتعليم قيمة الزمن، بأن تكون هناك نصف ساعة يوميا لكل فرد لأداء واجب معين

---

1 - البيهقي، شعب الإيمان، الحادي و السبعون من شعب الإيمان و هو باب في الزهد و قصر الأمل، (360/7)، رقم 10581 . قال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (262/7)، رقم 3187 : رواه البيهقي في الشعب من حديث الحسن عن رجل من أصحاب النبي ﷺ وفيه انقطاع .

2 - نحلاوي، التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة، ص 159 .

(مهمةمنتظمة وفعالة)، ثم قال: "وسيثبت هذا عمليا فكرة الزمن في العقل الإسلامي، أي في أسلوب الحياة في المجتمع وفي سلوك أفراده، فإذا استغل الوقت هكذا فلم يضع سدى ولم يمر كسولا في حقلنا فسترتفع كمية حصادنا العقلي واليدوي والروحي وهذه هي الحضارة"[1].

6- حب التملك وإرادة الارتفاق:-

لقد حكم الله سبحانه وتعالى ببقاء العالم إلى أجل مسمى، وجعل سبب بقاء العالم وانتظامه كسب العباد، وفي تركه تخريب العالم واختلال نظامه[2]، ومن هذا ندرك البعد التعميري لهذه الخاصية مع ما يصاحبها من خوف الفقر والفاقة، مما يدفع بالإنسان إلى أن يسعى في طلب الرزق والتكسب والجد والمثابرة في ارتفاق عناصر الكون والعناية بها والمحافظة عليها، مع ما يستشعره من مسئولية عليها، وهذا بعد تربوي مهم لخاصية حب التملك يمكن ملاحظته في مراعاة الشريعة لمقاصد حفظ المال، الذي هو "راجع إلى مراعاة دخوله في الأملاك، وكتنميته أن لا يفنى، ومكمله دفع العوارض وتلافي الأصل بالزجر والحد والضمان"[3].

حب التملك والدافعية إلى ارتفاق عناصر الكون:-

إن "التملك من الدوافع النفسية الفطرية، التي تدفع الإنسان إلى حب التملك والسيطرة والظهور، وهو عام وشائع بين البشر"[4]، مما يسهم في ارتفاق الكون، وهذا الارتفاق هو عبارة عن" ترجمة عامة لفقه التحضر الإسلامي في التعامل الكوني، وذلك لأن لفظ الارتفاق يشير مدلوله اللغوي إلى معنيين أساسيين، هما المعنيان اللذان يحكمان علاقة الإنسان بالكون في التصور الإسلامي، وتجري عليهما بالتالي مباشرة الكون في بناء التحضر، أما أولهما فهو الرفق

---

1 – مالك بن نبي، شروط النهضة، ص 141 .

2 – ينظر الشيباني، كتاب الكسب، ص 47 .

3 – الشاطبي، الموافقات (4/ 28).

4 – المطرودي، الإنسان وجوده وخلافته، ص 295، نقلا عن فاخر عاقل، علم النفس، ص 188، 191 .

الذي هو اللطف بالشيء ضد العنف، وأما الثاني فهو الانتفاع والاستعانة، وإلى هذين المعنيين تتراجع كثير من القواعد الجزئية في فقه التحضر الإسلامي في العلاقة بالكون "[1].

إن المنهج الذي سلكه الإسلام في تربيته للمسلم والمجتمع على الإقبال على الدنيا هو المنهج الوسطي الذي "لا ينكر عالم المادة ولا ينفر من الواقع الحسي للوجود، بل يدعو إلى الإقبال على الحياة في اعتدال ودون إفراط أو تفريط، من أجل ذلك اصطبغ مفهوم المجتمع بالتفاؤل والمنافسة في العمل في عمران الحياة في حدود ما شرعه الله ولم يجد المسلم فيه ما يدعو إلى التشاؤم أو ما يرتبط بالإثم أو الخطيئة "[2].

سن التعلق بالممتلكات:-

إن من المهم تربويا تحديد السن التي يتم فيها تعلق الطفل بالعنصر الكوني تعلق تملك، وهي في أغلب الظن سن الفطام، أو تقرب منها، وذلك لأن الفطام يعني بداية استقلالية الطفل عن أمه وبداية الاتساع في تعامله مع عناصر الكون والتي سيزداد تعلقه بها مع انحسار تعلقه مع أمه،وهنا يأتي دور الأب لما سيحدث من تطور في العلاقة المصلحية بينه وبين الطفل، وهذه "المشاركة المصلحية تقتضي المنع من بعض الأعمال، والحث على بعض الأفعال، ثم إن الإنسان يعتقد ذلك من صغره ويستمر نشوؤه عليه، ثم إنه لا يرى أحدا ينازعه وينكر عليه فحينئذ يتأكد فيه اعتقاد وجوب الامتناع من أحدها والإقدام على الآخر، فيسمي الأول قبيحا والثاني حسنا جميلا "[3].

كما ينبغي أن يتنبه الوالدان لما قد سيحدثه الشعور بالفقدان من تغيرات في نفسية الطفل ومعالجة كل ذلك بأساليب الترويح والتعزية والتعويض عن الفاقد .

---

[1] – النجار، فقه التحضر الإسلامي، ص 127 .

[2] – الشرقاوي، في فلسفة الحضارة الإسلامية، ص 309 .

[3] – الرازي، المباحث المشرقية في علم الإلهيات والطبيعيات (2 / 422).

إنه من الممكن التأصيل لكل ما سبق ذكره في كون أن سن الفطام هي سن تعلق الطفل بالممتلك وسن بداية الشعور بالفقدان، مما ورد في الصحيحين عن أنس بن مالك، قال: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقا وكان لي أخ يقال له أبو عمير، قال: أحسبه قال: كان فطيما،قال: فكان إذا جاء رسول الله ﷺ فرآه قال: (أبا عمير ما فعل النغير)، قال فكان يلعب به [1]، ففي هذا الحديث ذكر أنه كان مفطوما كما ذكر تعلقه بالطائر الصغير في هذه السن، وقد بينت روايات أخرى للحديث مدى شدة هذا التعلق وكيفية معالجته ﷺ ما نتج عن هذا الشعور بالفقدان، وهذا الروايات في مجملها بينت أنه ﷺ كان كلما أتى بيت أبي طلحة يمازح هذا الطفل (يمازحه، يهازله، يفاكهه)، و أنه ﷺ أتى ذات يوم فوجد أبا عمير حزينا فسأل أمه قائلا: (ماشأني أرى أبا عمير ابنك خاثر النفس)، أي ثقيل النفس غير نشيط، فأجابت بأنه نغيره الذي كان يلعب به قد مات، فاستقبله ﷺ وجعل يمسح على رأسه ويقول له: ماذا فعل النغير؟ وكرر ذلك [2]، ففي هذا الحديث ما يبين أن التعلق بالمتملك كان في سن مبكرة، وهي سن كان للطفل نوعا من الاستقلالية، وهنا على التربية أن تتنبه إلى أهمية أن يتملك الطفل بعد فطامه الأغراض من الحيوانات الأليفة واللعب وغيرها، وأن يتنبه الوالدان إلى أن يبادروا بتعويض أي مفقود منها، وأن يجبروا خاطره بأساليب المزح والفكاهة والتعزية وغيرها.

توجيه إرادة التملك لدى الطفل:-

يمكن استنباط المبادئ التي يقوم عليها الأسلوب التربوي لمعالجة انحراف خاصية حب التملك لدى الطفل وتوجيهها نحو ما خلقت له، من موقفه ﷺ من الحسن بن على رضي الله عنهما عندما أخذ تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه، فقال رسول الله ﷺ: (كخ كخ ارم بها أما علمت أنا لا نأكل الصدقة) [3]، "وفي رواية (فنظر إليه فإذا هو يلوك تمرة فحرك خده، وقال ألقها يا بني ألقها يا بني)، ويجمع بين هذا وبين قوله: (كخ كخ)، بأنه كلمه أولا بهذا فلما تمادى قال له كخ

1 – مسلم، صحيح مسلم، كتاب الآداب، باب استحباب تحنيك المولود عند ولادته، (1692/3)، رقم 2150.
2 – ابن حجر، فتح الباري، (10 / 583).
3 – مسلم، صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب تحريم الزكاة على النبي ﷺ وعلى آله، (756/2)، رقم 1069 .

كخ، إشارة إلى استقذار ذلك له ويحتمل العكس بأن يكون كلمه أولا بذلك، فلما تمادى نزعها من فيه"[1]، وهذا الحديث هو أصل من أصول التربية الاقتصادية للطفل، ففي الحديث "أن الصبيان يوقون ما يوقاه الكبار، وتمنع من تعاطيه وهذا واجب على الولي"[2]، ولكن علينا أن ندرك أن هذا يتم في إطار مبدأ الرفق واللين، وأن لا يكون هذا الزجر فيه شدة وقسوة بل هو مجرد كلمة يفهم بها الصبي ضرورة التوقف عن هذا الفعل.

إن الغرض من الزجر هو التأديب والتدريب على آلية أخذ ما يحل وترك ما لا يحل، وفي هذا تربية عملية للطفل على التريث في تملك ما يريد تملكه، حتى يبحث في حكمه الشرعي ويتثبت من حليته، وهذا مما استنبط من هذا الحديث، يقول ابن حجر معددا ما في الحديث من أحكام، ذاكرا منها: "جواز إدخال الأطفال المساجد، وتأديبهم بما ينفعهم ومنعهم مما يضرهم ومن تناول المحرمات وإن كانوا غير مكلفين ليتدربوا بذلك"[3] أي أن هدف هذه العملية التربوية واضح وبيّن، كما ينبغي مراعاة ما يأتي :

- أن تكون علّة الزجر في المزجور عن تعاطيه وتناوله أمرا واضحا لدى الطفل المزجور،ويمكن أن يدركه بسهولة، وهذا ما دل عليه ما جاء في روايات الحديث في قوله ﷺ: (أما علمت، أما شعرت، أما تعرف)، يقول ابن حجر: "وأما قوله: (أما شعرت)، وفي رواية البخاري في الجهاد (أما تعرف)، ولمسلم (أما علمت)، فهو شيء يقال عند الأمر الواضح،وإن لم يكن المخاطب بذلك عالما، أي كيف خفي عليك هذا مع ظهوره وهو أبلغ في الزجر من قوله لا تفعل" [4]، وهذا يقتضي أن تحتوي المناهج الدراسية على بيان ما يجوز تملكه وما لا يجوز حسب ما تقتضيه كل مرحلة عمرية من تطلعات تملكية، كما ينبغي أن يتدرب الطفل

---

[1] – ابن حجر، فتح الباري، (3/ 355)
[2] – النووي، شرح النووي على مسلم (7/ 175)
[3] – ابن حجر، فتح الباري، (3/ 355)
[4] – ابن حجر، فتح الباري، (3/ 355)

على ذلك في البيت أثناء اقتنائه لما يحتويه البيت من أشياء واستعماله لهـا، وتدريبـه علـى احترام خصوصيات إخوته.

- أن يزجر الطفل بلغة يفهمها، وبأسلوب يثير انتباهه وهذا مما يؤخذ من قوله ﷺ: (كخ كـخ)، "وهي كلمة يزجر بها الصبيان عن المستقذرات"[1]، وقد اختلف في أصل هذه الكلمة هل هـي أعجمية أم أنها من أسماء الأصوات، إلا أن الملفت فيها كـأداة للزجـر مناسـبتها للمرحلـة العمرية، وهذا يشير إليه ما نقله ابن حجر عن ابن المنير في الإجابة عن الاختلاف في أصـل الكلمة بقوله: "وجه مناسبته أنه ﷺ خاطبه بما يفهمه مما لا يتكلم به الرجل مع الرجـل فهـو كمخاطبة العجمي بما يفهمه من لغته"[2].

أسلوب التحفيز:-

إنّ خاصية حب التملك هي التي ينبني عليها نظـام الحـوافز والجـوائز الماديـة كوسـيلة تربوية،تدفع بالمتعلم إلى البذل والعطاء، بل هي أسلوب تربوي يصلح لكـل الفئـات العمريـة، وللكثير من المواقف الحياتية، والأصل في ذلك ما ورد في السنة النبوية، من استخدامه ﷺ لهـذا الأسلوب في مواقف عدة ومن ذلك استخدامه ﷺ هذا الأسلوب للحافزية على القتال والجهاد، فـي قوله ﷺ: (من قتل قتيلا له عليه بينة فله سلبه) [3]، واستخدمه هذا الأسلوب في الحافزيـة علـى التعمير والغراس وبناء الحضارة فيما ورد عنه ﷺ: (من أحيا أرضا ميتة فهـي لـه) [4]، وفـي

---

1 – النووي، شرح النووي على مسلم (7/ 175)

2 – ابن حجر، فتح الباري، (6/ 185)

3 – البخاري، صحيح البخاري، كتاب الخمس، باب من لم يخمس الأسلاب ومن قتل قتيلا فله سلبه من غير أن يخمس وحكم الإمام فيه، (1144/3)، رقم 2973 . وفي كتاب المغازي، باب قول الله تعالى يوم حنين { إذ أعجبكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين}، (1570/4)، رقـم 4066. ومسلم، صحيح مسلم، كتاب للجهاد والسير، باب بيان استحقاق القاتل سلب القتيل، (1370/3)، رقم 1751 .

4 – سبق تخريجه، ص 115 .

رواية (من أعمر أرضا ليست لأحد فهو أحق)[1]، وهو أسلوب جاء في القرآن الكريم أيضا فيما ورد من وصف الثواب الذي أعده الله للمتقين في الجنة ووصف نعيمها وما فيها من ملك لا يفنى، وكل ذلك يخلق الدافعية لدى المسلم ويحفزه على العمل الصالح في الدنيا لينال ثوابه في الآخرة.

لذلك ينبغي للمربين مراعاة هذه الخاصية في العملية التعليمية، واستخدامها وسيلة من الوسائل التعليمية، وذلك عن طريق استعمال الحوافز المادية، والإثابة على الأعمال بتمليك التلميذ ما يحب تملكه من الأشياء المادية بقدر ليس فيه إسراف فيرهق كاهل المربي، أو يفسد طبع الطالب، لذلك يجب أن ينضبط نظام الحوافز، وذلك بمراعاة مجموعة من المبادئ التربوية،تعتبر في عمومها أصولا تربوية اقتصادية ذات بعد نفسي لارتباطها بحب التملك، ومن هذه المبادئ ما يأتي:-

- الحافز لا يكون إلا لعمل: أي أن الحافز يكون لمن قدم من الأعمال ما يستحق أن يعطى عليه مقابل، وهذا المبدأ دل عليه قوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾(النجم: 39)، وعليه ينبغي " التفرقة بين من يعمل ومن لا يعمل، فمن عمل فله حصيلة عمله بحكم جهوده المشروعة، ومن لم يعمل فلا شيء له"[2].

- على قدر درجة العمل تكون قيمة الحافز:وهذا المبدأ تضمنه قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾(الأحقاف : 19)، يقول ابن عاشور: "(من) في قوله: مما عملوا تبعيضية، والمراد ب(مما عملوا) جزاء ما عملوا فيقدر مضاف، والدرجات مراتب الأعمال في الخير وضده التي يكون الجزاء على وفقها؛ ويجوز كون (من) ابتدائية، و(ما

---

[1] - سبق تخريجه، ص 115 .

[2] - الخولي، الثروة في ظل الإسلام، ص 57 .

عملوا) نفس العمل فلا يقدر مضاف، والدرجات هي مراتب الجزاء التي تكون على حسب الأعمال"[1]، وعليه يجب التفرقة بين المُجِدّ وغير المُجِدّ في قيمة حافز كل منهما.

ضبط الحافز وتوجيهه:-

إن ضبط الحافز وتوجيهه يكون بتربية الإنسان على القناعة، وأن يكون في نظرته إلى الغنى كما قال ﷺ: (ليس الغنى عن كثرة العَرَض ولكن الغنى غنى النفس) [2]، و"العَرَض هنا بفتح العين والراء جميعا وهو متاع الدنيا، ومعنى الحديث الغنى المحمود غنى النفس وشبعها وقلة حرصها لا كثرة المال مع الحرص على الزيادة؛ لأن من كان طالبا للزيادة لم يستغن بما معه فليس له غنى"[3].

المطلب الثاني: خصائص الإنسان في عمارة الكون والقدرة على العمارة:-

إن وجود هذه الخصائص في الإنسان هو سبب في تمكن الإنسان في هذه الأرض، وهذا ما دل عليه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ﴾(الأعراف:10)، إذ من معاني التمكين الإقدار على التصرف فيها، وهذا لا يكون إلا إذا أمد الله الإنسان القدرة على هذا التصرف والتي تتمثل في هذه الخصائص، وذلك بأن تكون موجودة في ذات الإنسان إلا أن وجودها هو وجود بالقوة وما على الإنسان إلا أن يوجدها بالفعل، ويضبطها وفق ما جاء به الشرع، لتلتقي الإرادة الكونية مع الإرادة الشرعية، وهذا التمكين الذي بمعنى القدرة هو تمكين مادي أيضا، فقد جاء في تفسير (مكناكم) أيضا جعلنا لكم فيها مكانا وقرارا، أو ملكناكم فيها.

---

1 – ابن عاشور، التحرير والتنوير (26 / 41) .

2 – البخاري، صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب الغنى غنى النفس، (2368/5)، رقم 6081. ومسلم، صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب ليس الغنى عن كثرة العرض، (726/2) رقم 1051 .

3 – النووي، شرح النووي على مسلم، (7 / 140) .

أولا: تعريف القدرة وعلاقتها بخصائص الإنسان في عمارة الكون:-

القدرة : "إذا وصف الإنسان بها فهي اسم لهيئة له بها يتمكن من فعل شيء ما"[1].

العلاقة التوافقية بين خصائص الإنسان في عمارة الكون والقدرة:-

إن هذا المفهوم للقدرة له علاقة بمفهوم الخصائص باعتبارها قوى موجودة في الإنسان بها يتهيأ لفعل العمارة، ومن الممكن إدراك هذه العلاقة التي تربط بين القوة المتمثلة بالخصائص والقدرة من خلال قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾(الأعلى: 3)، فقدّر بمعنى التقدير والقدرة ومن صوره "إيداع القوى العقلية كالحس والاستطاعة وحيل الصناعة"[2]، و"المراد أن كل مزاج مستعد لقوة خاصة وكل قوة فإنها لا تصلح إلا لفعل معين"[3]، ومن هنا ندرك أن للخصائص دورا كبيرا في قدرة الإنسان على فعل العمارة، يؤيد هذا في تعدد استعمال لفظ القوة "فتارة: تستعمل في معنى القدرة، وتارة للتهيؤ الموجود في الشيء"[4]، وكلا المعنيين ذوا علاقة وثيقة بالخصائص والله أعلم .

القدرة بين الفعل والانفعال :-

إن هذا التمكين الناتج عن وجود الخصائص في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ﴾(الأعراف: 10)، جمع في سياق الامتنان مع وجود المعايش التي هي جمع معيشة وهي كل ما يعاش به من المطاعم والمشارب وغيرها أو ما يتوصل به إلى ذلك،وبهذا المعنى قد تكون المعايش هي سنن الإنتاج والتنمية، وللخصائص طواعيتها مع سنن الإنتاج والتنمية، فقد اقتضى الجمع بين الخصائص والمعايش أن يكون هناك نوع من التفاعلية

1- الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، (2 / 222).
2- ابن عاشور، التحرير والتنوير، (30 / 276).
3- الرازي، التفسير الكبير، (31 / 121).
4- الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، (2 / 274).

بين هذه الخصائص وبين العناصر المسخرة، وتتمثل هذه التفاعلية في وجود القدرة على الفعل من قبل الخصائص ووجود الانفعال من قبل العناصر، كما أن هناك فعلا في العناصر وهو الإثارة والتحدي المعبر عنه بالمعيشة، وانفعال من الخصائص يمتثل في الاستجابة لهذا التحدي،ولكن كل هذا يحتاج فيه إلى التزام الشرع لتتم هذه العملية على ما أراد الله لذلك كان وجود هذه التفاعلية التي نسميها عمارة وفق المنهج المرسوم هو شكر لله تعالى وقد يكون هذا من معاني قوله تعالى: (قليلا ما تشكرون).

إن "التنبيه إلى ما في الكون من قدرات وطاقات مسخرة مفاده أن توجه هذه لتأييد سيادة أحكام الله في الأرض لا إلى سيادة الأثرة والهوى"[1]، يقول تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾(الحديد: 25)، ولوجود هذا الانسجام بين خصائص الإنسان والسنن الكونية المسخرة دور كبير في تحقيق سيادة الإنسان، وذلك لأن " تحقيق السيادة يقوم على ركيزتين جعلهما الله عز وجل للإنسان، لأن الإنسان سيد على كل المخلوقات في الأرض بمقتضى كونه خليفة وقد سيده الله عليها بهاتين الركيزتين الأولى: وهبها الله للإنسان فهي ركيزة ذاتية، وهي استطاعة الإنسان على العمل، ويمكن العلم الإنسان من توسيع دائرة عمله، فعلم الأسماء يدخل كمقوم أساسي في هذه الركيزة، لأن العلم التجريبي ليس سوى معرفة خصائص الأشياء والقوانين التي تحكم علاقتها وتأثيرها، فإذا عرف الإنسان طبيعة الشيء وخصائصه وتأثيره وتأثره بغيره استطاع تسخيره وتحقيق سيادته عليه، فالعلم هو المؤهل الذاتي المحقق لسيادة الإنسان في الأرض، أما الركيزة الثانية فهي كامنة في طبيعة الأشياء والأحياء الأرضية وهي تتمثل في تسخير الله عز وجل لها"[2]، الذي يعتبر مظهرا من مظاهر تكريم الإنسان

---

[1] – الخولي، الثروة في ظل الإسلام، ص 16 .
[2] – الدسوقي، مفاهيم قرآنية، ص 43 .

وإشعاره برئاسته لهذا الكون المحسوس[1]، يقول تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾(الإسراء: 70).

ثانيا: دور خصائص الإنسان في عمارة الكون في القدرة على التعمير:-

من الممكن بيان دور الخصائص في إيجاد القدرة على العمارة من خلال بيان الأثر الذي تحدثه كل خاصية في النفس لتمكنها من العمارة، مع الأخذ في الاعتبار أن هذه الخصائص تتكامل قيامها بهذا الدور.

1- خاصية الانتماء إلى الأرض:-

إن هذه العلاقة بين الإنشاء من الأرض وبين القدرة والقوة أمر بيّن في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُون ﴾(الروم: 20)، وهو انتشار يختلف عن انتشار بقية المخلوقات إذ أنه انتشار ناشئ عن ارتباط وثيق بين الإنسان والأرض لا لكونها مستقر ومستودع وفيها المعايش بل لكونه متصرفا فيها؛ فقد أوّل الانتشار "بالتصرف"[2]، أو"تتصرفون فيما هو قوام معايشكم"[3]، يقول الرازي: " قوله: (بشر) إشارة إلى القوة المدركة، لأن البشر بشر لا بحركته، وقوله: (تنتشرون) إلى القوة المحركة وكلاهما من التراب عجيب أما الإدراك فلكثافته وجموده وأما الحركة فلثقله وخموده"[4].

القدرة على الانتشار:-

الانتشار من الخصائص التي اكتسبها الإنسان من الأرض وهو آية من آياته سبحانه وتعالى دل على ذلك قوله عز وجل: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾(الروم: 30)، أي

---

1 - ينظر حامد قنيبي، الكون والإنسان، ص 99 .
2 - الطبري، جامع البيان (21 / 37)
3 - الشوكاني، فتح القدير (4 / 263)
4 - الرازي، التفسير الكبير (25// 95)

"ثم أنتم من لحم ودم تنتشرون أي تتفرقون في حوائجكم وتنبسطون في الأرض"[1]، وهو فضيلة دعا إليها الشرع يقول تعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(الجمعة: 10)، ومن الدلالات الضمنية على سعة الانتشار أن الله لم يقيد الأمة في صلاتها المفروضة على مدار اليوم والليلة بمكان مخصص كما في الأمم السابقة، فقد دل الحديث أن من خصائص هذه الأمة أن جعل الله لها الأرض مسجدا وترابها طهورا وهذا يعني فيما يعنيه السعي الدؤوب في مناكب الأرض .

إن هذه القدرة على الانتشار يقابلها أن الله جعل الأرض ذلولا يقول تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾(تبارك: 15).

القدرة على الاستقرار في الأرض:-

إن للنشأة من الأرض دورا في تمكين الإنسان من الاستقرار والاطمئنان عليها، وهذا ما دل عليه الوصف قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾(الأنعام: 98)، أي "أنشأكم فشأنكم استقرار واستيداع فأنتم في حال استقراركم في الأرض ودائع فيها ومرجعكم إلى خالقكم كما ترجع الوديعة إلى خالقها"[2]، وهذان الوصفان يتضمنان معنى أن الأرض هي البيئة الحاضنة للإنسان وهو وديعة فيها ؛ إذ "الاستقرار هو القرار والاستيداع هو طلب الترك"[3]، وفي ذلك ما يوحي إلى أن هناك علاقة سامية بين الإنسان والأرض، هي علاقة الأم بولدها، فهي أمه لأنها أصل خلقته، وهي أمه التي قدر الله أن تكون حاضنة له حال حياته وحال مماته .

1 – الطبراني، التفسير الكبير (5 / 120)
2 – ابن عاشور، التجرير والتنوير (7 / 397)
3 – ابن عاشور، التجرير والتنوير (7 / 396)

إن هذا النوع من التمكين الذي خص به الإنسان يفهم من كون أن الملائكة التي خلقت من نور فهي بعيدة في خلقها عن الأرض ليس لها القدرة على الاطمئنان عليها، يقول تعالى: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴾ (الإسراء: 17)، كما أن الجن التي خلقت من نار لا تستقر غالبا على الأرض، يقول تعالى: ﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾(الجن: الآيات 8- 10) .

القدرة على التعامل مع العناصر المادية:-

إن إنشاء الإنسان من الأرض يعني أن عناصره من عناصر الأرض، مما يجعله الأجدر والأقدر على التعامل معها لأنه مخلوق منها، كما أن حاجاته العضوية ترتبط ارتباطا قويا فلا يستطيع الفكاك منها؛ لأنه دونها يفقد حياته، كما أن المخلوقات الأرضية كالحيوانات والطيور والأسماك والنباتات تتكون عناصرها من عناصر الأرض، وهي مما سخر للإنسان للاستفادة منها وهو القادر على التعامل معها جميعا لتفوقه عليها بما منحه الله من قدرات عقلية ونفسية لم تكن لغيره من المخلوقات [1].

إن الأساس في القدرة على التعامل مع الكون وعناصره هو ذلك الانسجام الذي أحدثه النشأة بين خصائص الإنسان والكون بعناصره، وذلك لأن" تنوع القدرات والخبرات لدى البشر لا حدود له وهي تتلاقى مع بعض الأسرار الإلهية التي أودعها الله خالق هذا الكون فيه وسلط البشر عليها لأنها مسخرة لهم "[2] وفق ما ينسجم والتركيب الذي ركب عليه الإنسان، ويحقق

---

1 – ينظر المطرودي، الإنسان وجوده وخلافته في الأرض، ص 353 ..
2 – بابللي، إعمار الأرض، ص 7 .

متطلباته، من أجل أن يواصل مسيرته في إعمار الكون وعبادة الله وحده[1]، كما أن المنهج الإسلامي ضبط التفاعل بين الخصائص والعناصر الكونية واستفادة الإنسان منها وفق قاعدة الحلال والحرام، التي دلت على هذا الانسجام من أمثال قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾(البقرة: 168)، ومرد هذا الانسجام إلى أن الله ﷻ قد خلق الكون قبل أن يخلق الإنسان (إن جاعل في الأرض خليفة) بل إن الإنسان هو المقصود من العالم وإيجاده شيئا بعد شيء، وفي هذا يقول الأصفهاني: " المقصود من العالم وإيجاده شيئا بعد شيء أن يوجد الإنسان، فالغرض من الأركان هو أن يحصل منها النبات، ومن النبات أن يحصل منه الحيوان، ومن الحيوان أن تحصل الأجسام البشرية، ومن الأجسام البشرية أن تحصل منها الأرواح الناطقة، ومن الأرواح الناطقة أن تحصل منها خلافة الله في الأرض،فيتوصل بإيفاء حقها إلى النعيم الأبدي، كما دل عليه تعالى بقوله: ﴿ إني جاعل في الأرض خليفة ﴾"[2]، كما أنه أثر من آثار النشأة من الأرض فالنشأة مفهوم له بعد تربوي مضمونه تحقيق هذا الانسجام، وهي نشأة تمت عبر مراحل أدت إلى هذا التوافق المؤدي إلى أن يتنعم الإنسان بنعم الله تعالى.

3- الاختلاف وتوزيع مستويات القدرة:-

إن لخاصية الاختلاف دورا كبيرا في القدرة على التعمير، وذلك لما فيها من تميز كل فرد بدرجة من القوة، ليست موجودة في غيره، وهذا يقتضي توزيع القوى بين الأفراد واختصاص كل فرد بدرجة من قوة معينة، تتناسب مع عمل معين، لا يتناسب معه غيرها من درجات القوة،وهذا يدعونا إلى عدم انتقاص أي مستوى من مستويات القوة، فالذي نراه بمقاييسنا المادية أنه الأقوى، قد لا يستطيع أن يأتي بعمل لا يتطلب الكثير من الجهد، والسبب في ذلك عدم

---

[1] – ينظر خليل، مفهوم الإعمار وعلاقته بالنهضة في ضوء القرآن الكريم، ص 24 .
[2] – الأصفهاني، تفصيل النشأتين،، ص 100 .

تناسب قوته مع هذا العمل، وهذا ما دل عليه قوله ﷺ: (اعملوا فكل ميسر لما خلق له)[1]، لذلك ينبغي تربويا أن يوجه كل فرد إلى العمل الذي يتناسب مع قدرته، يقول الغزالي: "وليس من شرط المتجرد لعلم أو صناعة أن يتطلع على قدر رتبته ونسبته إلى من فوقه، بل إلى من تحته،وإنما المطّلع على جملة مراتب العلوم هم المتكفل بالعلوم كلها، وهو الذي آتاه الله الحكمة، وأراه الأشياء على ما هي عليه"[2].

إن مبدأ التناسب بين قوة الفرد وبين نوع معين من الأعمال، هو المعيار الذي ينبغي أن نقيّم به نفعية القوة وجدواها، وتوجيه الإنسان إلى ما يُسّر له من عمل، وهذا المبدأ نجد له الكثير من التطبيقات في توجيهاته التربوية ﷺ، ومن أبرزها ما رواه مسلم عن أبي ذر قال: قلت: يا رسول الله ألا تستعملني قال فضرب بيده على منكبي، ثم قال: (يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها) [3]، مع ما ورد فيه من خصال تفيد أنه أمة.

إنه من الخطأ تربويا أن نقيّم قوة الفرد بقياسها بقوة غيره، وذلك لأن هذا المقياس فيه من الظلم والتضييع للمصالح الشيء الكثير، وهذا هو الخلل الذي وقع فيه أهل الجاهلية من العرب، عندما ازدروا الأنثى نتيجة عدم فهمهم الصحيح لسنة الاختلاف الذي يقتضي التنوع، وسنة الزوجية التي تقتضي التكامل، فحكموا بمقاييسهم عدم أهمية الأنثى لأنهم حصروا القوة في الخصام والقتال، ويبدو أن هذا راجع إلى تلك البيئة الجافة التي يعيشونها، مما يجعل منهم ذوي أعمال عمرانية محدودة تتطلب الخصام والمعاندة، فلم يكن للمرأة في ذلك دور يذكر، يقول تعالى واصفا حالهم ومقالهم: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي

1 – سبق تخريجه، ص 94 .
2 – الغزالي، ميزان العمل، ص 120 .
3 – مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب كراهة الإمارة بغير ضرورة، (1457/3)، رقم 1825 .

الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾(الزخرف:17، 18)، والحق هو أن من الأعمال العمرانيـة مـا لا يقدر عليه إلا النساء دون الرجال والشواهد في الواقع على ذلك كثيرة، فينبغي مراعاة هذه المبدأ في توجيه كل زوج إلى ما يناسب قوته من الأعمال.

توزيع القدرات مقصده تكاملها:-

إن مقصود هذه الدرجية في مستويات القدرة هو إحداث التكامل بين القوى المتعـددة، لينـتج عنه تسخير الناس بعضهم لبعض، كما قال تعالى: ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ (الزخرف:32،33)، أي "أوقعنا هذا التفاوت بين العباد في القـوة والضـعف والعلـم والجهـل والحذاقة والبلاهة والشهرة والخمول، وإنما فعلنا ذلك لأنا لو سوينا بينهم في كل هذه الأحوال لم يخدم أحد أحداً ولم يصر أحد منهم مسخراً لغيره وحينئذ يفضي ذلك إلى خراب العـالم وفسـاد نظام الدنيا"[1].

3- خاصية النزعة الاجتماعية:-

إن هناك علاقة وثيقة بين النزعة الاجتماعية وبين القدرة على التعمير والعمل، وفـق قاعـدة مفادها في الاتحاد قوة، وذلك لأن "الله سبحانه خلق الإنسان وركبه على صورة لا يصح حياتهـا وبقاؤها إلا بالغذاء، وهداه إلى التماسه بفطرته، وبما ركب فيه من القدرة على تحصـيله؛ إلا أن قدرة الواحد من البشر قاصرة عن تحصيل حاجته من ذلك الغذاء، غير موفية له بمـادة حياتـه منه"[2]، ومن هنا يمكن إدراك ما للنزعة الاجتماعية من بعد تعميري في أنها تتوحد بسببها القوى

---

1 - الرازي، التفسير الكبير (13 / 473) ..

2 - ابن خلدون، المقدمة 46 .

الفردية ويتم بها الفعل الحضاري، ذلك لأن "الفعل الحضاري المثمر لا يتحقق إلا في مجتمع تجمع بين أفراده وحدة الهدف، ويتشاركون في الإحساس بضرورة دفع الأضرار وتحقيق المنافع والسعي الجماعي لتجسيد المثل والقيم التي ارتضوها شعارا لحياتهم ومجتمعهم، وبدون شبكة العلاقات الاجتماعية الصحيحة التي تظل الجميع تحت لوائها لا يمكن أن تقوم الحضارة ويتحرك المجتمع، فكلما تعلم الإنسان كيف يعيش مع غيره وكيف يكون معهم مجموعة القوى التي تغير شرائط الوجود نحو الأحسن دائما وكلما التحم معهم في علاقات اجتماعية قوية تتيح للمجتمع أن يؤدي نشاطه المشترك في التاريخ كلما أوغل في الفعل الحضاري وارتقى سلمه ونجح في تحقيق أهدافه"[1].

ضعف الإنسان سر في قوته:-

إن وجود هذا الضعف في الإنسان على مستوى الفرد هو السر في قوة الإنسان وسيطرته في الوجود على غيره من المسخرات، وذلك لأن ضعف الإنسان جعله مفتقرا إلى غيره من بني جنسه، مما يحتم عليه الاجتماع بهم والتعاون معهم، وبمجموع قوى الأفراد تحصل القوة الجماعية، وقد تنبه الماوردي إلى هذا البعد في الربط بين النزعة الاجتماعية وبين ما تحدثه من قوة وقدرة على العمل، وكيف أن الضعف سر هذه القوة، فقال: "والإنسان مطبوع على الافتقار إلى جنسه، واستعانته صفة لازمة لطبعه، وخلقة قائمة في جوهره، ولذلك قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴾(النساء: 28)، يعني" عن الصبر عما هو إليه مفتقر واحتمال ما هو عنه عاجز"[2].

التكامل يستلزم توجيه العمل وتوحيد الهدف:-

العمل هو جهد فردي يجب أن يتكامل مع الجهود الفردية الأخرى ليكون جهدا جماعيا، وذلك عن طريق توجيه العمل، الذي يقوم على "تأليف كل هذه الجهود لتغيير وضع الإنسان وخلق

---

[1] – زرمان، الفعل الحضاري، ص 65، 66 .

[2] – الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص 107 .

بيئته الجديدة، ومن هذه البيئة يشتق العمل معناه الآخر (كسب العيش لكل فرد)، والواقع أنه يجب أن يكون التوجيه المنهجي للعمل شرطا عاما أولا، ثم وسيلة خاصة لكسب الحياة بعد ذلك، لأن هذا التوجيه حين يتحد مع توجيه الثقافة وتوجيه رأس المال يفتح مجالات جديدة للعمل"[1].

الآثار التربوية للتعاون:-

إنّ هذه القوة الجماعية التي يحدثها التعاون الناشئ عن ضرورة النزعة الاجتماعية لها آثارها التعميرية التربوية وذلك لأن هذا التعاون:

- "يزيد من كفاءة العمل ومن ثم من الإنتاجية و الإنتاج، وهذا ما يبرهن عليه التعاون في القطاع الزراعي على امتداد العملية الزراعية كلها من الحرث والبذر والسقي إلى الحصد والتسويق"[2] .
- "يتيح العمل التعاوني المجال والإمكانيات أمام التوسع في تطبيق مبدأ تقسيم العمل، وتقسيم العمل هو ناحية من نواحي التخصص، يصبح به النشاط الاقتصادي الذي يمارسه الناس متنوعا ومتخصصا بصورة متزايدة، وهو من الخصائص الرئيسية التي يتميز بها المجتمع الحديث عامة والمجتمع الصناعي بوجه خاص" [3].

النزعة وهندسة الانتشار:-

إنه مما ينبغي مراعاته في هندسة المدن أن تقوم عملية الانتشار السكاني، وتوزيع السكان في الأحياء والشوارع وفق ما يربط بين الأفراد من ألفة، مما يجعل منه قوة واحدة، ومن هذه الأسباب رابطة النسب، وهذا ما يمكن ملاحظته من خلال تنظيم مدينة الرسول ﷺ إلى أحياء تعود إلى نسب واحدة مثل بني النجار .

---

[1] – مالك بن نبي، شروط النهضة، ص 108 .
[2] – راشد البراوي، التفسير القرآني للتاريخ، ص 43 .
[3] – راشد البراوي، التفسير القرآني للتاريخ، ص 43 .

إن توزيع السكان في الأحياء والشوارع حسب النسب أمر في غاية الأهمية لأنه سبب للألفة و التناصر وقد بين الماوردي هذا البعد للنسب في كونه سبب قوي من أسباب الألفة فقال: " فلأن تعاطف الأرحام وحمية القرابة يبعثان على التناصر والألفة، ويمنعان من التخاذل والفرقة، أنفة من استعلاء الأباعد على الأقارب، وتوقيا من تسلط الغرباء الأجانب"[1].

كما أن هذا يسهم في تفقد أهل الحي بعضهم بعضا، فيتفقد غنيهم فقيرهم ويحسن إليه، وبخاصة أن الشرع حث على التصدق على الأقارب وجعلها من أفضل الصدقات وجعل للجار ذي القربى ثلاثة حقوق، مما يدل على قوة الارتباط بتعدد أسبابه، يقول ﷺ: (الجيران ثلاثة: فجار له حق واحد، وهو أدنى الجيران حقا، وجار له حقان، وجار له ثلاثة حقوق: فأما الذي له حق واحد فجار مشرك لا رحم له، له حق الجوار، وأما الذي له حقان فجار مسلم، له حق الإسلام وحق الجوار، وأما الذي له ثلاثة حقوق فجار مسلم ذو رحم، له حق الإسلام وحق الجوار وحق الرحم) [2].

إن هذا التوزيع له بعد تعميري آخر في كونه يخلق التنافسية بين الأحياء، مما يثري الحركة التعميرية، وقد روعيت هذه الحمية في حروب الردة، عندما جعل خالد بن الوليد رضي له عنه لكل قبيلة راية تقاتل تحتها.

4- خاصية العقل وقوة الإدراك:-

إن وجود العقل في الإنسان جعل منه قوة مدركة فيها سر التجاوب والتوافق مع عناصر الكون، وهذا السر يكمن في ذلك المنطق القائم على ما بينه وبين الكون المادي من علاقات حسية ومشاهدات وتجارب [3]، فالله سبحانه وتعالى وإن خلق الإنسان عاريا من المعارف التي

---

1 - الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص 125 .

2 - البيهقي، شعب الإيمان، باب في إكرام الجار، (73/7)، رقم 9560. وقال : سويد بن عبد العزيز وعثمان بن عطاء وأبوه ضعفاء غير أنهم غير متهمين بالوضع ،وقد روى بعض هذه الألفاظ من وجه آخر ضعيف.

3 - ينظر الخولي، آدم عليه السلام، فلسفة تقويم الإنسان وخلافته، ص 52 .

جعلها للحيوانات بالإلهام، ومن الملابس والأسلحة التي جعلها لها بالتسخير، فقد جعل له بالعقل والفكر قوة التعلم وتحصيل الملابس والأسلحة والآلات المختلفة، ووكله إلى نفسه في الاستفادة ومكنه من ذلك وذلك فضيلة له لا نقيصة ورفعة لا ضعة، فإنه بإعطائه العلم والعقل واليد العاملة قد أعطاه كل شيء، ولو أعطي كل شيء حسب ما أعطي البهائم شيئا فشيئا لكان قد منع كل شيء لأن بعضه كان يمنعه عن استعمال البعض [1]، فالله سبحانه بث في آدم من أسرار الفهم والتمييز والاستعداد الفطري ما يكشف به تلك النواميس والسنن ويميز خصائص الأشياء بعضها من بعض [2]، يقول تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾(البقرة: 32).

القوة النظرية العالمة في الإنسان:-

للنفس البشرية في تعاملها مع العالم، جانبان متعلقان بقوتين هما القوة العملية التي لها علاقة بالبدن، والقوة النظرية العالمة التي من شأنها أن تتلقى المعاني الكلية المجردة عن العوارض التي تجعلها محسوسة جزئية [3]، وبهاتين القوتين تتحقق سيادة الإنسان في الكون ولكل واحدة من القوتين دوره في تحقيق السيادة، وعلى طبيعة كل منهما يتوقف منهج السيادة، "فالعمل هو منهج تحقيق سيادة الإنسان في الأرض، أما العلم والتكنولوجيا فليس هو تحقيق السيادة، وإنما هو منهج توسيع وتقوية وتعميق هذه السيادة، فالعلم بلا عمل لا قيمة له، ولا يحقق وحده للإنسان نفعا وأن النفع والقيمة في تطبيق العلم في مجالات الحياة ثم في العمل وفق هذا العلم"[4].

إن عقل الإنسان له القدرة على الابتكار أي السعة في الإدراك على خلاف عقل الملائكة المجبول على التلقي والتنفيذ (إن صح التعبير)، يقول تعالى:﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ

---

[1] – الأصفهاني، تفصيل النشأتين، ص 125 بتصرف.
[2] – الخولي، آدم عليه السلام، فلسفة تقويم الإنسان وخلافته، ص 114 بتصرف.
[3] – ينظر الغزالي، ميزان العمل، ص 27، 28 .
[4] – الدسوقي، مفاهيم قرآنية، ص 44 .

الْحَكِيمُ﴾(البقرة: 31، 32)، كما أنه عقل يملك ضوابط الفكر ويحسن استخدام المنطق على خلاف عقل الشيطان الذي فيه معنى الشطط والشــطن أي الخــروج والتمــرد والتكبــر عــن إدراك الحقائق،ولا يحكم ربط المقدمات وإخراج النتائج أي لا يحسن استخدام المنطق، يقــول تعــالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾(الأعراف: 12)، وعلــى خلاف الجن الذي يحبذ استعمال القوة أكثر من العقل، كم أنه يحتاج في قيامه بالعمل إلــى مــن يخطط له، يقول تعالى: ﴿ قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ (النمل: 39، 40)، والذين يبدو أنهم يحســنون التفكير الحسي دون التفكير المنطقي، يقول تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾(سبأ: 14)، ولعــل من أهم معالم قوة عقل الإنسان هي قدرته على اختزال هذه الموجــودات فــي صــور خياليــة يستدعيها من الذاكرة متى يشاء .

طبيعة القوة العقلية وعملها:-

إن "العقل في طبيعته يشتمل على ثلاث قوى: شاهية وغاضــبة وعاقلــة، ومــن مجموعهــا ومجموع بعضها تحصل تراكيب من التفكير نافعة وضارة، ثم إن القدرة التــي فــي الجــوارح تستطيع تنفيذ كل ما يخطر للعقل وقواه أن يفعله، فيكون من أحوال ذلك فساد كبير ومن أحوالــه أيضاً صلاح عظيم وإن طبيعة استخدام ذي القوة لقواه قاضية بأنه سيأتي بكل ما تصلح له هــذه القوى خيرها وشرها فيحصل فعل مختلط من صالح وسيء" [1]، ولعله لذلك جاء قولــه تعــالى

---

[1] - ابن عاشور، التحرير والتنوير (1/ 402)

مخبرا عن الملائكة: ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾(البقرة: 30).

التربية الصحية ضرورية للقوة العقلية:-

إن التربية العقلية مرتبطة ارتباطا كبيرا بصحة الحواس، وذلك "لأن جسم الإنسان له أهميته الكبيرة في تكوين الذات الإنسانية، جسميا ونفسيا وعقليا، وليس للإنسان اختيار في ذلك ولكن يجب ألا يكون هنالك مبالغة في تقدير أهميته على حساب الجانب الآخر في الإنسان وهو الجانب الروحي، الذي له دور رئيسي – أيضا – في التقويم والترشيد لما يمنحه هذا الجانب من إمكانيات وقدرات وقيم ومبادئ روحية" [1]، وهنا علينا أن ندرك البعد العقلي للتربية الصحية،والتربية الرياضية، وتربية المهارات، ذلك "لأن العقل في سبيل الوصول إلى الحقيقة يتحرك في معطيات الحس"[2]، فإن لم تكن هذه الحواس سليمة فلن تستطيع أن تقدم معطيات واضحة للعقل.

توجيه طاقات العقل:-

من الأسس التي تقوم عليها التربية العقلية الطاقات العقلية ومن ذلك توجيه طاقة الظن إلى أن يكون نوعا من التنبؤ، "وقيل لعمرو بن العاص: ما العقل؟؛ فقال: الإصابة بالظن، ومعرفة ما يكون بما قد كان، وقال عمر بن الخطاب: من لم ينفعه ظنه لم ينفعه يقينه"[3]، وذلك لأن"الإنسان لديه القدرة على التنبؤ والتوقع للنتائج قبل وقوعها واستحضار ما ليس في الواقع مما يساعد

---

1 – الخولي، آدم عليه السلام، ص 33 .

2 – النجار، خلافة الإنسان، ص 75 .

3 – الأندلسي، العقد الفريد (2 / 97)

الإنسان على إجراء المقايسات في خياله مما يجنبه أن يكون ميدان للتجربة أو يضيق هذا المجال"[1].

تنمية قوة العقل:-

إن العقل حقيقة باطنية يحدث نموه بالتدرج، ولذلك كان البلوغ من شروط التكليف والتكليف ساقط عن غير العاقل[2]، و"تنمية العقل تكون بإقداره على الوصول إلى الحق عند النظر في موضوعات المعرفة الغيبية والمادية، ورقيه يقاس بمدى قدرته على ذلك"[3]، كما أن تنميته تكون بالتجارب، وهذا من مأثور العرب المشاهد، قال سَحبان وائل: "العقل بالتجاربَ لأن عقلَ الغريزةِ سُلَّمٌ إلى عقل التجربة"[4]، و يقال: " التجارب ليس لها غاية والعقل منها في الزيادة"[5].

إن إقدار العقل على الوصول إلى الحق في مجال المادة على سبيل المثال إنما يكون ترقية خلافية إذا كان مندرجا في إطار تسخير القوانين التي يكتشفها للتعمير في الأرض وتحقيق الخير للناس، ويكون الأمر على عكس ذلك لو كان مندرجا في إطار البحث عن قانون طبيعي لصنع قنبلة ذرية يكون بها دمار الأرض وفناء الناس[6].

المعيار العقلي لقياس القدرة على التصرف:-

إن معيار قياس قدرة الإنسان على التصرف هو معيار عقلي، وهذا المعيار هو الرشد، يقول تعالى: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾(النساء: 6)، وهذا الرشد المذكور في هذه الآية هو "حالة الإدراك التي يميز بها المرء ما يصلح معاده وما يضره، وهو لا معول عليه إلا في تدبير المنافع المادية، وهو درجة هينة من التمييز يبلغها الصالح

---

[1] - ينظر المطرودي، الإنسان وجوده وخلافته في الأرض، ص 247 .
[2] - المطرودي، الإنسان وجوده وخلافته في الأرض، ص 263 .
[3] - النجار، فقه التحضر الإسلامي، ص 53 .
[4] - الأندلسي، العقد الفريد، (2 / 97) .
[5] - الأندلسي، العقد الفريد، (2 / 101) .
[6] - النجار، فقه التحضر الإسلامي، ص 53 .

والطالح متى أدرك سنا معينة في العادة، وهناك نوع آخر من الرشد ذكر في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾(الكهف: 66)، وهو درجة رفيعة من إدراك البصيرة يهتدي بها المرء إلى حقائق الوجود، ويميز قيم المعنويات فلا يشتبه عليه حق بباطل، ولا يلتبس عليه الزيف الرخيص بالقيم النفيس"[1].

5- خاصية حُبّ الخلود والقدرة على التعامل مع عنصر الزمان:-

إن حُبّ الخلود يزود النفس بقوة نفسية كبيرة تجعله يتحدى الصعاب، ويقارع اليأس، ويتغلب على المخاطر، وهذه القوة تدخل في إطار التعامل مع عنصر الزمن، ومن الممكن الاستدلال على دور هذه الخاصية من خلال فكرة أصّل لها الإسلام تمد الإنسان بالحيوية والنشاط، وتجعل لعمره في الحياة معنى، ألا هي فكرة التسابق مع الزمان .

الإنسان في تسابق دائم مع الزمن:-

إن فكرة التسابق مع الزمن قائمة على الإنسان في تحد كبير مع الزمن في مضمار العمل،وهو مبدأ تربوي "وثيق الصلة بنهضة العلم المادي في عصرنا، وذلك لأن هذا المعنى هو مفهوم للزمن الداخل في تكوين الفكرة والنشاط، وفي تكوين المعاني والأشياء" [2]، مما يشعر الإنسان بأنه في سباق دائم مع الزمن، فإما أن يحقق في عمره أكبر قدر من العمل، فيدرك بذلك الخير الكثير، أو أن يضيع وقته فلا يحقق فيه شيئا فيفوته الخير الكثير، وهذه تضمنها قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾(المؤمنون: 61)، فهذه الآية تتحدث عن السباق الحضاري عندما تصف المؤمنين بوصفين هما المسارعة في الخيرات، وهو وصف له دلالته الزمنية، إذ "المسارعة مستعارة للحرص وصرف الهمة والجد للخيرات، أي لفعلها، تشبيها

---

[1] - الخولي، آدم عليه السلام، فلسفة تقويم الإنسان وخلافته، ص 101 .

[2] - مالك بن نبي، شروط النهضة، ص 140 .

للمداومة والاهتمام بمسارعة السائر إلى المكان المقصود الجاد في مسالكه"[1]، كما تصفهم بالمسابقة لها، وهو وصف له دلالته الزمنية أيضا، إذ "السبق تمثيل للتنافس والتفاوت في الإكثار من الخيرات بحال السابق إلى الغاية"[2]، "وفي كلا التعبيرين نلمس بوضوح فكرة الزمن ومحاولة اعتماده لتحقيق أكبر قدر ممكن من المعطيات، ما تلبث أن ترتقي بمقاييس الكم والنوع بمجرد أن يتجاوز المسلم مرحلة الإيمان إلى المراحل الأعلى التي يحدثنا القرآن عنها في أماكن عديدة التقوى والإحسان"[3].

أسلوب التحايل على النفس:-

إنّ من الأساليب التربوية التي ينبغي للفرد أن يتبعها في تقوية العزيمة وإرادة العمل، وإشاعة الأمل في النفس، أسلوب التحايل على النفس، بأن يوهمها بأنها لا تزال في شبابها وقوتها، وهذا الأسلوب يفهم من تعليل ابن الجوزي لما يفعله السلف من خضاب للشيب، حيث قال: "قد كان عموم السلف يخضبون الشيب لئلا يرى الإنسان منهم ما يكره، وإن كان الخضاب لا يعدم النفس علمها بذلك، ولكنه نوع مخادعة للنفس، وما زالت النفوس ترى الظاهر، وإنما الفكر والعقل مع الغائب، ولا بد من مغالطة تجري ليتم العيش، ولو عمل العامل بمقتضى قصر الأمل ما كتب العلم ولا صنف"[4]، ومن هنا ندرك ما لمثل هذا الحكم من مقاصد شرعية تدخل في إطار المقصد العام، فالله لحكمة أراد أن تتسم كل مرحلة من مراحل عمر الإنسان بسمة معينة، وكل الإنسان هو الإنسان يراد منه أن يعبد الله ما دام حيا عاقلا، ومن المراحل التي سيمر بها إن شاء الله له الحياة مرحلة الشيخوخة وهي مرحلة تتسم بالضعف الجسدي، يقول تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ

---

[1] - ابن عاشور، التحرير والتنوير، (17 / 136) .
[2] - ابن عاشور، التحرير والتنوير، (18 / 78) .
[3] - خليل، ص 116 .
[4] - ابن الجوزي، صيد الخاطر، ص 222 .

مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾(الروم:54)، وهذا الضعف تقابله قوة أخرى وهي قوة التشبث بالحياة والتملك، يقول ﷺ: (يهرم ابن آدم، وتشب منه اثنتان، الحرص على المال، والحرص على العمر) [1]، لذلك لعل الحكمة من الشيب هي أن يتوازن الضعف والقوة ليحصل التعمير، والله أعلم، عن جابر بن عبد الله قال: أتي بأبي قحافة يوم فتح مكة ورأسه ولحيته كالثغامة بياضا، فقال رسول الله ﷺ: (غيروا هذا بشيء واجتنبوا السواد) [2].

6- خاصية حُبّ التملك وقوة الارتفاق:-

إن السبب في حب المال بالطبع هو حب الإنسان للقدرة، التي هي صفة من صفات الكمال،فهي محبوبة لذاتها، والمال سبب لحصول تلك القدرة، ولكمالها في حق البشر فكان أقوى أسباب القدرة في حق البشر هو المال، والذي يتوقف عليه المحبوب فهو محبوب، فكان المال محبوباً، فهذا هو السبب في كونه محبوباً [3]، وهذه السبب مستمر استمرار حياة الإنسان، دل على ذلك قوله ﷺ: (قلب الشيخ شاب على حب اثنتين طول الحياة وحب المال) [4]، ويقول ﷺ: (لا يزال قلب الكبير شابا في اثنتين في حب الدنيا وطول الأمل) [5].

هذا وقد دأبت التوجيهات القرآنية التربوية إلى ضبط هذه القوة لدى المسلم، والحرص على عدم تسلطها، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾(النساء: 29)، "هذه إشارة بليغة جداً تُبيّن أنه لمّا

---

1 – سبق تخريجه، ص 233.

2 – مسلم، صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب استحباب خضاب الشيب بصفرة أو حمرة وتحريمه بالسواد، (1663/3)، رقم 2102 .

3 – ينظر الرازي، التفسير الكبير، (16 / 80).

4 – سبق تخريجه، ص 75.

5 – سبق تخريجه، ص 75 .

كان من شأن أكل أموال الناس بالباطل أن يغرس الحقد في القلوب، وكثيرا ما يؤدي ذلك إلى القتل والشر فقد قرنهما الشارع وجاء بهذا التعبير العظيم، ولا ريب في أن من سلب مال إنسان إنما سلبه عنصراً هاماً من عناصر الحياة وصيّره في حكم المقتول"[1].

أداة التملك:-

إن الأداة التي يستخدمها الإنسان في التملك هي اليد، فبها يكتسب، وبها يرتفق وبها يتناول الأشياء، ويلتقطها، فالعلاقة وثيقة بين حركة اليد وبين حب التملك، وعلى هذا الاعتبار من الممكن بيان أسلوب تربويا يضبط لنا خاصية حب التملك عن طريق ضبط حركة اليد في تناولها للأشياء .

أسلوب ضبط الحركة:-

إنّ من المهم جدّا ضبط الحركة التناولية للطفل حتى يتم السيطرة على الشره والحرص لديه في سن مبكرة، وهذا كله يحتاج منا إلى اتباع طرق ووسائل متعددة، وخير وسيلة في ذلك تعليمه آداب الطعام باعتباره أكثر شيء يمكن أن يتناوله الطفل، ويمكن استنباط هذه الوسائل مما ورد عن عمر بن أبي سلمة قال: كنت في حجر رسول الله ﷺ، وكانت يدي تطيش في الصحفة فقال لي: (يا غلام، سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك) [2]، ففي هذا الحديث مجموعة من الأسس والمبادئ التي من الممكن أن تعتمدها التربية في عملية ضبط الحركة التناولية للطفل حتى تعويده على أن يتخذ الإجراءات المثلى لأي عملية تملكية طوال حياته.

سن ضبط الحركة:-

إن من المهم جداً أن نعرف السن التي يبدأ فيها ضبط الحركة التناولية للأشياء، وهي ولا شك ينبغي أن تكون السن التي يميز بها الطفل بين يمينه وشماله ويميز بها معاني الجهات حوله، دل على ذلك قوله ﷺ: (يمينك _ مما يليك)، كما أنه ينبغي مراعاة كون الطفل يحسن التحكم في

[1] – القطان، تفسير القطان (1 / 285)

[2] – مسلم، صحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما، (1599/3)، رقم 2022 .

حركة يده ويسيطر عليها، وهذا ما دل عليه قول عمر: (وكانت يدي تطيش في الصحفة)، يبدو أن "الظاهر أن هذه الحركة ليست باضطرارية كالمرتعش، وإلا فالتكليف لا يناسبه، وأن الظاهر أن عمر حينئذ بالغ كما يؤيده التعبير بالغلام"[1]

الهدف من ضبط الحركة:-

إن الهدف من ضبط الحركة هو أن يتعلم الطفل ويتعود على عدم التعدي على ما ليس له،وذلك بضبط النهم لديه والحد من الحرص وهذا يفهم مما ذكره العلماء في مناقشتهم لحكم الأكل مما يلي الآكل، فهم وإن اختلفوا في الحكم هل سنة أم واجبا؟ إلا أنهم وجهوا مقصد الأمر إلى ما تحدثه المخالفة له من تعد على حقوق الغير وما فيه من شره وإظهار الحرص، وهي في حقيقتها صور لضبط حركة التملك والسيطرة على هذه الخاصية، جاء في بيان الحديث: "قوله: (كل مما يليك)؛ سُنّة متفق عليها، وخلافها مكروه شديد الاستقباح، لكن إذا كان الطعام نوعًا واحدًا . وسبب ذلك الاستقباح: أنّ كل آكل كالحائز لما يليه من الطعام، فأخذ الغير له تعدٍّ عليه مع ما في ذلك من تقزز النفوس ما خاضت فيه الأيدي والأصابع، ولما فيه من إظهار الحرص على الطعام، والنَّهم . ثم هو سوء أدب من غير فائدة إذا كان الطعام نوعًا واحدًا . وأما إذا اختلفت أنواع الطعام فقد أباح ذلك العلماء، إذ ليس فيه شيء من تلك الأمور المستقبحة"[2]، وجاء أيضا "وقيل: وجوباً لما فيه من إلحاق الضرر بالغير ومزيد الشره"[3].

الأثر الفكري لضبط الحركة التناولية* :-

إن ضبط الحركة تربية للطفل على التريث في اتخاذ قرار التملك، وعدم الاستعجال في تناول الأشياء حتى يعلم حكمها، وهذا أمر تضمنه قوله ﷺ: (سم الله)، فهذه التسمية هي التي ستعود الطفل على عدم الاستعجال، مع ما ينغرس في وجدانه من استحضار معاني عظمة الله فلا

1 – بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية (5 / 476)

2 – الأنصاري، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، (7 / 387).

3 – البكري، دليل الصالحين لطرق رياض (2/ 432) .

* – **ملاحظة**، تساءل الفلاسفة والحكماء، هل الفكرة هي تصنع الحركة، أم الحركة هي التي تصنع الفكرة؟ وهو سؤال مع أنه فلسفي بحت، إلا أن على التربية أن تبحث عن إجابة عليه من خلال التجارب والملاحظات، علها تجد تطبيقات تربوية تستفيد منها في مجال من مجالات العلوم.

يتناول ما لم يحل له تملكه، وإن وقعت في نفسه ريبة ترك لقوله ﷺ:(دع ما يريبك إلى ما لا يريبك فإن الصدق طمأنينة وإن الكذب ريبة) [1].

هذا وقد دأبت التربية النبوية على تربية عدم الاستعجال في تناول الأشياء ومن ذلك ما رواه مسلم عن حذيفة قال: كنا إذا حضرنا مع النبي ﷺ طعاما لم نضع أيدينا حتى يبدأ رسول الله ﷺ فيضع يده، وإنا حضرنا معه مرة طعاما فجاءت جارية كأنها تدفع فذهبت لتضع يدها في الطعام، فأخذ رسول الله ﷺ بيدها، ثم جاء أعرابي كأنما يدفع فأخذ بيده، فقال رسول الله ﷺ: (إن الشيطان يستحل الطعام أن لا يذكر اسم الله عليه، وإنه جاء بهذه الجارية ليستحل بها فأخذت بيدها، فجاء بهذا الأعرابي ليستحل به فأخذت بيده، والذي نفسي بيده إن يده في يدي مع يدها)[2].

طغيان قوة التملك:-

كما أن المال سبب من أسباب القوة والقدرة هو أيضا إذا انحرف عن مقصده، سبب من أسباب الطغيان، يقول تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ﴾(العلق: 6، 7)، يخبرنا" تعالى عن الإنسان أنه ذو فرح وأشر وبطر وطغيان، إذا رأى نفسه قد استغنى وكثر ماله"[3] وخاصية حُبِّ التملُّك إذا ثارت عند الإنسان وطغت، دفعته للاستيلاء على كلِّ ما يحلو له، سواء بالحقِّ أم بالباطل، بالطرق السويَّة أو الملتوية، لذلك جاءت شرائع السماء بالعدل لتنظِّم الحقوق والواجبات، وليأخذ كلُّ ذي حقٍّ حقَّه ويؤدِّي كلٌّ واجبه، مستندة بذلك إلى الميزان العقلي والفكري لتتعادل أمور الحياة، ولتستقيم شؤون الناس الخاصَّة والعامَّة، وليرتقوا نحو الأفضل باستثمار الإمكانات المادية المتاحة لهم"[4]، والرسول ﷺ يحذرنا من هذه الآفة فيقول: (والله ما الفقر أخشى عليكم، ولكني أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم،

---

1 – الترمذي، سنن الترمذي، كتاب كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، فرع من باب صفة أواني الحوض، (668/4)، رقم 2518 . وقال: حديث حسن صحيح .

2 – مسلم، صحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما، (1597/3)، رقم 2017 .

3 – ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (8 / 437).

4 – غازي صبحي آق بيق، القرآن منهاج حياة، (1 / 362).

فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم)[1]، ومن هنا "تتجلى النظرة الواعية إلى المال من خلال دوره في إفساد الأمم وإهلاكها"[2].

علاج الطغيان:-

إن التقوى تعتبر أساسا تربويا مهما ينبغي أن تعتمده التربية الإسلامية مبدأ لها في إعداد المسلم لسعيه في تحصيل الرزق وتملكه للأشياء، ذلك لأن الله سبحانه وتعالى قد أخبر عن تقواه في كتابه العزيز فقال: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾(الطلاق: 2، 3)، وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾(الأعراف:96)، "والتقوى هي تقوى الله بالوقوف عند حدوده وذلك بعد الإيمان"[3]، وهذا الأمر يستلزم أن يتعلم المسلم سنن الله في خلقه، ويعلم الحلال والحرام، ليلتزم أوامر ربه ويجتنبه نواهيه، فيقف على حدوده.

إن التقوى في حقيقتها تعني العمل والسعي في ابتغاء فضل الله، إذ هي التزام لسنن الله في كونه وأخذ بالأسباب التي جعلها لنوال فضله، وهذا المعنى قد أشار قوله تعالى الذي وصف به التقوى بوصف حسي: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾(البقرة: 197)، فهذه الآية "نزلت تعريضا لأهل اليمن الذين كانوا يحجون دون زاد ويقولون نحن متوكلون على الله فيكونون كلا على الناس، فأمروا بإعداد الزاد"[4]، وفي ذلك أخذ بالأسباب المعينة لهم على الامتثال الذي هو التقوى " الواقية لكم من الحاجة إلى السؤال والسرقة، فإنهم كانوا يسافرون إلى الجهاد والحج بغير زاد فربما وقع بعضهم في إحدى المفسدتين المذكورتين فأمرهم الله تعالى بالتزام العوائد وحرم عليهم تركها، فإن المأمور به منهي عن ضده بل أضداده "[5]، وهذا المعنى

---

1 - مسلم، صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، (2273/4)، رقم 2961 .
2 - جودت سعيد، العمل قدرة وإرادة، ص 135 .
3 - الشيباني، كتاب الكسب، ص 47 .
4 - ابن عاشور، التحرير والتنوير (2 / 232)
5 - القرافي، الفروق (4/ 418)

للتقوى في اتخاذ الأسباب الشرعية للرزق دل عليه قوله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(المائدة: 35)، الوارد ذكره بعد ذكر حدّ الحرابة وقبل حدّ السرقة .

ضرورة التركيز على التدريب المهني:-

إننا بحاجة إلى التركيز على التدريب المهني ليتعلم المتعلم صنعة ويتقنها وبذلك يتحول المجتمع إلى مجتمع منتج، ولا نبالغ عندما نقول أننا بحاجة إلى إنشاء الكثير من المعاهد المهنية التي تعد المنتجين أكثر من حاجتنا إلى الكثير من التعليم الأكاديمي العالي، فينبغي أن يركز التعليم العالي على تخريج النخبة، مع عدم إهمال الإعداد العقلي للمتدربين " فالإعداد العقلي للقوة البشرية المنوط بها القيام على خريطة التنمية أمر بالغ الأهمية والناس قد خلقوا درجات في قدراتهم العقلية وفي نفس الوقت تتدرج الأعمال في مطالبها العقلية، فمنها أعمال تحتاج إلى مضاء عقلي عظيم، وهناك أعمال تحتاج إلى مهارات يدوية أكثر مما تحتاج إلى مضاء عقلي،وهناك أعمال تحتاج إلى شحذ الوجدان وتنمية الروح، و ينبغي والأمر كذلك أن يتوجه كل امرئ إلى ما يجد نفسه فيه، وينبغي أن لا نسرف في الإعداد العقلي لبشر سوف يقومون بأعمال بسيطة طيلة حياتهم "[1] " وباختصار ينبغي أن يكون الإعداد العقلي مناسبا لطبيعة الأعمال المرتقبة في منظومة التنمية، والأصل في الأشياء هو التدريب وليس التعليم، أي أن الناس ينبغي أن يتدربوا على منظومة الأعمال التي أفرزتها خطتنا التنموية، وبالطبع كل تدريب يحتاج إلى تعليم مصاحب"[2].

[1] – سيد دسوقي، دراسة قرآنية، ص 50، 51 .

[2] – سيد دسوقي، دراسة قرآنية، ص 51 .

الفصل الخامس: الأبعاد والتطبيقات التربوية لخصائص الإنسان في عمارة الكون

المبحث الأول: الأبعاد المقاصدية لخصائص الإنسان في عمارة الكون وتطبيقاتها التربوية.

المبحث الثاني: الأبعاد الدلالية لخصائص الإنسان في عمارة الكون وتطبيقاتها التربوية.

المبحث الثالث: أهم التحديات التربوية المعاصرة ودور الخصائص في التصدي لها.

الفصل الخامس: الأبعاد والتطبيقات التربوية لخصائص الإنسان في عمارة الكون

إن الأساس المقاصدي للتربية الإسلامية بعامة، ولمناهج التربية الإسلامية بخاصة، ينبثق من نظرة الإسلام إلى الكون والإنسان والحياة، ويشتق من الأساس المقاصدي أهدافا عامة، على المناهج أن تحققها، ثم تنبثق منها الأهداف الخاصة بالمراحل التعليمية المختلفة، وأهداف مباحث المعرفة المختلفة التي تكون مجموع المنهاج، وفي إطارها يشتق المربي سواء أكان معلما أم إداريا أم موجها، أهدافه المحددة في الموقف التعليمي المعين بصورة تنسجم مع الأهداف التربوية في مستوياتها المختلفة[1].

المبحث الأول: الأبعاد المقاصدية لخصائص الإنسان في عمارة الكون وتطبيقاتها التربوية

إن الهدف الرئيس والأساسي للتربية الإسلامية ينحصر في الرقي بالإنسان إلى مستوى أن يكون عبدا لله تعالى، يتصف بصفة الصلاح، وينشر الخير في كل مكان، وهذا الهدف هو المعبر عنه في قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴾(الذاريات: 56، 57)، وتحقيق هذا الهدف يتطلب أمرين: الأول: تحديد معنى واضح للهدف يرسم صورة تتميز بالشمولية يتحقق بها في الواقع، والثاني: ربط هذا الهدف بداخل الإنسان،بحيث يتناسب مع خصائصه ويرتقي به، وهذا ما سيتم فيما يأتي من مطالب تبين الارتباط الوثيق بين الخصائص وبين تحقيق هدف العبادة، وتبين أيضا أهدافا تربوية للخصائص من الممكن لأن تتخذها التربية الإسلامية أهدافا خاصة لها .

إن "نظرية التربية في الإسلام تقضي إعداد الإنسان الذي ينهض للوفاء بعهده مع الله، عبادة شاملة، وخلافة في الأرض، وأمانة ممتدة في الحياة، وعمارة للأرض بحضارة الإيمانظ، وهذا الهدف يضم في ثناياه معاني كثيرة، وأهدافا ربانية كبرى، بها يتحقق هذا الهدف"[2].

---

[1] – ينظر الفرحان وآخرون، نحو صياغة إسلامية لمناهج التربية، ص 17 .

[2] – النحوي، التربية في الإسلام النظرية والمنهج، ص231.

المطلب الأول: ارتباط خصائص الإنسان في عمارة الكون بالهدف العام للتربية الإسلامية:-

إن الهدف العام للتربية الإسلامية يتحدد بالحكمة من خلق الإنسان المعبر عنها بالعبادة، التي يترجم معناها الشامل قيام الإنسان بالعمارة الكاملة المحققة للصلاح بموجب تحمل أمانة الاستخلاف، وذلك لأن "العبادة ليست مقصورة على المناسك التعبدية المحدودة، وإنما هي معنى شامل جدا، وواسع جدا، يشمل دقائق الحياة وتفصيلاتها، ويشمل كل عمل وكل فكر وكل شعور،هو التوجه بكل نشاط حيوي إلى الله، ومراعاة ما يرضي الله في هذا النشاط وما يغضبه،وتوقي غضبه والعمل على رضاه"[1]، ومن هنا ندرك أن معرفة خصائص الإنسان مرتبط ارتباط وثيقا بتحقيق الهدف العام للتربية الإسلامية.

إن هذا الارتباط الوثيق بين خصائص الإنسان في عمارة الكون وبين الحكمة المعبر عنها بالعبادة والتي تم اعتبارها هدفا أساسيا تنصهر في بوتقته كل الأهداف الأخرى، ومن الممكن بيان معالمه فيما يأتي:-

البعد التربوي التعبدي للعمارة:-

إن إقامة العمارة يتصل اتصالا وثيقا بمعنى التعبد الذي" يحقق أمانة الخلافة المنوطة بالإنسان" [2]، التي هي "عبادة طوعية لله بالتزام هديه وشرائعه ينشأ عنها ضبط السلوك الإنساني في علاقته بالكون، والمخلوقات بحيث تسير الحياة الإنسانية ضمن إطار الصلاح"[3]، كما أن البعد التعبدي للعمارة هو بعد حاضر في مفهومها ومضمونها وموضوعها و مقاصدها، فعلى مستوى المفهوم تعتبر العمارة عبادة، بل إن هناك تداخلا عجيبا بين العمارة والعبادة، فالعبادة هي من المعاني اللغوية للعمارة يقال: "عَمَرَ ربَّه عبَدَه، وإنه لعَامِرٌ لربّه أي عابدٌ"[4]، كما أن الله

---

1 – قطب، منهج التربية الإسلامية، (1 / 14)

2 – الشرقاوي، في فلسفة الحضارة الإسلامية، ص 281 .

3 – أحمد فرحات، الخلافة في الأرض، ص 21 .

4 – ابن منظور، لسان العرب (4 / 601)

سبحانه وتعالى قد سمى ما يقوم به المسلم من عبادات عمارة، يقول تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾(التوبة:18).

المضمون التربوي التعبدي لتفعيل خصائص الإنسان في عمارة الكون:-

إنه من الممكن بيان هذا المعنى التعبدي لتفعيل الخصائص في العمارة فيما يقتضيه معنى العبادة الشامل، وذلك لأن الله ﷻ خلق الإنسان لحكمة عبر عنها قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ ﴾ (الذاريات: 56، 57)، هذه العبادة ليس لله ﷻ فيها أي نفع، لأنه غني عن كل ذلك، فوجب أن يعود نفع العبادة على الإنسان، أي أن الحكمة من خلق الإنسان هو التفضل الإلهي عليه بالنفع الدنيوي والأخروي[1]، هذا النفع يتحقق بكمال الإنسان وانتظام أمره لذلك أنزل الله الشرائع، المعبر عن الالتزام بما جاء فيها بالعبادة (إلا ليعبدون)[2]، " فوجه الحكمة من خلق الإنسان أنه ﷻ خلقه لينفعه وليعرضه للثواب"[3]، وهذا النفع مرتبط بسنة إلهية جعلها الله ناموسا في هذا الكون وهي سنة ارتباط الأسباب بالمسببات،وهي سنة لا تنافي معنى القيمومة لله على كل شيء، وإنما توافقها، و ذلك لأن "الله تعالى أجرى الكون في تفاعله وفي حركته على سنة ثابتة في تتابع الظواهر ونشوء الأشياء،وأن هذه السنة تفعل فيها الأشياء بعضها في بعض بقوة أكمنها الله فيها، فأصبحت من طبيعتها،فالفعل لله في الأصل وبتسخيره منه ورعاية للأشياء بعضها في بعض، وبهذا لا منافاة بين قانون السببية وبين القيمومة الإلهية المطلقة "[4].

إن من أخص هذه الأسباب قيام الإنسان بواجب العمارة، التي تعتبر ترجمة حقيقية للحكمة التي خلق من أجلها الإنسان، إذ أنها تمثل حقيقة العبادة، وفيها تحقيق لمقاصدها في تعرض

---

1 - ينظر النجار، فقه التحضر الإسلامي، ص 85 .
2 - ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير (27 / 27)
3 - القاضي عبد الجبار، المغني (11 / 134)
4 - النجار، هامش تفصيل النشأتين، ص 107 .

الإنسان للنفع الإلهي، ولعلنا نلمس ذلك بما اتبع به الحديث عن العبادة بقوله تعالى: ﴿ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ ﴾ (الذاريات: 57 .)، كما جاء ذكر هذه الحكمة في معرض الامتنان بنعم الله ﷻ، والاستدلال على وحدانيته وقدرته، والأمر بعبادته، في قوله تعالى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴾(هود : 61)، وهو أمر يتضمن وجود الخصائص أو يستلزمه، ومن هنا يمكن القول"إن الغاية من إيجاد هذا النوع الإنساني المتميز في قدراته وطاقاته ومواهبه التي أنعم الله بها عليه، إنما هي إبراز هذه القدرات والطاقات والمواهب وتنميتها بعبادة الله والتزام حدوده بحيث يكون هذا المخلوق الفذ في كل لحظة من حياته عبدا لله، ويكون هذا الفرد السوي الحر المختار بين خلق الله جميعا في عبادته نموذجا فريدا، يستخدم نعم الله عليه في استثمار نعم الله في الكون، فتنطلق طاقاته وتتفجر طاقات الكون مما أودع الله فيه من نعم ظاهرة و باطنة"[1]،قال الله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾(فصلت: 53).

عليه من الممكن وصف تفعيل الخصائص واستثمارها وتنميتها وتوجيهها لما خلقت له بأنه عبادة، وذلك في إطار ما تقتضيه حكمة الله ﷻ من خلق الإنسان على هذا القدر من بديع الخلق،"فالغاية العليا التي من أجلها خلقنا هي التكليف بالعبادة بمعناها الواسع، والخلافة عن الله في الأرض بمعنى إصلاحها، ونشر الخير فيها جزء من العبادة، ووظيفة من وظائفها "[2]،و"الإنسان المكلف بعبادة الله لا يعبده بشبحه المحدود وجسمه المادي القاصر، وإنما يعبده بتطويع طاقاته كلها لله، إنه يضع بصماته المؤمنة على الأرض، حتى إذا سجد سجد معه زرعها

---

1 – محمد السميح، ملكية الأرض في الشريعة الإسلامية، ص 30 .
2 – عبد الستار نوير، رسالة الإنسان في الحياة، ص 8 .

وضرعها وحديدها وذهبها وكل ما ملك وارتفق"[1]، "ويلمح الإنسان هنا شيئا من باب القدر في موضوع القدرات والإمكانيات لحكمة عالية وهي بناء الحياة الإنسانية ككل وان ذلك ليس راجعا للإنسان نفسه "[2].

الارتقاء بخصائص الإنسان في عمارة الكون من الأهداف التربوية للعبادة:-

إن هناك ارتباطا آخر بين الخصائص وبين الهدف التي تسعى التربية الإسلامية إلى تحقيقه،وهو أن الارتقاء بالخصائص جزء من مهام العبادة وهذا مرجعه إلى ما بينهما من اتفاق،ذلك لأن" العبادة عند الإنسان تتسع وتتفق مع خصائصه الروحية والمادية التي لم تكن لغيره من المخلوقات كالعلم والحرية والإرادة "[3]، مما يجعل تفعيل الخصائص وتنظيمها والرقي بها، جزءا لا يتجزأ من مهام العبادة، فمفهوم العبادة ليس "مساحة ضيقة لا تتجاوز دائرة الشعائرية والاتصال الروحي بالله، إنه تجربة حياة كاملة يتوازن فيها الأخذ والعطاء وتغدو أشبه بالبرنامج الشامل الذي ينظم فاعليات الجماعة البشرية في الأرض، ويمنحها معنى ويسير بها إلى هدف واحد مرسوم، إنه يمنح التجربة الحضارية طابعها الخاص ويعطيها الدافع والمبرر وينفخ فيها روح الإبداع والابتكار، والتطور الدائم الفعال، كما أنه يتجاوز بها السفوح الدنيا للنشاط البشري إلى القمم التي تليق بمكانة الإنسان في العالم، وبهذا تسقط ابتداء كل السلبيات التي يمكن أن تعلق بأي نشاط حضاري، لا يعتمد برنامجا شاملا أو لا يسعى إلى هدف واضح ولا يلتزم أخلاقية الإنسان في مناجاته مع خالقه"[4].

إن عبادة الله ﷻ تحرر الإنسان من كل عبودية لغير الله، إذ أن لب العبادة أن يتحرر الإنسان ظاهرا وباطنا من كل عبودية إلا عبوديته لله، فلا يكون في باطنه سلطان إلا لله ولا يكون في

---

1 – محمد الغزالي، علل وأدوية، ص 19 .
2 – المطرودي، الإنسان وجوده وخلافته في الأرض، ص 108 .
3 – المطرودي، الإنسان وجوده وخلافته في الأرض، ص 373 .
4 – خليل، حول تشكيل العقل المسلم، ص 133، حول إعادة تشكيل العقل المسلم، ص 111.

ظاهره ونظم حياته سلطان إلا لله [1]، وهي بذلك ترقى بالنشاط الإنساني صعدا عبر مراتب الإسلام والإيمان والتقوى والإحسان، وتجعل من خصائص الإنسان وفعالياته في أقصى حالات التوتر الفعال والأداء في مستوياته العليا، وبذلك تنطلق قواه وإمكانياته للعمل في تعمير الكون،لأنها لن تكون مكبلة بعبودية عناصره [2]، كما أن عبادة الله "هي المنهج الذي يحفظ لهذا الكون انتظامه وسيره، دونما تخبط في أية ناحية من نواحي الحياة، وعلى أي مستوى من المستويات"[3]، وهذا يعني أن للعبادة دورا في انتظام الخصائص والرقي بها وتفعيلها.

الأساس التربوي الذي يقوم عليه ارتقاء الخصائص بالعبادة:-

إن الأساس الذي يقوم عليه هذا البعد التعبدي لتفعيل خصائص الإنسان في عمارة الكون والارتقاء بها يتمثل في ضرورة أن تكون منافية للشهوات، ولعل هذا مما يفهم من تعريف الأصفهاني للعبادة في كونها: " فعل اختياري مناف للشهوات البدنية، تصدر عن نية يراد بها التقرب إلى الله طاعة للشريعة، فقولنا: فعل اختياري يخرج منه الفعل التسخيري والقهري ويدخل فيه الترك الذي هو على سبيل الاختيار؛ وبقولنا: مناف للشهوات البدنية يخرج ما ليس بطاعة، وأما الأفعال المباحة كالأكل والشرب ومجامعة المرأة فليست بعبادة من حيث إنها شهوة ولكن قد تكون عبادة إذا تحري بها حكم الشريعة "[4]، أي أن استحضار نية التقرب إلى الله في العمارة هو الذي يجعل من سعي الإنسان عبادة وجهادا في سبيل الله، مما من شأنه أن يميز الإنسان عن غيره من المخلوقات المسخرة له، وذلك لكون "سعيه في الحقيقة لله، مع أنه في صورته لغيره من البشر، وإلا كان فيما يتولاه من أمر العمارة التي اختصه الله بها، خادما للناس مسخرا بلا إرادة منه لخدمتهم لكونه لا غنى له عنهم في توفير حاجاته من مأكل وملبس ومسكن وغيرها" [5].

---

1 - ينظر الخولي، الثروة في ظل الإسلام، ص 13 .

2 - ينظر خليل، مفهوم الإعمار وعلاقته بالنهضة في ضوء القرآن الكريم، ص 10 .

3 - خطاطبة، المضامين التربوية في العقيدة الإسلامية، ص 60 .

4 - الأصفهاني، تفصيل النشأتين،، ص 157 .

5 - الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص 35 .

الأساس التربوي الذي يقوم عليه تناسب الخصائص مع الهدف:-

إن الله سبحانه وتعالى خلق كل شيء لحكمة وبقدر يتناسب مع هذه الحكمة، وهـذا مـا دل عليه، قوله تعالى: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾(الفرقان: 2)، "والمعنى أحدث كل شـيء إحـداثا يراعي فيه التقدير والتسوية"[1]، "فقدره تقديرا وهيأه لما يصلح له، مثاله خلق الإنسان على هـذا الشكل المقدر المستوي الذي تراه، فقدره للتكاليف والمصالح المنوطة به في باب الدين والـدنيا، وكذلك كل حيوان وجماد جاء على الجبلة المستوية المقدرة بأمثلة الحكمة والتدبير فقـدره لأمـر ما، مطابقا لما قدر غير متخلف عنه "[2]، فالتقدير لفظ يدل على الحكمـة والإحكـام والانضـباط الخصائص، وذلك لأن معنى (قدره): "جعله على مقدار، وحد معين لا مجرد مصادفة، أي خلقه مقدرا أي محكما مضبوطا صالحا لما خلق لأجله لا تفاوت فيه ولا خلل، وهذا يقتضي أنه خلقـه بإرادة وعلم على كيفية أرادها وعينها"[3]، وهذا مما يدل عليه أيضا قولـه تعـالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾(القمر: 49).

إن هذا الانضباط في خلق الخصائص يتضمن عدم مجاوزتها لما خلقت له، وهذا يبـين لنـا القاعدة المهمة التي ينبني عليها تناسب التكليف للخصائص، وهذا مما يدل عليه التأكيد بـالمفعول المطلق (تقديرا)، يقول البقاعي: "ولما كان قد سوى كل شيء لما يصلح له، وهيـأه لـذلك قـال شارحا ومحققا لمعنى (خلق)، (فقدره) في إيجاده من غير تفاوت (تقـديرا)، أي لا يمكـن لـذلك الشيء مجاورته فيما خلق لأجله وهيئ ويسر له إلى غيره بوجه من الوجوه "[4]، وهـذا يعنـي

---

1 – البقاعي، نظم الدرر (13 / 336)، الرازي، التفسير الكبير (24 / 40).
2 – الرازي، التفسير الكبير (24 / 40)
3 – ابن عاشور، التحرير والتنوير (19 / 10)
4 – البقاعي، نظم الدرر (13 / 336)

ضرورة أن تتناسب أهداف التربية الإسلامية مع الحكمة من وجود الخصائص وتعمل على تحقيق أهدافها.

إن لفظ التقدير يدل على الدقة في ذات الشيء وفي صفاته، وفيما خلق له، فمما يعنيه التقدير" وضع المقدار وإيجاد الأشياء في ذواتها وقواها"[1]، و" جعل الأشياء على مقادير مخصوصة في أجناسها وأنواعها وأفرادها وصفاتها وأفعالها وآجالها"[2]، "والمقدار كمية الشيء التي تضبط بالذراع أو الكيل أو الوزن أو العد، وأطلق هنا على تكوين المخلوقات على كيفيات منظمة مطردة من تركيب الأجزاء الجسدية الظاهرة مثل اليدين و الباطنة مثل القلب ومن إيداع القوى العقلية كالحس والاستطاعة وحيل الصناعة "[3]، وهذا ما يدعو إلى أن يكون من أهداف محتوى المنهاج معرفة القدر الذي خلقت عليه الخصائص، ليتسنى لنا فهم الأحكام الشرعية المتعلقة بها،واستنباطها وتفعيل مقاصدها.

إن هذا التقدير الذي خلقت عليه الخصائص هو سمة جعلت منها مهيأة لأن تعمل فيما خلقت له، إلا أن هذه التهيئة لا تكتمل إلا بالهداية، لذلك هدى الله هذه الخصائص إلى العمل وهذا ما يوحي به الفعل (هدى) في قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ (الأعلى: 2، 3)، " قيل: خلق الأجساد فسوى الأفهام، وقيل: أي خلق الإنسان وهيأه للتكليف "[4]، " أي فهدى كل مقدر إلى ما قدر له، فهداية الإنسان وأنواع جنسه من الحيوان الذي له الإدراك والإرادة، هي هداية الإلهام إلى كيفية استعمال ما قدر فيه من المقادير والقوى فيما يناسب استعماله فيه، فكلما حصل شيء من آثار ذلك التقدير حصل بأثره الاهتداء إلى تنفيذه"[5]، وهذا يدل على فطرية الخصائص

---

1 – ابن عاشور، التحرير والتنوير (30 / 245)
2 – الألوسي، روح المعاني (15 / 316)
3 – ابن عاشور، التحرير والتنوير (30 / 245)
4 – القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (22 / 222)
5 – ابن عاشور، التحرير والتنوير (30 / 245)

التي يعتمد عليها التكليف في موافقتها، وهذا مما يفهم من كلام الألوسي، حين قال: " فوجه كل واحد منها إلى ما يصدر عنه وما ينبغي له طبعا واختيارا ويسره لما خلق بخلق الميول والإلهامات ونصب الدلائل وإنزال الآيات"[1].

إن "القرآن الكريم يبين لنا أكثر من مرة أن علاقة الإنسان بالحاجات المادية الجسدية علاقة صميمة، وأن حبه لإشباعها مركوز في جبلته التي يشكلها الجسد كما تحركها الروح والإرادة والقدرات العقلية، يقول تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ (آل عمران: 14)، إلا أن الخطوة الحاسمة التي يخطوها الإسلام متميزا بها عن سائر المذاهب والنظريات أن يضع أهدافا أعلى، وقيما أوسع وأكثر شمولا من مجرد تضييق نطاق الحياة البشرية في البحث عن إشباع الحاجات الجسدية على ثقلها؛ لأن تركيز الهدف النهائي للإنسان في الإشباع وحده يشده إلى الأرض ويلصقه بترابها ويبعده عن مواقع الاستشراف الإيماني الشاملة الرحبة"[2]، لذلك عقب الحديث عن هذا التزيين بقوله: (وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ)، "والمقصود من هذا الكلام بيان أن من آتاه الله الدنيا كان الواجب عليه أن يصرفها إلى ما يكون فيه عمارة لمعاده، ويتوصل بها إلى سعادة آخرته"[3]، ومن هنا ندرك العلاقة الوثيقة بين أهداف التربية الإسلامية والخصائص،وهذا ما يدعو إلى أن يكون من أهداف التربية الإسلامية الرقي بالخصائص وتفعيلها لما خلقت له.

[1] – الألوسي، روح المعاني (15 / 316)

[2]– خليل، مفهوم الإعمار وعلاقته بالنهضة في ضوء القرآن الكريم، ص 20 .

[3] – الرازي، التفسير الكبير (7 / 172).

ضرورة اعتماد النظام التعليمي تحقيق العمارة هدفا تربويا له:-

هناك ارتباط وثيق بين التعليم وبين الحكمة من خلق الإنسان، فالإنسان هو موضوع التربية ومحط اهتمام التعليم، ليتم تأهيله للقيام بمهمته في الحياة، وذلك لأن" الغاية من إيجاد هذا النوع الإنساني المتميز في قدراته وطاقاته ومواهبه التي أنعم الله بها عليه، إنما هي إبراز هذه القدرات والطاقات والمواهب وتنميتها بعبادة الله والتزام حدوده بحيث يكون هذا المخلوق الفذ في كل لحظة من حياته عبدا لرب الناس ملك الناس، ويكون هذا الفرد السوي الحر المختار بين خلق الله جميعا في عبادته نموذجا فريدا، يستخدم نعمة عقله في استثمار نعم الله في الكون، فتنطلق طاقاته وتتفجر طاقات الكون مما أودع الله فيه من نعم ظاهرة و باطنة "[1].

إن هذا الهدف للنظام التعليمي يوافق رغبة فطرية متأصلة في الإنسان؛ لأنه " هناك ارتباط وثيق بين وظيفة الإنسان التي قلنا عنها إنها تعمير الأرض على أكمل وجه بهدف تحقيق أكبر قدر من عبادة الله، وبين فطرة الإنسان حيث إن جانب الروح في فطرته يجعله ينشد عبادة الله،وينهض إلى القيام بكل ما يستلزمه ذلك، وجانب المادة يجعله يقبل على التعمير لإشباع مطالب جسمه هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن جانب الذاتية المستقلة يعكس المزيد من الإبداع حسب ميول الأفراد ومواهبهم، ويعكس في الوقت ذاته التنوع في الأنشطة، فمادامت ميول الأفراد متنوعة فمجالات الحياة المختلفة تجد مواهب تطوقها وتعمل فيها، ويعكس جانب الاجتماعية في فطرة الإنسان تضافر الجهود النابع من منطق الفطرة لتعمير الأرض والاستفادة من مواردها، ومعنى ذلك أنه لا تناقض بين وظيفة الإنسان وبين فطرته فالوظيفة تلبي مطالب الفطرة والفطرة تنشد القيام بالوظيفة بل إذا أمعنا النظر نجد بين الاثنين تكاملا وتلازما .

---

[1] – محمد السميح، ملكية الأرض في الشريعة الإسلامية، ص 30 .

إنّ وضوح هذا الهدف له أثره النفسي على المتعلم؛ وذلك لأنه لن يربط تعلمه بغايات دنيا وإنما سيربطها بغايات كبرى تدخل في إطار عبوديته لله وحده، و"بمثل هذا المفهوم الغائي للوجود يجد الإنسان مغزى لحياته وللعالم من حوله وتقيم الحضارة أصولها وأنماطها الفردية والاجتماعية، على فكرة المقاصد والغايات، وتزداد ثقة الإنسان بتقدم البشرية عبر التاريخ نحو الإيمان من جهة والمعرفة من جهة أخرى بازدياد كشفها من أسرار الوجود حولها يوما بعد يوم"[1] .

إن تحقيق هذا الهدف يستلزم الإحاطة بالخصائص والعمل على الرقي بها، وهذا ما يبين لنا ضرورة أن تستنبط المبادئ التربوية من الخصائص، وهذا كله يندرج تحت القاعدة العامة للتغيير في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾(الرعد: 11)، ومن هنا ندرك أهمية الارتباط الوثيق بين تفعيل الخصائص والإرادة الإنسانية لقيام العمارة، فلكي يتم هذا التغيير في مجال تحقيق العمارة ينبغي البدء بالخصائص، وذلك بتفعيلها وتنميتها والرقي بها وتوجيهها نحو التعمير، وبذلك يتم موافقة الإرادة الإنسانية لإرادة الله الكونية، وذلك بامتثال الإرادة الشرعية؛ فتتحقق العمارة الكاملة التي تتفق مع خصائص الإنسان المادية والروحية،وهي ما تكون "نتيجة للتفاعل بين تلك الدوافع والتكليف الإلهي لتلتقي الإرادة الكونية مع الإرادة الشرعية وبهما تستحق الخلافة" [2]، وهذا لا يتم إلا عن طريق تفعيل دور الخصائص وذلك بالربط بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية .

إن الخصائص في حدّها الأدنى –أي في الجانب المادي منها– تدفع بالإنسان إلى العمارة المادية وتجعل منها إلزامية لما فيها من إشباع للحاجات المادية في الإنسان، وهي بذلك يغلب

---

[1] – الشرقاوي، في فلسفة الحضارة الإسلامية، ص 280، 281 .

[2] – المطرودي، الإنسان وجوده وخلافته في الأرض، ص 388 .

عليها كونها إرادة كونية من كونها إرادة شرعية، إلا أن تعلق هذه الإرادة حاضر فيما جاء من أوامر ونواه تضبط إشباع هذا الجانب، أما الجانب الروحي منها فقد تعلقت الإرادة الكونية في وجود أصله أما ما يتعلق بتفعيله والرقي به، فيغلب عليه جانب الاختيار ليكون موضوعا للابتلاء الذي يظهر مكنون محاسن الإنسان، لذلك تعلقت به الإرادة الشرعية .

إن هذا الأمر يفسر لنا كون الإنسان مخيرا ومسيرا في آن واحد لتفاوت ارتباط كلا جانبي الخصائص بالإرادة الكونية أو الإرادة الشرعية، وهذا الأمر من القضايا والمسائل العقدية التي شغلت الكثير من المسلمين، مما جعل منها قضية جدلية بامتياز وكان من الأولى الالتفات إلى الجانب التطبيقي، تحت مبدأ بينه قوله ﷺ : (اعملوا فكل ميسر لما خلق له)[1]، فوجود الخصائص يسر للإنسان أمر خلق له، وعلى الإنسان تفعيلها حتى يعمل لما خلق له من أداء رسالته في العمارة حسب طاقته ووفق ما أمره الله به.

أما عن منهج الإسلام في تفعيله للخصائص فهو أنه أوجب على الإنسان العلم والعمل وأسبابهما ليتمكن من استثمار خصائصه فيما سخر له، للكشف عن أسرار الكون والاستفادة منه[2].

إن هذا الكلام الذي سبق ذكره يبين لنا ضرورة وجود الإرادة الصادقة للنظام التعليمي في تفعيل هذه الخصائص وتمكين الإنسان من التغيير .

وجوب تنمية الخصائص وتفعيلها:-

لما كانت العمارة مسئولية اقتضاها التكليف، ودل عليها الأمر الصريح بها، فإنه يستتبعها حساب ينشر فيه مقدار ما سعى الإنسان في أدائها، وما استثمر من إمكانيات متاحة له في ذلك،أو قصر، وهو مقتضى قوله ﷺ: (لا تزول قدما عبد يوم القيامة، حتى يسأل عن عمره فيما

---

[1] – سبق تخريجه، ص94 .

[2] – ينظر المطروديِ، الإنسان وجوده وخلافته في الأرض، ص 418 .

أفناه، وعن علمه فيما فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن جسمه فيما أبلاه)[1]،وفي رواية (لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس، عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وماذا عمل فيما علم) [2].

إن استحضار هذه المحاسبة على ما يتميز به الإنسان من خصائص تعميرية من شأنه أن يكسب المسلم روحا منهجية، تجعله ينفر في سعيه لإنجاز رسالة العمارة، فيستنفر في الذات كامل قواها الذهنية والنفسية والمادية للاستجابة لمتطلبات هذا الأمر الجلل [3]، ومن الوسائل التربوية التي اتبعها الإسلام في إثارة هذه الخصائص وتوجيهها إلى خفايا العمل والإنتاج هو إشعار المسلم بالمسئولية على كل ما يصدر عنه وكل ما أوتي من مواهب، مهما كان قدرها صغيرا، يقول تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ ﴾(الزلزلة: 7،8)،والنص على الذرة يشمل العمل في ميدان الحس أساسا ولا ينفصل عن الاعتبار الروحي والاجتماعي[4]،وهذا ما يقتضي أن تضبط كل خاصية وتوجه لما خلقت له من عمل، وألا تنحرف عن القصد، فالله سبحانه ما خلق "الإنسان على هذا النحو وسخر له الكون على هذا النحو وأرشد في كتابه إلى هذا الخلق وهذا التسخير، ثم يرضى منه بعد ذلك أن يعطل قواه التي منحه إياها ويعطل أسراره التي أودعها في خلقه، و يهمل إرشاداته وينحاز بكل ذلك إلى زاوية أو كهف، منقطعا عن الدنيا التي جعله الله خليفة فيها يعمرها وينميها ويجعلها مظهرا لرحمته بعباده " [5].

لذلك نرى أن الشرع الحكيم قد جاء بالعديد من الأحكام التي تضمن تفعيل هذه الطاقات وتحفظها من التعطيل، ومن ذلك تحريمه للربا الذي هو" مدعاة للكسل وإهمال للعمل والاتكال

---

1 – سبق تخريجه، ص 255 .
2 – سبق تخريجه، ص 255.
3 – ينظر النجار، فقه التحضر الإسلامي،، ص 75 .
4 – ينظر الخولي، الثروة في ظل الإسلام، ص 35 .
5 – شلتوت، من توجيهات الإسلام، ص 106 .

على الغير، وفيه تعطيل للطاقات البشرية المنتجة والعاملة في المجتمعات الإنسانية"[1]، وقد تنبه الرازي إلى هذا الأثر السلبي للربا على تفعيل الخصائص فقال: "قال بعضهم: الله تعالى إنما حرم الربا من حيث إنه يمنع الناس عن الاشتغال بالمكاسب، وذلك لأن صاحب الدرهم إذا تمكن بواسطة عقد الربا من تحصيل الدرهم الزائد نقدا أو نسيئة خف عليه اكتساب وجه المعيشة، فلا يكاد يتحمل مشقة الكسب والتجارة والصناعات وذلك يفضي إلى انقطاع منافع الخلق، ومن المعلوم أن مصالح العالم لا تنتظم إلا بالتجارات والحرف والعمارات"[2].

ومن ذلك أيضا أن الرسول ﷺلم يجعل للمتبطل القادر على العمل حقا في الصدقات، وذلك "ليدفع القادرين إلى العمل والكسب الحلال"[3]، وهذا واضح بيّن فيما ورد عنه ﷺ عندما سأله رجلان قويان أن يعطيهما من الزكاة، فقال: (إن شئتما أعطيتكما، ولا حظّ فيها لغني ولا لقوي مكتسب)[4]، وقوله ﷺ: (لا تحل الصدقة لغني، ولا لذي مرة سوي)[5]، "فالمرة بكسر الميم وتشديد الراء القوة، أي ولا لقوي على الكسب، أما السوي فهو صحيح البدن تام الخلقة" [6].

إن على الدولة واجب كبير في تنمية الخصائص والرقي بها وتوجيهها، وذلك يستوجب عدم كبتها، وتركها تتجه إلى ما قدر لها، كما أن عليها أن توفر الظروف المناسبة لها، وذلك بأن تسعى إلى توفير المجالات التي تتعلق بها نشاطات هذه الخصائص، كما أن عليها أن تفعّل مبدأ تكافؤ الفرص للجميع بحيث يجد كل واحد ما يسر له من عمل ونشاط [7].

---

1 – الأشقر، بحث بعنوان الربا وأثره على المجتمع الإنساني، ضمن كتاب بحوث فقهية في قضايا اقتصادية معاصرة لمجموعة من العلماء، (2 /620).

2 – الرازي، تفسير الرازي (7/ 77) .

3– القرضاوي، مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام، ص 46 .

4– أبو داوود، سنن أبي داوود، كتاب الزكاة، باب من يعطى من الصدق وحد الغنى، (513/1)، رقم 1633 . وسكت عنه، وصحّحه الألباني في الحاشية.

5– أبو داوود، سنن أبي داوود، كتاب الزكاة، باب من يعطى من الصدق وحد الغنى، (514/1)، رقم 1634 . وسكت عنه، وصحّحه الألباني في الحاشية.

6– العظيم آبادي، عون المعبود (5 / 42).

7 – ينظر الخولي، الثروة في ظل الإسلام، ص 68 .

المطلب الثاني: المقاصد التربوية لخصائص الإنسان في عمارة الكون :-

ترتبط المقاصد التربوية لخصائص الإنسان في عمارة الكون ارتباطا وثيقا بالحكمة من خلق الإنسان، وهي عبادة الله سبحانه وتعالى بعمارة الكون، بموجب الخلافة وتحمل الأمانة، ليتم للإنسان نوال فضل الله والرقي بنفسه بمنهج التكليف، وقد جاء ذكر الحكمة في القرآن الكريم في أكثر من موضع، في قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ ﴾(الذاريات: 56، 57)، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾(البقرة: 30)، وقوله تعالى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾(هود: 61)، ومن هنا ندرك أن الترقي بالخصائص أمر يقتضيه كون الإنسان خليفة لله ﷻ، عبدا له، مسئولا عن عمارة الكون، كما يقتضيه معنى الابتلاء.

إن على التربية أن تضع هذه المقاصد التربوية في قائمة أهدافها التي تسعى إلى تحقيقها، ويمكن بيان هذا المقاصد التربوية فيما يأتي:-

أ- الاستخلاف والتخلق بصفات الله سبحانه وتعالى: -

إن الخليفية تقتضي أن يكون الهم الأكبر للخليفة تَرَقِّيه نحو مستخلفه، واقترابه منه، ليحقق معنى الاستخلاف على الوجه الأفضل، لذلك فإن الإنسان الخليفة جوهر خلافته أن يحصر همه وجهده في الاقتراب من الله مستخلفه، وذلك بالعمل الدائب والكدح المستديم لترقية ذاته وتنميتها حتى يبلغ من الاكتمال الدرجة التي ذكرها الله [1]في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيهِ﴾(الانشقاق: 6)، إن هذا المعنى للترقّي للخصائص الذي يتضمنه كون الإنسان

---

[1] - النجار، خلافة الإنسان، ص 62، 63 .

خليفة قد تنبه له الأصفهاني عندما بين الفعل المختص بالإنسان وذكر منه الخلافة فقال: "وخلافته المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾(الأعراف: 129)، وغيرها من الآيات، وذلك هو الاقتداء بالباري سبحانه على قدر طاقة البشر في السياسة باستعمال مكارم الشريعة "[1]، فهذا الاقتداء الذي أشار إليه الأصفهاني هو في حقيقته التخلق بصفات الله ﷻ،فترتقي بذلك كل صفات الإنسان وخصائصه وتسمو عن كل نقص .

إن تزكية الخصائص وتنميتها أمر في غاية الأهمية لارتباطه بالرسالة التي وُكّل بها الإنسان بموجب الخلافة، التي "لا يصلح لها إلا من كان طاهر النفس قد أزيل رجسها ونجسها، ذلك لأن الخلافة هي الاقتداء به تعالى على الطاقة البشرية في تحري الأفعال الإلهية ومن لم يكن طاهر النفس لم يكن طاهر القول والفعل" [2]، من هنا ندرك أهمية تزكية الخصائص والرقي بها ليحصل الفلاح في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ (الشمس:9، 10) وتتم العمارة الكاملة؛ وتزكية الخصائص يتم بإزالة الرجس عنها، وهذا ما يدل عليه عموم قوله تعالى: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾(المدثر: 5)، وذلك بأن لا تكون تعلقاتها إلا بما هو طيب،وكذلك ألا تجنح إلى جانب المادة فيها فيطغى على الجانب الروحي ويطمسه، ومن أسباب إزالة الرجس لزوم الإيمان الذي يشكل الجانب الفكري للإنسان، كما أنه يخلق التعادلية والاتزان،ويوجه إلى كل خير، يقول تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأنعام:126)، ويقول تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾(يونس: 100).

1 – الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص 32 .
2 – الأصفهاني، الذريعة في مكارم الشريعة، ص 36 .

إن هناك أمرين مهمين ينبغي الاهتمام بهما في إعداد الإنسان بخصائصه التعميرية ليكون كما أراد الله تعالى، وهما أمران تربويان يتعلقان بجانبي الخصائص، وإن كان هذا التعلق بشكل غير مباشر، فيما يتعلق بإشباع الحاجات الفسيولوجية والحاجات المعنوية، فالجانب الحسي يتعلق به ما يغذي الجسد وما يدخل إلى الجوف من طعام، والجانب المعنوي يتعلق به ما يغذي الروح من كلام، ومن الممكن تحديد هذين الأمرين وأثرهما من خلال القاعدة التربوية التي قعّد لها الشيخ زروق في قواعده، عندما قال: "أصل كل خير وشر: اللقمة والخلطة، فكل ما شئت فمثله تفعل،واصحب من شئت فأنت على دينه؛ قيل: وما أكِل بالغفلة استعمل فيها "[1]، ولعل مما يشير إلى ما للقمة والخلطة من أهمية وخطورة تربوية، قوله تعالى في ذمه لأصناف من الناس لم تتطهر قلوبهم، يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾(المائدة:41، 42)، فالسماع للكذب يدل على الخلطة والصحبة السيئة، وأكل السحت يدل على اللقمة الحرام وما يستلزم ذلك من تهاونهم واستحلالهم للحرام، كما أن أكل الحلال الطيب،وسماع الصدق والالتزام به يطهر الإنسان ويترقي به، والله أعلم .

ب- الاستعمار وإظهار صفات الله سبحانه وتعالى: -

إن المتتبع لشأن العمارة يجد أن هناك تفاعلا بين الإنسان والكون للدين الدور الأكبر في ضبطه وتحقيقه، هذا التفاعل هو الذي سيظهر آثار صفات الله في الكون بعد أن أعطي الإنسان

[1] -.زروق، قواعد التصوف، ص 66 .

من صور هذه الصفات، ليعمل بها في الكون الذي سخر له مسبقا، ولذلك استحق الخلافة، وهـذا مما يدل عليه قوله ﷺ: (إن الله خلق آدم على صورته)[1]، "أي على صفته فأعطاه على ضـعفه من كل صفة من صفات جماله وجلاله أنموذجاً ليشاهد في مرآة نفسه جمال صفات ربه"[2]،وهذا مرجعه إلى وجود الروح التي امتزجت خصائصها بخصائص الجسد، وتفاعل ما تولد منهما من خصائص بآيات الله في الكون، فالروح " ليست خلية أو غدة تفرز إفرازها بمجرد استقرارها في ضمير الإنسان، إنما هي أمر علوي يتيح للإنسان أن يبدع ثمارا ليست من ثمار هذه الأرض،إذا هو شغل نفسه بآيات الله في الكون أو ما تتضمن من معاني صفاته عز وجل، فإن تلك المعـاني وحدها هي التي تتفاعل مع الروح وينشأ من تفاعلها ما شاء الله من ثمر"[3]، أمـا الجسـد فهـو مزرعة الروح، وذلك لأن " السر الذي نفخه الله في الإنسان هو الجانب الحي فيه، وهـو الـذي يمد طبيعته الترابية السلبية بأسرار القوة والإيجاب، فإذا بها قادرة على إظهار أكمـل الفضـائل وأحسن الصفات، هذا الغرس الطيب وهذا النور في الطينة الظلماء، هو الهدف الذي يكيـد لـه الشيطان وهو ما يهيج فيه أعاصير الشر والحقد والغضب"[4].

إن كل هذا يعني "أن الله قدر للإنسان من الخصائص والملكات والمواهب، ما لـو عنـى بـه ووجهه إلى تحقيق مهمته لاستطاع أن يحقق وجودا معنويا ذا خصائص ربانية نفيسة مـن آثـار صفات الله تعالى"[5]، وذلك لأن الله سبحانه وتعالى "أراد أن يودع الأرض لدى هـذا المخلـوق الفريد، ويملكه زمامها، ويطلق يده فيها، ليكل إليه من وراء ذلك مهمة إظهار إعجازه تعالى فـي الخلق والإبداع، وكشف ما اختزنته هذه الأرض من قوى وطاقات وكنوز وخامـات ولا يكـون

1 - سبق تخريجه، ص 83 .
2 - النيسابوري، تفسير النيسابوري (1 / 140)
3 - الخولي، آدم عليه السلام، فلسفة تقويم الإنسان وخلافته، ص 38 . .
4 - الخولي، آدم عليه السلام، فلسفة تقويم الإنسان وخلافته، ص 98 .
5 - الخولي، آدم عليه السلام، فلسفة تقويم الإنسان وخلافته، ص 143 - 144 .

ذلك إلا ببناء الأرض وعمارتها وتحقيق إرادة الخالق في تطويرها وترقيتها "[1]، وهذا من المعاني التي يتضمنها أمثال قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾(الذاريات: 47)، فالله سبحانه وتعالى خلق الكون على نحو قابل فيه للاتساع والتطور، ومكّن للإنسان في ذلك لما أعطاه الله من صفات، وهذا مما يدل عليه قوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ (المؤمنون:14)،"وهذا مراعى فيه أصل الإطلاق اللغوي قبل غلبة مادة خلق في الخلق الذي لا يقدر عليه إلا الله تعالى، ثم تخصيص تلك المادة بتكوين الله تعالى الموجودات"[2]، "وأطلق الخلق في القرآن وكلام الشريعة على إيجاد الأشياء المعدومة فهو إخراج الأشياء من العدم إلى الوجود إخراجاً لا صنعة فيه للبشر فإن إيجاد البشر بصنعتهم أشياء إنما هو تصويرها بتركيب متفرق أجزائها، وتقدير مقادير مطلوبة منها كصانع الخزف فالخلق وإيجاد العوالم وأجناس الموجودات وأنواعها وتولد بعضها عن بعض بما أودعت الخلقة الإلهية فيها من نظام الإيجاد مثل تكوين الأجنة في الحيوان في بطونه وبيضه وتكوين الزرع في حبوب الزريعة وتكوين الماء في الأسحبة فذلك كله خلق وهو من تكوين الله تعالى ولا عبرة بما قد يقارن بعض ذلك الإيجاد من علاج الناس كالتزوج وإلقاء الحب والنوى في الأرض للإنبات، فالإيجاد الذي هو الإخراج من العدم إلى الوجود بدون عمل بشري"[3]، يقول الغزالي: " وأما الخالق البارئ، فلا مدخل للعبد أيضا في هذين الاسمين إلا بنوع من المجاز بعيد، ووجهه أن الخلق والإيجاد يرجع إلى استعمال القدرة بموجب العلم، وقد خلق الله تعالى للعبد علما وقدرة، وله سبيل إلى تحصيل مقدوراته على وفق تقديره وعلمه، والأمور الموجودة تنقسم إلى ما لا يرتبط حصولها بقدرة العباد أصلا كالسماء والكواكب والأرض والحيوان والنبات وغير ذلك، وإلى ما لا حصول لها إلا بقدرة العباد وهي التي ترجع إلى أعمال العباد كالصناعات والسياسات والعبادات والمجاهدات، فإذا بلغ العبد في مجاهدة نفسه بطريق الرياضة في سياستها وسياسة الخلق مبلغا ينفرد فيها باستنباط

---

[1]– غازي صبحي آق بيق، آيات قرآنية، (1/ 66) .

[2] – ابن عاشور، التحرير والتنوير (1 / 328)

[3] – ابن عاشور، التجرير والتنوير (1 / 227)

أمور لم يسبق إليها ويقدر مع ذلك على فعلها والترغيب فيها كان كالمخترع لما لم يكن له وجود من قبل"[1].

جـ- الابتغاء من فضل الله:-

إن من الأهداف السامية لتفعيل الخصائص في العمارة، هو ابتغاء وجه الله سبحانه وتعالى، وذلك بابتغاء فضله وهي الحكمة المقررة لمعنى وجود الإنسان، فالابتغاء من فضل الله سبحانه وتعالى هو طريق لابتغاء رحمته سبحانه، إن هذا الهدف" يتوخى كل المعاني السامية ويحرص عليها لأن القصد من الإعمار هو إعمار الأرض وإعمار قلوب ساكنيها بالإحسان إليهم والارتفاع بهم إلى المكانة التي أرادها الله ألا وهي التكريم"[2]، وهو من المقاصد العليا للعمارة (وهي أمر استلزمه وجود الخصائص) يقول تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ (الإسراء: 70).

إن تنمية طاقات الإنسان بالعمل واستثمار موارد الكون عبادة يسميها القرآن الابتغاء من فضله[3]، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(النحل: 14)، وهو درجة عالية من درجات العبادة، إذ هو نوع من أنواع الجهاد في سبيل الله، بل هو جهاد قدمه الله سبحانه وتعالى على النوع الآخر في كتابه فقال: ﴿وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (المزمل:20)،"شريطة أن يكون هذا السعي على الوجه الذي يجب وكما يجب" [4]، وعليه فإن على التربية أن تربي المسلم على أن "يربط بين الإيمان الصادق الذي لا ريب فيه وبين الجهاد

---

1 – الغزالي، المقصد الأسنى (1 / 79)

2 – محمود باللي، إعمار الأرض، ص 61 .

3 – محمد السميح، ملكية الأرض في الشريعة الإسلامية، ص 40 .

4 – الأصفهاني، الذريعة في مكارم الشريعة، ص 35 .

في الحياة بأشمل معانيه، لا على أن الجهاد قتال في الحرب فقط، بل على أنـه جهـاد بـالنفس والمال في كل حال، أي جهاد بالروح والمادة، أو بعبارة أخرى بذل لكل مجهود نفسـي ولكـل طاقة مادية لبناء الحياة وتعميرها بإتقان وإجادة وإحسان"[1]، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (الحجـرات: 15)، وكما قال الرسول ﷺ: (إن الله تعالى يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنـه) [2]، وكمـا قـال ﷺ: (اغتنم خمسا قبل خمس، شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقـرك، وفراغـك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك) [3].

إن الابتغاء من فضل الله سبحانه وتعالى واستحضار نعمه سبحانه هو مـا ينبغـي أن توجـه التربية الإنسان إليه في إنجازه للعمل وتقييم ثمرته، وهذا ما يمكن أن نلمسه في قوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾(يونس: 58)، "والمقصود منه الإشارة إلى مـا قرره حكماء الإسلام من أن السعادات الروحانية أفضل مـن السـعادات الجسـمانية"[4]، فعلـى الإنسان أن يسعى إلى هذا الانتفاع الروحاني ولا يقتصر على الانتفاع المادي الجسماني .

إن خروج تفعيل الخصائص في القيام بالعمارة عن مقصدها التعبدي في كونهـا ابتغـاءً مـن فضل الله ﷻ، وتحقيقا لحكمة خلق الإنسان في إظهار صفات الله في الكون بإظهار مكنون ما في نفسه، إلى مقاصد دونية تتنافى مع سنة الله في كونه كالتفـاخر والتبـاهي والبطـر والإسـراف والترف والأثرة والأنانية والإفراط في حب التمتع بما في الدنيا من الزينة واللذات وغيرها مـن

---

1 - صبحي الصالح، معالم الشريعة الإسلامية، ص 260 .

2 - البيهقي، شعب الإيمان، باب في الأمانات وما يجب من أدائها إلى أهلها، (334/4)، رقـم 5313. وأبـو يعلى ، مسند أبي يعلى، مسند عائشة ﷺ، (349/7)، رقم 4386. والطبرانـي ، المعجـم الأوسـط، أول الكتاب، (275/1)، رقم 897 . وقال: لم يرو هذا الحديث عن هشام إلا مصعب تفرد به بشر.

3 - الحاكم ، المستدرك على الصحيحين، كتاب الرقاق، (341/4)، رقم 7846. وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

4 - الرازي، التفسير الكبير (8 / 304) .

الأمور التي هي مدعاة للظلم والتكبر في الأرض والفساد فيها، يؤدي إلى انهيار هذه العمارة،وهو ما ضربه الله مثلا للحياة الدنيا، يشبه فيه زينتها ونعيمها في افتتان الناس بهما وسرعة زوالهما بعد تمكنهم من الاستمتاع بها، بحال الأرض يسوق الله إليها المطر فتنبت أنواع النبات الذي يسر الناظرين ببهجته، فلا يلبث أن تنزل به جائحة تحسه وتستأصله قبيل بدو صلاحه والانتفاع به حتى يصرف العاقل عن الغرور بها، ويهديه إلى القصد والاعتدال فيها، واجتناب التوسل إليها بالبغي والظلم، وحب العلو والفساد في الأرض[1]، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾(يونس: 23، 24)، "فكل ما يشكو منه البشر من الشقاء بالأمراض الاجتماعية والروحية، والرذائل النفسية، والعداوات القومية، والحروب الدولية، سببه التنافس في متاع هذه الحياة الدنيا، وأن من تفكر في هذا وكان على بصيرة منه، فهو جدير بأن يلتزم القصد والاعتدال في حياته الدنيوية المادية، ويصرف جل ماله وهمته في إعلاء كلمة الله وعزة أهل ملته، وقوة دولته، والاستعداد لآخرته، فيكون من أهل سعادة الدارين"[2]، وهذا كله سنة إلهية في الاجتماع البشري بينها الله ﷻ في كتابه العزيز عندما قص علينا ما آلت إليه الحضارات السابقة محذرا الأمة من أن تقع فيما وقعوا فيه، وهذا ما حدث للحضارة الإسلامية عندما خرجت عن مقصدها في كونها أمة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتجاهد في سبيل الله، كما أراد منها الله كما في

---

1 – ينظر محمد رشيد رضا، تفسير المنار (11 / 285)

2 – محمد رشيد رضا، تفسير المنار (11 / 285)

قولــــه تعـــــالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(آلعمران: 104)، كما وصفها الله تعالى بقوله: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾(آل عمران: 110)، فتحولت إلى حضارة تبنـــي وتتبـــاهى وتتفـــاخر وتتطاول في البنيان مما نراه في قصور الأندلس وغيرها.

كما أنه عندما تخرج الحياة البشرية في تعاملها مع عناصر الكون عـــن هـــذا المقصــــد إلـــى التباهي والتفاخر يكون ذلك إيذانا بانتهاء الحياة البشرية على هذا الكون فقد جـــاء فـــي الحـــديث الصحيح عندما سئل ﷺ عن الساعة أخبر عن علاماتها وعد منها (أن ترى الحفاة العراة العالـــة، رعاء الشاء، يتطاولون في البنيان) [1]، معناه "أن أهل البادية وأشباههم من أهل الحاجة والفاقـــة تبسط لهم الدنيا حتى يتباهون في البنيان"[2]، وهذا فوق كونه خروجا عـــن مضـــمون الصـــلاح للعمارة يعتبر أيضا خروجا عن سنة أرادها الله للبشر وهي سنة الانتشار فيهـــا وتعميرهـــا وأن يتولى كل منهم مهمته في ذلك، فبدل أن يكون الانتشار أفقيا أصبح رأسيا مما أدى إلى الاكتظاظ وبدل أن يتولوا السعي في الأرض ليديروا شئون ما استخلفوا فيه أصبحت لهم مطامح أخـــرى لا شأن لهم بها وهي التوجه إلى ما فوق الأرض مع عدم مراعاة سنة التسخير.

إن لاستحضار هذا الهدف التعبدي أثره في فعالية السعي التعميري وإتيانـــه ثمـــاره، كمـــا أن ضلال السعي عن مقصده، وإن كان في صورته حسنا هو الخسارة الحقيقية في الدنيا والآخـــرة يقول تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾(الكهف: 103، 104).

---

1 – مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله ﷻ، (36/1)، رقم 8 . وفي(40/1)، رقم 10. وفي كتاب السنة، باب في القدر، (635/2)، رقم 4695.
2 – النووي، شرح صحيح مسلم (1 / 159)

د- إقامة شعائر الدين:-

إن لتفعيل الخصائص في قيام الإنسان بالعمارة بعدا ومقصدا دينيا، وهو أن للعمارة أثرا كبيرا في الاستقامة وصلاح ديانات الناس ووفور أماناتهم، لما توفره من مادة كافية لهم، ولما تسهم به من صلاح الدنيا وصلاح أهلها، وبذلك تتحدد قيمتها وتتأكد أهميتها، "لأن ما تقوى به ديانات الناس وتتوفر أماناتهم فلا شيء أحق به نفعا، كما أن ما به تضعف دياناتهم وتذهب أماناتهم فلا شيء أجدر به ضررا" [1]، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن توفير المادة الكافية يسهم في عدم انشغال الإنسان بحاجاته عن قيامه بشعائر دينه، سواء أكانت هذه الحاجات فسيولوجية أم غيرها، مما يسهم في أداء هذه الشعائر على أكمل وجه فضلا عن تمكنه من قيامه بها أصلا، فلولا توفير المادة الكافية لما استطاع الإنسان من إيتاء الزكاة أصلا ولا الحج ولما خشع العبد في صلاته، ولعل هذا ما يوجه إليه قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴾(الشرح:7)، فمما جاء في تأويل هذه الآية " فإذا فرغت من أمر دنياك فانصب في عمل آخرتك" [2]، أي أن الإنسان عندما يفرغ من شؤون السعي ينصبب بالصلاة، وهذه حكمة مقررة في وجود المال وما يُتَقَوَّم به، فكما قال ﷺ: (إن الله عز وجل قال: إنا أنزلنا المال لإقام الصلاة و إيتاء الزكاة) [3]،وهو بعد سعت التربية الإسلامية على ترسيخه في نفوس المسلمين، في عدم الفصل بين الفعالية العمرانية وبين ذكر الله، وهذا ما يفهم من قول ابن مسعود ﷺ: "ما دمت تذكر الله فأنت في صلاة وإن كنت في السوق" [4]، ولعلنا نلمس مراعاة هذا البعد في قوله ﷺ: (إذا حضر العشاء وأقيمت الصلاة فابدءوا بالعشاء) [5]، ففي هذا الحديث "كراهة الصلاة بحضرة الطعام الذي يريد أكله لما فيه من اشتغال القلب به وذهاب كمال الخشوع" [6]، وهذا ما يدل على مراعاة البعد

---

1 - الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص 110 .
2 - الماوردي، النكت والعيون (4 / 433) .
3 - سبق تخريجه ،ص 257.
4 - ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم ، (4 / 16).
5 - سبق تخريجه، ص 261 .
6 - النووي، شرح النووي على صحيح مسلم، (5 / 46)

النفسي في القيام بالشرائع، وذلك بتوفير ما يلبي الحاجات التي من شأنها أن تعين المسلم للتفرغ للعبادة والخشوع فيها .

إنه من الممكن أن ندرك هذا الربط بين العمارة وبين ما تحققه من إقامة لشرائع الدين،وإعانة الناس عليها، فيما دعت إليه الشريعة من التكافل والتعاون التعميري في ربطها بين (الدين والماعون) في قوله تعالى: ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ (الماعون:1-7)، جاء في تفسير معنى الماعون على أنه: "اسم جامع لما لا يمنع في العادة، ويسأله الفقير والغني في أغلب الأحوال، ولا ينسب سائله إلى لؤم بل ينسب مانعه إلى اللؤم والبخل، كالفأس والقدر والدلو والمقدحة والغربال والقدوم"[1]، أي "يمنعون إعارة ما لا تضر إعارته من الآنية وغيرها، فلا هم أحسنوا عبادة ربهم، ولا هم أحسنوا إلى خلقه "[2].

هـ- تحقيق معنى الابتلاء:-

إن من حكم الله سبحانه وتعالى من خلق الإنسان على هذه الصورة من الخصائص، أن يبتليه بالتكليف وتحمل عمارة الكون، والقيام بواجباته فيها، وهي حكمة ذكرها الله سبحانه وتعالى في معرض الحديث عن خلق الإنسان على هذه الطبيعة التكوينية الممتزجة والمتكاملة بين عنصري الجسد والروح والتي نتج عنها تلك الخصائص، في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً ﴾(الإنسان: 2)، "فالله سبحانه وتعالى خلق الإنسان على نحو معين يتناسب مع حكمة الابتلاء، ذلك الهدف الذي خلق من أجله، كما جعله على أفضل نحو من الوجود المناسب لتحقيق هذا الهدف، فلم يشأ أن يجعله ملكا لا علاقة له بالمادة، كما لم يشأ أن

1 - النيسابوري، تفسير النيسابوري (7 / 386) .
2 - مجموعة من العلماء، التفسير الميسر (11 / 77) .

يجعله مادة خالصة لا روح فيها، بل قضى الله سبحانه وتعالى أن يجعله مزيجا من العالمين الروحي والمادي، وزاوج بينهما في وجوده الحسي لأن هذا هو أفضل نحو من الوجود المناسب لتحقيق معنى الابتلاء، فامتزاج المادة والروح في الإنسان جعل حياة الإنسان صالحة للابتلاء بما يشاء الله، حيث جعلت من حياة الإنسان نوعا من التفاعل والصراع بين مطالب المادة ومطالب الروح، مما ينعكس على سلوك الإنسان الفرد وعلى علاقته بالله والناس، وفي كل هذا يتحقق نوع معين من أنواع الابتلاء، حيث يسعى كل جانب من المادة أو الروح إلى تحقيق سيطرته على اتجاهات الإنسان في سلوكه وعلاقته بغيره، والإنسان مطالب بأن يعدل بين الجانبين ومتطلباتهما ليكون إنسانا سويا فيحقق التوازن بين الأوامر والرغبات، وهذا هو مقصد الابتلاء" [1]، ومن هنا ندرك أن التكليف الإلهي يشكل منهجا عمليا للإنسان في عقيدته وأحكامه وأصوله وقواعده؛ لأنه يتناسب مع خصائصه وما سخر له [2].

و- أهلية الإنسان لتحمل الأمانة:-

إن الأمانة التي تحملها الإنسان هي أمانة التكليف بالشرائع، والتي تنطوي كلها تحت إقامة الحق في الأرض والمحافظة على الانتظام في الكون والرقي به، يقول تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾(الأحزاب:72)،قال الرازي: "إنا عرضنا الأمانة أي التكاليف وهو الأمر بخلاف ما في الطبيعة "[3].

إن تحمل الإنسان لهذه التكاليف مرجعه إلى ذلك الاستعداد الفطري، الذي خلق الله عليه الإنسان، والمتمثل في وجود خصائص ذات صفة تعميرية تمكنه من تحمل هذه الأمانة، وهذا ما يوحي به الأسلوب القرآني في الآية، يقول ابن عاشور: "وافتتاح الآية بمادة العرض، وصوغها

[1] - الجليند، خلل في مسيرة الأمة، ص 167- 168 .
[2] - ينظر المطرودي، الإنسان وجوده وخلافته في الأرض، ص 374 .
[3] - الرازي، التفسير الكبير (25 / 235)

في صيغة الماضي، وجعل متعلقها السماوات والأرض والجبال والإنسان يومئ إلى أن متعلق هذا العرض كان في صعيد واحد فيقتضي أنه عرض أزلي في مبدأ التكوين عند تعلق القدرة الربانية بإيجاد الموجودات الأرضية وإيداعها فصولها المقومة لمواهيها وخصائصها ومميزاتها الملائمة لوفائها بما خلقت لأجله"[1]، وفي مثل هذا المعنى يقول الألوسي: "وحمله إياها إما باعتبارها بالإضافة إلى استعداده أو بتكليفه إياها يوم الميثاق، أي تكلفها والتزامها مع ما فيه من ضعف البنية ورخاوة القوة، وهو إما عبارة عن قبولها بموجب استعداده الفطري أو عن القبول القولي يوم الميثاق"[2]، ومن هنا يمكن إدراك أن "الإنسان تحمل الأمانة – التكليف– لما يتمتع به من خصائص في التكوين، ولكنه جهل تبعياتها لحظة الأداء والتي تدير النشاط، فالتحمل شيء والأداء شيء آخر"[3].

إن التعبير عن التكليف بالأمانة، مرده إلى ما بينهما من اشتراكهما في ضرورة المحافظة على ما يتحمله الإنسان ورعايته، وذلك لأن "المراد بالأمانة حقيقتها المعلومة وهي الحفاظ على ما عهد به ورعيه والحذار من الإخلال به سهوا أو تقصيرا فيسمى تفريطا وإضاعة، أو عمدا فيسمى خيانة وخيسا"[4]، و" التكليف هو تحميل للأوامر والنواهي بطلب رعايتها والحذر من الإخلال بها، وذلك بأدائها على وجهها الذي حملت به كما هو، مثلما يطلب في الأمانة أن يؤدى المعهود به على وجهه كما هو، فقد اشترك التكليف مع الأمانة في عناصر أربعة:الإيداع،والمحافظة على المودع، وأداؤه على وجهه، ومغالبة النفس بالإرادة الحرة فيما تهفو إليه بطبيعتها من تحقيق شهوتها: انتفاعا بالمعهود به في الأمانة، وتحررا من المشقة المأمور بها في التكليف، ولذلك استعملت الأمانة في معنى التكليف"[5]، ويمكن الربط بين هذا

---

1 – ابن عاشور، التحرير والتنوير (22/ 124)

2 – الألوسي، روح المعاني (22 / 96).

3 – المطرودي، الإنسان وجوده وخلافته في الأرض، ص 389 .

4 – ابن عاشور، التحرير والتنوير (22/ 129) .

5 – النجار، فقه التحضر الإسلامي، ص 91 .

التكاليف وبين العمارة بما ورد من تفسيرات لمعنى الأمانة على أنها الخلافة في الأرض،"الخلافة في الأرض هي القيام بحفظ عمرانها ووضع الموجودات فيها في مواضعها، واستعمالها فيما استعدت إليه غرائزها"[1]، ومن هنا يمكن إدراك أن "التكليف إنما هو تكليف بمهمة في الحياة هي إنجاز الخلافة على الأرض، وهي مهمة تستغرق كل الحياة الدنيا، ثم تمتد إلى الحياة الأخرى بالحساب والجزاء، وهذه العقيدة تشيع في النفس زخما من الهمة والعزم، كما أنها تشيع فيه الأمل والتفاؤل، إذ ينفسح للمكلف مدى واسع للإيفاء بمهمته المكلف بها، وهي مهمة ليس لها حد تقف عنده، بل هي ارتقاء مستمر نحو الكمال في الأداء إلى آخر الحياة حينما ترد الأمانة بالموت الذي ينتهي عنده التكليف"[2].

الأثر التربوي لمعنى التكليف:-

1- إن"التكليف بهذا المعنى مفعم بالمعاني التي من شأنها أن تؤثر في البناء الفردي والاجتماعي للإنسان، وأن تؤثر على وجهته في التحضر وقواعده فيه، فحينما يحمل الإنسان أمانة التكليف من بين سائر الموجودات، فإن ذلك يحمل معني الرفعة في حقه، فالأمانة إنما يختار لها الكائن الرفيع الشأن، المستجمع لصفات الفضيلة والقوة، ولما كانت الأمانة حملها نوع الإنسان فإن هذه الرفعة تكون صفة للنوع تنال أفراده أجمعين، وحينما يحل هذا المعنى في النفس محل الاعتقاد فإنه يثمر فيها تصورا للإنسان يقوم على الإجلال والإعلاء لصيقا بالذات الإنسانية المطلقة عن العوارض الطارئة، وهذا التصور من شأنه أن يكيف علاقة المؤمنين به من المسلمين مع سائر الناس، بحيث تكون علاقة قائمة على معنى الإجلال والإعلاء للإنسان الذي حمل الأمانة "[3].

2- إن هذا المعنى للتكليف على أنه أمانة، يوحي بأن " التفريط في التكليف الإلهي وفقدانه في عمارة الأرض يعني انتهاء خلافة الإنسان في الأرض، للارتباط بينهما في استمرارية

---

1 – ابن عاشور، التحرير والتنوير (22/ 129) .

2 – النجار، فقه التحضر الإسلامي، ص 92 .

3 – النجار، فقه التحضر الإسلامي، ص 91 – 92 .

وجوده"[1]، ولعل هذا الربط بين القيام بواجب الأمانة وبين استمرارية الوجود، المتوقفة على انتظام العالم وعدم اختلاله، هو مما يدل عليه جوابه رسول الله ﷺ للأعرابي الذي يسأل عن وقت قيام الساعة، فقال له ﷺ: (إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة)، قال: كيف إضاعتها يا رسول الله؟ قال:إذا أسِدَ الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة)[2].

إن هذا التكليف يقتضي أن يكون هناك حساب على تفعيل الخصائص لأداء العمارة، إلا أن هذا الحساب يأتي على قدر ما أوتي الإنسان في عصره من إمكانات، "فلكل عصر درجة مقدرة من العلم والتكنولوجيا وبالتالي من السيادة في الأرض، ويحاسب على تحقيق هذا القدر المتاح له في عصره من السيادة، ومن ثم يحاسب على العمل لتحقيق السيادة أكثر من حسابه على العلم و التقدم العلمي في عصره، أما بالنسبة لتحقيق العبودية فالناس يحاسبون عليها كاملة لأن منهج الله فيها كامل وهو ميسور وفي طاقة الفرد والجماعة "[3].

ز- تحقيقها لإنسانية الإنسان:-

إن للإنسانية معنى كبير يفوق مجرد انتماء الإنسان لفصيلة الإنس، فباستقراء "ما ورد فيه لفظ (الإنس) ولفظ (الإنسان) في البيان القرآني يلاحظ أن الإنسانية تأخذ دلالتها من خصائص الإنسان وأهليته لاحتمال تكاليف الإنسانية"[4]، أي أن "مناط إنسانية الإنسان ليس في مجرد كونه منتميا إلى فصيلة الإنس، كما أنه ليس مجرد بشر يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، وإنما الإنسانية فيه هي ارتقاؤه إلى الدرجة التي تؤهله للخلافة في الأرض"[5].

إن السبيل إلى ذلك هو قيامه بالعمارة الكاملة لأنها تحقق رقي الكيان الإنساني ترقية فردية واجتماعية ترتفع بها إنسانية الإنسان، كما أنها تحقق رقي الكون[6]، فليست عمارة الأرض

---

1 – المطرودي، الإنسان وجوده وخلافته في الأرض، ص 392 .
2 – البخاري، صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب رفع الأمانة ، (5 / 2382)، رقم 6131 .
3 – الدسوقي، مفاهيم قرآنية، ص 46 .
4 – الزوبعي، ظاهرة الترادف في ضوء التفسير البياني للقرآن الكريم، ص 19 .
5 – سعيد إسماعيل علي، أصول الفقه التربوي الإسلامي (القرآن الكريم رؤية تربوية)، ص 84 .
6 – ينظر النجار، فقه التحضر الإسلامي، ص 48 .

واستغلال ثرواتها والانتفاع بطاقاتها هو وحده المقصود، ولكن المقصود هو هـذا مـع العنايـة بضمير الإنسان، ليبلغ الإنسان كماله المقدر له في هذه الحياة، فلا ينـتكس حيوانـاً فـي وسـط الحضارة المادية الزاهرة؛ ولا يهبط إلى الدرك بإنسانيته وهو يرتفع إلـى الأوج فـي اسـتغلال موارد الثروة الظاهرة والمخبوءة[1].

هذا وقد تنبه الأصفهاني إلى هذا المعنى في الربط بين تحقيق إنسانية الإنسان وقيامه بواجبـه في العمارة فقال: "من تعطل وتبطل انسلخ من الإنسانية بل من الحيوانية وصـار مـن جـنس الموتى، وذلك أنه خص الإنسان بالقوى الثلاث ليسعى في فضيلتها فإن فضيلة القـوة الشـهوية تطالبه بالمكاسب التي تنميه، وفضيلة القوة الغضبية تطالبه بالمجاهدة التي تحميه وفضيلة القـوة الفكرية تطالبه بالعلم الذي يهديه، فحقه أن يتأمل قوته ويسمو قدر ما يطيقه، فيسعى بحسبه لمـا يفيده السعادة، ويتحقق أن اضطرابه سبب وصوله من الذل إلى العز ومن الفقر إلى الغنى، ومـن الضعة إلى الرفعة، ومن الخمول إلى النباهة، وإن من تعود الكسل ومال إلى الراحة فقد الراحـة فحب الهوينا يكسب التعب وقيل:إن أردت أن لا تتعب فاتعب لئلا تتعب، وقيـل:إيـاك والكسـل والضجر فإنك إن كسلت لم تؤد حقا وإن ضجرت لم تصبر على حق "[2].

ومن هنا ندرك أن عدم تفعيل هذه الخصائص يؤدي إلى تعطيل القوى التي يتمتع بها الإنسان ويختص بها، أو يؤدي إلى عدم اتزانها وعدم السعي إلى الفضيلة التي تطالبـه بهـا كـل قـوة منها،ففضيلة القوة الشهوية تطالبه بالمكاسب التي تنميه، وفضيلة القوة الغضبية تطالبه بالمجاهـدة التي تحميه وفضيلة القوة الفكرية تطالبه بالعلم الذي يهديه، لذلك فإن العطالة والبطالة من الأمور التي تتنافى مع معنى الإنسانية بل تجعل من الإنسان في رتبة أقل من الحيوانية لصيرورته مـن

---

1 – ينظر سيد قطب، في ظلال القرآن (5 / 174) .

2 – الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص 268 .

جنس الموتى[1]، لذلك " ربط الإسلام بين العمل الإنتاجي والكرامة الإنسانية، وهذا واضح بين عندما اعتبر الكسل والترفع عن ممارسة العمل من الأمور التي تنتقص من كرامة الإنسان الشخصية ومن كرامة المجتمع الكلية وتسيء إليه، لذلك ندد بسلوك التسول ونبذ أن يكون الإنسان كلاً على غيره يسأل الناس وهو قادر على أن يعمل، وهذا من المبادئ التي ينبغي للتربية الإسلامية ترسيخها، لأن هذه المعاني من شأنها أن تحصن المسلم إزاء تلك السلوكيات والظواهر الرديئة"[2]، ومن التوجيهات التربوية بهذا الخصوص ما ورد من أن رسول الله ﷺ كان يتعوذ من عدة أمور من شأنها أن تحد من نشاط الإنسان وقيامه بواجبه وعمله، مع أنه ﷺ قد عصمه الله منها، وذلك ليسن لأمته الاستعانة بالله في كل أمورهم وأخذ أسباب العزة والتمكين[3]، ومن ذلك دعاؤه ﷺ (اللهم إني أعوذ بك من الفقر والقلة والذلة وأعوذ بك من أن أظلم أو أظلم) [4]، ودعاؤه ﷺ (اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والبخل والجبن وضلع الدين وغلبة الرجال) [5]، "فالاستعاذة من العجز والكسل لأنهما يمنعان العبد من أداء حقوق الله وحقوق نفسه وأهله، وتضييع النظر في أمر معاده وأمر دنياه، وقد أمر المؤمن بالاجتهاد في العمل والإجمال في الطلب ولا يكون عالةً ولا عيالاً على غيره ما متّع بصحة جوارحه وعقله"[6].

إن هذه الأمور التي استعاذ منها ﷺ هي أمور لها أسبابها ومن مقتضيات الاستعاذة أن يتجنب الإنسان هذه الأسباب ويتقيها وكل ذلك عملا بسنة الله في كونه .

---

1 – ينظر الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص 268 .

2– القرشي،التربية الإسلامية والأمن المعيشي، بحث في مجلة الدعوة الإسلامية العدد 13، ص 206 .

3 – ينظر ابن بطال، شرح صحيح البخاري (10 / 117، 118) .

4 – أبو داوود، سنن أبي داوود، كتاب سجود القرآن، باب في الاستعاذة، (482/1)، رقم 1544، وسكت عنه، وصحّحه الألباني في الحاشية.

5 – البخاري، صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب الاستعاذة من الجبن والبخل،(2342/5)،رقم 6008 .

6 – ابن بطال، شرح صحيح البخاري (10 / 120) .

ومن توجيهاته التربوية ﷺ، قوله: (لأن يأخذ أحدكم حبله، فيأتي بحزمة الحطب على ظهره فيبيعها فيكف الله بها وجهه، خير من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه) [1]، "والمعنى إن لم يجد إلا الاحتطاب من الحرف، فهو مع ما فيه من امتهان المرء نفسه ومن المشقة خير له من المسألة"[2]، كما بين الحديث أن مهنة الاحتطاب على ما فيها من مشقة وما يحوطها من نظرات الازدراء وما يرجى فيها إلا ربح ضئيل، خير من البطالة وتكفف الناس [3].

حـ- تفعيل الخصائص والرقي بالكمال الإنساني:

إن ما يقوم به الإنسان من عمل تعميري أثناء تفاعله مع عناصر الكون المسخرة له وفق شرع الله، ما هو إلا تحقيق لذاته الإنسانية وممارسة لها فيما يحقق خيره ويؤدي رسالته، وبذلك يكون لوجوده البشري معنى تتجلى فيه إنسانية الإنسان الخليفة ذي الفعالية الحضارية[4]، إن العمارة بجانبيها ترقى بالإنسان إلى السمو والكمال الإنساني وفق الطاقة الإنسانية في سعيه إلى ربه، الذي وصفه بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾(الانشقاق: 6)،"ليتخلق الإنسان بصفات الله ﷻ، ويكون كما أراده الله خليفة في الأرض"[5]، يقيم العدل والإحسان ويؤتي ذي القربى.

إن "ممارسة الخلافة في الأرض على سبيل تنمية الذات الإنسانية وتكميلها بمنهاج العبادة يقتضي التعامل مع هذا الكون بما يدفع بالإنسان إلى اتخاذه طريقا لتعظيم الله وإكباره والخضوع له والسعي في محبته ونوال رضاه بما يناله من التدبر فيها والاعتبار بأحوالها من معرفة الله

1- البخاري، صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة، (2/ 535)، رقم 1402 .

2- ينظر العيني، عمدة القارئ (9 / 51) .

3- الجليند، خلل في مسيرة الأمة، ص168 .

4 - ينظر الأميري، الإسلام والمعترك الحضاري، ص 11، و الإسلام وأزمة الحضارة الإنسانية المعاصرة في ضوء الفقه الحضاري، ص 12 .

5 - الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص 32 .

وبكمال صفاته، وعظمة سطوته وسعة رحمته بما يكتشف من أسرارها وقوانينها، وما يقيم فيها من عمران وتجهيز يحكم من سيطرته عليها وإخضاعها لإرادته، وقد جمع الله هذه المعاني في قوله تعالى: ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾ (هود:61)"[1].

تحقيق العبادة مرتبط بتفعيل الخصائص:-

إن "العبادة التي خلق الله الإنس والجن لأجلها، ليس سبيلها التبتل والامتناع عن الدنيا، وإنما سبيلها تحقيق إرادة الله ﷻ في الكون عن طريق العمل في عمارته، وإظهار أسرار الله ﷻ الدالة على عظمته ووحدانيته واستحقاقه وحده للعبادة والتقديس"[2]، وهذا يقتضي تفعيل دور الخصائص والرقي بها حتى تتم العبادة على أكمل وجه، وهذا يحتاج منا إلى معرفة الخصائص لتحديد الأساليب والطرق والوسائل والمناهج التربوية المناسبة لذلك.

إن العبادة بمعناها الواسع الذي يتجاوز الاتصال الروحي إلى أن يشمل كل فعاليات الإنسان في الحياة لها دور كبير في الرقي بالخصائص؛ لأنها تسمو بها عن الحدود الدنيا من إشباع الحاجات إلى أهداف عليا يسعى الإنسان إلى تحقيقها وهي ابتغاء وجه الله ﷻ، فتغدو بذلك أشبه بالبرنامج الشامل الذي ينظم فعاليات الجماعة البشرية في الأرض [3]، كما أن لها دورا كبيرا في تحقيق التعادلية والاتزان داخل الإنسان، وذلك لأنه " إذا كانت حركة ونشاط المؤمنين في عمارة الأرض بجانبيها المادي والروحي عبادة لله تعالى، فهي تدعوه إلى مراقبة الله في كل عمل"[4].

---

[1] – النجار، خلافة الإنسان، ص 62 .

[2] – شلتوت من توجيهات الإسلام ص106 .

[3] – ينظر خليل، إعادة تشكيل العقل المسلم، ص 133 .

[4] – المطرودي، الإنسان وجوده وخلافته في الأرض، ص 390 .

إن هذا المقصد التعبدي لوجود الخصائص لن يتحقق إلا بتفعيلها في العمارة، وهذا يقتضي أن يكون تفعيلها إطار العبادة هدفا من أهداف التربية الإسلامية.

الإطار التعميري التربوي للعبادة:-

إن هناك إطارا تعميريا لمعنى العبادة وهو أن العبادة تعني "الالتزام بالقواعد والضوابط التي تساعد على بلوغ النجاح في السعي الفردي والاجتماعي، وفي هذا الإطار يكون الشرك في العبادة هو مزج لهذه القواعد والضوابط مع الطرق المضرة"[1]، وهذا المعنى يفهم مما جاءت به الآية الكريمة الذاكرة لشروط تحقق الاستخلاف والتمكين لهذه الأمة، في قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾(النور: 55 – 57)، يقول الشيخ ابن عاشور: "وجملة (يعبدونني) حال من ضمائر الغيبة المتقدمة، أي هذا الوعد جرى في حال عبادتهم إياي، وفي هذه الحال إيذان بأن ذلك الوعد جزاء لهم، أي وعدتهم هذا الوعد الشامل لهم والباقي في خلفهم لأنهم يعبدونني عبادة خالصة عن الإشراك، وعبر بالمضارع لإفادة استمرارهم على ذلك تعريضا بالمنافقين إذ كانوا يؤمنون ثم ينقلبون.

وجملة: (لا يشركون بي شيئا) حال من ضمير الرفع في يعبدونني تقييدا للعبادة بهذه الحالة لأن المشركين قد يعبدون الله ولكنهم يشركون معه غيره، وفي هاتين الجملتين ما يؤيد ما قدمناه آنفا من كون الإيمان هو الشريطة في كفالة الله للأمة هذا الوعد"[2].

---

[1] – المودودي، تفسير سورة النور، ص215 .

[2] – ابن عاشور، التحرير والتنوير (18 / 288)

الخصائص أصولا تربوية لتحديد الأهداف:-

إن مصادر التربية الإسلامية في أهدافها تعتمد على التفاعل بين الإنسان والكون وبين الإنسان والحياة، وذلك من أجل تحقيق هدف رئيس وهو اكتشاف نواميس الله وقوانينه في كل من الكون والحياة، وبالتالي القيام بوظيفته كمستخلف في الأرض، وهذا هو الهدف من خلق الإنسان نفسه،ولكي يقوم الإنسان بوظيفة الاستخلاف وعمارة الكون وأن يتعرف على هذا الكون وما عليه من حياة[1]، وشرط الاستخلاف هو العمل بمقتضى التكريم الإلهي للإنسان، فلا يهبط الإنسان عن مستوى الإنسانية، ولا يتنازل عن الأفضلية التي فضله بها خالقه على كثير ممن خلق، فينشط في عمارة الأرض بما يوحيه حمله (في البر والبحر) ورزقه (من الطيبات) فيستغل هذه الطاقات الممنوحة له في كل اتجاه، ولكن على مستوى التكريم في حدود التقوى والاستمداد من منهج الله [2]، ومن هنا ندرك أهمية معرفة خصائص الإنسان في عمارة الكون لتحديد أهداف التربية الإسلامية.

الترقي بخصائص الإنسان في عمارة الكون من أهداف التربية الإسلامية:-

إن من أهداف التربية الإسلامية " تطوير مواهب الإنسان كلها، والعمل على تحقيق كل طاقاته الخيرة، وأن يبحث في القوانين والنواميس الطبيعية والاجتماعية، ويعمل بموجبها ليقوم بدوره الفعال، في هذا النظام الكوني، الذي في وسع الإنسان أن ينمو ليكون خليفة في الأرض"[3]، مما يجعله يتمتع بخصائص الإنسان الصالح الذي يخضع فيه إلى شرع الله سبحانه وتعالى، ويسخر ما لديه من العلوم من أجل سعادته في الدنيا والآخرة، وبصلاحه يصلح المجتمع المسلم ويتفاعل أفراده فيما بينهم ضمن الأنظمة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية كما كفلها الإسلام[4]، وهذا كله يدخل في إطار الهدف العام الذي تسعى التربية الإسلامية إلى تحقيقه ألا وهو إعداد الإنسان الصالح، بمعناه الإنساني الشامل، الإنسان بجوهره الكامن في أعماقه، الإنسان من حيث هو إنسان، لا من حيث هو مواطن في هذه البقعة من الأرض أو في ذلك المكان[5]، لتتحقق بذلك الحكمة من خلق الإنسان.

---

1 - ينظر نشوان، المنهج التربوي من منظور إسلامي، ص 189 .

2 - ينظر قطب، منهج التربية الإسلامية، (1 / 15)

3 - محمد الجمالي، نحو تربية مؤمنة، ص 38 .

4 - نشوان، المنهج التربوي من منظور إسلامي، ص 189 .

5 -ينظر قطب، منهج التربية الإسلامية، (1 / 13)

المبحث الثاني: الأبعاد الدلالية لخصائص الإنسان في عمارة الكون وتطبيقاتها التربوية.

يتمثل محتوى منهج التربية الإسلامية في المعرفة التي يحصل عليها الإنسان عن طريق توظيف العقل لإدراك وحدانية الله وإعجازه في الخلق، ومصدر المعرفة هي قوانين الله سبحانه وتعالى في الكون والإنسان والحياة، والسبيل إلى ذلك توظيف العقل لأنه أداة التفكر والتدبر في مخلوقات الله، ومن أجل ذلك فإن التربية الإسلامية تحض على التربية الفكرية، (تربية العقل) والاستفادة منها في الوصول إلى ما يستطيع من معرفة عن الكون والإنسان والحياة، بما يمكنه من التكيف معها والقيام بوظيفة الاستخلاف [1].

إن البعد المعرفي لخصائص الإنسان في عمارة الكون يتمثل في تلك الحصيلة المعرفية التي سيتضمنها المنهاج، وهذه الحصيلة لابد أن يتم تحديدها وفق أهداف وأسس تتناسب مع طبيعة المرحلة العمرية للطالب، كما أنه لابد أن يكون بين فروع هذه المعرفة تكامل وارتباط، وبالنظر في الخصائص نجد أن لها علاقة بمحتوى المناهج من عدة نواح، فهما يلتقيان في أن كليهما يجتمعان حول هدف واحد وهو تهيئة الإنسان لتحقيق العبادة التي تقرر سابقا بأنها العمارة الكاملة، كما أن هناك علاقة أخرى وهي أن هذه الخصائص لها بعد معرفي فهي تصلح لأن تكون مادة علمية، فتكون بذلك علما موضوعيا يدرس في فروع متعددة، كما أنها سبيل من سبل المعرفة الحقيقية.

إن البعد التربوي لخصائص الإنسان في عمارة الكون على مستوى محتوى المنهاج يتمثل في أن للخصائص دورا في الانتفاع المعرفي بالكون، والدور الرئيس في هذا الانتفاع لخاصية العقل، كما يتمثل في أن هذه الخصائص تصلح لأن تكون مادة علمية يتضمنها محتوى المنهاج،إلا أن ينبغي الأخذ بالاعتبار أن ليس المقصود عرض هذه المواد عرضا موضوعيا بل

[1] – نشوان، المنهج التربوي من منظور إسلامي، ص 209 .

ينبغي التعامل معها على أنها آيات، وهذا ما يدعو إلى أن يكون محتوى المنهاج لكل فروع المعرفة هو علما دلاليا يراد به معرفة الله سبحانه وتعالى، لا مجرد الانتفاع المادي أو التحصيل العلمي المجرد عن الدلالة.

ومن الممكن بيان هذا البعد التربوي للخصائص فيما يأتي:-

المطلب الأول: خصائص الإنسان في عمارة الكون والعلم الدلالي:-

إن حصيلة المعرفة تنشأ بها في ضمير الإنسان حياة روحية، وهذه الحياة ذات وجدان قوي لا ينفك عنها بحال، يحب الإيمان ويكره الكفر، وهذا الوجدان بالنسبة لتلك الحياة هو عقلها، إذ به يعرف الإنسان غايته العليا التي يحب أن تتعلق بها همته، وأن تنعقد بها جهوده، فلا يرى باطلا إلا جرد نفسه لمجاهدته، ولا يرى حقا إلا جرد نفسه لدعمه وتأييده، و به يدرك أن حقيقة الثروة هي حظه من معرفة الله، وأن كل الدنيا إلى جنب ذلك قليل، وأن الخير هو أن يؤتى الإنسان حظه من معرفة الله، وأن الشر هو أن يحرم تلك المعرفة، وأن الغنى والفقر والعزة والذل والنصر والخذلان إنما ترجع كلها إلى جوهر تلك الحقيقة، مدى حظ المرء من معرفة الله [1].

الأساس التربوي الذي يقوم عليه البعد الدلالي لمعرفة الخصائص:-

يقوم البعد الدلالي للعلم بالخصائص على أساس مفاده أن "الله سبحانه وتعالى هو الذي خلق الإنسان ويعلم تركيبه وما يصلحه وما يفسده، والله وحده يعلم كل ما في الإنسان من الدقة والعظمة في خلقه، ولذلك أمرنا بالنظر في ذات الإنسان لنصل إلى معرفة الخالق وقدرته وعظمته، لنعرف حقيقة أنفسنا ونكشف أغوار ذاتنا وندرك حقيقة الواقع ما أمكن"[2]، وهي حقيقة مفادها أن الذي خلق الناس هو الحقيق بعبادتهم، دون غيره مما أشركوا به، لذلك كان النظر في خلق الإنسان من الاستدلال بأعظم الآيات[3]، قال تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا

---

1 – الخولي، آدم عليه السلام، فلسفة تقويم الإنسان وخلافته، ص 54 .

2 – الزحيلي، موسوعة قضايا إسلامية معاصرة (6 / 436)

3 – ابن عاشور، التحرير والتنوير (7 / 395)

تُبصِرُونَ﴾ (الذاريات: 20، 21)، وقال عز وجل: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾(فصلت: 53)، لأن "معرفة النفس هي المفتاح إلى معرفة الله تعالى"[1]، ولو أن الإنسان أمعن النظر في نفسه وما فيها من عجائب صنع الله، ونظر ظاهره وما فيه من كمال خلقه، وأنه متميز عن سائر الحيوانات لأدرك أن وراء ذلك ربا خالقا حكيما في خلقه، ولعلم أن هذا الخالق هو المنفرد بتدبير الإنسان وتصريفه [2]، كما تعتبر معرفة الخصائص أساسا لمعرفة حقائق الموجودات[3]، وهذه المعرفة تتطلب من المرء إدراك صفات تكوينه الجسدية وإدراك حاجاتها، ومعرفة جوهر روحه وأشواقها[4]، علاوة على ذلك "تعد نظرة الإنسان إلى نفسه، من أقوى المؤثرات في تربيته"[5]، ومن هنا ندرك الأهمية التربوية لمعرفة الخصائص .

هذا وقد جاء ذكر الخصائص في سياق الأمر بالتفكر في الأنفس والآفاق وآثار العمارة السابقة، في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (الروم: 8، 9)، "فالآيات دعوة صريحة للتأمل بالنفس والتفكير في ذاتها وإطالة النظر في ثناياها والبحث في أعماقها للانطلاق إلى الكون والتكيف مع الحياة والوصول إلى الخالق المبدع والتعرف على الصلة بالله، وحكمته في الخلق وأنه لم يخلق الإنسان عبثا ولا

1 – الغزالي، المنقذ من الضلال، ص 68 .
2 – خطاطبة، المضامين التربوية في العقيدة الإسلامية، ص 46، 47 .
3 – ينظر الفرحان وآخرون، نحو صياغة إسلامية لمناهج التربية، ص 21 .
4 – ينظر الغزالي، إحياء علوم الدين (1 / 23)
5 – إبراهيم، التربية الإسلامية وأساليب تدريسها، ص 33.

باطلا "[1]، فهذا التفكر هو في الأنفس أو تفكر في خلق الله إياهم[2]، مراده الوصول إلى وحدانية الله وتفعيل ما في هذه الأنفس من آيات في خط العبودية ليقوم الحق المراد من خلق السماوات والأرض، ذلك لأن " الله سبحانه وتعالى خلق السماوات والأرض للحق وإظهار الحق لا على وجه العبث واللعب، وجعل ذلك دلالة على تفرده بالقدر والخلق والتدبير والإلهية ودعا الناس إلى التفكر في مخلوقاته ليصلوا إلى هذه الحقيقة"[3]، وهذا مما يفيده قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾(المؤمنون: 115) أي "أفظننتم أنكم مخلوقون عبثا بلا قصد ولا إرادة منا ولا حكمة لنا، وقيل: للعبث، أي لتلعبوا وتعبثوا كما خلقت البهائم لا ثواب لها ولا عقاب"[4]، وكلا المعنيين يفيدان ضرورة أن يعي الإنسان هدفية الحياة التي منّ الله به عليها .

علاقة خصائص الإنسان في عمارة الكون بالعلم الدلالي:-

يتحدد الإطار العام للبعد المعرفي الدلالي للخصائص في وصفها بالآيات، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾(الروم: 20 – 24)، والآية هي" العلامة الظاهرة "[5]، والآيات وصف له مدلوله العقدي، وذلك لأن (من آياته)، تعني"من علامات ربوبيته ووحدانيته"[6]، وهي قد جاءت في سياق

---

1 – الزحيلي، موسوعة قضايا إسلامية معاصرة (6 / 436)
2 – الشوكاني، فتح القدير (4 / 258)
3 – الحكمي، معارج القبول، ص81 .
4 – الحكمي، معارج القبول، ص80 .
5 – الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص61 .
6 – القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (14 / 18).

الاستدلال على البعث وما يتضمنه من تفرده سبحانه في التصرف، وذلك لأنه "لما كان الاستدلال على البعث متضمنا آيات على تفرده تعالى بالتصرف ودلالته على الوحدانية انتقل من ذلك الاستدلال إلى آيات على ذلك التصرف العظيم غير ما فيه إثبات البعث تثبيتا للمؤمنين وإعذارا لمن أشركوا في الإلهية. وقد سبقت ست آيات على الوحدانية، وابتدئت بكلمة ومن آياته تنبيها على اتحاد غرضها"[1].

وعليه ينبغي أن يكون من أهداف دراسة كل ما يتعلق بالإنسان هو أظهار هذا الجانب، وذلك لأن "دراسة الإنسان جسميا ونفسيا يقع ضمن هدف واحد وهو أن هذا المخلوق العجيب والدقيق في جسمه ونفسه هو من خلق الله سبحانه وتعالى، ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (فصلت: 53)، ولذلك لابد أن يتضمن المنهج في عرضه لأية جزئية من جزئيات هذا الموضوع إشارة إلى الإعجاز في الخلق، وإلى قدرة الله سبحانه وتعالى، وأن الله يريد بنا الخير في المحافظة على أنفسنا، فالمسلم القوي خير من المسلم الضعيف"[2].

ويمكن بيان مظاهر هذه الآيات في هذه الخصائص في ما يأتي:-

- تظهر قدرة الله في آية الإنشاء من الأرض في الصلة الوثيقة بين البشر وهذه الأرض التي يعيشون عليها والتي يلتقون بها في أصل تكوينهم، وفي النواميس التي تحكمها وتحكمهم في نطاق الوجود الكبير، والنقلة الضخمة من صورة التراب الساكن الزهيد إلى صورة الإنسان المتحرك الجليل القدر نقلة تثير التأمل في صنع الله وتستجيش الضمير للحمد والتسبيح لله وتحرك القلب لتمجيد الصانع المتفضل الكريم[3].

[1] – ابن عاشور، التحرير والتنوير (21 / 69).
[2] – نشوان، المنهج التربوي من منظور إسلامي، ص 218 .
[3]– ينظر سيد قطب، ظلال القرآن، (5/ 2763).

- تظهر قدرة الله في آية النزعة الاجتماعية في أن هناك اجتماعا مبنيا على ألفة تحصل بين الزوجين، من غير أن يكون بينهم معرفة من ذي قبل، فضلا عن المودة والرحمة[1]، كما تظهر آثار رحمة الله سبحانه وتعالى وقدرته وحكمته، في عدم استغناء الإنسان عن أخيه الإنسان بمخلوق آخر يتآلف معه ويحقق له السكن والاطمئنان، وهذا ما تضمنه قوله تعالى: (لتسكنوا إليها)، يقول الشوكاني مبينا هذا البعد: "أي تألفوها وتميلوا، إليها فإن الجنسين المختلفين لا يسكن أحدهما إلى الآخر"[2].

- تظهر قدرة الله في آية الاختلاف في أنه مع سعته وكثرته بين الناس إلى حد اختصاص كل فرد منهم بمزايا وفوائد وصورة تختلف عن غيره، إلا أنه لا يحدث تفاوت في الخلق، بل هو مدعاة للاتفاق وسبب له، ويمنع التفاوت والاختلال في الخلق، فقد "قيل: الناس كجسد واحد متى عاون بعضه بعضا استقل ومتى خذل بعضه بعضا اختل "[3]، وبذلك اجتمع الاختلاف والتساوي وعدم التفاوت في آن واحد، ليظهر أنه لحكمة عظيمة أرادها الله سبحانه وتعالى، ويصدق قوله تعالى: ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ ﴾(الملك: 3)، فهم "متساوون غير متفاوتون من حيث إنهم مصنوعون بالحكمة، ومختلفون من حيث إن كل فرد منهم يختص بفائدة"[4].

- وتظهر آية الله في العقل أن قدرة الإنسان على هذا الاستيعاب المعرفي لخصائص عناصر الكون وصورها وأشكالها، مع صغر حجمه، كما تظهر في القدرة على التفكر والتذكر، وكل ذلك بتعليم الله له فكما قال سبحانه: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾(النحل: 78).

---

1 - ينظر الشوكاني، فتح القدير (4 / 263)
2 - الشوكاني، فتح القدير (4 / 263)
3 - الأصفهاني، تفصيل النشأتين، ص 262 .
4 - الأصفهاني، تفصيل النشأتين، ص 112 .

- وتظهر آية الله في التملك في قدرة الإنسان على اقتناء الأشياء وتثميرها، والاستفادة بها وهذا كله من نعم الله عليه، يقول تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى﴾ (النجم: 48).

كما أنه على التربية أن تدرك بعدا آخر يتحدد به محتوى المنهاج، وهو الوصول بالمسلم إلى درجة الخشية التي يحدثها العلم مع التفكر، فكما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾(فاطر: 28)، ومن هنا ندرك أن الله "لا يريد إرشادنا إلى دقائق قدرته وحكمته فقط،ولا إيراد البرهان على إمكان البعث فحسب، إنما يريد إلى جانب ذلك تنبيه المؤمن إلى وجوب إحياء خصائص الروح بمطالعة آثار صفات الخالق في الخلق، ومنه قوله تعالى"[1]: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (الحديد: 16).

الضرورة التربوية لمعرفة نوعية الاستدلال بالخصائص:-

إن معرفة نوعية الاستدلال بالخصائص ضروري جدا من الناحية التربوية؛ وذلك لأنه يترتب على هذه المعرفة التوظيف التربوي السليم للخصائص في مجال العلم الدلالي، وبه تتحدد أساليب ووسائل الاستدلال بالخصائص.

إن نوعية الاستدلال بالخصائص يمكن معرفتها من خلال في هذين الدليلين(هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها)، وفق سؤال يطرح نفسه حول نوعية هذين الدليلين، فهل هما من الأدلة التي تلح بها الفطرة الإنسانية، أما هما من البدهيات التي تجلت للعقل الإنساني؟، وعليه فلا يحتاج الأمر منا إلا الدعوة إليه لتنجلي عن الأعين غشاوتها وتطمئن إليه النفس فتؤمن به، أم هما من الأدلة التي تحتاج منا في بيانها إلى إثبات مادي؟، والغرض من ذلك هو بيان كيفية

---

[1] - الخولي، آدم عليه السلام، فلسفة تقويم الإنسان وخلافته، ص 39 .

الاستدلال بالعمارة على وجود الله سبحانه وتعالى وتوحيده في مخاطبة من ينكر ذلك ولا يؤمن إلا بما هو مادي، إننا في هذا العصر بحاجة إلى أن نستبين هذين الدليلين ونستشهد عليهما بالأدلة المادية المحضة التي تؤكدهما أو بعبارة أخرى ترجمة هذين الدليلين ماديا ليتجلى من خلالهما توحيد الخالق، وهذا ميسر بما أثبته العلم الحديث من أن عناصر تكوين الإنسان هي نفسها عناصر تكوين التراب هذا بالنسبة للدليل، أما بالنسبة إلى العمارة فيمكن الاستدلال عليها وفق قاعدة قررها قوله تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾(الذاريات: 21)، فلو تفكر الإنسان في نفسه لوجد أنه اختص عن سائر المخلوقات بمجموعة من الخصائص والمواهب والقدرات جعلت منه مخلوقا مكرما لا يزاحمه في السيادة في هذا الكون وعمارته أحد من المخلوقات، ولو تفكر أكثر لوجد أن هناك توافقا بين ما أوتي من خصائص وبين ما في الكون من مسخرات لتعميره،ولو تفكر أكثر لوجد أن" الحكمة الإلهية التي جعلت في الأرض كنوزها وقوانينها،وجعلت مفاتيح هذه الكنوز فيما أوتي البشر من أسرار المدارك، وتقدير هذه المقابلة، بل الموافقة المحكمة بين هذين الطرفين يوحي – ولابد – أن مراد الله سبحانه بها هو عمارة الأرض على أوسع وأروع ما تكون العمارة فجاءت هذه المقابلة الدقيقة بين هذين الطرفين آية تتضمن أقطع الدلالات على مشيئة الخالق تعالى في عمارة الأرض، فوق دلالتها على وجوده وحكمته سبحانه"[1].

ما هو حال الإنسان لو أن هناك مخلوقا آخر أنشأ من الأرض وأعطي القدرة على التصرف كما أعطي الإنسان؟، لا شك أن حياته لن تكون على ما يرام، وهذا واضح بين في السياق العام للاستدلال بالإنشاء والعمارة على توحيد الخالق ووجوب عبادته، فالآية لها خصوصية في كونها نزلت في ثمود قوم صالح عليه السلام، وبالرجوع إلى ما جاء في القرآن من شأنهم نجد أنهم لم

[1] – الخولي، الثروة في ظل الإسلام، ص 62 .

يقتنعوا بهذا الدليل فصارحوا بشكهم وطالبو بآية، فجاءت هذه الآية بينــة موافقــة لهــذا الــدليل مترجمة له، مبرهنة عليه، وهي الناقة، فالناقة معجزة صالح خرجت من الأرض وأعطــي لهــا جزء من حرية التصرف فيها فكان لها أن تأكل منها وكان لها شرب يوم معلوم، وهو مما جـاء به قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾(هود:62- 64)، وقوله تعالى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(الأعراف: 73)، وقوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾(الشعراء: 141 -156).

المطلب الثاني: المرتكزات التربوية للاستدلال بخصائص الإنسان في عمارة الكون:-

يعتمد الاستدلال بالخصائص على مرتكزين تربويين مهمين يسهمان بشكل كبير إلــى تحصــيل المعرفة الحقيقة، وهذان المرتكزان هما: فطرية الاستدلال بالخصــائص، وواقعيــة الاســتدلال بالخصائص.

أ- فطرية الاستدلال بالخصائص:-

إن "معرفة الإنسان بنفسه هي طريق لمعرفته بربه، فكما قال ﷺ: (أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه)"[1]، فمن عرف صفات النقص في نفسه عرف في مقابلها صفات الكمال لربه، وكذلك من عرف نفسه بالكمال عرف من باب أولى أن ربه الذي منحه هذه الصفات متصف بصفات الكمال[2]، فالمعرفتان أمران متلازمان دل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾(الحشر: 19)، لذلك كان الأمر الإلهي الداعي إلى التبصر في مكنون خلق الإنسان، يقول تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾(الذاريات:20،21)،وإما أراد به ظاهر الجسد فحسب وإنما أراد معه خفايا النفس وأسرارها"[3]، فقوله (وفي أنفسكم) "إحالة على النظر في شخص الإنسان فإنه أكثر المخلوقات التي لدينا عبرة لما جعل الله فيه مع كونه من تراب من لطائف الحواس ومن أمر النفس وجهاتها ونطقها، واتصال هذا الجزء منها بالعقل، ومن هيئة الأعضاء واستعدادها لتنفع أو تجمل أو تعين"[4]، ومن هنا يمكن إدراك أن من أخص ما ينبغي أن يعرفه الإنسان عن نفسه خصائصها التي اختصت بها عن غيرها لتؤدي العبادة التي وكلت بها دون غيرها من المخلوقات ألا وهي عبادة العمارة، لكون الخصائص من آياته ﷻ في نفس الإنسان، دل على ذلك قوله تعالى في التعريف بكل خاصية: (ومن آياته)، وكون أنها من آيات الله مرده إلى "أن الله ﷻ قد جمع في شخص الإنسان على صغر حجمه من العجائب ما يكاد بوصفه يوازي عجائب كل العالم، حتى كأنه نسخة مختصرة من هيئة العالم

---

1 - الألوسي، روح المعاني (4 / 306)

2 - ينظر ابن القيم، جامع الآداب، (4 / 8).

3 - الغزالي، ميزان العمل، ص 25 .

4 - ابن عطية، المحرر الوجيز (6 / 200)

ليتوصل الإنسان بالتفكر فيها إلى العلم بالله عز وجل "[1]، كما أن لها عملها في إظهار آيـات الله في الآفاق، كما قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾(فصلت: 53).

إن مما يظهر فطرية الاستدلال بالخصائص ذلك الخطاب القرآني الذي جـاء فـي معـرض الاستدلال على وحدانية الله والدعوة إلى عبادته، في قوله تعالى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ (هود : 61)، "فهو يناديهم بما في نشأتهم ووجودهم في الأرض من دليـل فطـري منطقـي لا يملكون له رداء، وهم ما كانوا يزعمون أنهم أنشأوا أنفسهم ولا أنهم كفلوا لأنفسـهم البقـاء، ولا أعطوا أنفسهم هذه الأرزاق التي يستمتعون بها في الأرض"[2] .

ب- واقعية الاستدلال:-

إن الاستدلال العقدي بالخصائص هو استدلال واقعي، يستند في ذلك علـى واقعيـة التربيـة الإسلامية، وتميزها عن الفلسفات الأخرى، وهذا واضح بين فيما يلاحظ من أن" مـنهج القـرآن الكريم في الاستدلال على الحقائق الدينية يبدأ من عالم الشهادة من استقراء الآيات الكونية، يبـدأ من الواقع المحيط بالإنسان بل بالإنسان نفسه وليس من الفروض العقلية المجردة التي فرضـتها العقلية اليونانية بمصطلحاتها ومفرداتها على تراث المتكلمين" [3].

ومما يبين لنا واقعية هذا الاستدلال ما جاء من تجسيد له على أرض الواقع بعد أن أنكره مـن عميت بصيرته وانطمست فطرته، وذلك فيما أظهره الله لهم من قدرته في معجزة الناقة، ليبـين

1 - الغزالي، ميزان العمل، ص 25، الأصفهاني تفصيل النشأتين، ص 76، 77 .
2 - سيد قطب، في ظلال القرآن، (4/ 1910).
3- الجليند، خلل في مسيرة الأمة، ص 69 .

لهم أن الإعراض عن هذا الدليل لا يعدو كونه شكا، ولذلك عندما لم تستجب ثمود لدعوة صـــالح عليه السلام أقروا بأنهم في شك مما يدعوهم إليه، فجاء الدليل المادي وهو الناقة موافقا لما جـــاء به الدليل النظري، "مزيلا ذلك الشك الذي تلبس عقولهم وفطرتهم، فهـم قـد شـــاهدوا انفـــلاق الصخرة عنها وخروجها منها، فهي قد خلقت بقدرة الله الخارقة لـــذلك نســبت إلـــى الله تعـــالى وأضيفت إلى اسمه"[1]، وهذا ما بينه قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ (هود : 62 – 64 .)، ومما يبين لنا واقعيته ارتباطه بـــالواقع المعاش، وهذا ما بينه أيضا قوله تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾(هود : 61)، "وإنّمـــا ذكر تعلّق خلقهم بالأرض لأنّهم كانوا أهل غرس وزرع، كما في قوله تعالى: ﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾(الشعراء: 146 – 148)، ولأنّهم كانوا ينحتون مـــن جبال الأرض بيوتاً ويبنون في الأرض قصوراً، كما في قوله تعالى: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ﴾ (الشعراء: 149)، وقوله تعالى: ﴿ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا﴾ (الأعراف: 74)، فكانت لهم منافع من الأرض تناسب نعمة إنشائهم من الأرض فلأجل منـــافعهم في الأرض قيّدت نعمة الخلق بأنّها من الأرض التي أنشئوا منها، ولذلك عطف عليه (واستعمركم فيها) "[2].

ومن هذه الواقعية اكتسب الاستدلال صفة السهولة واليسر، وهو مبدأ تربوي ينبغـــي للتربيـــة العمل به في عرضها وإثباتها للقضايا والمسائل العقدية، وهذا مما تتميز به العقيدة الإسلامية في

1 – ابن عاشور، التحرير والتنوير (12 / 113)
2 – ابن عاشور (12 / 107 – 108)

أن مسائلها "تتمتع باليسر والسهولة والقرب من الفطرة، لا تحتاج في إثباتها إلى ما ورثناه في علم الكلام من التفريعات والتجزيئات التي تنأى عن منطق الفطرة وسهولة المأخذ بل قد تثير أحيانا من الشبهات والشكوك أكثر مما تدعو إلى اليقين والاعتقاد"[1]، ومرتكز هذا المنطق الفطري فيما تفضل الله به على الإنسان من أنه "علمه طريق معرفته، بأن جمع في شخصه مع صغر حجمه من العجائب ما يكاد يوازي عجائب كل العالم حتى كأنه نسخة مختصرة من هيئة العالم"[2].

المطلب الثالث: الوجوه الدلالية لخصائص الإنسان في عمارة الكون:-

جاء الحديث عن العمارة في سياق الدعوة إلى عبادة الله وتوحيده على لسان سيدنا صالح عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴾ (هود: 61)، لما أمرهم بالتوحيد" ذكر في تقريره دليلين، الدليل الأول (هو أنشأكم من الأرض) والدليل الثاني (واستعمركم فيها)"[3]،ووجه دلالة هذه الخصائص على توحيد الله تعالى بيّنه الرازي بقوله: "اعلم أنه في كون الأرض قابلة للعمارات النافعة للإنسان وكون الإنسان قادرا عليها دلالة عظيمة على وجود الصانع، ويرجع حاصله إلى ما ذكره الله تعالى في آية أخرى وهي قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴾(الأعلى: 3)، وذلك لأن حدوث الإنسان مع أنه حصل في ذاته العقل المادي والقدرة على التصرفات الموافقة يدل على وجود الصانع الحكيم وكون الأرض موضوعة بصفات مطابقة للمنافع يدل أيضا على وجود الصانع الحكيم "[4]، إنها "الحكمة الإلهية التي جعلت في الأرض كنوزها وقوانينها، وجعلت مفاتيح هذه الكنوز فيما أوتي البشر من أسرار المدارك، وتقدير هذه

1- القرضاوي، الإيمان والحياة، ص 173 .

2 - الألوسي، روح المعاني (4 / 306)

3 - الرازي، التفسير الكبير (18 / 368)

4 - الرازي، التفسير الكبير (18 / 368) .

المقابلة، بل الموافقة المحكمة بين هذين الطرفين يوحي – ولابد – أن مراد الله سبحانه بها هو عمارة الأرض على أوسع وأروع ما تكون العمارة فجاءت هذه المقابلة الدقيقة بين هذين الطرفين آية تتضمن أقطع الدلالات على مشيئة الخالق تعالى في عمارة الأرض، فوق دلالتها على وجوده وحكمته سبحانه "[1].

ومن الممكن بيان بعض الوجوه فيما يأتي مع الأخذ في الاعتبار أن هذه الوجوه هي من الأساليب والوسائل التربوية المهمة لتحصيل المعرفة .

أ- دليل الصنعة والإحكام والإتقان:-

إن الإنسان مخلوق بطريقة معينة متقنة مقدرة[2]، كما دلت على ذلك الآيات الكثيرة ومنها قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾(الفرقان: 2)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾(القمر:49)، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾(الانفطار: 6 – 8)، وهو مخلوق معجز "بكل ما فيه من أجهزة دقيقة وطاقات، العمليات الجسمية والعمليات الفكرية، والعمليات الروحية في كيان الإنسان، امتزاجه وترابطه المحكم الشامل الدقيق الذي يجمع كل طاقاته ويوحد بينها في كيان "[3]، "فالقادر على خلق هذه البنية الإنسانية ثم سواها وعدلها إما أن يقال إنه تعالى خلقها لا لحكمة وذلك عبث وهو على الله تعالى محال، لأنه تعالى منزه عن العبث، أو خلقها لحكمة فتلك الحكمة أن تكون عائدة إلى الله تعالى وذلك باطل، لأنه منزه عن الاستكمال والانتفاع، فتعين أن تكون الحكمة عائدة إلى العبد،وتلك الحكمة أن تظهر في الدنيا فذلك باطل، لأن الدنيا دار بلاء وامتحان لا دار انتفاع وجزاء، فثبت أن تلك الحكمة إنما تظهر في دار الجزاء، فثبت أن الاعتراف بوجود الإله الكريم

---

1 – الخولي، الثروة في ظل الإسلام، ص 62 .
2 – الراوي، قضايا تربوية عربية في رؤى إسلامية، 245
3 – قطب، منهج التربية الإسلامية، (1 / 45)

الذي يقدر على الخلق والتسوية والتعديل يوجب على العاقل أن يقطع بأنه تعالى يبعث الأموات ويحشرهم "[1].

ب- دليل التميز والاختصاص:-

التخصيص والاختصاص والخصوصية والتخصص: تفرد بعض الشيء بما لا يشاركه فيه الجملة، وذلك خلاف العموم، والتعمم، والتعميم، خصص الرجل: من يختصه بضرب من الكرامة [2]، والتفضل بالخصائص على الإنسان وتمييزه بها، هو مما اقتضته المشيئة الإلهية،يقول تعالى: ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾(آل عمران: 74)، يقول ابن تيمية: "ولذلك حكمة ورحمة هو أعلم بها، كما خص بعض الأبدان بقوى لا توجد في غيرها،وبسبب عدم القوة قد تحصل له أمراض وجودية وغير ذلك من حكمته "[3].

إن هذا الاختصاص السيادي والتصرفي للإنسان وما يمثله من نعمة عظيمة من الله عليه،وتميز له، ضُرب مثلا ليكون دليلا على وحدانية الله وأحقيته بالتفرد بالعبادة، ليستشعر الإنسان عظمة هذه النعمة، وذلك عدم جاء ذكر تعداد هذه الخصائص في سورة الروم، عقب الله عليها بقوله تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾(الروم: 28)، فسر المفسرون قوله تعالى: (من ما ملكت أيمانكم) بالعبيد والإيماء، ومن ذلك قول الشوكاني: "والمقصود نفي الأشياء الثلاثة الشركة بينهم وبين المملوكين والاستواء معهم وخوفهم إياهم وليس المراد ثبوت الشركة والاستواء والخوف"[4]، إلا أن الخطاب في الآية عام وهو يصلح لكل إنسان، كما أن السياق

---

1 - ابن عادل الدمشقي، اللباب في علوم الكتاب (20 / 196)
2 - الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص 203 .
3 - ابن تيمية، التفسير الكبير (3 / 371)
4 - الشوكاني، فتح القدير (4 / 268)

يبين أنها أرزاق من نوع آخر، لا كالتي تكلم عنها المفسرون في كونها الأموال وغيرها من الممتلكات، لأن هذا الفهم يتنافى مع كون العبد داخلا في الرزق فكيف يكون شريكا في نفسه،وحقيقة الأمر هو الذي يملكها، لذلك ينبغي العدول عن هذا الفهم إلى فهم أوسع وهو كون (ما ملكت أيمانكم) يدل على المخلوقات المسخرة، وقوله: (في ما رزقناكم) يدل على ما تميز به الإنسان عنها، ولعل هذا ما يعنيه التفصيل في قوله تعالى: (كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون) "أي هكذا يبين الله الآيات واحدة بعد واحدة ليكون ذلك أقرب إلى الفهم وواقع في القلب"[1] .

إن هذا التفرد الإنساني بهذه الخصائص وما ترتب عليه من انتظام لأمر الدنيا، واستمرارية للحياة فيها، عندما يختل سيكون إيذانا بانتهاء الحياة على هذه الأرض، كما كان خروج الناقة والتكذيب بها إيذانا بزوال ثمود قوم صالح عليه السلام، وهذا مما يفهم من قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾(النمل: 82)، قال رسول الله ﷺ: (ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفسا إيمانها، لم تكن آمنت من قبل، أو كسبت في إيمانها خيرا، طلوع الشمس من مغربها، والدجال ودابة الأرض)[2]، ويقول ﷺ: (إن الساعة لا تكون حتى تكون عشر آيات خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف في جزيرة العرب والدخان والدجال ودابة الأرض ويأجوج ومأجوج وطلوع الشمس من مغربها ونار تخرج من قعرة عدن ترحل الناس)[3]، مع وجود علاقة أخرى بين الناقة والدابة فيما ورد من أنها فصيل ناقة صالح وهذا ما ذكر القرطبي بأنه أصح الأقوال[4].

---

1 – الطبراني، التفسير الكبير (5 / 122)

2 – مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان، (138/1)، رقم 158 .

3 – مسلم، صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة، (179/8)، رقم 7468 .

4 – يراجع في تفسير (الدابة) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (13 / 209) .

جـ- دليل التفضل والإكرام:-

جاء ذكر الخصائص والأمر بتفعيلها في سياق الامتنان بها ليكون هذا الامتنان داعيا لشكر الله،كما كان دليلا على توحيد الله بالعبادة، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴾(هود: 61)، "جاء الحديث عن نعمتي الإنشاء من الأرض والاستعمار فيها في موضع التّعليل للأمر بعبادة الله ونفي إلهية غيره، كما أنها جعلت علة أيضا للأمر بالاستغفار والتوبة"[1]، وقد شرح هذا المعنى وبينه ذكر ما يستلزم وجود هذه الخصائص، وأنها مما تفضل به الله على الإنسان، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ﴾(الأعراف:10)،أي "مكناهم بخلق القوى والقدر وإدرار النعم التي تعينهم على إنجاء أنفسهم"[2]، فمن مستلزمات التمكين أن يكون في ذات الإنسان أسباب هذا التمكين الذي من معانيه القدرة على التصرف في الأرض والتملك فيها، ومن مستلزمات الانتفاع بالمعيشة وجود ما يتوصل به إليها، وهذا المعنى يفهم من كلام الزمخشري في تفسيره لهذه الآية حيث قال: "(مكناكم في الأرض) جعلنا لكم فيها مكاناً وقراراً، أو ملكناكم فيها و أقدرناكم على التصرف فيها (وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا معايش)، جمع معيشة وهي ما يعاش به من المطاعم والمشارب وغيرها، أو ما يتوصل به إلى ذلك "[3]، وفي هذا دليل على وجود الخصائص التي تمكن الإنسان من العمارة وهذه الدلالة هي دلالة التزام .

ثانيا:- خصائص الإنسان في عمارة الكون والانتفاع المعرفي بالكون:-

إن للخصائص بشكل عام دورا في الانتفاع المعرفي بالكون، لما تولده من ميول ورغبات نفسية تدفع وتحفز الإنسان إلى أن يقتحم الكون مما يولد نوعا من حب الاستطلاع، يدفع العقل إلى البحث والتدبر لإشباع حاجات الإنسان المادية والمعنوية، ومن الممكن بيان مستويات

[1] - ابن عاشور (12 / 107 – 108)
[2] - البقاعي، نظم الدرر (3 / 183)
[3] - الزمخشري، الكشاف (2 /207)

الانتفاع المعرفي من خلال ما يأتي مع الأخذ في الاعتبار أن الدور الأساسي والرئيس في ذلك لخاصية العقل، وأن هذه المستويات تعد أطرا عامة لتحديد محتوى المنهاج، الذي يمكن الإنسان من الاستفادة من الكون.

أ- المعرفة المادية:-

إن الانتفاع المعرفي للكون على مستوى المادة يتمثل في النظر في مادة الكون للوقوف على ثلاثة أنواع من المعرفة هي: معرفة عناصر تكوينها إفرادا وتركيبا، ثم النفاذ من معرض الكثرة والتغاير إلى حقيقة الوحدة الاطراد، وذلك لأن هناك وحدة عنصرية في مفردات الكون مع ما يبدو من تغاير ظاهري بينها، وهذا ما يمكن أن يسمى بالمعرفة المادية على المستوى العنصري، أما النوع الثاني من أنواع هذه المعرفة فهو المعرفة على المستوى الكيفي، ومفادها الوقوف على النسب الكيفية لعناصر الكون، وعلاقاتها الوجودية ببعضها البعض، لمعرفة التكامل الوجودي بين مفردات الكون، أما المستوى الثالث للمعرفة المادية فهو معرفة القوانين الكلية الثابتة التي تنسلك فيها مفردات الكون كلها في مادتها وكيفياتها، والتي بالوقوف عليها تتم للإنسان المعرفة الحقيقية للكون، ويتم بذلك النفع العظيم [1]، وعليه فلابد من صياغة مناهج هذا النوع من العلوم على أساس إيماني يتفق مع نظرة الإسلام الكلية في هذا المجال[2]، ومن خلال التمعن في نسيج كتاب الله نجد كيف منحت آياته البينات العقل رؤية تركيبية للكون والحياة والإنسان والوجود، تربط وهي تتأمل وتبحث وتعاين بين الأسباب والمسببات وتسعى إلى أن تضع يدها على الخيط الذي يشد الظواهر والأشياء في هذا العقل أو ذاك، لقد أراد القرآن أن يتجاوز العقل العربي النظر التبسيطية المسطحة المفككة التي تتعامل مع الأشياء والظواهر كما لو منطقة معزولة،منفصلا بعضها عن بعض، وهي خلال ذلك لا تملك القدرة على الجمع والمقارنة

---

1 - النجار، فقه التحضر الإسلامي، ص140 - 141 .

2 - ينظر الفرحان وآخرون، نحو صياغة إسلامية لمناهج التربية، ص 83.

والقياس والتقاط عناصر الشبه وعزل عناصر التغاير ولا إمكانية التركيب والاختزال والتركيز للوصول إلى الدلالات النهائية للظاهرة[1].

الأثر التربوي لمعرفة الحقيقة الكونية:-

إن العلم بالحقيقة الكونية من شأنه أن يشيع في النفس الطمأنينة والأمن، إذ تعرف الأسباب التركيبية والقانونية لسيرورة الكون في أحداثه ومنقلباته، فلا يبقى مجال لتفسيرات الخرافة والأوهام والطيرة، وما في حكمها مما يثير في النفوس الخوف واليأس والتشاؤم، وكلها أمراض تعرقل مسيرة التقدم الروحي للإنسان، وقد نبه القرآن الكريم في مقام الاستنكار على فرعون وملئه الذين انحطت نفوسهم بأوهام التطير التي جعلوا يفسرون بها ظواهر الكون ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾(الأعراف: 131)، وذلك ما نبه إليه النبي ﷺ حينما ظن الناس أن الشمس كسفت لموت إبراهيم فقال مصححا العلاقة المعرفية بالكون [2]: (إن الشمس والقمر لا يكسفان لموت أحد ولا لحياته ولكنهما من آيات الله يخوف الله بهما عباده فإذا رأيتم كسوفا فاذكروا الله حتى ينجليا) [3].

ضرورة ارتباط موضوعات العلم بالبيئة المحيطة بالطالب:-

ينبغي أن يكون ما يقدم للطالب من علم يتعلق بواقعه الملموس ويلبي حاجته في بيئته لذلك ينبغي أن يكون العلم وثيق الصلة بالأرض المراد تعميرها، فعلم كعلم الكيمياء أو الفيزياء أو الأحياء أو غيرها من العلوم التطبيقية مجالاتها واسعة، ولو طولب الطالب بكل موضوعاتها لاستنفذ جل عمره دون أن يدركها عليه ينبغي أن نعلم أولا أساسيات هذه العلوم ثم يعلم الطالب

1- ينظر القيسي، معالم التوحيد، ص 126 .
2 - النجار، فقه التحضر الإسلامي، ص 141 .
3 - مسلم، صحيح مسلم، كتاب الكسوف، باب صلاة الكسوف، (620/2)، رقم 901 .

ما يحتاج إليه في تعمير بيئته، فتعمق في كيمياء أرضه وفيزيائها وأحيائها، ويكون بذلك إعــداد علماء تدربوا جيدا على الإنتاج دون أن نضيع طاقاتهم في علوم لا حاجة لهم بها .

ب- معرفة الاعتبار:-

يقصد بمعرفة الاعتبار هو "معرفة حقائق القوانين الاجتماعية ونواميس التصرفات الحضــارية للأمم والشعوب، التي تتجلى في الكون باعتباره مسرحا للحياة الإنسانية، وشاهدا علــى مســيرة تاريخ المجتمعات والشعوب، مما يجعله ينطق بالكثير من العبر التي يستفيد منها الإنســان فــي حاضره، فيتقي الوقوع في الأخطاء التي وقع فيها من قبله"[1]، وبالعقل يستطيع الإنسان أن يدرك حقائق التاريخ ويستفيد من دروسها وعبرها، ويخطط لمستقبله ويواجهه على وعي وبصيرة فــي ضوء حقائق الماضي ومعطيات الحاضر[2]، وهذه المعرفة دعا إليها القرآن الكريم، في الآيــات التي تدعو إلى النظر في سنن الله سبحانه وتعالى في الاجتماع البشري والإحاطة بهــا، وعــدم مخالفتها، من أمثال قوله تعــالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾(آل عمران: 137)، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾(النحل:36).

إن هذه المعرفة وإن كان للعقل الدور الرئيس فيها، إلا أنه لا يستقل بهذا الــدور لوحــده بــل يشاركه في ذلك خاصية النزعة الاجتماعية على اعتبار أن التأمل في أخبار الأمم الســابقة هــو حقائق الاجتماع البشري، وتشاركه خاصية حب الخلود على اعتبار أن فكرة الزمن الماضي فــي نظر التربية الإسلامية تتصل بالعبرة والعظة ومن هنا ممكن التأصيل لما يمكن أن نســميه بفقــه الاعتبار، الذي ينبغي أن يكون مضمون علم التاريخ والسيرة ومقصدهما.

[1] - النجار، فقه التحضر الإسلامي، ص 141 .

[2] - الشيباني، عمر، مفهوم الإنسان في الفكر الإسلامي، ص 151 .

التأصيل التربوي لفقه الاعتبار:-

إن "من حقيقة معنى العمران أن يتأمل المرء فعل الإنسان على الأرض، أو تاريخه، فذلك أدعى إلى توفيق أكبر في بناء حياته الروحية والأخلاقية والاجتماعية والحضارية، من أجل ذلك كان التاريخ في القرآن الكريم مصدرا للعظة والعبرة التي يجب أن يتلمسها الإنسان في أخبار الأمم الماضية "[1]، يقول تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾(يوسف: 111)، وبهذا تعلقت فكرة الزمان الماضي بالعبرة وتخلصت من معنى الحسرة واللهفة على ما فات، لذلك ينبغي مراعاة هذا المقصد في وضع المناهج الدراسية لمادة السيرة ومادة التاريخ، ليكون الهدف التربوي لمثل المواد هو بيان العظة والعبرة للناشئة وبيان أن الاجتماع البشري محكوم بسنن قدرها الله فيه،وأن نتيجة مخالفة هذه السنن هو ما آلت إليه تلك المجتمعات والحضارات، وأن المجتمعات الحاضرة ليست بمنأى عن مثل هذا المصير، وفي إطار هذا الهدف ينبغي أن يبتعد تعلم وتعليم السيرة والتاريخ عن الطريقة النمطية التي تعتمد أسلوب السرد، كما أن" كتابة التاريخ الإسلامي وتدريسه يجب أن يكون على أساس معايير محددة في حياة البشرية، فالمعيار الأساسي لكل الفعاليات البشرية هو مدى الاهتداء أو الانحراف عن سبيل الله"[2].

إن القاعدة العامة التي تحكم فقه الاعتبار، والتي تعتبر أصلا تربويا له، هي أن لله سبحانه وتعالى سننا في الكون وفي الاجتماع البشري، وأن هذه السنن لا تتبدل ولا تتغير، وهي تصدق على الجميع دون استثناء، وعليه ينبغي معرفة هذه السنن من خلال دراسة تاريخ الأمم السابقة،والنظر في آثارهم، ومعرفة مصيرهم وما آلوا إليه وأسباب كل ذلك، حتى يتقيها المسلم ويحذر مخالفة سنة الله في خلقه، يقول تعالى: ﴿اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا

1 - الشرقاوي، في فلسفة الحضارة الإسلامية، ص 281، 282 .
2 - الفرحان وآخرون، نحو صياغة إسلامية لمناهج التربية، ص 80 .

بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴾(فاطر: 43، 44)، ويقول تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ (الأحزاب: 62)، ويقول تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾(الفتح:23)،إنها "القانونية التاريخية التي تبين أن التاريخ البشري لا يتحرك في فوضى وعلى غير هدى، وإنما تحكمه سنن ونواميس"[1]، وبالعقل يستطيع الإنسان أن يدرك حقائق التاريخ ويستفيد من دروسها وعبرها، ويخطط لمستقبله ويواجهه على وعي وبصيرة في ضوء حقائق الماضي ومعطيات الحاضر [2].

من أساليب فقه الاعتبار:-

من أهم الأساليب التربوية لفقه الاعتبار أسلوب القصة وأسلوب الرحلات المدرسية .

أ- أسلوب القصة:-

إن القصة باعتبارها أسلوبا تربويا مهما لا تعني مجرد سرد الأحداث التي وقعت، بقدر ما تعني تتبع هذه الأحداث وتحليلها وربطها بالواقع المعاش وذلك عن طريق بيان سنة الله في ارتباط الأسباب بالمسببات ووقوع النتائج وفق المقدمات، إن هذا الإطار الذي ينبغي أن يحكم أسلوب القصة ليس غريبا عن مفهوم القصة، بل يتناسب تماما مع المفهوم الحقيقي للقصة، ذلك لأن القصة هي مصدر لقولهم: "قَصَّ فلانٌ الحديثَ، يَقُصُّهُ، قَصًّا، وقَصَصاً وأصله: تتبع الأَثَر، يقال: فلان خرج يقصُّ أَثَرَ فلان، أي يتبعه ليعرف أين ذَهَبَ"[3]، وعليه ينبغي التركيز على الأحداث التي تعتبر محطات فاصلة في الانتقال من حال إلى حال، والتي تظهر فيها الأسباب جلية

1- القيسي، معالم التوحيد، ص 126 .

2- الشيباني، عمر، مفهوم الإنسان في الفكر الإسلامي، ص 151 .

3 -ابن عادل الدمشقي، اللباب في علوم الكتاب، (5 / 292).

واضحة سواء أكانت مباشرة أم غير مباشرة، والتعامل مع هذه المواقف والأحداث تعامل تتبع الأثر الذي يحدثه المشي على الأرض ليصل بنا إلى نهاية المطاف الذي آلت إليه هذه الانتقالات،ثم ربطها بالواقع بالتحليل والمقارنة، وفق قاعدة أن ما صدق على الإنسان في اجتماعه البشري قديما يصدق عليه حديثا، وذلك لأن سنة الله لا تتبدل ولا تتغير.

ب- الرحلات المدرسية:-

إن من الأساليب التي يعتمدها فقه الاعتبار أسلوب الرحلات المدرسية إلى مواقع سكن الأمم البائدة، للاتعاظ والاعتبار، يقول تعالى: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (الحج:137،138)، ويقول تعالى: ﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ ﴾(إبراهيم: 45)، لذلك ينبغي التركيز على أن يكون المقصد في المقام الأول من هذه الرحلات هو التربية العقلية والوجدانية للتلاميذ لا مجرد التسلية والمتعة والترفيه، فهذه الأمور لا ينبغي اعتبارها مقصدا أساسيا كما لا ينبغي إهمالها، والأصح اعتبارها وسائل تربوية لتحقيق مقصد الاعتبار، ذلك لأن الله سبحانه وتعالى أمر بالسير في الأرض للنظر والتفكر في مصير الأمم السابقة والاتعاظ بذلك، يقول تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾(الروم: 9)، ويقول تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ (الأنعام: 11)، ويقول تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾(النمل:69)، ويقول تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ﴾(الروم: 42)، ويقول

تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا﴾(محمد:10).

جـ- معرفة الاعتقاد:-

إن "معرفة الكون لا تكتمل حلقاتها إلا إذا تواصل فيها إدراك الظواهر مع إدراك القوانين التي تحكمها، مع النفاذ إلى العلل والأسباب الحقيقية التي ترجع إليها تلك الظواهر والقوانين، وذلك لأن حقيقة الكون ليست منحصرة في ذاته، بل حقيقته الكبرى هي في دلالته على ما وراءه من الحق، فموجودات الكون رتبت في تركيبها وأوضاعها على تنظيم مطلق، وبلغت من العظمة ما قصر عن تصوره العقل، والوقوف بالعلم عند الظواهر المحسوسة لتلك الموجودات سواء في مادتها أو في قوانينها وسننها هو وقوف بالانتفاع بالكون من الناحية المعرفية عند حد قريب منه، والحال أنه يمتد من حيث الدلالة إلى آماد معرفية أبعد بكثير من أمده المادي، من شأنها أن تعود على الإنسان بنفع كبير في مضمار ترقيه الروحي، إنه قصور يشبه القصور الذي يقع فيه الإنسان حين يقف بمعرفته الكونية عند الظواهر الحسية دون النفاذ إلى الأبعاد القانونية التي تصرف تلك الظواهر، وذلك وضع من الغفلة عن الحقائق البعيدة ذات النفع الأكبر بالاشتغال بالحقائق القريبة ذات النفع الأقل"[1]، ولعل هذا مما يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾(يوسف: 105).

كيفية الحصول على الحقيقة:

إن "الحقيقة يبدأ الطريق إليها بجمع المادة المحسوسة، ثم يعمل العقل فيها لينفذ إلى القوانين والدلالات النظرية، وذلك ما يشير إليه القرآن الكريم باطراد في مقدمات التعرض لمسئولية الإنسان في النفاذ المعرفي إلى الحقيقة حينما يقرن وسائل الحس إلى العقل بما يفيد في تقديمها

---

[1] – النجار، فقه التحضر الإسلامي، ص 142 – 143 .

عليه أسبقيتها في عملية المعرفة بتوجيهها إلى مظاهر الكون المحسوسة، كما في قولـه تعـالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(النحل:78)، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾(الاسراء:36)، فمعرفة الحقيقة إنما تحصل للإنسان إذا ابتداء من التوجه بالاستيعاب إلى مشاهد الكون الحسية،فهذا التوجه الحسي هو الذي يفضي إلى النفع المعرفي بتحصيل ثلاثة أنواع من العلم تتضافر كلها لترقية الإنسان ترقية روحية شاملة "[1]

إن الإحساس هو معرفة تلقائية للوقائع المحيطة بالإنسان، عن طريق ما تنقله الحواس[2]، وهذه الحواس لها أهميتها الكبيرة، والدليل على ذلك مسئولية الإنسان عنها وعن تفعيلها يقول تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾(الإسراء: 36)، وإنما خص السمع والبصر بالذكر من بين سائر الحواس لأن السمع طريق إدراك الوحي وعلم الرواية والسماع، ولأن البصر طريق مشاهدة الآيات الكونية والعلم التجريبي، جاء في تفسير أبي السعود (فجعلناه سميعا بصيرا) "ليتمكن من سماع الآيات التنزيلية ومشاهدة الآيات الكونية"[3].

أسلوب التفكر:-

التفكر هو "التأمل والنظر، وهو تفعل مشتق من الفكر"[4]، الذي يعني "جولان العقل في طريق استفادة علم صحيح" [5]، أي أن التفكر "إعمال الخاطر العقلي للاستفادة منه، وهو التأمل في الدلالة العقلية"[6].

---

1 - النجار، فقه التحضر الإسلامي، ص 140 .
2 - صبري محمد خليل، الأبعاد المعرفية للاستخلاف، ص 10 .
3 - ينظر عبد الستار نوير، رسالة الإنسان في الحياة، ص 34 .
4 - ابن عاشور، التحرير والتنوير (11 / 144)
5 - ابن عاشور، التحرير والتنوير (7 / 244)
6 - ابن عاشور، التحرير والتنوير (21 / 51)

لقد وجهت التربية الإسلامية قوة التفكر في مسارها الصحيح حتى لا تستنزف في أمور لا طائل لها بها، وذلك عندما جاء الأمر بالتفكر بالخلق والنهي عن التفكر في الخالق، وذلك "لأن إدراك الإنسان محدود بحدود المادة، مما تقع عليه وسائل الإدراك، أما ما وراء المادة فليس للإنسان إدراك حقيقي لها، ولكن له إدراك لبعض آثارها، ولو تفكر في الغيبيات فإن تصوراته لا تنفك عن تشبيهها بالمادة "[1]، ووفق هذه القاعدة ينبغي للعقيدة في مناهجها عن تبتعد عن كل الجدليات، والخوض في الغيبيات مما نهينا الخوض فيه، وعليها أن توجه المتعلمين إلى النظر في آثار الصفات لا في الصفات نفسها، وذلك لأن المولى عز وجل أمرنا بالنظر في آثار صفاته وذلك عندما قال في محكم آياته: ﴿فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(الروم: 50)، "والخطاب بانظر لغير معين ليعم كل من يتأتى منه النظر، ورحمة الله: هي صفته التي تتعلق بإمداد مخلوقاته ذوات الإدراك بما يلائمها ويدفع عنها ما يؤلمها، وذلك هو الإنعام، وأثر الشيء ما ينشأ عنه مما يدل عليه، فرحمة الله دلت عليها الآثار الدالة على وجوده وتصرفه بما فيه رحمة للخلق"[2]، وعلى هذا "فالذي يدركه الفكر ويحتازه ويستنزله من ملكوت الآيات هو آثار صفات الخالق تعالى لا صفاته ذاتها "[3]، وذلك لأن التفكر" لا يقال إلا فيما يمكن أن يحصل له صورة في القلب"[4]، والله سبحانه وتعالى يقول في كتابه العزيز: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾(الشورى: 11)، كما أن الرسول ﷺ يأمرنا أن نتفكر في الخلق وينهانا عن التفكر في الخالق يقول ﷺ: (تَفكّروا في الخلق، ولا تُفكّروا في

---

1 – المطرودي، الإنسان وجوده وخلافته في الأرض، ص 254 .

2 – ابن عاشور، التحرير والتنوير (21 / 123)

3 – الخولي، آدم عليه السلام، فلسفة تقويم الإنسان وخلافته، ص 142 .

4 – الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص 488 .

الخالق، فإنكم لا تقدرون قدره) [1]، وقال ﷺ: (تَفكّروا في خلق الله، ولا تُفكّروا في الله فتهلكــوا) [2]، وقال ﷺ: (تَفكّروا في آلاء الله، يعني عظمته ولا تفكروا في الله) [3]، فهذا مبدأ تربوي عظيم يعلمنا ألا نهدر الطاقات في غير مجالاتها، وهذا من شروط الإبداع العلمي[4].

فقه الإعداد للمستقبل:-

إن ما يستمده الإنسان من معارف كونية تصل به إلى الحقائق الكبرى، وما يتعلمــه الإنســان من قوانين ثابتة تحكم المادة الكونية والحياة الاجتماعية، مع ما تمــده بــه العقيــدة مــن علــوم غيبية،كل ذلك من شأنه أن يكون أسسا يستنبط منها الإنسان معالم غيب المستقبل، فيعد العدة لما يستقبله من زمان، وهذا الإعداد هو حاجة ملحة ترتبط ارتباطا وثيقا بمشكلة المصير، وهو أمــر وثيق الصلة بخاصية حب الخلود .

إن الإعداد للمستقبل ووضع الخطط الاستراتيجية له، لا يعد من طول الأمل ولا يتنــافى مــع الشرع، بل له ما يؤيده شرعا فيما جاء من حديث عمر رضي الله عنه في الصحيح، (أن النبــي ﷺ كان يأخذ نفقة سنة) [5]، قال ابن الجوزي: " فيه جواز ادخار قوت سنة، ولا يقال هــذا مــن طول الأمل، لأن الإعداد للحاجة مستحسن شرعا وعقلا، وقد استأجر شــعيب موســى عليهمــا السلام عشر سنين، وفي هذا رد على جهلة المتزهدين في إخراجهم من يفعل هذا عن التوكل،فإن احتجوا بأن رسول الله كان لا يدخر شيئا لغد، فالجواب أنه كان عنده خلق مــن الفقــراء فكــان

1 - السيوطي، الجامع الصغير، باب حرف التاء، (299/1)، رقم 3346. ورمز له بالضعف، وعــزاه لابــن حبان ولم أقف عليه عنده، قال الألباني في صحيح وضعيف الجــامع الصــغير، (91/14)، رقــم 6219، ضعيف.

2 - السيوطي، الجامع الصغير، باب حرف التاء، (299/1)، رقم 3347. ورمز له بالضعف، وعــزاه لابــن حبان ولم أقف عليه عنده، قال الألباني في صحيح وضــعيف الجــامع الصــغير (92/14)، رقــم 6220، ضعيف.

3 - البيهقي، شعب الإيمان، باب في الإيمان بالله ﷻ، (136/1)، رقم 119، وقال: هذا إسناد فيه نظر.

4 - ينظر القيسي، معالم التوحيد، ص 127 .

5 - مسلم، صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب حكم الفيء، (1376/3)، رقم 1757 .

يؤثرهم"[1]، ومما يؤيد هذا الأمر ما جاء في قصة يوسف عليه السلام في تأويله لرؤيا الملك وإرشاده إلى الإجراءات اللازمة لتلافي ما قد يحدث من مغبة في المستقبل.

إن هذا الإعداد يحتاج منا إلى فقه يبين ضوابط استشراف معالم غيب المستقبل، وهذا لا يعني أنه كشف للغيب، فالغيب لا يعلمه إلا الله، وإنما المقصود توقع الاحتمالات الواردة والمحكومة بنظام السنن التي لا تتخلف، ومعرفة هذه السنن والعمل بمقتضاها حتى ننسجم مع سنن الله في كونه، وفي الاجتماع البشري.

إنه من الممكن أن نجد الكثير من الأصول التربوية لفقه الإعداد (علم المستقبليات)، سواء على المستوى الفردي أو على مستوى الجماعة والأمة، فعلى مستوى الفرد نجد أن هناك اهتماما كبيرا منه ﷺ بهذا العلم والتأكيد عليه، وذلك في تعبيره ﷺ لرؤى أصحابه في مجلسه بعد صلاة الفجر، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان مما يقول لأصحابه:(من رأى منكم رؤيا فليقصها أعبرها له) [2].

ومن الأصول التربوية لهذا العلم ما جاء من أحاديث كثيرة عنه ﷺ تبين لنا ما سيحدث من أمور فيما يستقبل من الزمان، وبخاصة أحاديث الفتن، لذلك ينبغي على التربية الإسلامية التعامل مع هذه الأحاديث على أساس أنها تبين لنا معالم غيب المستقبل، وأن تضع الخطط من خلالها لما يستقبل من الزمان، وتبين للمسلمين ما عليهم فعله وقتئذ، فالرسول ﷺ لما أخبرنا بهذه الأمور أرادنا أن نكون على بينة منها حتى نقف الموقف الصحيح منها، ونتقي مغباتها، بل إنه ﷺ بين في أكثر من مرة كيف تكون النجاة في مثل هذه المواقف.

إن فقه الإعداد ليس المقصود به وضع الخطط فقط بل المقصود أيضا الإعداد المادي لما يستقبل من الزمان، حتى إذا جاءت الأجيال التي بعدنا وجدت ما تصون به نفسها من الهلاك والضياع، وهذا يقتضي أن تسعى الحكومات في وضع البنية التحتية المناسبة لما سيستقبل الإنسان من أحداث.

---

1 – ابن الجوزي، كشف المشكل من حديث الصحيحين، (1 / 63).

2 – مسلم، صحيح مسلم، كتاب الرؤيا، باب تأويل الرؤيا، (1777/4)، رقم 2269 .

إن التعامل مع هذه الأحاديث اقتصر على بيان ما سيحدث دون بيان ما ينبغي فعله حيال الحدث من إعداد مادي ومعنوي، في إطار الرسالة التي خلقنا لها، فحديث مثل قوله ﷺ: (يوشك أن يكون خير مال الرجل غنم يتبع بها شعف الجبال، ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن)[1]،يقتضي من الحكومات شق الآبار واستصلاح الأراضي في شعف الجبال حتى إذا جاء ذلك اليوم وجد المسلم مكانا يفر إليه، وكذلك الأمر لكل من يمتلك أرضا هناك، عليه أن يعد العدة لمثل هذا اليوم إن لم يكن له فلأبنائه من بعده.

كما نمر على قوله رسول الله ﷺ: (لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض، حتى يخرج الرجل بزكاة ماله فلا يجد أحدا يقبلها منه، وحتى تعود أرض العرب مروجا وأنهارا)[2]،وأقصى ما يمكن أن نتعامل معه تعامل الاستدلال على صدقة نبوته ﷺ فيما أثبته المسح الجيولوجي من أن أرض العرب كانت أنهارا ومروجا، بينما الشق الثاني الذي يتكلم عن تحقق هذه النبوة نتعامل معه تعامل انتظار حدوث معجزة تعود فيها هذه الأنهار والمروج، ولا نتنبه أن الحديث كغيره من الأحاديث المصدرة بقوله: (لا تقوم الساعة حتى) أن الأمر متحقق الوقوع لا محالة، وطالما هو كذلك فإن المطلوب منا الإعداد لهذا الشيء، فهذا الحديث يتضمن الحث على دراسة جولوجيا أرض العرب وتتبع مساراتها المائية وتحديد خزانتها الجوفية، ومعالجة سبب نضوب المياه منها حتى تعود كما كانت، أو على الأقل إعداد البنية التحتية من سدود ومجاري مياه وترع،ومخططات لمشاريع زراعية وتجمعات سكنية تتناسب مع ما سيكون .

إن مثل هذه الأحاديث هي التي تبعث فينا الأمل، لأنها ترسم لنا معالم على طريق المستقبل حتى نكون على بصيرة بمستجدات الأمور التي تطرأ علينا، ونستنبط منهجا للتعامل معها يصل إلى بر الأمان، وهذا هو دور التربية الإسلامية لتنهض بالمسلم بعد أن تبث فيه الأمل وتريه الطريق، وتدفعه إلى العمل، بعد أن تنتشله من التمني وأحلام اليقظة، ذلك لأن "التمنية حال يكون

1 - البخاري، صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال،(1201/3)، رقم 3124 .

2 - مسلم، صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب الترغيب في الصدقة قبل أن لا يوجد من يقبلها، (700/2)، رقم 157 .

فيها المرء على علم بما جاءه من الله، دون أن يكون له نهضة إلى تحقيق شيء منه، كأنما أصابه الشيطان بكساح العزيمة وليس لهؤلاء من حقيقة الإيمان في شيء "[1].

إنه من واجب الدوائر الواسعة أن تشيع ثقافة النظر إلى الغد، فالدولة من خلال ما تملكه من إمكانات تستطيع أن تبصر الأفراد والمؤسسات بالجهود والأعمال التي عليهم أن يسهموا بها في تنفيذ الخطط العامة .

المطلب الرابع: مبادئ تربوية مستنبطة ذات علاقة بمحتوى المنهاج:-

ينظر الإسلام إلى جميع المكونات التي تكونت منها النفس الإنسانية من نزعات مادية وأشواق روحية، ومن حاجات ودوافع وميول ورغبات، وعلى منهاج التربية الإسلامية أن يراعيها ويتضمنها بشكل متوازن، وبصورة تزكي هذه النفس، لتفلح وتسعد في هذه الدنيا وفي الدار الآخرة[2]، وهذا يعني أن للخصائص دورا كبيرا في تحديد المنهاج، لاعتبارين هما: الأول ضرورة أن يلبي المنهاج ويشبع الحاجات النفسية للمتعلم، والثاني أن يسهم في تحقيق الهدف الذي لأجله خلقت هذه الخصائص، ومن الممكن بيان بعض المبادئ المستنبطة من خلال الإطار التعميري لعلاقة الخصائص بالمعرفة، التي ينبغي للتربية الأخذ بها في بنائها للمنهاج.

أ- مبدأ الشمولية في النظر للعلوم:-

إن نظرة الإسلام للعلوم والمعارف تنبثق من نظرته الكلية عن الكون والحياة والإنسان،فالتربية الإسلامية تنظر إلى كل حقول المعرفة نظرة شمولية، لا تفرق بين علوم كونية وعلوم شرعية، كمعرفة وطريقة بحث وتفكير[3]، فالعلم في نظر القرآن ليس خاصا بعلم الشرائع والأحكام من حلال وحرام، وإنما العلم في نظره هو كل إدراك يفيد الإنسان توفيقا في القيام بمهمته العظمى التي ألقيت على كاهله منذ قدر خلقه وجعله خليفة في الأرض وهي عمارتها

---

1 – الخولي، آدم عليه السلام، فلسفة تقويم الإنسان وخلافته، ص 185 .
2 – الفرحان وآخرون، نحو صياغة إسلامية لمناهج التربية، ص 69 .
3 – الفرحان وآخرون، نحو صياغة إسلامية لمناهج التربية، ص 72 .

واستخراج كنوزها وإظهار أسرار الله فيها [1]، وهذه النظرة متأصلة في الفكر التربوي الإسلامي، حيث يقسم الحكماء الأدب إلى أدبين أدب الشريعة وهو ما أدى الفرض، وأدب السياسة وهو ما عمر الأرض[2]، وكلا الأدبين يجتمعان في الفقه العمراني لأن أصوله شرعية وتطبيقاته عمرانية، كما أنه يدخل ضمن قاعدة عقدية تربوية، وضعها الشيخ زروق في قوله: " أصل كل أصل من علوم الدنيا والآخرة، مأخوذ من الكتاب والسنة، مدحاً للممدوح، وذماً للمذموم، ووصفاً للمأمور به"[3].

هذا وقد قسم الغزالي العلوم إلى قسمين: علم الأديان وهو الفقه الذي به بيان القانون الذي به انتظام الناس وصلاح أمرهم في التعامل فيما بينهم، إذ لابد منه لافتقارهم إلى الاجتماع والتعاون، وعلم الأبدان وهو الطب و كل ما من شأنه أن يحفظ البدن، وكلا العلمين يحتاج إليهما البدن في بقائه [4]، وهو في الحقيقة تقسيم على أساس عمراني، إذ بنى هذا التقسيم على ما من شأنه أن يكون به صلاح الدنيا وانتظام أمور أهلها، وعزا انصراف الهمم إلى ما تصبو إليه من العلوم إلى رحمة الله بإرادته للعمارة فقال بعد تأصيله لهذين العلمين: "وإنهم يقولون لولا إرادة الله عمارة الدنيا لارتفعت الحجب وزالت الغفلة وتوجه الخلق كلهم إلى سبيل الله، وترك كل فريق ما هو بعيد عن المقصود، ولكن كل حزب بما لديهم فرحون، وبه قوام العالم، بل لولاه لبطلت الصناعات، فلو لم يعتقد الخيّاط والحائك والحجام في صنعته ما يوجب ميله إليها، لتركها وأقبل الكل على أشرف الصنائع، ولبطلت كثرة الصنائع؛ فإن رحمة الله غفلتهم بوجه من الوجوه، وعليه حمل بعضهم قوله عليه السلام: (اختلاف أمتي رحمة)[5]، يعني اختلاف هممهم، ولو عرف الكنّاس ما في صناعته لتركها، ولاضطر العلماء والخلفاء والأولياء أن يتولوها

---

[1] – شلتوت، من توجيهات القرآن، ص 130 .
[2] – يراجع الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص 111 .
[3] –.زروق، قواعد التصوف، ص 61 .
[4] – يراجع الغزالي، ميزان العمل، ص 119 .
[5] – سبق تخريجه، ص 171 .

بأنفسهم، وكذلك الدباغة والحدادة والزراعة، وجميع الأمور، فلولا أن الله تعالى حبّب علم الفقه والنحو ومخارج الحروف والطب والفقه في قلوب طوائف، لبقيت هذه العلوم معطّلة، ولتشوش النظام الكلي"[1].

إن الازدواجية التي تمارسها أنظمتنا التربوية في هذا العصر في النظر إلى العلوم الطبيعية أو الكونية، على أنها شيء يختلف عن العلوم الشرعية، من حيث أهدافها وغاياتها، بالنسبة للفرد والمجتمع، إن هذه الازدواجية مرفوضة في مفهوم التربية الإسلامية، إذ أن هذه النظرة لا أساس لها في الإسلام، لأن الإسلام يعتبر الكون بما فيه مجالا للنظر العقلي والديني والتأمل الروحي،ويقود ذلك إلى تعزيز الإيمان الله سبحانه، فلابد من صياغة مناهج هذا النوع من العلوم على أساس إيماني يتفق مع نظرة الإسلام الكلية في هذا المجال[2]، "لذلك أصبح لزاما أن يعاد تصميم مناهج التربية الإسلامية في جميع مراحل التعليم العام، بطريقة تتكامل فيهما العلوم الشرعية(التي تشكل محورا ثابتا) مع العلوم الإنسانية والكونية، كما تتكامل كل هذه العلوم مع طبيعة المتعلمين في كل مرحلة تعليمية من حيث مطالبهم وحاجاتهم ونوعية المشكلات التي يواجهونها في حياتهم، وحبذا أن يقوم مصممو مناهج العلوم الطبيعية كالرياضيات والتاريخ والجغرفية والسياسة والاقتصاد والفنون والآداب بمساعدة الناشئة في إدراك أن قوانين الطبيعة هي منهج الله في واقع الحياة، حتى لا يكون هنالك شرخ بين الدين والحياة من خلال المناهج التعليمية السائدة"[3].

البعد التعميري للعلوم الشرعية:-

يقول ابن خلدون في تأصيله لعلم الاجتماع الإنساني والعمران البشري وربطه بالعلوم الشرعية: "وهذا الفن الذي لاح لنا النظر فيه نجد منه مسائل تجري بالعرض لأهل العلوم في براهين علومهم، وهي من جنس مسائله بالموضوع والطلب: مثل ما يذكره الحكماء والعلماء في

1 – الغزالي، ميزان العمل، ص 120 .
2 – ينظر الفرحان وآخرون، نحو صياغة إسلامية لمناهج التربية، ص 83.
3 – الساموك والشمري، مناهج التربية الإسلامية، ص 68، 69 .

إثبات النبوة من أن البشر متعاونون في وجودهم، فيحتاجون فيه إلى الحاكم والوازع، ومثل ما يذكر في أصول الفقه، في باب إثبات اللغات، أن الناس محتاجون إلى العبارة عن المقاصد بطبيعة التعاون والاجتماع، وتبيان العبارات أخف، ومثل ما يذكره الفقهاء في تعليل الأحكام الشرعية بالمقاصد في أن الزنا مخلط للأنساب مفسد للنوع، وأن القتل أيضاً مفسد للنوع، وأن الظلم مؤذن بخراب العمران المفضي لفساد النوع، وغير ذلك من سائر المقاصد الشرعية في الأحكام، فإنها كلها مبنية على المحافظة على العمران، فكان لها النظر فيما يعرض له، وهو ظاهر من كلامنا هذا في هذه المسائل الممثلة"[1].

ب- مبدأ التوازن في النظر العلوم:-

تتصف التربية الإسلامية بالاتزان في نظرتها إلى الكون المتوازن، والإنسان المتوازن والحياة المتوازنة، تنظر إلى التوازن في حقول المعرفة الكونية والإنسانية والاجتماعية، فتجعل من بعضها فرض عين يلزم كثقافة عامة للنجاة في الدارين، ومن بعضها فرض كفاية في حدود مصلحة الجماعة، وما يحتاجه المجتمع من الاختصاصات المختلفة[2].

التوازن مرهون بالانتفاع المعرفي المتكامل:-

إن الإنسان وهو المركب من عنصري الروح والمادة لو اقتصر على المعرفة المادية للكون فإن معادلة علاقته بالكون يصيبها الخلل إذ يشبع جزؤه المادي بمشاهد المادة ولا يشبع جزؤه الروحي بشيء، فإذا ما امتدت روحه إلى البعد الغيبي من وراء المادة الكونية أشبعت بحسب طبيعتها بمعرفة ذلك الغيب، فيتم التوازن الإنساني في علاقته بالكون، ويفضي ذلك إلى نموه المطرد في مجاله الروحي بما يتأتى له من الإشباع، وهذه الحاجة إلى الإشباع هي التي دعت الإنسان طيلة تاريخه إلى أن يبحث له عن معتقد غيبي يجد فيه إشباعا لروحه، وحينما لا يهتدي إلى الطريق الحق وهو طريق المعرفة الغيبية بالدلالة الكونية فإنه يسقط في الأوهام من المعتقدات الباطلة، وفي ذلك دلالة على أن الإنسان يظل يبحث لنفسه عن الاكتمال في امتداد روحي خارج مجال الكون المادي، وأن أوفق السبل في ذلك هو الاهتداء إلى الدلالة العقدية لذلك الكون، فهو إذن سبيل معرفي إلى الاكتمال الإنساني [3].

---

1 - ابن خلدون، المقدمة، ص 43 .

2 - ينظر الفرحان وآخرون، نحو صياغة إسلامية لمناهج التربية، ص 25 .

3 - النجار، فقه التحضر الإسلامي، ص 144 - 145 .

المبحث الثالث: أهم التحديات التربوية المعاصرة ودور الخصائص في التصدي لها

إن معرفة هذه الخصائص والإحاطة بها، تضع للتربية الإسلامية أسسا تعتمد عليها في التصدي للعديد من التحديات التي تواجهها في هذا العصر، وهي تحديات قد تؤدي إلى عدم إشباع هذه الخصائص، وعدم إشباعها كعدم إشباع الغرائز" لا يؤدي إلى الهلاك وإنما يؤدي إلى القلق والشقاء"[1]، وفي هذا المطلب بيان بعض التحديات التي تواجه التربية الإسلامية، والتي يمكن أن تعتمد على الخصائص في التصدي لها، مع بيان مقترحات تعتمد على ما سبق بيانه من أمور متعلقة بالخصائص.

المطلب الأول- تحدي النزوح والهجرة:-

إن النزوح الجماعي والهجرة القسرية وغير القسرية من أكبر مشكلات هذا العصر، وهي مشكلة تواجه العالم، وهي مشكلة لها عدة جوانب أولها الخلل الذي سيصيب خاصية الانتماء،المتمثل في الغربة عن الأوطان، وثانيها الخلل الذي سيصيب خاصية النزعة الاجتماعية ويتمثل ذلك في صعوبة الاندماج في المجتمع الجديد، وكذلك اختلاف الثقافات، وأمام هذا التحدي على التربية أن تضع آلية تعالج فيها هذه المشكلة، ومن الممكن التأصيل لهذا الحل من تتبع الخطوات التي اتبعها ﷺ لدمج المهاجرين في المجتمع المدني، وإيجاد اللحمة بينهم وبين الأنصار.

والمقترح في ذلك هو أن تكون عملية الدمج وتحقيق الانتماء عن طريق وضع برنامج يتم فيه عملية الدمج وتحقيق الاستقرار عبر خطوات هي:

أ- استقبال المهجرين وتدريبهم وتمكينهم من إحياء الأرض الموات، والغرض من ذلك هو إيجاد نوع من وشائج المحبة والمودة بين المهجر وبين الأرض التي هاجر إليها، وهي أولا خطوات التربية الوطنية للمهجر.

---

[1] - محمد عبد الغني، العدالة الاجتماعية، ص 38

ب- إذا قام المهجر خلال ثلاث سنوات بتعمير الأرض التي خصصت له، تملك له هذه الأرض،وفق الآلية التي قررها العلماء في شرحهم لقاعدة الملكية في قوله ﷺ: (من أحيا أرضا ميتة فهي له) [1]، وفي رواية (من أعمر أرضا ليست لأحد فهو أحق)[2]، فتصبح الأرض بذلك جزءا منه وفقا لما تقرر من مبدأ في خاصية التملك وهو أن المال شقيق الروح وجزء من تركيبة نفس الإنسان، وهذا المبدأ قد سبق بيانه.

جـ العمل على دمج هؤلاء في المجتمع، والغرض من ذلك تربيتهم تربية قومية، وفقا لما تقرر في خاصية النزعة الاجتماعية، ومن الأصول التي ينبغي للتربية أن تعتمدها في دمج الغرباء في المجتمع النهي عن ترك الرجل دون أن يلحق بقوم أو قبيلة تعينه على ما قد يطرأ عليه من نوائب ومصائب، فقد " روي عن رسول الله ﷺ أنه كان لا يترك المرء مفرجا حتى يضمه إلى قبيلة يكون فيها، قال الرياشي: المفرج الذي لا ينتمي إلى قبيلة يكون منها، وكل ذلك حث منه ﷺ على الألفة وكف عن الفرقة، ولذلك قال ﷺ: (من كثر سواد قوم فهو منهم) [3]"[4]، يقول المناوي: "أي من كثر سواد قوم بأن عاشرهم وناصرهم وسكن معهم (فهو منهم) أي فحكمه حكمهم"[5].

د- العمل على إيجاد نوع من العلاقات الاجتماعية الأخرى، فوق الأخوة الإيمانية، تحل محل النسب، مما تحقق الارتباط وتوثقه ومن ذلك المصاهرة يقول تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾(الفرقان: 54)، مع مراعاة شرط الكفاءة الذي فصّل فيه العلماء.

---

1 – سبق تخريجه، ص 115 .

2 – سبق تخريجه، ص 115 .

3 – السيوطي، الجامع الصغير، باب حرف الميم، (332/2)، رقم 8762 . ورمز له بالحُسْن، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (122/10)، رقم 4608 .

4 – الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص 125 .

5 – المناوي، التيسير بشرح الجامع الصغير، (2 / 821).

هـ- بناء مجتمع نخبوي متكون من المهجرين والمواطنين، يكون متعدد الجوانب، بتعدد جوانب الحياة، ويأخذ صورا متعددة من نقابات وروابط وجمعيات مهنية وثقافية وغيرها، وهذا المجتمع ترد إليه كل المشاكل المترتبة عن صعوبات الاندماج والتوافق، وهذا النظام من الممكن إدراك أصوله التربوية من ذلك التنظيم الذي قام به الرسول ﷺ لمجتمع المسلمين في المدينة والذي يعتبر أساسا تربويا قامت عليه دولة الإسلام، وهو ما عرف بالمؤاخاة، وهو مفهوم اجتماعي له معنى زائد عن مفهوم الأخوة المتحققة برابطة الإيمان، يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾(الحجرات: 10)، أما المؤاخاة فهي نظام جاء لتنظيم حياة المسلمين وإنشاء مجتمع النخبة القائدة، فمن الخطأ تعليله بمجرد أنه نوع من أنواع التكافل الاجتماعي لحل تلك المشكلة الاقتصادية المتمثلة في الفقر، وإلا لكان أولى الناس به أهل الصفة، إن له بعدا أعمق من هذا البعد وهو بعد تفجير الطاقات وتوجيهها وتوحيد القوى، ومما يدل على أنه نظام مقصود منه تكوين مجتمع النخبة، أن المؤاخاة تمت بين عدد محدود بين المهاجرين والأنصار، كما أن هذا النظام ترتب عليه في بداية الأمر التوارث بين المتآخين ثم نسخ هذا الحكم بنزول آية المواريث،وهذا ما دل عليه ما نقله ابن سعد في الطبقات قال: " لما قدم رسول الله ﷺ المدينة آخى بين المهاجرين بعضهم لبعض، وآخى بين المهاجرين والأنصار آخى بينهم على الحق والمؤاساة ويتوارثون بعد الممات دون ذوي الأرحام، وكانوا تسعين رجلا خمسة وأربعون من المهاجرين وخمسة وأربعون من الأنصار، ويقال: كانوا مائة خمسون من المهاجرين وخمسون من الأنصار، وكان ذلك قبل بدر، فلما كانت وقعة بدر وأنزل الله تعالى قوله: ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾(الأنفال:75)، فنسخت هذه الآية ما كان قبلها،وانقطعت المؤاخاة في الميراث ورجع كل إنسان إلى نسبه وورثه ذوو رحمه"[1].

---

[1] - ابن سعد، الطبقات الكبرى، (1 / 238).

إن مجتمع النخبة لا يعني بأي حال من الأحوال أي معنى من معاني التسلط والسيطرة أو الطبقية، وإنما المقصود منه تنظيم تلك التوجهات المختلفة داخل المجتمع، لتتكون منها الفرق التخصصية، ثم يتم اختيار طائفة منها لتدريبها وتأهيلها لتكون قائدة للفرقة، هذه الطوائف من الممكن أن نعبر عنها بأولي الأمر الذين ترد إليهم الأمور ويتم بمشاورتهم اتخاذ القرارات، كل حسب تخصصه، و"المشورة للعلماء وأهل الاختصاص حسب كل موضوع يتم عرضه ومداولته،لأن رأي العالم في مسألة وفي اختصاصه يرجح على رأي الأغلبية ممن ليس لهم علم فيها"[1]، وهذا من المبادئ التي نتعلمها من قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾(النساء: 83).

و_ إيجاد نوع من الإثراء والثقافي استنادا إلى ما للاختلاف والدرجية بين الأفراد والجماعات من أثر في التنوع، وما لهما من أثر كبير في "تعزيز المحبة والطاعة وتنظيم الجهود والتعاون وتسخير قدرات البشر وتنظيمها، وفي الإنتاج وشيوع الأمن والسلام ما دام الاختلاف والدرجية مقترنين بمفهوم الابتلاء والمسئولية أمام الله "[2]، وهذا يقتضي أن تقوم عملية تنظيم المجتمع على أساس معرفة قدر كل فرد من المجتمع وإنزاله منزلته، كما يقتضي أن يقسم المجتمع إلى فرق تخصصية، تقوم على كل فرقة طائفة منها تعتبر النخبة فيها، حتى تقودها وتضع لها الخطط، حتى يتم تقدم المجتمع ورقيه ويكون التعاون والتكامل على أساس علمي، وهذا من الممكن التأصيل له من قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا

---

1 – المطرودي، الإنسان وجوده وخلافته في الأرض، ص 405 .

2 – الكيلاني، فلسفة التربية الإسلامية، ص 262 .

﴿رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾(التوبة: 122)، "فكل توجه تنموي ينبغي أن يكون على قمة العاملين فيه طائفة متخصصة تقوم أولا بتحديد أهداف هذا العمل التنموي، وربط هذه الأهداف بالأهداف الربانية للإنسان والمجتمع المسلم، فلو كان الأمر اقتصاديا – مثلا –ينبغي أن تتحقق هذه الطائفة المتخصصة من أن هذا النشاط الاقتصادي ليس فيه إثم على أصحابه، وأنه يزيد الخير في المجتمع كذلك ينبغي أن ينظروا فيما تتطلبه العقيدة من تشريعات حول الأمر محل الاجتهاد ويصفون ذلك بين يدي إخوانهم الفنيين التنفيذيين صناع النظم، وبالطبع هؤلاء الفنيون التنفيذيون هم أنفسهم أصحاب رغبة حقيقية في تنفيذ شرع الله، ولكن انشغالهم ببناء النظم لن يسمح لهم بوقت لمعايشة الأفكار الكلية واتساقها مع أهداف المجتمع المتمثلة في عقائده ومجموع قيمه "[1].

وأمام هذا كله على فقهاء القانون أن يضعوا مثل هذه المبادئ في اعتبارهم في تحديدهم للضوابط والمفاهيم ذات العلاقة بمصطلح الجنسية، والخروج به من بعده السياسي إلى إبراز ما يتعلق به من أبعاد نفسية واجتماعية.

المطلب الثاني– تحدي العالم الافتراضي:–

إن من أعظم التحديات التي تواجهها التربية الإسلامية اليوم تحدي العالم الافتراضي، وهو ذلك العالم الذي يخرج به الإنسان من واقع الحياة، ليبني علاقات وروابط اجتماعية على الشبكة الالكترونية مع شخصيات لا يعرف عنها شيئا إلا القدر اليسير من المعلومات التي أمدها به صاحب هذه الشخصية، ولذلك فإن هذه العالم الذي يعيشه الإنسان هو عالم افتراضي مبني على ما يحتمل صدقه وما يحتمل كذبه، وليس للإنسان أن يتثبت من ذلك، وهذه المشكلة فوق أنها تجعل من الإنسان يعيش عالما من الخيال والأوهام وأحلام اليقظة، مما يسلب منه ضرورة أن يكون واقعيا يعيش الحياة بكل معطياتها ويتفاعل مع عناصر الكون، فوق كل ذلك فإن هذه

---

[1] – سيد دسوقي حسن، دراسة قرآنية في فقه التجدد الحضاري، ص 36 .

المشكلة تجعل من الإنسان يستنزف طاقاته ويضيع عمره، ويتنكب عن القيام بواجباته في عمارة الكون.

إن هذه المشكلة ذات علاقة وثيقة بخاصية النزعة الاجتماعية، التي ينبغي للإنسان أن يشبعها بعلاقات واقعية ملؤها الحب والمودة والصدق وكل المعاني الإنسانية، لذلك فإن على التربية أن تتصدى لهذه المشكلة لأنها تعطل هذه الخاصية وتسبب خللا في التنظيمات الاجتماعية، وهذا التصدي يكون بالعمل على إشباع النزعة الاجتماعية ووضع الأسس التربوية لقيام العلاقات الاجتماعية.

إن ما هو موجود اليوم من شبكات للتواصل الاجتماعي بعيدة كل البعد عن أي تواصل اجتماعي بالنسبة لنا نحن المسلمين، لأن هذه الفكرة هي فكرة غربية جاءت لحل مشكلة قائمة لديهم وهي انشغالهم الشديد عن أن يتواصلوا فيما بينهم، فجاء هذه المواقع لتلبية هذه الحاجة علها تسهم في الرجوع إلى ما كانت عليه فطرهم من نزوع إلى الاجتماع، أما نحن المسلمين فالأمر ستكون له أثر عكسي فهذا العالم سيسحبنا من الواقعية إلى الافتراضية وسيقضي على ترابطنا الاجتماعي، لأنه يلهينا عن واجباتنا الاجتماعية من بر الوالدين، وصلة الرحم، وعيادة المريض، وإكرام الضيف، وتلبية الدعوة، وتعزية المصاب، وغيرها من الأعمال المفعمة بالمعاني السامية وبالعواطف الجياشة النبيلة، التي لا يمكن التعبير عنها بوسائل هذا العالم الافتراضي .

إن هذه المشكلة قد يكون مردها إلى عدم وجود أسس تقوم عليها علاقات اجتماعية بين الجيران، وبخاصة في المدن، ولهذا فإن علاقات الفرد مرتبطة بأمور مادية بحتة، مع أفراد معينين في إطار محدود، كإطار زمالة العمل مثلا، مع بعده عن رحمه بسبب ظروف

الحياة،وأمام هذه المشكلة نحن بحاجة إلى آلية تضمن استمرار هذه الروابط بين الناس وأن يكون هناك تواصل بينهم، وتفعّل خاصية النزعة الاجتماعية في العمارة، والمقترح لهذه الآلية هو:-

هندسة التوزيع السكاني في المدن على أساس الرحم والقربى:-

إنه مما ينبغي مراعاته في هندسة المدن أن تقوم عملية الانتشار السكاني، وتوزيع السكان في الأحياء والشوارع وفق ما يربط بين الأفراد من ألفة، ومن ذلك رابطة النسب، وهذا ما يمكن ملاحظته من خلال تنظيم مدينة الرسول ﷺ إلى أحياء تعود إلى نسب واحدة مثل بني النجار .

إن توزيع السكان في الأحياء والشوارع حسب النسب أمر في غاية الأهمية لأنه سبب للألفة و التناصر وقد بين الماوردي هذا البعد للنسب في كونه سببا قويا من أسباب الألفة فقال: " فلأن تعاطف الأرحام وحمية القرابة يبعثان على التناصر والألفة، ويمنعان من التخاذل والفرقة، أنفة من استعلاء الأباعد على الأقارب، وتوقيا من تسلط الغرباء الأجانب"[1]. ولأساس هذه الهندسة أثر في تحقيق للتواصل والتعارف الاجتماعي، كما أن له بعده التعميري، وهذا ما بينه قول رسول الله ﷺ بقوله: (تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم، فإن صلة الرحم محبة في الأهل، مثراة في المال، منسأة في الأثر) [2].

كما أن هذا يسهم في تفقد أهل الحي بعضهم بعضا، فيتفقد غنيهم فقيرهم ويحسن إليه، وبخاصة أن الشرع حث على التصدق على الأقارب وجعلها من أفضل الصدقات، وجعل للجار ذي القربى ثلاثة حقوق، يقول ﷺ: (الجيران ثلاثة: فجار له حق واحد، وهو أدنى الجيران حقا، وجار له حقان، وجار له ثلاثة حقوق: فأما الذي له حق واحد فجار مشرك لا رحم له، له حق الجوار، وأما الذي له حقان فجار مسلم، له حق الإسلام وحق الجوار، وأما الذي له ثلاثة حقوق فجار مسلم ذو رحم، له حق الإسلام وحق الجوار وحق الرحم) [3].

1 - الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص 125 .

2 - الترمذي، سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، باب تعلم النسب، (351/4)، رقم 1979 . وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه، وصحّحه الألباني في الحاشية.

3 - سبق تخريجه، ص331 .

إن هذه الهندسة للتوزيع من الممكن أن تخفف من حدة أثر العالم الافتراضي في العزلة والغربة داخل المجتمع، وذلك لأنها تجبر الفرد على التواصل الواقعي.

المطلب الثالث- تحدي الاكتظاظ السكاني:-

من المشكلات التي يواجهها العالم اليوم ما يسمى بالانفجار السكاني، والحقيقة أنه ليس مشكلة في حدّ ذاته، إنما اعتبروا ذلك مشكلة لأنهم يرون أن الموارد غير كافية لأعداد كبير من البشر،والحقيقة غير ذلك لأن المولى عز وجل قدر في الأرض أرزاق الناس، يقول تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴾(فصلت: 9، 10).

إن المشكلة التي ينبغي أن توجه إليها الأنظار هي تنظيم التوزيع السكاني، مما يحدث اكتظاظ وكثافة سكانية وازدحام في بقع ضيقة، تؤدي إلى عدم تكافؤ الفرص، إن حل هذه المشكلة هو إيجاد آلية تتوزع فيها الجماعات البشرية توزيعا متوازنا، وهذا يتطلب وضع هندسة للانتشار في الأرض، تلك الفضيلة التي دعا إليها القرآن الكريم والتي هي أثر من آثار خاصية الانتماء إلى الأرض .

هندسة الانتشار الجماعي:-

على التربية الإسلامية أن تسعى إلى بيان ملامح ومعالم هندسة الانتشار الجماعي على هذه البسيطة ولعلنا نجد أصول هذه الهندسة في كتاب الله، فالله سبحانه وتعالى يعلمنا في كتابه العزيز كيف أنه جعل انتشار النحل إلهاما منه فقال: ﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾(النحل: 68)، وفوق كون هذا الإلهام وحيا اتبعه النحل في انتشاره على الأرض فهو أيضا وحي من الله إلينا لكونه قرآنا يتلى، "فنبه إلى أن الإنسان حقه أن يقتدي بالنحل في مراعاته لوحي الله عز وجل، فكما أنها لا تتخطى وحي الله في تحري المصالح طبعا،

كذا يجب للإنسان أن لا يتخطى وحي الله اختيارا"[1]، فعلينا أن نتعلم من هذا النحل ضرورة الانتشار المنظم، وبتتبع آيات القرآن الكريم نجد أنه تحدث عن حضارة سبأ ووصف ما هم عليه من نعمة إلهية بالآية فقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾(سبأ:15 – 20)، فهذه الآيات قد بينت لنا أصولا هندسية مهمة للانتشار ولكيفية التخطيط العام للمدينة حيث أحاطت المشاريع الزراعية – التي تعتبر موارد الغذاء – بالمدينة عن يمين وشمال، كما بينت كيفية انتشار المدن والقرى حيث جعل الله بين سبإ وبين القرى الكبرى قرى ظاهرة لتكون محطات على طريق رحلاتهم وطلب معيشتهم، ليتحقق لهم الأمن على طول الطريق وتكون الرحلة ميسورة، وهنا على التربية الإسلامية أن تبحث في تقدير مثل هذه المسافات مستندة في ذلك على ما أقرته الشريعة من مسافة للقصر لعلها تجد تطبيقا تعتمده في تحديد أقصى حد للمسافة بين المدن أو القرى .

وبالعودة لما ألهم الله به النحل من الانتشار المنظم نجد أن عملية الانتشار لديهم تتم بعد أن تكتظ الخلية بالعدد الذي يتعذر معه العيش بانتظام وتكافل، لذلك ألهمها الله بأن يخرج فريق منها بقيادة جديدة ليتخذ بيتا أخر غير بيته الأول، وهنا على التربية الإسلامية أن تبحث عن الحد الأقصى للتعداد السكاني داخل المدينة والذي ضابطه أن لا يؤدي إلى الاكتظاظ المؤدي إلى ضنك

[1] – الأصفهاني، تفصيل النشأتين، ص 110 .

الحياة،ولعله نجد أصول كل ذلك فيما أخبر به الله عن يونس عندما قال:﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾(الصافات: 147 – 148)، فما كان الله ليخبرنا عن هذا العدد عبثا وإنما أراد منا أن نستنبط منه ما يفيدنا في حياتنا التي ينبغي أن نؤدي فيها العمارة المطلوبة، وحتى نبعد الضنك عن الحياة ونتمتع المتاع الحسن، فالله تعالى أمرنا بالأخذ بالأسباب فبعد الإيمان والعمل الصالح ينبغي الأخذ بالأسباب المادية والتي منها إقامة الدراسات التي تنظم عملية الانتشار ولعلنا نستأنس بقوله تعالى مخبرا عن هذه القرية ذات هذا العدد عندما قال: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾(يونس: 98).

المطلب الرابع- تحدي عدم توفر فرص عمل:-

تواجه الآلاف من الخريجين مشكلة الحصول على وظيفة، مما يجعل المختصين يناقشون مشكلة عدم توفر سوق للعمل، وهذه المشكلة مع تعدد أسبابها إلا أنها راجعة إلى عدم خلق فرص عمل جديدة ومتنوعة تستوعب هذه الأعداد الهائلة من الخريجين، وهذا الذي ينبغي أن يؤخذ في الاعتبار أي ربط التعليم بخلق فرص عمل جديدة، لا ربطه بما هو متوفر من سوق عمل، ومن الممكن اقتراح آلية تتناسب فيها المدخلات مع المخرجات وتخلق بها فرص عمل جديدة ومتنوعة بتنوع التخصصات بما يمكن أن نسميه سياسية المؤسسات التعليمية المتنقلة،وهي سياسة تهدف لإطلاق طاقات الإنسان في تعمير الأرض.

نظام الجامعات المتنقلة:-

بما أن الانتشار من صفات البشرية فهو متاح ومأمور به شرعا لذلك على التربية الإسلامية أن تستفيد من كل ذلك وتسعى في تمكين الإنسان من الانتشار على الأرض انتشارا منظما يقضي على العديد من المشاكل الاقتصادية والاجتماعية ومنها مشكلة البطالة والاكتظاظ والكثافة

السكانية والتوزيع العشوائي، ويسهم أيضا في إعمار الأرض والإفادة من خيراتها، هذا الإعمار الذي ينبغي أن يكون هدفا من أهداف التربية والتعليم، والذي أهملته مؤسساتهما، التي ارتبطت بسوق العمل في مخرجاتها، مما أدى إلى تعطيل قدرات البشر وعدم تسخيرها في عمارة الأرض، عليه ينبغي للتربية الإسلامية أن تبحث عن آلية للانتشار قائمة على المؤسسات التعليمية، وذلك عبر مقترح الجامعات المتنقلة .

إن المجتمع أمام الآلاف من منتسبي الجامعات كل سنة وهم يمرون في رحلتهم الطويلة عبر العديد من المراحل، غير أنهم لم يكتسبوا علما كافيا يحقق عمارة الأرض، فلو أننا وجهنا هذه الطاقات كل حسب ما يسر له من عمل وأنشأنا لهم جامعات في مساحات كبيرة غير مأهولة من الأرض ليتم إعمارها وفق القاعدة الشرعية من أحيا أرضا مواتا فهي له، بحيث يكون هناك برنامج دراسي يجمع بين العلم النظري والتطبيقي، فيدرس الطالب في فصله الدراسي في وقت من النهار ثم ينتقل للتعمير تحت إشراف شركات كبرى، كل حسب تخصصه، فهذا يبني وهذا يغرس الأرض وهذا يشق الطرق، حتى يتم بناء مدينة متكاملة خلال فترة الدراسة، وبعد أن يتخرج الطالب يكون قد تحصل على شهادة وتعلم مهنة في آن واحد، ويكون قد امتلك المسكن مقابل ما قدمه من إحياء للأرض خلال سنوات الدراسة، بطريقة توزع فيها نصف المساكن التي ينبغي أن تكون بعدد الطلبة على الطلبة ونصفها الآخر للجهة الداعمة سواء أكانت الدولة أو الشركات الكبرى أو مجموعة المستثمرين .

إنه بهذه الطريقة نكون قد قضينا على مشكلة البطالة لأننا قد أنشأنا مجتمعا جديدا تتوفر فيه فرص العمل، ونكون قد قضينا على مشاكل الازدحام ومشاكل السكن وقبل كل ذلك كله نكون قد ربينا في الطالب روح المواطنة فنكون قد أسهمنا في بناء الوطن والمواطن .

إن المتأمل في أنظمتنا التعليمية اليوم يجدها تعاني الكثير من المشكلات، وهي لا تواكب العصر في تقدمه ورقيه، كما أنها تفصل بين العلوم النظرية والتطبيقية وبين الإنسانية والتعليمية،كما أنها لا تلبي رغبات المتعلمين وطموحاتهم، مع الكثير الكثير من المشكلات التي من الصعب حصرها، والسبب في كل هذه المشكلات عدم وجود رؤية واضحة للرسالة الحضارية التي دعا إليها الإسلام، وعدم بلورة آلية تطبيقية لتحقيق هذه الرسالة.

إن هذا التحدي يتطلب تطبيقات عملية للتصدي له، ومن الممكن بيان بعض هذه التطبيقات اعتمادا على ما سبق ذكره من أمور متعلقة بالخصائص ومن ذلك ما يأتي:

المطلب الخامس: تحدي تعريب العلوم:-

إن هناك مشكلة كبيرة تمر بها أنظمتنا التعليمية وتتمثل في ذلك المصطلح المبتدع المسمى باللغة العلمية، وهو مصطلح فرضه الاستعمار المهيمن وفق مبدأه(البقاء للأقوى)، مما أدى إلى إهمال اللغة العربية لغة للعلوم الكونية، واعتماد اللغة الانجليزية لغة علمية بدلا عنها، وهذا أمر في منتهى الخطورة، وهو مبدأ مخالف تماما لمبدأ الاختلاف الذي يقتضي التكامل، فوق أن اللغة آية من آيات الله لا ينبغي إهمالها للتواصل مع الكون يقول تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ﴾(الروم: 22)، كما أن الله سبحانه لحكمة عظيمة جعل لكل قوم لغتهم التي تعتبر تعبيرا عن طريق تفكيرهم" فاللغة ليست وسيلة اتصال فقط، وإنما هي ظل لفلسفة الأمة ومنهجها في الحياة، والمدلولات اللغوية لها، أثرها المباشر على قيم الأفراد والمجتمع ونفسياتهم وسلوكم في الحياة"[1]، لذلك أرسل لكل قوم من يخاطبهم بلغتهم، يقول تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾(إبراهيم:4).

إن تدريس جميع العلوم الكونية والشرعية باللغة العربية للناطقين بها هو إغناء لهذه اللغة وتعزيز لمقدرتها على العطاء، وهذا مما يزيد من استخدامها استخداما وظيفيا في ميدان

[1] – الفرحان وآخرون، نحو صياغة إسلامية لمناهج التربية، ص 86، 87 .

الحضارة الإسلامية، كما أن استخدامها يغني العلوم نفسها ويخدم مصطلحاتها ويبلور مفاهيمها[1]، وذلك "لأن الله تعالى أودع في الإنسان سر النطق والتعبير عما يجول في نفسه من المعاني"[2]، يقول تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾(الرحمن: 3، 4)، يقول ابن القيم مبينا معنى البيان في هذه الآية: "البيان يتناول مراتب ثلاثة كل منها يسمى بيانا أحدها البيان الذهني الذي يميز فيه بين المعلومات، الثاني البيان اللفظي الذي يعبر به عن تلك المعلومات ويترجم عنها فيه لغيره، الثالث البيان الرسمي الخطي الذي يرسم به تلك الألفاظ فيتبين الناظر معانيها كما يتبين للسامع معاني الألفاظ فهذا بيان للعين وذاك بيان للسمع والأول بيان للقلب"[3]، فكيف يمكن للإنسان أن يعبر عن تلك الخصائص والمفاهيم بلغة لا تعبر عن فكره، حتى ولو كان يتقن هذه اللغة فإن التركيز لن يكن على المعاني بل سيكون منصبا على الألفاظ، وهذا أمر تنبه إلى الزمخشري في بيانه للمقصود من أن القرآن نزل على قلب النبي في قوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾(الشعراء: 193-195)، قال الزمخشري: "وقد يكون الرجل عارفاً بعدّة لغات، فإذا كلم بلغته التي لقنها أولاً ونشأ عليها وتطبع بها، لم يكن قلبه إلا إلى معاني الكلام يتلقاها بقلبه ولا يكاد يفطن للألفاظ كيف جرت، وإن كلم بغير تلك اللغة وإن كان ماهراً بمعرفتها كان نظره أولاً في ألفاظها ثم في معانيها، فهذا تقرير أنه نزل على قلبه لنزوله بلسان عربي مبين"[4]، كما أن العلم هو الإحاطة بخصائص الشيء ووصفه في قالب اللفظ، وتمييزه باسم، يقول تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾(البقرة: 32)، أي "علمه حقائق المسميات وما لها من قوانين النفع والضر، فإنه عليه السلام لم يكن بحاجة إلى معرفة مجموعة ضخمة من الأسماء بجميع اللغات أو بلغة واحدة، بقدر ما كان بحاجة إلى أن يعرف خواص الكون الذي قدر

[1] – الفرحان وآخرون، نحو صياغة إسلامية لمناهج التربية، ص 87 .
[2] – الخولي، آدم عليه السلام، فلسفة تقويم الإنسان وخلافته، ص 114- 115 .
[3] – ابن القيم، مفتاح السعادة، (1 / 321).
[4] – الزمخشري، الكشاف، (3 / 340).

له أن يهبط إليه، فإذا عرف تلك الخواص فليكن الاسم بعد ذلك ما يكون[1]، فكان بدء وضع الأسماء وكتابتها مدخل الإنسان لفهم السنن[2]، وهذا ما يبين لنا أهمية اللغة في التعبير عن حقيقة خصائص الأشياء.

إن من الأهداف التي ينبغي للتربية الإسلامية إلى تحقيقها في سبيل تحقيق الهدف الرئيس لها،"دراسة اللغة العربية دراسة منهجية تهدف إلى إتقانها، ويتم التدريب على استعمال اللغة العربية الصحيحة في البيت والمسجد والمعهد والحياة العامة، ودراسة الصعوبات أمام ذلك ووضع الحلول والأبحاث لذلك"[3].

المطلب السادس: تحدي دعوة المساواة بين الذكر والأنثى:-

إن من أكبر التحديات في هذا العصر تحدي الدعوة إلى المساواة بين الذكر والأنثى في كل شيء، وهذه الدعوة جاءت نتيجة للخلل القائم الناتج عن عدم فهم خصوصيات كل من الذكر والأنثى، ولعلاج هذا الخلل ينبغي تحرير مفهوم في غاية الخطورة ألا وهو مفهوم الجنس،والتأصيل لمفهوم يحقق الخصوصية لكل زوج ويقتضي تكاملهما في العمارة.

حقيقة المساواة:-

إن هذه القضية شديدة الصلة بخاصية الاختلاف، لما يقتضيه من تنوع فردي يقوم عليه نظام الزوجية، الذي جعله الله سنة كونية يقوم عليها التكامل التعميري، وهذه الزوجية متمثلة في وجود الزوجين الذكر والأنثى، " فالمرأة والرجل يكونان الفرد في المجتمع فهي شق فرد لما أن الرجل شقه الآخر ولا غرو، فالرسول ﷺ يقول: (النساء شقائق الرجال)[4]، والله سبحانه وتعالى خلقهما من نفس واحدة وأخبر عن ذلك بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ

---

1 - الخولي، آدم عليه السلام، فلسفة تقويم الإنسان وخلافته، ص 113 .

2 - جودت سعيد، العمل قدرة وإرادة، ص 180 .

3 - النحوي، التربية في الإسلام النظرية والمنهج، ص232 .

4 - الترمذي، سنن الترمذي، أبواب الطهارة، باب فيمن يستيقظ فيرى بللا ولا يذكر احتلاما، (189/1)، رقم 113 . وسكت عنه، وصحّحه الألباني في الحاشية.

مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (النساء:1)، فالمرأة والرجل قطبا الإنسانية ولا معنى لأحدهما بغير الآخر"[1].

إن كون كلا الزوجين مخلوق من نفس واحدة، وكلاهما يكمل الآخر، هو إقرار لمبدأ التساوي بين الرجل والمرأة في الحياة وأعبائها وفي القابلية الجسدية[2]، وهذا مما يتضمنه قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾(الأعراف : 189).

الفرق بين مفهوم الجنس ومفهوم الزوج:-

إن مفهوم الجنس هو مفهوم تربوي، اتخذته التربية الحديثة أساسا لتقسيم الإنسان إلى ذكر وأنثى، وهو مصطلح خطير بنيت عليه العديد من التطبيقات التربوية، والخطورة فيه هو الخلل المترتب على اعتماده وما يتضمنه من معان تجسدت في واقع التربية والتعليم، لذلك ينبغي للتربية الإسلامية مراجعة هذا المفهوم، واستبداله بما هو خير منه وأنسب للفطرة التي فطر الله الناس عليها، وهو مفهوم الزوج، وهو في حقيقته" اسم لكل فرد من اثنين من صنف واحد، فكل أحد منهما هو زوج باعتبار الآخر، لأنه يصير بسبق الفرد الأول إياه زوجا، ثم غلب على الذكر والأنثى المقترنين من نوع الإنسان أو من الحيوان، ولما شاعت فيه ملاحظة معنى اتحاد النوع تطرقوا من ذلك إلى استعمال لفظ الزوج في معنى النوع بغير قيد كونه ثانيا لآخر" [3]، وهذا المفهوم هو الأساس الذي اعتمده القرآن في بيان الأنواع قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾(النجم: 45)، وقال: ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾(القيامة: 39)، ويتبين الفرق بين المفهومين فيما يأتي:

- إن تقسيم الإنسان إلى ذكر وأنثى على أساس الجنس، هو اختزال لكيان إنساني كامل في جزء منه دون مراعاة كل جوانبه وأبعاده، بينما مصطلح الزوج هو تعبير عن كيان إنساني

---

1 – مالك بن نبي، شروط النهضة، ص 116 .

2 – ينظر البراوي، التفسير القرآني للتاريخ، ص 37، 38 .

3 – ابن عاشور، التحرير والتنوير، (16/ 238).

متكامل،يمثل في مجموعه شق المجتمع، يعبر عن كل الجوانب والأبعاد، وهذا ما يتماشى مع النظرية التكاملية التي تميزت بها التربية الإسلامية.

– إن هذا المفهوم يقتضي التفرقة بين الذكر والأنثى، وعدم تكاملهما، لأنه يعتمد على اختلاف التضاد لا على اختلاف التكامل، بينما لفظ الزوج يقتضي التساوي في المكانة لأن كلا من الزوجين يمثل شقا يتكامل مع الأخر، والاختلاف بينهما اختلاف تكامل واتحاد، كاتحاد السالب بالموجب.

– إن مفهوم الجنس غير منضبط في تحديد عدد الأصناف، مما أدى إلى المناداة باعتماد جنس ثالث وهو ما يسمى بالمثلية، وقد يؤدي مع ما يطرأ من شذوذ إلى خروج أصناف أخرى غير ذلك، بينما مفهوم الزوج يحصر الأصناف في اثنين فقط ذكر وأنثى .

مبدأ الفصل بين الزوجين (الجنسين) في التعليم:-

إن مبدأ الفصل بين الزوجين قائم على ما لكل واحد منهما من تميز عن الآخر، وما لكيان كل واحد منهما من خصوصية تعميرية لا يصلح لها الآخر، ولذلك ينبغي أن تحدد المناهج والتخصصات والطرق والأساليب الموافقة لطبيعة كل منهما التعميرية، ليؤدي كل واحد منهما دوره التعميري، فتتوزع المهام وتتكامل الجهود، وذلك لأن المحورية التي يقوم عليها مبدأ الاختلاف بين الرجل والمرأة، تتمثل في كون أن كل واحد منهما يمثل شق فرد يتكامل مع شقه الآخر، كما قال ﷺ: (النساء شقائق الرجال) [1]، وهذا الشق معبر عنه بالزوج، وهذا ما يقتضي اتحادهما وتكاملهما، لذلك جاءت التوجيهات التربوية القرآنية تحذر المسلمين والمسلمات من أن يغفل كل صنف منهم عما فضله الله به من مواهب، ويستنزف قواه في تحصيل مواهب غيره، والاشتغال عن دوره بدور غيره، وتدعوهم إلى الالتفات إلى مواهبهم

[1] – سبق تخريجه، ص 426.

والسعي في تنميتها والرقي بها، وتفعليها فيما خلقت له، يقول تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾(النساء: 32)، والمعنى الظاهر للآية" أن الله تعالى كلف كلا من الرجال والنساء أعمالا، فما كان خاصا بالرجال لهم نصيب من أجره لا يشاركهم فيه النساء، وما كان خاصا بالنساء لهن نصيب من أجره لا يشاركهن فيه الرجال، وليس لأحدهما أن يتمنى ما هو مختص بالآخر"[1].

إن هذه الآية هي أصل تربوي مهم ينبغي أن تعتمده التربية الإسلامية في تطبيقاتها لمبدأ الفصل بين الزوجين في التعليم، وهي أمام هذا الأصل عليها أن تدرك:

- أن التفاضل بين الزوجين متبادل، فالرجل مفضل على المرأة في أمور، كما أن المرأة مفضلة على الرجل في أمور، حسب ما اقتضته حكمة الخالق في توزيع المهام التعميرية لكل منهما.
- أن التفاضل يقتضي التكامل بين الزوجين في العمل، ما لا تستطيعه النساء سيقوم به الرجال، وما لا يستطيعه الرجال ستقوم به النساء، وهذا يعني إحداث التوازن المعيشي، وعدم الخلل في الحياة.
- أنه على كل زوج ألا يستنزف قواه في تقمص شخصية الآخر، مما سيؤدي إلى ضياع المواهب الربانية، وضياع الحقوق الإنسانية.
- على التربية أن توجه كل واحد من الزوجين إلى مواهبه وتنميها له، وهذا ما يتضمنه قوله تعالى: (واسألوا الله من فضله) فالسؤال يتضمن أن يسعى الإنسان في تحقيق مراده فعلا،وهذا من معاني التوكل، وهذا يقتضي أن تقوم المناهج على البعد التعميري لطبيعة كل

[1] – رشيد رضا، تفسير المنار، (5/ 48)

زوج،فيختص كل منهما بمناهج علمية تتماشى مع دوره، أما ما يشتركان فيه من طبيعة فيكون المنهج فيه واحدا .

إنه من الممكن بيان الإطار التعميري العام لشخصية كل من الزوجين (الجنسين) من خلال بيان ما يناسب كل واحد منهما من دور في إظهار آثار صفات الله في الكون، وبالنظر في هذه الصفات نجد أنها صفات جلال تظهر فيها العظمة والقوة والقدرة وغيرها من صفات الجلال، وصفات جمال تظهر فيها الرحمة والرأفة والإبداع وغيرها من صفات الإكرام، يقول تعالى: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾(الرحمن: 78).

وبالنظر في طبيعة كل من الرجل والمرأة، نجد أن المرأة تمثل جانب الجمال والعاطفة والرجل يمثل جانب القوة والعقل، ولهذا السبب نجد أن " المرأة تظهر في مظهر الجمال في الحوار الرمزي أو اللغوي والرجل يظهر في مظهر القوة"[1]، والظاهر والله أعلم أن المرأة هي الأقدر على إظهار آثار صفات الجمال، وأن الرجل هو الأقدر على إظهار آثار صفات الجلال، وعلى هذا الأساس ترجع التكاليف الخاصة بالمرأة دون الرجل، والتكاليف الخاصة بالرجل دون المرأة .

إن هذا الاختلاف ليس مبنيا على التفاوت، بقدر ما له ارتباط وثيق بالخصوصية التعميرية،في كون أن العمارة هي إظهار لآثار صفات الله، وأن لكل واحد من الزوجين دورا في ذلك، وأن كلا الدورين يتكاملان.

بيان الخلل التي وقعت فيه التربية الحديثة:-

إن الخلل الذي وقعت فيه التربية الحديثة هي اعتمادها مبدأ التساوي المطلق بين الزوجين،وهذا ظلم وإجحاف لإنسانية كل منهما، لما فيه من إنقاص لفضل كل منهما، بل هو ظلم للإنسانية لأنه حكم على حضارتها بالبتر، وقد يرد البعض هذا القول بما عليه الحضارة الغربية من تقدم مادي، ويستدل بذلك على صواب هذا المبدأ، إلا أنه علينا إدراك أن هذا

---

[1] – مالك بن نبي، شروط النهضة، ص 116 .

التقدم المادي ليس معيارا، وإنما المعيار ما تحققه الحضارة من إنسانية للإنسان، وهذا لن يتحقق إلا بالرقي في الجانبين المادي والمعنوي، وبهذا يمكن القول أن التخلف الحضاري الذي يعيشه الغرب في المجالات المعنوية هو نتيجة هذا المبدأ، وذلك لأن المرأة هي المعول عليه أولا في هذا المجال، فكما تقرر سابقا أن دورها التعميري هو إظهار آثار صفات الجمال، وعندما حرمت من أداء هذا الدور واستنزفت مواهبها في غير محلها، انهارت منظومات القيم والمبادئ وأصبحت المرأة سلعة تباع وتشترى.

لقد "نشأت عن تجاهل طبيعة المرأة وتناسي الفرق بين تركيبها وتركيب الرجل، مشكلات رهيبة أودت بالإنسانية في مهاوي التفكك والانهيار، فنزلت المرأة إلى ميادين الرجال، وتخلت عن تربية الأطفال، وغفلت أنوثتها وخصائصها، ففسد المجتمع وفسد المنزل وشرد الأطفال،وتفككت عرى الأسرة وساءت الأحوال"[1]، واختل النظام.

[1] – نحلاوي، التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة، ص191 .

الخاتمة

أولا النتائج:-

توصلت هذه الدراسة إلى النتائج الآتية :

1- جعل الله سبحانه وتعالى الإنسان خليفة في الأرض ليحافظ على انتظام الكون بإقامة الحق والعدل، وليعمره بالخير والصلاح، ولكي يتمكن الإنسان من أداء هذه الرسالة العظيمة، أمده الله سبحانه وتعالى- من باب فضله وعدله وحكمته- بمجموعة من الإمكانيات والقدرات والقوى تؤهله وتدفعه إلى القيام بالعمارة، دل على هذا دلالة مطابقة قوله تعالى : ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾(هود: 61)، أي أقدركم على عمارتها، أو أمركم بعمارتها، كما دلت عليه العديد من الآيات بدلالات ضمنية أو التزامية.

2- خصائص الإنسان في عمارة الكون هي قوى فطرية متعددة ومتنوعة، مدركة وفاعلة،مستجيبة للإثارة، قابلة للترقي، ذات بعدين حسي ومعنوي، نتجت عن تمازج وتكامل ما للجسد وما للروح من صفات، ركبت في الإنسان، فجعلت منه ذا معنى خاص هو طبيعته التعميرية، التي تميز بها عن بقية المخلوقات.

3- جاءت في القرآن الكريم من آيات تتحدث عما يختص به الإنسان من مزايا جاءت في سياق الحديث عن الحكمة من وجوده في هذا الكون، تعتبر أصولا لبيان هذه الخصائص،وبيانا لتصنيفها، ولقد اعتمد الباحث في تصنيف هذه الخصائص على ما ورد في سورة الروم من ذكر لآيات الله سبحانه وتعالى في النفس الإنسانية والاجتماع البشري، ومن الممكن بيان هذه الخصائص وتصنيفها في ست خصائص هي : خاصية الانتماء إلى الأرض، وخاصية النزعة الاجتماعية، وخاصية الاختلاف، وخاصية التعقل، وخاصية حب الخلود، وخاصية حب التملك، والباحث لا يدعي بهذا العدد الحصر وإنما الأمر قيد الدراسة والبحث.

4- إن لخصائص الإنسان في عمارة الكون صبغة وصفة تربوية تتمثل في العلاقة الوطيدة والوثيقة التي جمعت بين الخصائص والتربية في إطار عمارة الإنسان للكون، فكلاهما أساسا من أسس قيام العمارة، كما أن هذه العلاقة تمثلت فيما لكل واحد منهما من دور ومكانة في تحقيق رسالة العمارة، فالتربية هي التي ستعمل في هذه الخصائص حتى تؤدي عملها، ومرد هذه العلاقة إلى تلك العلاقة العضوية التي تكونت بين الفكرة الدينية والإنسان الذي يحملها.

كما تتمثل الصبغة التربوية للخصائص فيما لها من سمات وصفات تربوية عديدة تجعل منها ذات أبعاد وتطبيقات تربوية تسهم في قيام العمارة، كما تتمثل الصبغة التربوية لخصائص الإنسان في عمارة الكون في الوظيفة التربوية العظيمة التي تؤديها في قيام العمارة، في جانبيها المعنوي والحسي، فيترقي الإنسان بخصائصها وتوجيهها إلى ما خلقت له وتفعيلها يحدث الترقي في الكون .

5- تتضمن كل خاصية من خصائص الإنسان في عمارة الكون مجموعة من المبادئ والضوابط التربوية لها تطبيقاتها في مجالات الحياة المختلفة، يحيط بالإنسان من عناصر متعددة، كما أنه يمكن اعتبار هذه المبادئ أصولا للعديد من مجالات التربية، فالمبادئ التي تضمنتها خاصية الانتماء إلى الأرض من الممكن اعتبارها من أصول التربية الوطنية، والمبادئ التي تضمنتها خاصية النزعة الاجتماعية من الممكن اعتبارها من أصول التربية الاجتماعية بشكل عام،والتربية الوطنية بشكل خاص، والمبادئ التي تضمنتها خاصية الاختلاف من الممكن اعتبارها من أصول التربية الشخصية والفردية، وكذلك من أصول التربية النفسية والأخلاقية،والمبادئ التي تضمنتها خاصية التعقل من الممكن اعتبارها من أصول التربية العقلية، والمبادئ التي تضمنتها خاصية حب الخلود من الممكن اعتبارها من أصول التربية الحياتية، والتربية على استثمار الوقت والتفاعل مع عنصر الزمان، والمبادئ التي تضمنتها خاصية حب التملك من الممكن اعتبارها من أصول التربية الاقتصادية.

6- إن لخصائص الإنسان في عمارة الكون أبعادا في النفس الإنسانية، ويقصد بالنفس هنا الذات الإنسانية ككيان متكامل، متكون من تمازج وتكامل عنصري الروح والجسد، ويتمثل البعد النفسي للخصائص في أمرين: في ما لطبيعتها التكوينية من أثر كبير في تميز الكيان الإنسان،حيث جعلت من الإنسان مخلوقا متميزا جمعت فيه قوى العالم المعنوية والحسية، قابلا للتوافق مع مجالي العمارة المعنوي والمادي، وهذا بعض ما يتضمنه معنى الابتلاء بهذا التكوين في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً ﴾(الإنسان:2)،ومن تطبيقات هذا البعد للطبيعة التكوينية للخصائص النظرية التكاملية،والتي تعني ضرورة النظر إلى الإنسان ككل متكامل لا يتجزأ، فلا ينظر إلى جانب دون جانب، كما لا يغلب جانب على جانب.

أما الأمر الثاني الذي يمثله البعد النفسي، فيتمثل في أن مقومات الشخصية التعميرية للإنسان تتحقق بهذه الخصائص، ومقومات الشخصية التعميرية للإنسان تتمثل في صفتين بهما الإنسان، وهما: صفة الإرادة، وصفة القدرة، وحصول هاتين الصفتين في النفس الإنسانية ناتج عن وجود هذه الخصائص جملة، كما أن لكل خاصية دورا خاصا في تحقق كل صفة من هاتين الصفتين.

7- تعتبر خصائص الإنسان في عمارة الكون أصولا تربوية تتحدد بها أهداف التربية الإسلامية، وذلك لأن لها أبعادا على المستوى المقاصدي، وترتكز هذه الأبعاد في أن وجود هذه الخصائص ليس عبثيا، وإنما وجدت لحِكَم عظيمة، وثيقة الصلة بالحكمة من خلق الإنسان، التي هي العبادة، والصلة بين وجود الخصائص وبين قيام الإنسان بواجب العبادة تتمحور حول العلاقة الوثيقة بين العبادة بمعناها والعمارة، وذلك لأن قيام العمارة الكاملة هو الترجمة الحقيقية لمفهوم العبادة، وعلى هذا الأساس يتحدد الارتباط بين خصائص الإنسان في

عمارة الكون وبين أهداف التربية الإسلامية، كما يتحدد الهدف الرئيس للتربية الإسلامية، مع اعتبار أن الارتقاء بهذه الخصائص وتفعيلها هو هدف من أهداف التربية الإسلامية.

8- يتمثل البعد التربوي المقاصدي للخصائص في ما لها من مقاصد تربوية منها التخلق بصفات الله تعالى، وإظهار صفات الله في كونه، والابتغاء من فضل، وإقامة شعائر دينه، وتحقيقها لمعنى الابتلاء، ولأهلية تحمل الأمانة، وتحقيقها لإنسانية الإنسان، والرقي بالكمال الإنساني،وغير ذلك مما له تطبيقات تربوية متعددة في مجالات الحياة المختلفة.

9- تعتبر خصائص الإنسان في عمارة الكون أصولا تربوية يبنى عليها البعد الدلالي للتحصيل العلمي والمعرفي، بما يمكن أن يسمى بالعلم الدلالي، وهو بعد ينبغي أن تركز عليه المناهج وتتحدد به الأساليب والطرق، وهذا البعد الدلالي للخصائص دل عليه وصفها بالآيات، وبالاهتمام بهذا البعد ترتقي المعرفة الإنسانية، وهذا ما دل عليه قوله تعالى : ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾(الروم: 7 – 11).

10- إن لخصائص الإنسان في عمارة الكون، دورها الكبير في التصدي للكثير من التحديات التربوية المعاصرة، التي تواجه الرقي الإنساني، بحيث يمكن القول أن الخصائص تعتبر أصولا تربوية يستنبط منها الكثير من الحلول للعديد من المشكلات الحياتية .

ثانيا: التوصيات:-

يوصي الباحث بعد تقوى الله بما يأتي :

1- أوصي الطلبة والباحثين بالتوسع في دراسة هذه الخصائص بشكل مفصل، بحيث تفرد كل خاصية منها بدراسة مستقلة، تهدف إلى بيان الأبعاد والتطبيقات التربوية للخاصية المدروسة،على أن تكون الدراسة معتمدة على ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

2- أوصي طلبة العلم الشرعي بجميع فروعه بالتوجه إلى التأصيل التربوي لعلم نفس التحضر والعمران، والاعتماد في ذلك على ما جاء به القرآن الكريم من وصف للنفس الإنسانية.

3- أوصي الطلبة والباحثين ومراكز البحوث بالتوجه إلى التأصيل التربوي لفقه العمران، وهو فقه يسعى الكثير من العلماء إلى إخراجه في علم خاص به، وذلك بفصل كل الجزئيات الفقهية الخاصة بانتظام الحياة الإنسانية وقيام العمارة في الأرض، عن أبواب الفقه العام.

ثالثا: المقترحات:-

يقترح الباحث إعادة النظر فيما حُدد من أصول للتربية الإسلامية، ويقترح حصرها مبدئيا في أربعة أصول يندرج تحتها غيرها، وهذه الأصول هي: الأصل الفكري (العقدي) ويتمثل فيما جاءت به العقيدة من تصورات تبني الجانب الفكري في شخصية الإنسان، والأصل السلوكي(التشريعي)، ويتمثل فيما جاءت به الشريعة من أحكام تضبط سلوك الإنسان، والأصل الوجداني(التعبدي)، ويتمثل فيما يجد الإنسان من أذواق وجماليات في نفسه عند مراقبته لربه في تعبده، والأصل النفسي(الأخلاقي) ويتمثل في الأخلاق التي دعا إليها الإسلام .

ومن الممكن التأصيل لهذه الأصول، من خلال الربط بين التربية وجوانب الشخصية السوية الوارد في قوله ﷺ: (إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض

وفساد عريض) [1]، فهذا الحديث بيّن لنا جانبين مهمين من جوانب الشخصية السوية التي تعتبر هدفا من الأهداف التي تسعى التربية إلى تحقيقها، وهذان الجانبان هما: الدين والأخلاق، وبالنظر إلى الجانب الأول نجد أن هناك حديثا آخر يفصّله، وهو حديث جبريل المشهور في بيان معاني كل من الإيمان والإسلام والإحسان حيث قال ﷺ في آخره: (هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم)[2]، فقد سمى هذه الأمور الثلاثة دينا، يقول النووي:"فيه أن الإيمان والإسلام والإحسان تسمى كلها دينا"[3]، وبالنظر في هذه الأمور الثلاثة نراها تمثل جوانب مهمة في شخصية الإنسان، وتمثل الأصول التربوية التي ينبغي للتربية الإسلامية اعتمادها في تربيتها للفرد المسلم،حيث يرتبط الإيمان بالجانب الفكري ويعد أصلا تربويا لتنميته بما جاء به البعد العقدي،ويرتبط الإسلام بالجانب السلوكي أو ما نسميه النفس حركي، ويعد أصلا تربويا لتنميته بما جاء به البعد التشريعي، ويرتبط الإحسان بالجانب الوجداني، ويعد أصلا تربويا لتنميته بما جاء به البعد التعبدي، بينما يمثل الخلق الجانب النفسي، ومن هنا نستخلص أن هناك أربعة جوانب من الممكن أن نعتمدها أبعادا تربوية ذات صلة وثيقة بالخصائص وهذه الأبعاد هي :البعد الفكري (العقدي)، البعد السلوكي (التشريعي)، البعد الوجداني (التعبدي)، البعد الأخلاقي (النفسي).

1- الترمذي، سنن الترمذي، باب إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، (3 / 394)، رقم 1084 ، قال الألباني حديث حسن.

2- البخاري، صحيح البخاري ، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان ، (6 / 115)، رقم 4777

، مسلم ، صحيح مسلم ، باب الإيمان ما هو وبيان خصاله، (1/ 30)، رقم 106

3- النووي : شرح النووي على صحيح مسلم، (1 /160).

فهرس الآيـــات

السورة	الآيـة	رقم الآية	الصفحة
البقرة	وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ	8	135
	وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ	11	132، 135
	وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ	13	131، 135، 137
	كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ	28	241، 246
	هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا	29	60، 161، 245، 280
	وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً	30	15، 34، 111، 327،
	وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا	32	73، 214، 429، 343
	قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى	38	91
	وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ	60	161، 169
	ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً	74	66
	وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ	143	23
	يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً طَيِّبًا	168	59، 110، 168، 326
	وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا	170	221
	وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى	197	145، 343
	وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ	205	16
	لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ	256	107
	وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ	265	78، 252
	أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ	266	148
	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا	278	128، 223
	وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ	282	223
	لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلا وُسْعَهَا	286	42، 278
آل عمران	زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ	14	142، 183، 253، 354
	وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا	37	63
	يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ	74	43، 369
	أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ	83	138
	وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا	103	302
	وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ	104	206، 368
	كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ	110	1، 368
	قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ	137	401
	وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ	187	227

الصفحة	رقم الآية	الآية	السورة
246	189	وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ	
68، 196، 429	1	يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ	النساء
199، 248، 268	5	وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا	
336	6	وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ	
330	28	وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا	
339	29	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ	
431	32	وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ	
418	83	وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ	
156	97	إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ	
61	101	وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ	
60	103	فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ	
307	120	يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا	
305	123	لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ	
201	128	وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ	
126، 181	2	وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى	المائدة
93	32	مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ	
61	33	إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ	
145، 344	35	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ	
363	42	سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ	
135	87	ا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ	
211	101	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ	
211	103	مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ	
495	11	قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ	الأنعام
163، 324	98	وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ	
37	124	اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ	
362	126	ذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ	
191، 258	165	وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ	
43، 111، 162، 324، 400	10	وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ	الأعراف
335	12	قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ	
75، 234، 314	20	فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا	
185	24	قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ	

السورة	الآيـــة	رقم الآية	الصفحة
	وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا	14	87، 367
	الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ	32	127
	وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ	36	403
	وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا	68	424
	وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ	71	169، 179
	وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا	72	67
	وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا	78	389، 407
	يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ	83	152، 221
	مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً	97	144
	وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً	112	18
	فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا	114	60، 151، 168، 223
الإسراء	وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ	11	306
	وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ	12	166
	قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ	17	162، 326
	مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ	18	107
	وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ	36	407
	تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ	44	25، 65
	وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ	70	44، 113، 324، 367
	وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا	105	19
الكهف	إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا	7	27، 219
	وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ	35	237
	وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً	36	237
	قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ	37	160
	وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا	42	237
	قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا	66	171، 337
	قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا	67	171
	قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا	103	371
	فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا	110	305، 309
مريم	يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا	12	300
طه	قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى	50	32، 37، 74، 95، 101، 180
	مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى	55	58، 298

السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة
	بلسان عربي مبين	195	429
النمل	قال عفريت من الجن أنا آتيك به	39	335
	قال الذي عنده علم من الكتاب	40	335
	قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين	69	406
	وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض	82	398
	ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه	86	167
القصص	قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا	71- 78	
العنكبوت	يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون	56	156
	أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون	67	152
الروم	يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون	7	56، 134، 151، 220، 440
	أولم يتفكروا في أنفسهم	8- 11	56، 440
	ويحيي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون	19	57
	ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون	20	52، 58، 290، 324، 387
	ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها	21	52، 66، 245، 387
	ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم	22	52، 70، 169، 387، 428
	ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله	23	52، 72، 77، 167، 234، 387
	ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا	24	53، 72، 75، 77، 234، 387
	ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم من ما ملكت أيمانكم من شركاء	28	398
	فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التي فطر الناس عليها	30	101
	قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل	42	143، 405
	فأقم وجهك للدين القيم	43	143
	من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحا فلأنفسهم يمهدون	44	144
	ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله	45	144
	فانظر إلى آثار رحمت الله	50	408
الروم	الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة	54	339
لقمان	ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السماوات وما في الأرض	20	87
	ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة إن الله سميع بصير	28	92
السجدة	ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين	8	59، 165
الأحزاب	سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا	62	404
	إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال	72	373

السورة	الآيـــة	رقم الآية	الصفحة
سبأ	فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ	14	335
	لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ	20-15	425
فاطر	اللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا	11	160
	يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ	15	251
	أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا	27	70
	إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ	28	70، 228، 390
	فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا	43	404
	أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ	44	404
يس	لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ	40	105
	إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ	82	33، 85
الصافات	فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ	102	312
	أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ	125	118
	وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ	147	428
	فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ	148	428
ص	إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ	71	160، 270
	فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ	72	270
	قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ	76	162، 291
الزمر	ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ	29	132
	اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا	42	243
غافر	قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ	11	240
	قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ	29	176
	اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا	61	167
	هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا	67	161
فصلت	قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا	11_9	59، 424
	سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ	53	351، 386، 388، 393
الشورى	لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ	11	409
	مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ	20	94، 107، 295
	وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ	38	205، 301، 303
الزخرف	وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا	17	329
	أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ	18	329
	وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا	32	190، 255، 329

السورة	الآيــة	رقم الآية	الصفحة
	وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً	33	329
	فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ	54	194
الجاثية	اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ	12	87، 166
	أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ	21	134
	وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ	22	134
	وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ	24	87
الأحقاف	وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ	19	322
محمد	أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ	10	406
	وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ	13	38
	فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ	15	135
	فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ	22	16
	أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ	23	16
	يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا	29	123، 144
	وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ	38	252
الفتح	سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا	23	404
الحجرات	وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ	7	123، 143
	إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ	10	368، 419
	يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا	13	67، 161، 179، 204
	إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ	15	368
الذاريات	وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ	20	289، 386، 393
	وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ	21	289، 386، 393
	وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ	47	117، 386
	وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ	56	348، 350، 362
	مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ	57	348، 350، 362
الطور	أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ	39	246
النجم	وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ	39	322
	وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَىٰ	45	431
	وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ	48	250، 389
القمر	إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ	49	129، 219، 354، 396
الرحمن	عَلَّمَهُ الْبَيَانَ	4	213، 429
	تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ	78	434

السورة	الآيـــة	رقم الآية	الصفحة
الحديد	آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ	7	256
	أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ	16	390
	وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ	25	113، 137، 324
	وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللهِ	27	294
الحشر	كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ	7	266
	وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ	9	157، 201
	وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ	19	393
الصف	إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ	4	174، 196، 203
الجمعة	فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ	10	97، 326
التغابن	إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ	15	201، 258
	وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ	16	201، 258
الطلاق	وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ	2	344
	وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ	3	108، 344
الملك	الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا	2	27
	مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ	3	389
	هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا	15	22، 99، 326
نوح	مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلهِ وَقَارًا وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا	13، 14	70
	وَاللهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا	17	58، 62، 165
الجن	وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا	8 -10	162، 327
المزمل	وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللهِ	20	28، 96، 368
المدثر	وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ	5	363
القيامة	أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى	36	236
	فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى	39	431
الإنسان	هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا	1	240
	إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ	2	27، 104، 271، 277
الانفطار	يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ	6	396
	الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ	7	396
	فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ	8	397
الانشقاق	يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ	6	119، 278، 363، 380
البروج	فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ	16	32
الأعلى	الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى	2، 3	38، 98، 323، 355، 396

الصفحة	رقم الآية	الآيــة	السورة
258	15	فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ	الفجر
258	16	وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ	
250	27، 28	يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً	
119، 278	4	لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ	البلد
104، 295، 363	7- 10	وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا	الشمس
263، 371	7	فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ	الشرح
122	4، 5	لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ	التين
213	5	عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ	العلق
39، 251، 261، 344	6، 7	كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى	
360	7، 8	فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ	الزلزلة
262	1، 2	أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ	التكاثر
287، 291	1ـ 3	وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ	العصر
372	1-7	أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ	الماعون

فهرس الأحاديث

الصفحة	طرف الحديث	رقم الحديث
65	إني لأعرف حجراً كان يسلم عليّ قبل أن أبعث	31
132	الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة	32
40	بينا رجل يمشي فاشتد عليه العطش	33
128، 129	بينما رجل راكب على بقرة	34
420	تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم	35
406	تفكروا في آلاء الله	36
406	تفكروا في الخلق	37
406	تفكروا في خلق الله	38
195	تنكح المرأة لأربع	39
396	ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفسا إيمانها	40
331، 420	الجيران ثلاثة	41
58	خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُور	42
342	دع ما يريبك إلى ما لا يريبك	43
263	الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه	44
20	طلب العلم واجب على كل مسلم	45
339	غيروا هذا بشيء واجتنبوا السواد	46
30	قدمتم خير مقدم ...	47
77، 234، 339	قلب الشيخ شاب على حب اثنتين	48
317	كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقا	49
317	كخ كخ ارم بها	50
41	كل الناس يغدو	51
147	كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد أقطع	52
360	لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي	53
256، 359	لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة	54
256، 358	لا تزول قدما عبد يوم القيامة	55
410	لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض	56
241	لا يتمنى أحدكم الموت	57
241	لايتمنينِ أحدكم الموت لضر نزل به	58
178	لا يزال الناس بخير ما تباينوا	59
77، 120، 234، 339	لا يزال قلب الكبير شابا	60
154	لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن	61
299	لا يكن أحدكم إمعة	62

رقم الحديث	طرف الحديث	الصفحة
63	لأن يأخذ أحدكم حبله	378
64	لما صور الله آدم في الجنة تركه ما شاء الله	121
65	اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري	241
66	اللهم إني أعوذ بك من الفقر والقلة ...	378
67	اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز	378
68	ليس الجهاد أني ضرب الرجل بسيفه	30، 276
69	ليس الغنى عن كثرة العرض	321
70	ما من مسلم يغرس غرسا	39
71	مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم	175، 205
72	مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين	313
73	المسلمون شركاء في ثلاث الكلإ والماء والنار	117
74	من أعمر أرضا ليست لأحد فهو أحق	117، 320، 417
75	مَن تَوَضَأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ...	272
76	من رأى منكم رؤيا فليقصها أعبرها له	409
77	من سرق شبرا من الأرض طوق إلى سبعا لأرضين	117
78	من طلب الدنيا حلالا استعفافا عن مسألة	259
79	من قتل قتيلا له عليه بينة فله سلبه	319
80	من كثر سواد قوم فهو منهم	417
81	المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا	175
82	النساء شقائق الرجال	429، 431
83	والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم	94
84	والله إني لأعلم أنك خير أرض الله	65
85	والله ما الفقر أخشى عليكم	343
86	يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة	328
87	يا أيها الناس إن لكم علما فانتهوا إلى علمكم	314
88	يا رسول الله أي الصدقة أعظم ؟	201
89	يا غلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك	340
90	يهرم ابن آدم وتشب منه اثنتان	233، 339
91	يد الله مع الجماعة	195
92	يوشك أن يكون خير مال الرجل غنم	410

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

1- إبراهيم: صبحي طه رشيد، **التربية الإسلامية وأساليب تدريسها**، دار الأرقم للكتب، عمان، ط2، 1406هـ ، 1986م .

2- ابن أبي زمنين : أبو عبد الله محمد بن عبد الله ، **تفسير القرآن العزيز** ، دار الفاروق الحديثة للطباعة والنشر ، القاهرة ، مصر ، ط2 ، 1426 هـ ، 2005 م .

3- ابن الجوزي : أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ، **كشف المشكل من حديث الصحيحين**، تحقيق : علي حسين البواب، دار الوطن ، الرياض ،(د، ط)، 1418هـ، 1997م

4- ابن الجوزي : أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، **التبصرة** ، تحقيق د.مصطفى عبد الواحد، دار الكتاب المصري – دار الكتاب اللبناني، مصر – لبنان،(د ، ط) ، 1390هـ – 1970م

5- ابن الجوزي : أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، **صيد الخاطر**، دراسة وتحقيق، محمد عبد الرحمن عوض، دار الكتاب العربي، بيروت ، لبنان، ط9 ، 1421هـ ، 2000 م .

6- ابن العربي : أبو بكر محمد بن عبد الله ، **أحكام القرآن** ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1421 هـ ، 2000 م .

7- ابن الملقن: سراج الدين أبي حفص عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الشافعي، **البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير**، تحقيق مصطفى أبو الغيط و عبدالله بن سليمان وياسر بن كمال، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية،(د،ط)، 1425هـ، 2004م.

8- ابن باديس : عبد الحميد بن محمد ، **في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير** ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1424 هـ، 2003 م .

9- ابن تيمية : تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ، **التفسير الكبير** ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1408 هـ ، 1988 م .

10- ابن تيمية : تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني

11- ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، **اقتضاء الصراط المستقيم**، دراسة وتحقيق:ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط7، 1419هـ، 1999م.

12- ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، **السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية**، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط2 ، 1408هـ، 1988 م.

13- ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، **العبودية**، مكتبة المعارف، الرياض، (د،ط)، 1404هـ، 1983 م .

14- ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ، **مجموع الفتاوى** ، تحقيق : أنور الباز- عامر الجزار، دار الوفاء، (د، م)، ط3 ، 1426 هـ / 2005 م.

15- ابن حجر العسقلاني: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، دار المعرفة ،بيروت ،لبنان ،(د،ط) ، 1379هـ.

16- ابن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، **مسند الإمام أحمد** ، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون ، مؤسسة الرسالة، ط 2، 1420هـ ، 1999م.

17- ابن سعد : محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري، **الطبقات الكبرى** ، دار صادر، بيروت، لبنان ، (د،ت).

18- ابن عاشور : محمد الطاهر ، **التحرير والتنوير** ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1420 هـ ، 2000 م .

19- ابن عجيبة: أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي أبو العباس، **البحر المديد**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ،ط2 ، 1423 هـ، 2002 م .

20- ابن عطية الأندلسي : أبو محمد عبد الحق بن غالب ،**المحرر الوجيز**، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، ط1 ، 1422هـ ، 2001 م .

21- ابن فارس: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، (د،ط) ، (د،ت).

22- ابن قيم الجوزية : **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان**، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1422هـ ، 2001 م .

23- ابن قيم الجوزية : **بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية** ، جمعه يسري السيد محمد ، دار ابن الجوزي ، الدمام ، السعودية ، ط1 ، 1414هـ ، 1993 م .

24- ابن قيم الجوزية : **جامع الآداب** ، جمعه ووثق نصوصه ورج أحاديثه يسري السيد محمد ، دار الوفاء ، المنصورة ، مصر ، ط1 ، 1423هـ ، 2002 م .

25- ابن قيم الجوزية : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، **تحفة المودود بأحكام المولود**، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان ، دمشق، ط1 ، 1391 ،1971

26- ابن قيم الجوزية : **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة** ، تحقيق سيد عمران، علي محمد علي، دار الحديث، القاهرة، (د،ط)، 1425 هـ ، 2004 م .

27- ابن ماجه : أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، **سنن ابن ماجه**، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها، دار الفكر، بيروت، لبنان، (د،ط)، (د،ت).

28- ابن منظور: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1 ، (د، ت)

29- ابن منظور: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، **لسان العرب**، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، لبنان ، ط3 ، 1419هـ ، 1999 م .

30- أبو السعود : محمد بن محمد العمادي، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، لبنان ، (د،ط) ، (د،ت).

31- أبو السعود : محمد بن محمد بن مصطفى العمادي ، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب السليم** ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1419 هـ ، 1999م .

32- أبو داود : سليمان بن الأشعث السجستاني، **سنن أبي داود**، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها، دار الفكر ، بيروت، لبنان، (د،ط)، (د،ت).

33- آق بيق : غازي صبحي، **القرآن منهاج حياة** ،(د،ط)، (د،م) ، (د،ت) .

34- آق بيق : غازي صبحي، **آيات قرآنية (ومضات من القرآن الكريم) عرض وتحليل** ، مكتبة الأسد، دمشق ، سوريا ، (د،ط) ، 1998 م

35- الألباني : محمد ناصر الدين بن الحاج نوح، **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة**، دار المعارف، الرياض، السعودية، ط1،1412 هـ ، 1992 م.

36- الألباني : محمد ناصر الدين بن الحاج نوح، **صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته**، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، (د،ط)، (د،ت).

37- الألوسي : أبو الفضل شهاب الدين محمود ، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني** ، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، ط2، 1426 هـ ، 2005 م .

38- الأميري: عمر بهاء الدين ، **الإسلام في المعترك الحضاري**، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، جدة ، ط1 ، 1414هـ ، 1993 م .

39- الأميري: عمر بهاء الدين ، **الإسلام وأزمة الحضارة الإنسانية المعاصرة في ضوء الفقه الحضاري**، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، جدة ، ط1 ، 1414هـ ، 1993 م.

40- الإيجي : محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله ، **جامع البيان في تفسير القرآن** ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1، 1424 هـ، 2004 م .

41- بابللي : محمود محمد، **إعمار الأرض في الاقتصاد الإسلامي واستثمار خيراتها بما ينفع الناس**، المكتب الإسلامي، بيروت ، لبنان، ط1 ، 1408هـ ، 1988 م .

42- البخاري : أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، **الأدب المفرد**، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، الأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، ط3، 1409 هـ، 1989م .

43- البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، **صحيح البخاري**، تحقيق مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة – بيروت ، لبنان ، ط3 ، 1407 هـ، 1987م .

44- البراوي: راشد، **التفسير القرآني للتاريخ**، دار النهضة العربية ، القاهرة، مصر، ط1 ، 1973 م.

45- البقاعي : برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر ، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور** ، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1415 هـ ، 1995 م .

46- بكار: عبد الكريم ، **من أجل انطلاقة حضارية شاملة** ، دار القلم ، دمشق، سوريا، ط1 ، 1420 هـ ، 1999 م .

47- بكار: عبد الكريم، **بناء الأجيال**، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، السعودية، ط1، 1423هـ، 2002 م .

48- بن نبي : مالك، **شروط النهضة** ، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر للطباعة والتوزيع النشر، دمشق،(د،ط) ، 1406 هـ ، 1986م .

49- بنت الشاطيء: عائشة عبد الرحمن، **مقال في الإنسان** ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، 1969 م

50- البوطي: محمد سعيد رمضان، **كبرى اليقينيات الكونية**، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط8، 1402 هـ .

51- البوطي: محمد سعيد رمضان، **منهج الحضارة الإنسانية في القرآن**، دار الفكر، دمشق، ط3، 1998 م .

52- البيهقي : أبو بكر أحمد بن الحسين ، **شعب الإيمان**، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، ط1 ، 1410 هـ.

53- البيهقي :أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله ، **كتاب الزهد الكبير**، تحقيق عامر أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان ، (د ، ط)، 1996م .

54- الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، **سنن الترمذي**، تحقيق أحمد شاكر وآخرون، والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (د،ط) ، (د،ت).

55- التفتازاني : أبو الوفا الغنيمي ، **الإنسان والكون في الإسلام** ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، (د،ط)، (د،م) ، 1995 م .

56- الثعالبي :عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف ، **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان

57- الثعلبي : أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، **الكشف والبيان**، تحقيق الإمام أبي محمد بن عاشور ، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، لبنان، 1422هـ–2002م

58- الجرجاني: علي بن محمد الشريف، **التعريفات**، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي ، بيروت، لبنان، ط1 ، 1405 هـ .

59- الجزائري : أبو بكر جابر ، **عقيدة المؤمن** ، دار السلام ، القاهرة ، مصر، ط3، 1421هـ ، 2000 م.

60- الجليند : محمد السيد، **خلل في مسيرة الأمة** ، دار قباء، القاهرة ، مصر، (د،ط) ، 2006 م

61- الجمالي ، محمد فاضل، نحو تربية مؤمنة، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1985 م.

62- جمعة، أحمد خليل، **الطفل في ضوء القرآن والسنة والأدب**، اليمامة، دمشق، سوريا، بيروت ، لبنان، ط1، 1421هـ ، 2001 م .

63- الحافظ القرطبي ، أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم الأنصاري ، **المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم**، (د،ط)، (د،م)، (د،ت).

64- الحاكم النيسابوري: أبو عبد الله محمد بن عبد الله، **المستدرك على الصحيحين**، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا، مع الكتاب : تعليقات الذهبي في التلخيص، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1411 هـ، 1990م .

65- الحكمي : حافظ بن أحمد ، **معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول** ، دار ابـن حزم، بيروت ، لبنان ، ط1، 1418 هـ ، 1997 م .

66- حموش، عبد اللطيف، **قصة الإنسان (أصله، بنيته، دوره)** ، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1418 هـ ، 1997 م .

67- حوى : سعيد حوى : **الأساس في التفسير** ، دار السلام ، القاهرة ، مصـر ، ط5 ، 1419 هـ ، 1999م

68- الخطابي: أبو سليمان أحمد بن محمد البستي، **معالم السـنن(شـرح سـنن أبـي داود)**، المطبعة العلمية ، حلب، سوريا، ط 1 ، 1351 هـ ، 1932 م.

69- خطاطبة، عدنان مصطفى، **المضامين التربوية في العقيدة الإسـلامية (دراسـة تحليليـة تطبيقية)** ، عماد الدين للنشر والتوزيع، عمان ، الأردن، ط1 ، 1433 هـ ، 2011 م .

70- الخطيب الاسكافي : **درة التنزيل وغرة التأويل** ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، لبنان ، ط3 ، 1979 م

71- الخطيب البغدادي : أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، **تاريخ بغـداد**، دار الكتـب العلمية ، بيروت، لبنان، (د،ط)، (د،ت).

72- الخطيب الشربيني : **السراج المنير** ، دار إحياء التراث العربي ، بيـروت ، لبنـان ، ط1 ، 1425هـ ، 2004 م .

73- خليل : عماد الدين : **حول إعادة تشكيل العقل المسلم**، مؤسسة الرسالة، قطـر، مؤسسـة الحياة، بيروت، لبنان، ط2 ، 1405 هـ ، 1985 م .

74- خليل: صبري محمد، **الأبعاد المعرفية لمفهوم الاستخلاف**، مركز التنوير المعرفي، سلسلة حوارات التنوير رقم (5)، ط1 ، 2006 م .

75- الدسوقي : فاروق أحمد ، **مفاهيم قرآنية حول حقيقة الإنسان**، المكتب الإسلامي، بيروت، مكتبة فرقد الخافي، الرياض، ط2 ، 1406 هـ ، 1986 م .

76- الدسوقي : فاروق أحمد، **استخلاف الإنسان في الأرض**

77- دسوقي: سيد حسن، **دراسة قرآنية في فقه التجدد الحضاري**، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، السادس من أكتوبر، مصر، (د،ط) ، 1998 م .

78- الرازي : فخر الدين محمد بن عمر ، **التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)**، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1425 هـ ، 2004 م .

79- الرازي : فخر الدين محمد بن عمر ، **المباحث المشرقية في علم الإلهيات والطبيعيات**، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ط1، 1410هـ ، 1990 م .

80- الراغب الأصفهاني : أبو الحسين القاسم بن محمد بن المفضل : **معجم مفردات ألفاظ القرآن**، تحقيق نديم مرعشلي، دار الكتاب العربي، (د،ط) ، (د،م) ، (د، ت) .

81- الراغب الأصفهاني : أبو الحسين القاسم بن محمد بن المفضل : **مفردات ألفاظ القرآن** ، تحقيق مصطفى بن العدوي، مكتبة فياض، المنصورة، مصر، ط1،1430هـ،2009 م .

82- الراغب الأصفهاني : أبو الحسين القاسم بن محمد بن المفضل ، **تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين**، تقديم وتحقيق عبد المجيد النجار، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1 ، 1408هـ ، 1988 م .

83- الراغب الأصفهاني: أبو الحسين القاسم بن محمد بن المفضل، **الذريعة إلى مكارم الشريعة**، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1400هـ ، 1980 م.

84- الراوي: مسارع حسن، **قضايا تربوية عربية في رؤى إسلامية**، بيت النخبة للدعاية والإعلان، (د، م)، (د، ط) ، (د، ت).

85- رضا : محمد رشيد بن علي، **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990 م

86- الزحيلي : محمد وهبة ، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، دار الفكر المعاصر ، بيروت، لبنان، دار الفكر ، دمشق، سوريا، ط1 ، 1411هـ، 1991م .

87- الزحيلي : محمد وهبة، **موسوعة قضايا إسلامية معاصرة** ، دار المكتبي ، دمشق سوريا ، ط 1 ، 1430 هـ ، 2009 م .

88- زرمان ، محمد عبد الله ، **الفعل الحضاري في القرآن الكريم**، دار الكتاب الثقافي، اربد ، الأردن، (د،ط)، 1430هـ ، 2009 م .

89- زروق : أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى الفاسي البرنسي أبو العباس، **قواعد التصوف** ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2 ، 1426هـ ، 2005 م .

90- الزمخشري: جار الله أبو القاسم محمود بن عمر، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**،(د،ط)،دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1407 هـ

91- الزوبعي : محمد طالب، **ظاهرة الترادف في ضوء التفسير البياني للقرآن الكريم**، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ليبيا ، ط1 ، 1995 م .

92- السالوس : علي أحمد، **موسوعة القضايا الفقهية المعاصرة والاقتصاد الإسلامي** ، مكتبة دار القرآن ، الشرقية ، مصر، ط10 ، 1426هـ ، 2006 م .

93- الساموك: سعدون محمود، **الأساليب التعليمية للتربية الإسلامية**، دار وائل للنشر، ط1، 2005م .

94- الساموك، الشمري: سعدون محمود، هدى علي، **مناهج التربية الإسلامية البنية والتحليل**، دار المناهج للنشر والتوزيع، ط1، 1426هـ ، 2006 م .

95- السبهاني: عبد الجبار حمد عبيد ، **الاستخلاف والتركيب الاجتماعي في الإسلام**، دار وائل للنشر، عمان ، الأردن ، ط1 ، 1424هـ ، 2003 م .

96- سعادة: إبراهيم، **الإسلام وتربية الإنسان**، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ط1، 1405هـ، 1985م .

97- سعيد : جودت ، **العمل قدرة وإرادة** ،

98- السميح: محمد بن علي ، **ملكية الأرض في الشريعة الإسلامية**، (د،د) ، (د،م) ، ط1 ، 1403هـ ، 1983 م .

99- السيوطي: أبو الفضل عبد الرحمن ابن أبي بكر، **الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة**، عمادة شؤون المكتبات، (د،م)، (د،ط)، (د،ت).

100- الشرقاوي: عفت، **في فلسفة الحضارة الإسلامية**، دار النهضة العربية، بيروت، (د،ط) ، 1979 م .

101- الشنقيطي :محمد الأمين بن محمد المختار ، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن** ، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة ، ط1 ، 1426 هـ .

102- الشوكاني : محمد بن علي بن محمد : **فتح القدير** ، تحقيق عبد الرزاق المهدي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1420 هـ ، 1999 م .

103- الشوكاني : محمد بن علي بن محمد ، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، دار الفكر، بيروت، لبنان ،(د،ط) (د،ت).

104- الشيباني: عمر التومي، **خصائص الإنسان ورسالته في تعمير الكون في الفكر الإسلامي**، مجلة الدعوة الإسلامية، ،جمعية الدعوة الإسلامية، طرابلس ، ليبيا، العدد الخامس، 1988م

105- الشيباني: عمر التومي، **فلسفة التربية الإسلامية**، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، ليبيا، ط5، 1985 م.

106- الشيباني: عمر التومي، **مفهوم الإنسان في الفكر الإسلامي**، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراتة، ليبيا، ط1، 1987م .

107- الشيباني :محمد بن الحسن، **كتاب الكسب(الاكتساب في الرزق المستطاب)**، تحقيق سهيل زكار، نشر وتوزيع عبد الهادي حرصوني، دمشق، ط1، 1400، 1980 م .

108- الشيرازي : ناصر مكارم ، **الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل** ، الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع ، ط1 ، 1426 هـ ، 2005 م .

109- الصالح : صبحي، **معالم الشريعة الإسلامية** ، دار العلم للملايين، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1975 م .

110- الطبراني : سليمان بن أحمد بن أيوب ، **التفسير الكبير تفسير القرآن العظيم** ، تحقيق هشام البدراني ،دار الكتاب الثقافي ، الأردن ،إربد ، ط1 ، 2008 م

111- الطبراني : سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم ، **المعجم الأوسط**، تحقيق طارق بن عوض الله عبد المحسن، دار الحرمين، القاهرة، مصر، 1415هـ ،

112- الطبراني : سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم ، **المعجم الصغير**، تحقيق محمد شكور محمود، دار المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، دار عمار ،عمان، الأردن، ط1، 1405هـ، 1985م.

113- الطبراني : سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم ، **المعجم الكبير**، تحقيق حمدي بن عبد المجيد، مكتبة العلوم والحكم، الموصل ، العراق ،ط2 ، 1404 هـ،1983م .

114- الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير : **جامع البيان عن تأويل القرآن** ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ،

115- الطحان: مصطفى محمد، **التربية ودورها في تشكيل السلوك**، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 1427هـ ، 2006م .

116- العز بن عبد السلام: عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقي، **تفسير العز بن عبد السلام تفسير القرآن**، تحقيق الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، ط1 ، دار ابن حزم ، بيروت، لبنان، 1416 هـ / 1996م

117- عزام : عبد الله، **العقيدة وأثرها في بناء الجيل** ، دار ابن حزم، بيروت ،لبنان ، ط3 ، 1416هـ ، 1996 م .

118- العظيم آبادي: أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، **عون المعبود شرح سنن أبي داود**، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، السعودية، ط2 ،1388هـ ، 1968م.

119- العقاد : عباس محمود ، **الإنسان في القرآن** ، نهضة مصر للطباعة والنشر ، القاهرة ، مصر ، (د،ط) ، 2001 م .

120- عودة : عبد القادر، **المال والحكم في الإسلام**، المختار الإسلامي للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة ، مصر، (د،ط) ، (د، ت) .

121- الغزالي: محمد ، **نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم**، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1 ، 1414هـ ، 1993 م .

122- الغزالي: محمد، **علل وأدوية**، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط2 ، 1425هـ ،2005 م .

123- فاطمة إسماعيل محمد إسماعيل : **القرآن والنظـر العقلـي** ، المعهـد العـالمي للفكـر الإسلامي، فرجينيا، الولايات المتحدة ، 1993م .

124- فرحات: أحمد حسن، **الخلافة فـي الأرض**، دار الأرقـم، الكويـت، ط1 ، 1406 هــ ، 1986م.

125- الفرحان، إسحاق، وآخرون ، **نحو صياغة إسلامية لمناهج التربية**، جمعيـة الدراسـات والبحوث الإسلامية، عمان، الأردن، ط 2، 1400هـ، 1980م .

126- الفيروز آبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب، **القاموس المحيط**، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2 ، 1407هـ ، 1987 م.

127- القاضي: سعيد إسماعيل، **أصول التربية الإسلامية**، عالم الكتـب، القـاهرة، مصـر، ط1، 1422هـ ، 2002 م .

128- قتيبي : حامد صادق، **الكون والإنسان في التصور الإسلامي**، مكتبة الفلاح، الكويـت، ط1 ، 1400 هـ ، 1980 م .

129- القرشي: علي، **التربية الإسلامية والأمن المعيشي**، مجلة الدعوة الإسلامية ،جمعية الدعوة الإسلامية، طرابلس ، ليبيا، العدد 13، 1996م .

130- القرضاوي : يوسف، **الإيمان والحياة** : مكتبة وهبة، القاهرة ، مصر ، ط12 ، 1412هـ، 2001 م .

131- القرضاوي : يوسف، **حقيقة التوحيد** ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، مصر، ط7 ، 1409هـ ، 1989 م .

132- القرضاوي : يوسف، **مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام** ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، مصر، ط6 ، 1415 هـ ، 1995 م .

133- قطب : محمد، **الإنسان بين المادية والإسلام** ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة، مصـــر ، 1965م .

134- قطب : محمد، **دراسات في النفس الإنسانية** ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر ، 1974 م

135- قطب ، محمد، **التربية الإسلامية**، دار الشرق، بيروت، لبنان، ط7 ، 1983 م.

136- قلعه جي: محمد رواس، **الموسوعة الفقهية الميسرة**، دار النفائس، الكويت، ط1 ، 1421 هـ ، 2000 م.

137- قمبر: محمود، **دراسات تراثية في التربية الإسلامية**، دار الثقافة، الدوحة، قطـــر، (د،ط)، 1405هـ، 1985م .

138- القنوجي : أبو الطيب صديق بن حسن بن علي الحسين ، **فتح البيان في مقاصد القـــرآن** ، المكتبة العصرية ، بيروت، لبنان ، (د،ط) ، 1410 هـ ، 1989م .

139- القيسي ، مروان إبراهيم، **معالم التوحيد**، المكتب الإسلامي، بيـــروت، لبنـــان، عمـــان ، الأردن، ط2، 1433 هـ ، 2012 م .

140- الكلاعي: أبو الربيع سليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي، **الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء**، تحقيق : محمد كمال الدين عز الدين علي، عـــالم الكتـــب ، بيروت، ط1 ، 1417هـ .

141- الكيلاني: ماجد عرسان، **أهداف التربية الإســـلامية**، دار العلـــم، دبـــي، الإمـــارات، ط1، 2005م.

142- الكيلاني: ماجد عرسان، **فلسفة التربية الإسلامية**، دار القلـــم، دبـــي، الإمـــارات، (د،ط)، 1978 م.

143- الماوردي : أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب ، **النكت والعيون** ، دار الكتـــب العلميـــة ،مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1412 هـ ، 1992 م .

144- مجموعة من العلماء والباحثين : **بحوث فقهية فـي قضـايا اقتصـادية معاصـرة** ، دار النفائس ، عمان ، الأردن ، ط1 ، 1418 هـ ، 1998 م .

145- المحامي : محمد كامل حسن، **الحياة الدنيا في القرآن الكريم** ، المكتب العلمي للطباعـة والنشر، بيروت ، لبنان ، (د ،ط) ، 1989 م .

146- محمود، علي عبد الحليم، **النفس في الإسلام**، دار التوزيع والنشر الإسـلامية، القـاهرة ، مصر، ط1 ، 1426 هـ ، 2005 م .

147- المراغي : أحمد مصطفى ، **تفسير المراغي** ، دار الكتب العليمة ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1427 هـ ، 2006 م .

148- المراغى: أحمد مصطفى: **تفسير المراغـي**، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده ،القاهرة ، مصر ، (د،ط) ، (د،ت).

149- مرسي: محمد منير، **فلسفة التربية اتجاهاتها ومدارسها**، عالم الكتب، القـاهرة، (د،ط) ، 1428 هـ، 2007 م .

150- مسلم : أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري، **صحيح مسلم** ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (د،ط) (د،ت).

151- المصري : عبد السميع، **مقومات الاقتصاد الإسلامي** ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، مصر، ط4 ، 1411هـ ، 1990 م .

152- مطر، سيف الإسلام علي، **التغير الاجتماعي دراسة تحليلية من منظور التربية الإسلامية**، دار الوفاء، المنصورة، مصر، ط2 ، 1409 هـ ، 1988 م .

153- معروف : ناجي، **أصالة الحضارة العربية** ، دار الثقافة ، بيـروت، لبنـان ، ط3 ، 1395 هـ ، 1975 م .

154- المناوي : الإمام الحافظ زين الدين عبد الرؤوف ، **التيسير بشرح الجامع الصـغير**، ط3 ،مكتبة الإمام الشافعي ،الرياض، السعودية، 1408هـ ، 1988م .

155- المناوي : الإمام الحافظ زين الدين عبد الرءوف ، **فيض القدير**، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان، ط1 ، 1415 ه - 1994 م

156- المناوي : زين الدين عبد الرءوف المناوي، **التيسير بشرح الجامع الصغير**، مكتبة الإمام الشافعي ، الرياض، السعودية ، ط3، 1408هـ ، 1988م.

157- المودودي : أبو الأعلى، **تفسير سورة النور** ، تعريب محمد عاصم الحداد ، دار الفكر ، بيروت، (د،ط) ، (د،ت)

158- الميداني : عبد الرحمن حسن حبنكة، **العقيدة الإسلامية وأسسها**، دار القلم، دمشق ، سوريا، ط9 ، 1420هـ ، 2000 م .

159- ميموني: جمال ، قسوم : نضال، **قصة الكون من التصورات البدائية إلى الانفجار العظيم**، دار المعرفة، باب الوادي ، الجزائر ، (د، ط) (د ، ت) .

160- نجاتي، محمد عثمان، **القرآن وعلم النفس**، دار الشروق، القاهرة ، مصر ، ط 2 ، 1404 هـ ، 1984 م .

161- النجار : عبد المجيد عمر، **خلافة الإنسان بين الوحي والعقل**، بحث في جدلية النص والعقل والواقع، الدار العربية للعلوم، بيروت لبنان ، ط2 ، 1425 هـ ، 2005م .

162- النجار : عبد المجيد عمر، **دور حرية الرأي في الوحدة الفكرية بين المسلمين**، الدار العربية للعلوم، بيروت ، لبنان، ط2، 1425هـ ، 2005م .

163- النجار : عبد المجيد عمر، **فقه التحضر الإسلامي**،

164- النجار : عبد المجيد عمر، **مباحث في منهجية الفكر الإسلامي**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1992م .

165- نحلاوي: عبد الرحمن، **التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة**، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1408هـ ، 1988م .

166- النحوي: عدنان علي رضا، **التربية في الإسلام النظرية والمنهج**، دار النحوي للنشر والتوزيع،(د،م)، ط1، 1420هـ ، 2000م .

167- نخبة من علماء التفسير، بإشراف مصطفى مسلم، **التفسير الموضوعي لسور القرآني الكريم**، جامعة الشارقة ، الإمارات، ط1، 1431هـ ، 2010 م .

168- النسائي: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، **سنن النسائي الكبرى**، تحقيق عبد الغفار سليمان البنداري ، سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، ط1، 1411 هـ، 1991م .

169- النسائي: أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن، **سنن النسائي (المجتبى من السنن)**، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، ط2 ،1406 هـ،1986م .

170- نشوان، يعقوب حسين ، **المنهج التربوي من منظور إسلامي**، دار الفرقان، إربد، الأردن، ط1، 1412هـ ، 1992 م .

171- النووي : أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري ، **شرح النووي على صحيح مسلم (المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج** ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، لبنان ،ط2 ، 1392هـ

172- نوير : عبد الستار ، **رسالة الإنسان في الحياة ومقتضياتها**، دار الثقافة، الدوحة، قطر ، ط1 ، 1407هـ ، 1987 م.

173- الهيثمي : نور الدين علي بن أبي بكر ، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، دار الفكر، بيروت ، لبنان ، 1412 هـ

174- يالجن: مقداد، يالجن، **جوانب التربية الإسلامية الأساسية**، (د،د)، الرياض، ط1، 1406هـ، 1986م .

175- يالجن: مقداد، **دور التربية الأخلاقية الإسلامية في بناء الفرد والمجتمع والحضارة الإنسانية**، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط1، 1403هـ، 1983م .

176- يالجن: مقداد، **مشكلة غياب الشخصية والهوية الإسلامية**، دار عالم الكتاب، الرياض، السعودية، ط1، 1415 هـ ، 1994 م .

Abstract

Aoun Hussien Ali Obied. The characteristics of Humankind in constructing the Universe and its Implications in Islamic Education. PhD Dissertation. Yarmouk University. 1435H-2014. Supervisor: dr. Adnan Mustafa Khatbeh

The study discussed what did God gave Humans of abilities and potentials making them worthy to build and inherit the universe. Moreover, the study aimed to clarify it and explains its dimensions and implication in Islamic Education in order to make and educational system that may achieve the civilized goals of Islam as well as promoting human lives morally and physically.

The findings of the study were as follows:

First- Human characteristics in building the universe are connated and varied as well as effective and may be promoted with both moral and sensory domains resulted from the mix and integration of body and soul characteristics of humans giving them with a special meaning of building the earth and this is different from other creatures.

Second- The characteristics of humans in building the universe and educational shape represented in the strong relationship that combines between the educational characteristics in the frame of building the universe as both are the bases of the purpose.

Third- Each characteristic of humans' characteristics has many principles and educational bases with implications in all life fields and can be considered its educational origins.

Fourth- The characteristics of humans in building the universe has its psychological domains as through it's the reality of human entity can be detected qualifying people to build the universe

Fifth- The characteristics of humans in building the universe are educational bases fixing the objectives of the Islamic education goals upon the knowledge theory and it has educational implications to face many modern educational challenges.

Key Words: Characteristics. Human. Building the universe. Educational Domains. Islamic Education.